



# تَارِيخُ اِسْتِغْلَالِ اِسْلَامِيَّةِ

او

كِتَابُ اَعْمَالِ الْاَعْلَامِ  
فِي مَنْ بُويعَ قَبْلَ الْاِحْتِلَامِ مِنْ مُلُوكِ الْاَسْلَامِ

لِلْهَيْئَةِ الْوَزَارِيَّةِ لِسُكُنِ الْوَلَدِ الْخَطِيبِ السُّلْمَانِي

تَحْقِيقُهُ وَتَعْلِيْقُهُ

ا. لِيْفِي بْرُونْسِيَا

اَسْتَاذُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالسُّرْبُونِ  
مُذَوِّعُ مَعْهَدِ الدِّعْرَاسَاتِ الْاِسْلَامِيَّةِ بِجَامِعَةِ بَارْلِي

دارالمكشوف

## محتويات الكتاب

ز	مقدمة المحقق
٤	فصل في الإلمام بشيء من إطرء الأندلس . . . . .
٧	دولة عبد الرحمن بن معاوية أوّل من ملك الأندلس من بني أميّة
١١	دولة هشام بن عبد الرحمن بن معاوية . . . . .
١٤	دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية . . . . .
١٨	دولة عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية . . . . .
٢٠	دولة محمد بن عبد الرحمن بن الحكم . . . . .
٢٣	دولة المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم . . . . .
٢٦	دولة عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم . . . . .
٢٨	دولة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله . . . . .
٣١	إيجاز خبر عمر بن حفصون . . . . .
٣٤	ذكر شيء من أخبار بني حجاج . . . . .
٤١	دولة المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر . . . . .
٤٣	دولة هشام المؤيد بالله بن الحكم . . . . .
٥٩	أيام المنصور محمد بن أبي عامر . . . . .
٨٣	دولة المظفر عبد الملك بن المنصور محمد بن أبي عامر . . . . .
٨٩	دولة عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر . . . . .
١٠٩	دولة محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر . . . . .
١١٤	أيام سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر . . . . .
١١٥	أيام محمد بن هشام في الرجعة الثانية . . . . .
١١٦	أيام هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر في المرة الثانية . . . . .

أيام سليمان بن الحكم بن سليمان في المرة الثانية . . . ١١٩  
 دولة علي بن حمود بقرطبة . . . ١٢٨  
 دولة القاسم بن حمود بقرطبة . . . ١٣٠  
 بيعة المرتضى من بني أمية . . . ١٣٠  
 دولة يحيى بن علي الحمودي الحسني بقرطبة . . . ١٣٢  
 دولة القاسم بن حمود الحسني بقرطبة في كركته الثانية . . . ١٣٣  
 دولة عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار . . . ١٣٤  
 بيعة المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن . . . ١٣٥  
 دولة يحيى بن علي بن حمود بقرطبة كركته الثانية . . . ١٣٦  
 دولة هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر . . . ١٣٨  
 ذكر تلخيص الكلام في الأمراء من بني حمود . . . ١٤٠  
 ذكر نبذة من أحوال ملوك الطوائف بعد الحلائف . . . ١٤٤  
 ذكر أيام بني جهور بقرطبة وما إليها . . . ١٤٥  
 أيام أبي الوليد محمد بن جهور . . . ١٤٨  
 أيام عبد الملك بن محمد بن جهور . . . ١٤٩  
 ذكر أيام بني عباد بإشبيلية وغيرها . . . ١٥٢  
 ذكر أيام القاضي محمد بن عباد أول ملوكهم بإشبيلية . . . ١٥٣  
 أيام المعتض بالله عباد بن محمد بن عباد . . . ١٥٥  
 دولة المعتمد على الله محمد بن عباد . . . ١٥٧  
 خير المعتمد بن عباد مع ابن عمار . . . ١٥٩  
 بقية أخبار المعتمد بن عباد . . . ١٦٣  
 ذكر أيام بني هود بسرقسطة وما إليها . . . ١٧٠  
 أيام سليمان بن هود . . . ١٧٠  
 أيام المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود . . . ١٧١  
 أيام المؤمن محمد بن المقتدر أحمد بن سليمان بن هود . . . ١٧٢

ب

دولة المستعين أحمد بن محمد بن سليمان بن هود . . . ١٧٢  
 أيام عبد الملك بن أحمد المستعين بن هود عماد الدولة . . . ١٧٥  
 أيام أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن يوسف بن هود . . . ١٧٥  
 دولة بني دنون بطليطلة وما إليها . . . ١٧٦  
 أيام إسماعيل بن دنون بطليطلة وما إليها . . . ١٧٧  
 أيام يحيى بن إسماعيل بن دنون بطليطلة وما إليها . . . ١٧٧  
 أيام القادر بالله يحيى حفيد المأمون بن دنون . . . ١٧٩  
 أيام المتوكل على الله عمر بن المظفر بن الأفطس بطليطلة . . . ١٨٠  
 عودة يحيى بن دنون إلى طليطلة . . . ١٨١  
 ذكر مدّة بني مَسْلَمَة المعروفين ببني الأفطس . . . ١٨٢  
 دولة عبد الله بن محمد بن مسلمة بن الأفطس . . . ١٨٣  
 دولة المظفر محمد بن عبد الله بن محمد بن مَسْلَمَة بن الأفطس . . . ١٨٣  
 دولة المتوكل على الله عمر بن المظفر بن الأفطس . . . ١٨٥  
 أيام المنصور بن المتوكل عمر بن الأفطس بخص شنجش . . . ١٨٦  
 ذكر مدّة بني صَاحِد الأمراء بالمرية . . . ١٨٩  
 أيام معن بن صَاحِد . . . ١٩٠  
 أيام محمد بن صَاحِد المعتمد بالله . . . ١٩٠  
 أيام معز الدولة بن المعتمد بالله أبي يحيى بن صَاحِد . . . ١٩٢  
 ذكر أيام بني المنصور محمد بن أبي عامر . . . ١٩٣  
 دولة محمد بن المظفر عبد الملك بن محمد المنصور الملقب بالمُعْتَصِم . . . ١٩٣  
 أيام المنصور عبد العزيز بن الناصر عبد الرحمن بن المنصور . . .  
 ابن أبي عامر . . . ١٩٤  
 أيام عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر . . . ١٩٥  
 ذكر أيام الدولة المنذرية . . . ١٩٦  
 ذكر شيء من حديث بني طاهر بمرسية . . . ٢٠١

ج

ذكر شيء من حديث ابن عبد العزيز ببلنسية  
 أيام القاضي أبي أحمد بن جحاف رئيس بلنسية  
 ذكر شيء من أخبار بني رزين  
 ذكر بني قاسم أصحاب مدينة البنت  
 ذكر بعض صفات الرؤساء بالأندلس  
 ذكر من تيسر من ملوك الموالي الأمويين والعمريين  
 أيام الفتى خيران العمري  
 أيام الفتى زهير العمري  
 أيام أبي الجيش مجاهد العمري  
 أيام علي بن مجاهد إقبال الدولة  
 أيام الأميرين مبارك ومظفر العمريين وخبر خيرة الصيقل العمري  
 ذكر المشاهير من رؤساء الطائفة البربرية  
 دولة بني زيري بن مناد الصنهاجي  
 أيام زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي  
 دولة حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد  
 دولة باديس بن حبوس بفرناطة وما إليها  
 دولة عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس  
 أيام تميم بن بلقين بن باديس بن حبوس  
 أيام شيخ زنادة محمد بن عبد الله الوردسني البرزالي  
 أيام إسحاق بن محمد بن عبد الله بقرمونة  
 خبر سائر رؤساء الطائفة البربرية  
 ذكر تصيير أمر الأندلس إلى ملوك لمتونة المدعويين بالمرايطين  
 دولة الأمير يوسف بن تاشفين بالأندلس  
 دولة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بالأندلس  
 دولة الأمير تاشفين بن علي بن يوسف بالأندلس

د

ذكر من كان في أخريات دولة المرابطيين اللتونيين من الملوك  
 والرؤساء والثوار  
 أيام أبي القاسم بن قسي مدعي الهداية  
 أيام أحمد بن حمد بن الأمير القاضي بقرطبة  
 أيام أبي الحكم بن حسون الأمير القاضي بمالقة  
 أيام أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز ببلنسية  
 أيام عبد الرحمن بن رشيق بمرسية وما إليها  
 أيام الأمير القاضي أبي عبد الله بن أبي جعفر بمرسية  
 أيام أبي أمية أحمد بن عاصم الأمير القاضي بأربونة  
 أيام القاضي المتأمر يوسف بن عبد الرحمن بن جزري  
 أيام الأمير أبي عبد الله محمد بن سعد الجذامي ابن مردنيش  
 أمير شرق الأندلس  
 أيام يوسف بن هلال صهر ابن مردنيش  
 أيام المتأمر إبراهيم بن أحمد بن مفرج بن همشك  
 أيام أحمد بن ملحان بوادي آش  
 ذكر تصيير أمر الأندلس إلى ملوك آل عبد المؤمن المدعويين  
 بالموحدين  
 دولة الأمير أبي محمد عبد المؤمن بن علي بالأندلس  
 دولة الأمير يوسف بن عبد المؤمن بن علي بالأندلس  
 دولة يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بالأندلس  
 دولة محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بالأندلس  
 ذكر الثوار والطوائف والملوك من بعد دولة الملوك آل  
 عبد المؤمن بالأندلس  
 بقية أخبار بني مردنيش بشرق الأندلس  
 أيام الأمير أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش وبنيه

هـ



## مقدمة المحقق

نُبت في هذا السفر قسماً كبيراً من كتاب «أعمال الأعلام» في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام»، وهو القسم المتعلق بتاريخ إسبانيا في العهد الإسلامي.

وكتاب «أعمال الأعلام» من آخر التآليف العديدة التي صنفها — طيلة حياة مفعمة بالحوادث — رجل الدولة والأديب الغرناطي الشهير الذي عاش في القرن الرابع عشر المسيحي، أعني لسان الدين محمد بن الخطيب. وقد وصف هذا الكتاب أو نشر منه نبذة عدة مستشرقين وهم: ف. كوديرا F. Codera، وفانيان E. Fagnan، وح. ح. عبد الوهاب، وأخيراً م. م. أنتونيا M. M. Antuna، فذكر كل بدوره الظروف التي ألف فيها. ولنكتفِ — مع إحالة القاريء على دراساتهم — بتذكير موجز لتلك الظروف:

فبعد أن مثل ابن الخطيب — طوال سنين عديدة — دوراً هاماً في البلاط الناصري بغرناطة كوزير للسلطان محمد الخامس، اضطرت له وشايات أعدائه إلى الهجرة من إسبانيا إلى المغرب حيث حلّ بتلمسان لا نذراً بالسلطان المريني أبي فارس عبد العزيز. فأحسن ذلك الملك ضيافته وأبى تسليمه إلى حكومة غرناطة التي كانت تلح في طلبه. ولكن أبا فارس مات في السنة التالية (٧٧٤ هـ — ١٣٧٢ م) وبويغ مكانه ابنه أبو زيان محمد السعيد ولم يبلغ الرابعة من عمره. واجتهد بن الخطيب في كسب عطف الوصي على العرش المريني الوزير أبي بكر بن غازي. وفعلاً تمتع ابن الخطيب في ولاية الملك الطفل التصيرة بالأمن التام. ولكن لم تطل المدة حتى خلع أبو زيان وولي مكانه أبو العباس المستنصر (٧٧٦ هـ — ١٣٧٤ م) فاشتد خوف المهاجر المسكين، وحق له الخوف إذ انتهى به الأمر إلى أن سجن بفاس، ثم خنقه بسجنه، في بعض الليالي،

٢٧٤	أيام أبي بكر عزيز بن أبي مروان بن خطاب بمرسية
٢٧٥	أيام الرئيس أبي عثمان سعيد بن حكم الأموي بمنورة
٢٧٦	أيام أبي عمر حكم بن سعد بن حكم الأموي بمنورة
٢٧٧	دولة السلطان محمد بن يوسف بن هود الجذامي
٢٨٦	دولة الأمير محمد بن نصر الغالب بالله (مبتور)
٢٨٧	ذكر الخلاف بين ابن نصر وبين بني اشقيلولة
٢٩١	حديث امتسك بني الحكيم برندة
٢٩٢	خبر انتزاع الرئيس أبي الحجاج بن نصر بوادي آش
٢٩٤	دولة الأمير أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر
٢٩٥	دولة محمد بن إسماعيل بن فرج بن نصر
٣٠٤	دولة يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر
٣٠٦	دولة محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر
٣٠٧	دولة إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر
٣٠٨	دولة محمد بن إسماعيل بن محمد بن فرج بن إسماعيل بن نصر
٣٠٩	دولة محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر
	ذكر التعريف بما أمكن من ملوك النصارى بالأندلس على الاختصار
٣٢٢	
٣٣٩	الفهرس الأول في أسماء الرجال والنساء
٣٦١	الفهرس الثاني في أسماء الأماكن
٣٦٨	الفهرس الثالث في أسماء القبائل والعشائر والأجناس
٣٧٠	الفهرس الرابع في أسماء الكتب الواقعة في هذا الجزء

رسل' أحد أعدائه الحريصين على هلاكه .

وقد كان تأليف كتاب « أعمال الأعلام » في الفترة القصيرة التي مرت بين تقليد السلطان المريني الطفل أبي زيان وبين خلع ، أي بين سنتي ٧٧٤ و ٧٧٦ ( ١٣٦٢ - ١٣٧٤ م ) . وعنوان الكتاب نفسه يدل على الغاية التي رمى إليها ابن الخطيب بتأليفه . فقد أراد أن يهديه إلى حاميه ، السلطان ووزيره الوصي . فأحب أن يخصص كتاباً لذكر ولاية جميع ملوك المسلمين الذين بويعوا قبل سن الاحتلال . ولم يكن ذلك ، طبعاً ، إلا مناسبة . فقد تجاوز ابن الخطيب ، من أول وهلة ، ذلك الإطار التاريخي الضيق وأخذ يجمع المواد لتاريخ عام كبير يشمل 'دول الإسلام ويمكن أن يكون شبه مقابل لتاريخ معاصره ابن خلدون ويحل فيه المغرب وإسبانيا المحل' الأهم .

\*\*\*

يمكن القاريء أن يجد في « مشاركة » السيد ح . ح . عبد الوهاب في « ذكرى مرور مائة سنة على ميلاد ميشال أماري Centenario de Michele Amari » تفصيل عناوين الأبواب التي اشتمل عليها القسم الأول من كتاب « أعمال الأعلام » وهو المتعلق بالشرق ، والقسم الثالث المتعلق بشمال أفريقيا وبصقلية . وهذا القسم الأخير يبدو أنه بقي غير تام : فالدولة الموحدية لم تحل فيه بالمكان اللائق بها ولم يُعرض فيه إلى تاريخ بني مرين وبني عبد الوادي وبني حفص . وكل ذلك يدل - كما لاحظ السيد ح . ح . عبد الوهاب - على عجلة المؤلف الذي - إن صدقنا ما جاء في بعض المخطوطات - يكون قد ألف قسماً من كتابه ، إن لم يكن جميعه ، في أربعين يوماً .

وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى القسم الثاني الخاص بتاريخ إسبانيا المسلمة ، وهو أهم أقسام الكتاب ، وذلك يتجلى من أول نظرة تلقى على الكتاب . وإذا كان ابن الخطيب يمر سريعاً بما حدث في إسبانيا قبل القرن العاشر المسيحي متبعياً دون كبير اختلاف « كتاب البيان المغرب » لابن عذاري المراكشي ،

ح

فهو يعالج تاريخ ما يلي ذلك باطناب ودقة لا نجدتها عادة في التواريخ المنشورة إلى يومنا هذا .

وقد أثير منذ زمن إلى أهمية القسم « الأندلسي » من كتاب « أعمال الأعلام » . فمئذ سنة ١٨٩٢ نبه إليها المستشرق ف . كودرا F. Codera وعبر عن رجائه في أن ينشر نص ذلك القسم . وذلك الرجاء هو الذي حرصنا على تحقيقه يوم أمكننا أن نعتمد المخطوط الموجود بمكتبة جامع القرويين بفاس وهو ، بلا منازع ، أحسن المخطوطات التي يمكننا أن نتصرف فيها اليوم . وقد تبسر لنا أن نتحقق أن المخطوطات المعروفة لتاريخ ابن الخطيب ( أي مخطوطات القرويين والجزائر وتونس ومجريط ) تنتمي كلها إلى أسرة واحدة وأن النقص الموجود فيها لا يختلف بما فيه الانقطاع الفجائي لسياق التاريخ ، ذلك الانقطاع المشار إليه هنا في الصفحة ٢٨٦ . ولذلك السبب لم يسهل لنا تعدد النسخ اثبات النص ، وهو نص يتصف في أكثر الأحيان بإيجاز كبير وبزعة أدبية ليست تزعج غالب المؤرخين المنتسبين إلى المغرب .

ولقد نفذت منذ مدة نسخ الطبعة الأولى لهذا الكتاب . ولذلك قبلت بسرور طلب الشيخ فؤاد حبيش مدير دار المكشوف في بيروت عندما رغب الي أن أضع طبعة جديدة لهذا الكتاب تحت تصرف من يهتمون بتاريخ الأندلس . وتمتاز هذه الطبعة الجديدة بأن أكثر الكلمات فيها مشكول . وقد بذلت عناية خاصة بضبط حركات الأعلام التي كثيراً ما لا يحسن قراءتها المشتغلون بالتاريخ في الشرق .

ط

## ثبت المراجع

- أ - ذكر « كتاب أعمال الأعلام » المؤلفون المغاربة الآتية أسماؤهم :
- المقرئ في « نفع الطيب » ط . القاهرة ١٣٠٢ - ١٣٠٤ هـ . الجزء الرابع ، ص ٢٤٤ .
  - المقرئ أيضاً في « أزهار الرياض » ط . تونس ١٣٢٢ هـ . الجزء الأول ، ص ١٧٧ .
  - والافرائي في « نزهة الحادي » ط . هوداس Houdas باريس ١٨٨٨ ، ص ٢٥٩ .
  - والكتاني في « سلوة الأنفاس » ط . فاس ١٣١٠ هـ . الجزء الثالث ، ص ١٨٩ .
  - والناصري في « كتاب الاستقصاء » ط . القاهرة ١٣١٢ هـ . الجزء الثاني ، ص ١٣٣ .

## ب - وصف المخطوطات :

- عن مخطوط مكتبة جامع القرويين أنظر :
- أ . بل وعبد الحلي الكتاني ، A. Bel et Abdal-Haiy al-Kattânî , Catalogue des livres arabes de la Biliothèque de la Mosquée d'El - Qaraouiyyine à Fès, Fès 1918, p. 101 ( No 1286 ).
- وعن مخطوط المكتبة القومية بالجزائر ( عدد ١٦١٧ ) والنسخة التي نسخت لكودرا Codera أنظر :
- F. Codera, Mision Historica en Argelia y Tunez, Madrid 1892, p. 155 sqq, 177 - 178.
- E. Fagnan, dans Revue Africaine, 1890, XXXIV, p. 259 - 262.

وهذا المؤلف الأخير نفسه في :

Catalogue des Manuscrits Arabes de la Bibliothèque - Musée d'Alger, Paris, 1893. p. 449.

- وعن مخطوط مكتبة مجمع التاريخ بجربيط انظر كودرا F. Codera المرجع نفسه المذكور سابقاً .

- وعن مخطوطي مكتبة جامع الزيتونة بتونس انظر :

M. Roy, Extrait du Catalogue des manuscrits .... de la Grande Mosquée de Tunis, Vol. I, Tunis, 1900, No 4936 et No 4937.

## ج - الأقسام المنشورة والمترجمة :

١ ( الأبواب المتعلقة بمجاهد أمير دانيه وابنه اقبال الدولة ) في هذه الطبعة من ص ٢١٧ إلى ص ٢٢٢ ) انظر :

F. Codera, Mochéhid, conquistador de Cerdana ( Centenario Michele Amari, Palerme, 1910, vol. II, pp. 130 - 133 ).

٢ ( قائمة الأبواب : نص الأبواب المتعلقة بالعبيدين وبني زيري من ملوك أفريقيا ؛ والأبواب المتعلقة بتاريخ أفريقيا في :

حسن حسني عبد الوهاب : H. H. Abdul - Wahab, Contribution à l'Histoire de l'Afrique du Nord et de la Sicile (Ibid., vol. II, pp. 427 - 482 ).

٣ ( الأبواب المتعلقة بثوار المريدن في آخر أيام دولة المرابطين ) في هذه الطبعة ص ٢٤٨ - ٢٥٢ ) في :

David Lopes, Os Arabes nas obras de Alexandre Herculano, Lisbonne, 1911, pp. 130 - 137.

٤ ( الباب الخاص بملوك اسبانيا المسيحيين ) في هذه الطبعة ص ٣٢٢ - ٣٣٨ ) في :

M. M. Antuna, Una version arabe compendiada de la « Estoria de Espana » de Alfonso el Sabio ( Al-Andalus, vol. I, 1933, Madrid - Grenade, pp. 105 - 154 ).

انظر استمراضي لذلك المقال في : Hespéris, t. XVIII, 1934, p. 102.

د - انظر كذلك : Brockelmann G. AL. II, p. 262 (4).

A. Prieto Vives, Los Reups de taifas, Madrid, 1926.

إن كتاب أعمال الأعلام لم يذكر في المقال المخصص لابن الخطيب بقلم

C. F. Seybold في دائرة المعارف الإسلامية ، الجزء الثاني ، ص ٤٣١ .

كتاب أعمال الأعلام  
فيمر ببيع قبل الاحتلام  
من ملوك الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

### قال لسان الدين بن الخطيب

( مفتتحاً القسم الثاني من كتابه المسمى بأعمال الأعلام )

( فيمن بويع قبل الاحتلال ، من ملوك الاسلام )

( وهو قسمٌ يتعلق بأخبار الجزيرة الأندلسية )

ويتضمن بالإشارة إلى من دال بالأندلس من جهة المغربية ، واقتطاعها عن الممالك الشرقية ، والدول العباسية ، والشيعة العلوية ؛ وفيهم ملوك بني أمية ، وملوك بني حشود الأدارسة ومن بعدهم من ملوك الطوائف ، والثوار أولي البهرج الزائف .

نقول بعد استعانة الله : قد كان الأوّل بنا أن نذكر بعد دُول الملوك بالمشرق من يتصل بهم من حدود البلاد الغربيّة ، من الجهات الإفريقيّة ، وما وراءها غرباً إلى البحر المحيط ؛ وبعد ذلك ، نكرّ على الأندلس بالذكر ، ونصرف القول ، بعد الفراغ من متّصل البرّ ، إلى ذكر ما وراء البحر ؛ لكننا راعينا في ذلك غرضين : أحدهما المناسبة في الأموية ، فإنّ ملوك الأندلس منهم إنّما هم بقايا الدولة بالمشرق ، وفروعٌ عن أصولها ، وفلّ من جمهورها ، ومقتطعٌ من جراثيمها ؛ فقد كان مُلك الأموية فتّحها ، وأمراؤهم ملوكها ، ثمّ استقرّ بها ذريّتهم ، فأقاموا رسماً غير خامل القدر ، ولا مغفل الذكر . والثاني ما بنّينا عليه من الحتم بالدولة المرينية ، لنبدأ الكتاب بذكر السلف الواجب الحقّ ، ونختتمه بذكر الملوك الكرام من آل عبد الحقّ ؛ فنكون قد افتتحنا بالفضل والنسك ، وعقبنا بالملك ، وختّمنا منهم بختام المسك . وولّينا المعنبة ما اعتذرنا عنه من الترتيب ، لسبباً . من

التثريب ، وشأننا في هذا القسم قريب ، مما بَنَيْنَا عليه من الاختصار والتقريب ، إلا ما كان المستظهر والغريب ، أو المتأخر القريب ، فقلنا خلونا من الإسهاب ، وترين الكتاب بالآداب ؛ وحسبنا الله ميسر الآراب ! لا إله إلا هو !

#### فصل في الإلام بشيء من إطاء الأندلس

ليعلم أن وطن الأندلس حظ من المعمور كبير ، وإنما سمى جزيرة بحكم المجاز لاعتراض البحر الشامي الخارج من دائرة البحر المحيط من قبل الرقاق بطنجة قاطعاً بين هذه الأرض الأندلسية ، وبين ما يجاورها من البر المتصل قبله ، إلى أن يتصل إلى الخليج بأحواز الفسطاطية . وقد اختلف طباع هذه الأرض لسعة خطتها ، وأخذها من الأقاليم بحفظ ؛ فمن أماكنها المعتدل وغير المعتدل مائلاً إلى البرد . وقد خصها الله من الري ، وغدق السقيا ، ولذا الأوقات ، وفراة الحيوان ، ودرور المياه ، وكثرة الفواكه<sup>١</sup> ، وتبحر العمران ، وجودة اللباس ، وشرف الآنية ، وكثرة السلاح ، وصحة الهواء ، وابيضاض ألوان الإنسان ، ونبل الأذهان ، وقبول الصنائع ، وشهامة الطبايع ، ونفاذ الإدراك ، وإحكام التدن والاعتار ، بما حرمه الكثير من الأقطار مما سواها<sup>٢</sup> . حدثني بعض من كنت أردده إلى ملوك النصارى بأعناق أرضها ؛ فقال : مرت في رحلة واحدة بأزيد من ثلاثمائة بلد في نهاية الإحكام ، وحسن الوضع ، وتشديد البناء ، كأنها سوسان الرياض ، يرمض برقها في مدهام الغياض ، لعدم الصحاري والمفاوز بذلك الوطن . وقيل إن ذرعه سنة أشهر . وقال لي بعض الفضلاء من أصحابنا ، الذين حلبوا الأسطار ، وخبروا الأقطار ، وصحبوا الحداة والقطار ، وهو حجة في الأخبار ، ومدرك الأنظار : اعلم أن الأندلس ، بالنسبة إلى ما وراء

١ ق وج : « ودرور الفواكه وكثرة المياه » .

٢ ذكر القسري هذا الوصف في « نفع الطيب » و « أزهار الرياض » ( ج ١ ، ص ٦١ ) .

البحر كله ، تل وحضارة ؛ والجميع صحراء متفاضلة الأحوال في البداوة . وإن قدرت أن قطرنا من الأقطار التي تقع عليها عينك بعده ، يوازنها أو يشبهها في ظرف أو حسن أو زينة أو إحكام صناعة أو فلاحه ، فاعتقد أنك غلظت في الأمر ، وأن الخبر غير الخبر .

قلت : وهذا أيضاً غلط ؛ فإن استحسن الأوطان لا يملك فيه زمام الهوى . وممن فتن بالأندلس فتنة هذا أبو إسحق بن خفاجة في قوله<sup>١</sup> : [البسيط] ما جنة الخلد إلا في دياركم وهذه كنت لو خيرت أختار لا تتقوا بعدها أن تدخلوا سقراً فليس تدخل بعد الجنة النار

ولما فاض سيل الإسلام ، وبلغ ملك الأمة المحمدية ما زوى لنبيها ( صلى الله عليه وسلم ) من الأرض ، وعبرت سيوف الدعوة العربية البحر إلى الأندلس ، ونظروا إلى ما وراء البحر في خطتها من بلاد طيبة ، وبركات صيبة ، اغتبطوا ، وارتبطوا ، وتمهدوا ، واستقرؤا ، وتوالدوا ، ونسوا أوطانهم ، وألقوا أعطانهم . واستقام للإسلام بها ملك كبير ، وساطان شهير ، قد انفرد بعموم خيره ، عن غيره ، وغني بما حواه ، عن سواه ؛ ولذلك ما نقل عن منصور بني العباس أو مثله ، أنه قال ، وقد جرى ذكر بعض أصداده من ملوكها : « وما الذي يقال في رجل يركب من نتاجه ، ويلبس من ديباجه ، وينفق من خراجها ؟ » قلت : ولو شاء ل زاد : ويأكل من علاجه ، ويتقرب إلى الله بجهاد أغلاجه ، إلا أنها اليوم لم يبق لها إلا علالة لا تروي غلة ، ونفاضة مزاد لا يحسن بها قلته ، لم تحفظ دماءها إلا فتن شعلت العدو ، وشرعت الهدو ، لطنف الله برها مرة النسب بقدرته !

وحديث الفتش ، وما فتح الله على الإسلام من المنح ، وأخبار ما أفاء

١ راجع مق ( ط بولاق ) ج ٤ ، ص ٦٧٤ : « شعر ابن خفاجة » تحقيق كرم البستاني ص ٨٦ . والبيتان هما الآخران من قطعة ثلاثة أبيات . ونس الأول : يا أهل أندلس لله دركم ماء وظل وأنهار وأشجار

الله من خير ، على موسى بن نصير ، وكتب من جهاد ، لطارق بن زياد ،  
 تملول قصاص وأوراق ، وحديث أقول وإشراق ، وإرعاد وإبراق ،  
 وعظم امتشاش ، وآله معلقة في حانوت قشاش<sup>١</sup> . والقصد أنه دخلها  
 من الأمراء ، من لدن افتتاحها على عهد ولد عبد الملك بن مروان ، إلى لحاق  
 عبد الرحمن بن معاوية بجدّ الدولة الأموية بها ، نحو من عشرين رجلاً ،  
 منهم طارق بن زياد ، الذي تولّى افتتاحها ، وإليه ينسب جبل الفتح  
 المدعو بجبل طارق ، وخبره بها شهير ، مولى موسى بن نصير ، فكانت  
 إمارته فيها سنة ؛ ثم موسى بن نصير البكري ، وإليه ينسب الفتح ، إذ  
 كان طارق من قبله ؛ وهو الذي تمّ ما بدأه بها ، فملك هو وابنه عبد العزيز  
 ثلاث سنين ، ثم قفل بالغنائم ، وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان سلطانه  
 الذي ولّاه مريضاً بجود بنفسه ؛ وولي الأمر بعده أخوه سليمان بن عبد الملك ؛  
 فأشار على موسى بن نصير بالتربّص ليكون دخوله في أيامه إذا قضى الوليد  
 نجه ؛ فأبى عليه لصلابة موسى ، ودينه مشهور وفائه ؛ فلما ولي ، آسفه ،  
 ونكبه ، وقتل ولده بما هو معلوم . ثم ولي أيوب بن حبيب اللخمي ابن  
 أخت موسى بن نصير ؛ فملك سنة أشهر ؛ ثم دخلها الحرّ بن عبد الرحمن  
 الثقفي ؛ فملك سنة وسبعة أشهر ؛ ثم دخلها السّمح بن مالك الحولاني ؛  
 فملك سنتين وسبعة أشهر ؛ ثم دخلها عنبسة بن سحيم الكلبي ؛ فملك  
 أربع سنين وخمسة أشهر ؛ ثم دخل يحيى بن سلامة الكلبي ؛ فملك سنة  
 وستة أشهر ؛ ثم دخل حذيفة بن الأحوص القيسي ؛ فملك سنة أشهر ؛  
 ثم ولي عثمان بن أبي نسة الحثعمي ؛ فملك سنة أشهر ؛ ثم ملك الهيثم  
 ابن عبيد الكلابي ؛ فملك أربعة أشهر ؛ ثم ولي عبد الرحمن بن عبيد الله  
 العافقي ؛ فملك سنتين وسبعة أشهر ؛ ثم ولي عبد الملك بن قطن الفهري ؛  
 فملك ثلاث سنين وشهرين ؛ ثم دخل عقبة بن الحجاج السلوي ؛ فملك

١ راجع هذا الكلام منسوباً إلى ابن الخطيب في «النقح» و«أزهار الرياض» (ج ١، ص ٦١) للمقري .

خمس سنين وشهرين ؛ ثم دخل القصر عبد الملك بن قطن مرة ثانية ؛  
 فملك سنة وشهراً ؛ ثم دخل بلج بن يشر الفسيري صاحب الطالعة  
 البلجيّة من أهل الشام ، مقلولاً قد كسره البربر في خبر مشهور ؛ فملك  
 ستة أشهر ؛ ثم تولّى ثعلبة بن سلامة العاملي خمسة أشهر ؛ ثم ولي أبو  
 الحطّار حسام بن ضرار الكلبي ؛ فملك سنتين وثمانية أشهر ؛ وكانت في  
 أيامه حروب شهيرة ؛ ثم ولي ثوابة بن سلمة الجذامي ؛ فملك سنتين  
 وشهرين ؛ ثم ولي الأمر يوسف بن عبد الرحمن الفهري ؛ فملك تسع  
 سنين وأحد عشر شهراً ؛ واستقرّ له ملك الأندلس لمصاهرة الصمّيل بن  
 حاتم ، إلى أن طرده من قدوم صفّر بن أمية عبد الرحمن بن معاوية ما  
 كدر شرّه ، وروّع سرّه ، عادة الأيّام ، والبقاء لمن انفرد بالدوام –  
 سبحانه لا إله إلا هو !

## دولة عبد الرحمن بن معاوية

### أول من ملك الأندلس من بني أمية

قالوا : لما أُنحى للعباسيّة الظفر بمروان بن محمد الجعدي بأحواز مضر ،  
 وانقرضت دولة بني أمية ، وصاحت بهم الأيام ، ووقع الطلب عمّن أفلت  
 منهم ، كاث عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك هذا بمن شرّده  
 الخوف ، واستثار به الجلاء والاختفاء إلى المغرب .

وقال ابن أبي الفياض ، مخبراً عنه عن نفسه ، قال : « سمعت مسلكة  
 ابن هشام بن عبد الملك بن مروان ( عمّي ) يقول يوماً لجدي هشام بن  
 عبد الملك ، وهو خليفة ، وقد نظر إليّ : « هذا هو الذي يحيي ملك بني  
 مروان بالمغرب بعد ذهاب ملكنا بالشرق ! » فكان جدي يفضّلني من  
 حينئذ ؛ وما زالت تلك الكلمة تعمل في قلبي إلى أن انخرم ملكنا بالشرق ؛

فخرجت 'أريد' المغرب ؛ فملك 'الأندلس' .

قالوا : واجتاز عبد الرحمن ، وقد لحق به بدر مولاة بشي من الذهب وجوهر بعثت به أخته إليه ليعيش به . ونذر به أمير إفريقية عبد الرحمن بن حبيب ؛ فأقلته . واستقر بمغيلة ، وكتب من ساحلها إلى من بالأندلس من موالي بني أمية وصنائع دولتها ؛ فاستجابوا له ، واشتري له بساحل 'تدمير' مركب عاد إليه فيه بدر مولاة ، في طائفة من الصنائع ؛ فركب فيه البحر ، واحتل بمرمى المنكب غرة ربيع الأول من سنة ١٣٨ . ثم تحرك إلى البصرة ، واستجاب الناس إلى دعوته . ولما كملت لديه الجيوش ، عقد اللواء ، ونهض نحو قرطبة . وكان الأمير يوسف الفهري يومئذ غائباً عنها ، محاصراً مدينة سرقسطة ؛ فلما بلغه الخبر ، قفل إلى قرطبة ، فزلفها . وأقبل عبد الرحمن ، فزلف بضفة النهر منها . ودارت بين الفريقين مناورة أجلت عن اللقاء يوم الجمعة ، وهو يوم الأضحي من السنة . واستدعى عبد الرحمن من أبي الصباح حي بن يحيى اليحصبي بغلاً أشهب ، يسمى الكوكب ، كان له ؛ فتحول إليه وقال : « إن فرسي قلق ، لا يتمكن معه الرمي ! » فقدمه إليه ؛ فركبه ، واطمأن الناس . وتمت الهزيمة على يوسف الفهري ؛ وتمت البيعة لعبد الرحمن يومه ؛ ودخل قصر الإمارة بقرطبة ، فاستقر به .

وتنادى يوسف الفهري في فراشه ، إلى أن استقر بغرناطة . وتحرك عبد الرحمن في أثره ؛ فنازله وحصره ، والتمس من عبد الرحمن الأمان ؛ فبذله له . وخانته بعد ، وفر عن حضرته ؛ ووقع عنه الطلب ؛ فأتي إليه برأسه .

وانتال بنو أمية من المشرق محتالين محتفين ؛ فلقق به عدد منهم تجددت بهم الدولة .

وماج على عبد الرحمن بن معاوية بحر الخلاف والمنازعة ؛ وقارع الكثير

من الثوار ولاية ؛ كالعلاء بن مغيث الجذامي الداعي إلى نفسه بناحية باجة من عمل حمص ؛ وذكر أن المنصور صاحب الدولة العباسية أرسل إليه بولاية الأندلس ؛ فاتبعته الأجناد ، وتطلع إليه العباد ، إلى أن كادت دولة عبد الرحمن أن تنصرم ؛ فخرج إلى قرطبة ، محاذياً له بخاضته ؛ وعاجله العلاء بن مغيث ؛ فحاصره بها أياماً عديدة ؛ فلما طال بالعلاء الأمر ، وسلم عبد الرحمن باختلال محلته ، أمر بنار ، فوعدت ؛ ثم أمر بأجفان السيف ، فطرحتها بها ، وقال لأصحابه : « اخرجوا معي خروج من لا يحدث نفسه بالرجوع ! » وكانوا سبعةائة ؛ فخرجوا إلى عدد لا يحصى ؛ فرزقهم الله النصر ، وزلزل أقدام عدوهم ، لما قضاه الله من إقبال الدولة وتمييد الأمر ؛ فانهزم القوم ، وقتل العلاء ؛ فطيف للحين برأسه ؛ وأمر به عبد الرحمن ؛ ففولج بما يحفظه ، وجعله مع اللواء المعقود له في سبط ، وأمر قوماً من الحج أن يوصلوه إلى مكة ؛ واتفق ان حج المنصور عامئذ ؛ فجعل القوم السبط بإزاء باب سراقه ؛ فلما نظر إليه قال : « عرضنا هذا المسكين للقتل ، والحمد لله الذي جعل بيننا وبين هذا ( يعني عبد الرحمن بن معاوية ) مجراً ! » واستنزل الثوار ، وقهر الأعداء ، وجاهد في سبيل الله بما هو معروف في دولته من كتب التاريخ .

وذكر أن أبا جعفر المنصور قال يوماً لبعض جلسائه : « أخبروني من صقر قریش من الملوك ؟ » قالوا : « ذلك أمير المؤمنين الذي راض الملوك ، وسكن الزلازل ، وأباد الأعداء ، وحسم الأدواء ! » قال : « ما قلنتم شيئاً ! » قالوا : « فمعاوية ؟ » قال : « لا . » قالوا : « فمعاوية بن مروان ؟ » قال : « ما قلنتم شيئاً ! » قالوا : « فمن ؟ يا أمير المؤمنين ! » قال : « صقر قریش عبد الرحمن بن معاوية ، الذي عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلاد أعجمياً ، منفرداً بنفسه ؛ فمصر الأمصار ، وجند الأجناد ، ودون الدواوين ، وفال ملكاً بعد انقطاعه ، بحسن تدييره ،



وشدة تشكيته. إن معاوية نهض بمركب حمله عمر وعثمان عليه، وذلك لا له صعبه؛ وعبد الملك ببيعة أبرم عقدًا، وأمير المؤمنين بطلب عتوته، واجتماع شيعته. وعبد الرحمن منفرد بنفسه، مؤيدًا بأمره، مستصحبًا لعزيمه، وطرد الخلافة بالأندلس، واقتنع الثغور، وقتل المارقين، وأذل الجبابرة الثائرين<sup>١</sup> !»

وكان عبد الرحمن من أهل العلم، وعلى سيرة جميلة من العدل. ومن قوله<sup>٢</sup>:

أيتها الراكب الميتم أرضي إقتر بعض السلام عني لبعض  
إن جسي كما تراه بأرض وفؤادي ومالكيه بأرض  
قد ر البين بيننا فافترقنا وطوى البين عن جفوني عظمي  
قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وله من الشعر كثير، وهو معلوم. وكان عبد الرحمن بن معاوية فصيحاً بليغاً، حسن التوقيع، مليح الفصول، مطبوع الشعر، معدوداً من أهل العلم، وعلى سيرة حسنة من العدل. ذكروا أنه، لما نزل بنية الرصافة من قرطبة، نظر فيها إلى نخلة هاجت شجته، وتذكر بها وطنه؛ فقال بديعة:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل  
فقلت: شيبني في التغرب والنوى وطول التناي عن بني وعن أهلي  
نشأت بأرض أنت فيها غريبة في مثلك في الإقصاء والمنشأ مثلي

وتوفي عبد الرحمن بن معاوية يوم الثلاثاء لستين<sup>١</sup> بقين من ربيع الآخر

١ القصة في «الاخبار المجموعة» و «المقد» لابن عبد ربه و «البيان المغرب» إلخ...  
٢ راجع «نفع الطيب» ج ٢، ص ٢٥ (طبعة ليدن).

سنة ١٧٢؛ ودُفن بالقصر من قرطبة. وكانت مدة ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة، وأربعة أشهر؛ وكان عمره يوم دخل الأندلس خمساً وعشرين سنة. وكان قد عقد الخلافة لابنائه هشام وسليمان؛ فاستحقها هشام باستباقه إلى قصر الخلافة قبل أخيه، إذ كانا غائبين. ولما حضرته الوفاة، وابنه هشام بمأردة، وابنه الآخر سليمان بطليطلة، وكل ابنه عبد الملك المعروف بالبكنسي، وقال له: «من سبق إليك من إخوتك، فأبرأ إليه بالخاتم والأمر. فإن سبق إليك هشام، فله فضل دينه، وعفافه، واجتماع الكلمة عليه؛ وإن سبق إليك سليمان، فله فضل سنه، ونجدته، وحب الناس له.» «فقدم هشام قبل سليمان؛ فلقبه الأخ عبد الملك، وسلم إليه أمره، وأدخله القصر.

## دولة هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

### ابن هشام بن عبد الملك بن مروان

كنيته: أبو الوليد. بويح مستهل جمادى الأولى من سنة ١٧٢. ولما اتصل بأخيه الحبر، وهو بطليطلة، حشد الجنود وقصد قرطبة. وبرز إليه هشام. وكان اللقاء بجهة جيان؛ فانهزم سليمان، وعادوا الاحتشاد؛ فتكررت الهزيمة. ثم نازعه أخوه عبد الله متخلف أبيه، الذي دفع إليه أمانته، لسبعة أشهر من ولايته، ولحق بأخيها سليمان بطليطلة. وتحرك هشام إلى منازلها؛ فأجلت الحال عن لحاق عبد الله بهشام من غير عهد ولا أمان؛ وتقبله، وأجرى مجرى أبيه في الأمن. وصالح سليمان بستين الفاً، على الخروج بأهله وولده عن الأندلس إلى عدوة المغرب. ونازل هشام بعد ذلك مرقسطة؛ وبها مطرئوح بن سليمان الأعرابي؛ فأمكنه الله منه، وخلاله الجو؛ فغزا بلاد الروم بنفسه وقواده؛ فكان أثره عظيماً؛ فتح

بها مدائن أربونة وحاصر إفرنجية .

وفي سنة ١٧٩ ، أغزى عبد الكريم بن مغيث بالصائفة التي انتهى بها أسترقة داخل جليقية ، فهزم طاغية الروم ، وقد احتشد له البشكنش ؛ ثم اتبعه في الجبال ، ينسف كل ما مر به ، ويتركه قاعاً صفصفاً . وكانت مقدمة جيش عبد الكريم الحاجب التي قدمها بين يديه للمناجزة إذ فثونس ، وصاحبها فرج بن كنانة عشرة آلاف ؛ فكانت غزاة شهيرة .

وكان هشام الرضى من أئمة العدل ، وبمنزلة عمر بن عبد العزيز في قومه بالأندلس . تولّى بناء القنطرة العظمى بقرطبة بنفسه ، وأنفق فيها أموالاً عظيمة . وحكى ابن وضاء أنه ذكر له أن الناس يقولون إنما بناها لتصيد ونزهته ؛ فحلف ، لما بلغه ذلك ، أن لا يجوز عليها إلا لغزو في سبيل الله أو مصلحة .

قلت : هكذا شأن الناس مع أبواب الدول : إن بنى القنطرة ، ولازمها على كرسية نفعه الله واختار ما نالها من طيبه ، قيل : بناها للهو وصيده . ولو كان ذلك ، فكيف شعري أي شيء كان يعوزهم من منفعتهم بها وهلاً دعوا له أن يهنيه الله نزهته وصيده إذ كانا شافعين في بنائها لهم . ولو لم يبنها ، لم يسلم من حملهم لأجل تركها . فانا لله من الناس ! وما أشبه حال صاحب الدولة بحال الابن والأب والمار لا فارق : ذكروا أن رجلاً خرج هو وابنه ، ولهما حمار يركبه الرجل [ وابنه ] خلفه ؛ فسمع الناس يقولون : « ما أعظم جفاء هذا الشيخ وأقل حياءه ! ركب هو وابنه حماراً ضعيفاً ؛ فهلاً نزل وخفف عنه ! » فنزل عن الحمار وترك عليه الولد ؛ فسمع الناس يقولون : « أركب ابنته القادر على المشي ، وترك نفسه مع الضعف ! والشيخ يطارح الولد سوء الأدب وسوء المعاملة ! » فأنزل الولد وركب ؛ فسمع الناس يقولون : « ولد صغير أثر نفسه عليه ، وتركه يتعب دونه ، ولم يرحمه ! » فنزل وترك الحمار خالياً ظهره ؛ فسمعهم يقولون : « حمار يسير بطالاً ،

وشيوخ وصغير خلفه ! قد حرم هذا الشيخ نفسه وابنه حرصاً وصوناً للحمار ! فعمل الله به وضع ! » فقال : « يا ولدي ، حرنا مع هؤلاء ! لم نخافنا معهم شيء . والحق أن نعمل ما يظهر لنا ولا نلتفت إليهم ! »

وفي مثل هذا الحال ، قلت من قصيدة طويلة شرحت فيها حالي فيها بليت به بالأندلس من مكابدة الصم البكم الذين لا يعقلون : [ الخفيف ]

إن تورعت أصبحت حوز المثل لك ضياعاً لجرأة الفجار  
أو طردت العفاة : خفت من الله إذا ما سئلت عن أوزاري  
أو تقاعدت : أصبح الأمر فوضى تلعب الشاة فيه بالجزائر  
أو تعرضت وانتدبت : سمعت الله قد حال الإبراد والإصدار  
لا يزال الملام عتي بحال حالة الشيخ وابنه والحمار  
قدنهم للجهاد فاشتكوا الضعف فاضجوا لكثرة الأسفار  
ملت للصلح سئوا الصلح شرّاً عكس قول المهين الجبار  
سنتهم لست أبتغي غير حق الله أو قومي بحق الجار  
فجزوني جزاء من يخدم السدا طان فيما مضى من الأعصار  
من ممالك كالسباع ووصفا ن وغزى وذيلهم وتصار  
لم نجد مسلماً يقوم بحقي ناظراً لي بمقلة استعبار  
أو ولياً يعطي لطوري حقاً ويرى فضله على الأطوار  
غير أعنى يظلل يعلق في رحا لي علوق الكروم في الأشجار  
طالباً كل ما اقتضاه هواه هبه بالربح عاد أو بالحسار

نستغفر الله ( ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نَعْفِرْ لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ) والله كره الصوفية إذ يلزمون من جني عليه

الاستغفارَ والإنصافَ من نفسه ، وَيَرَوْن أَنَّهُ إِنَّمَا أُوتِيَ مِنْ قَبْلِهَا .

( رجع ) . وكانت أيام هشام خير أيام عافية وهدوء . وعدّه أبو محمد بن حَزْمُ ثَلَاثَ ثَلَاثَةِ مِنَ الْعَدُولِ فِي بَنِي أُمِيَّةٍ خَاصَّةً . وتوفي لسبعِ خَلُونٍ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ١٨٠ . وذكرُوا أَنَّهُ سَأَلَ مُنْجَمَ زَمَانِهِ ، وَأَظَنَّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ فِرْنَاسٍ ، عَنْ مَقْدَارِ أَيَّامِ دَوْلَتِهِ ؛ فَاسْتَعْفَاهُ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَلَمْ يَفْعَلْ وَعَزَمَ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ بَعْدَ نَظَرٍ : « إِنْ صَحَّ دَعْوَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، فَإِنَّكَ تَبْقَى فِي الْوَلَايَةِ سَبْعَ سِنِينَ وَكَذَا . » فَأَطْرَقَ وَبَكَى ، وَقَالَ : « حَسْبِيَ اللَّهُ ! فَوَاللَّهِ ! لَوْ كَانَتْ فِي سَجْدَةٍ لَّهِ ، لَكَانَتْ قَلِيلَةً قَصِيرَةً ! » وَصَرَفَ وَجْهَهُ إِلَى الْجَهَادِ وَالْجِهَادِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَرِضْوَانِهِ - . وَكَانَتْ مُدَّتُهُ سَبْعَ سِنِينَ وَأَشْهُرًا .

## دولة الحكم بن هشام

### ابن عبد الرحمن بن معاوية

كُنْيَتُهُ : أَبُو الْعَاصِي . وَكَانَ مَلِكًا كَبِيرًا ، شَدِيدَ الْحَزْمِ ، مَاخِي الْعَزِيمَةِ ، عَظِيمَ الصُّوْلَةِ ، حَسَنَ التَّدْبِيرِ . وَكَانَ يُسَلِّطُ قُضَاتِهِ وَحُكَّامَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَضْلًا عَنْ وَلَدِهِ وَخَدَمِهِ . وَكَانَتْ لَهُ أَلْفُ فَرَسٍ مَرْتَبُطَةٌ بِجَانِبِ الْقَصْرِ ؛ فَكُلَّمَا أُنْمِيَ إِلَيْهِ الْبُرَيْدُ خَبَرًا بِأَمْرٍ أَوْ خَارِجِيٍّ ، عَاجَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ ، فَلَا يَشْعُرُ إِلَّا وَقَدْ أُحِيطَ بِهِ .

وَفِي سَنَةِ ١٨١ مِنْ أَيَّامِهِ ، كَانَ الْإِيقَاعُ بِأَهْلِ طَلَيْطَلَةَ ، وَقَدْ اتَّخَذَ قَصْرًا احْتَفِرَ تَرَابُ بُنَاءِ جِدْرَانِهِ مِنْ صَحْنِهِ . فَلَمَّا كَمَلَ إِلَّا مَا يَخْصُ الصَّحْنُ ، أَعْمَلَ الْحُطُورَ عَلَى طَلَيْطَلَةَ ، وَعَرَضَ وَالِيَهَا عَلَيْهِ أَوْ عَلَى ابْنِهِ حُضُورَ صَنِيعِهِ بِالْقَصْرِ الْجَدِيدِ ؛ وَاسْتَدْعَى لَهُ وَجُوهَ الْبَلَدِ ؛ وَأَوْهَمَهُمْ أَنَّهُمْ ،

١ فِي الْأَمَلِ : احْتَفِرَ بِنَاءَ تَرَابِ جِدْرَانِهِ .

إِذَا طَعِمَ مِنْهُمْ قَوْمٌ ، انصرفوا عن بابٍ غَيْرِ الَّذِي دَخَلُوا مِنْهُ ، وَجَعَلُوا كُلُّمَا دَخَلُوا قَتَلُوا ، حَتَّى فَطِنَ بَعْضُ شُيُوخِهِمْ إِلَى الْبِخَارِ الْمُرْتَفِعِ مِنَ الدَّخْرِ ؛ فَقَالَ : « هَذَا وَاللَّهِ بَخَارُ الدَّمَاءِ ، لَا بَخَارُ الطَّعَامِ ! » وَقَدْ خَمِدَ النَّاسُ . فَذَكَرُوا أَنَّ عَدَدَ الْقَتْلِ يَوْمَئِذٍ مِنْ وَجْهِهِ طَلَيْطَلَةَ وَأَعْيَانُهَا خَمْسَةُ آلَافٍ وَثَلَاثُمِائَةٍ رَجُلٍ . فَلَانَتْ بَعْدَ ذَلِكَ صَوْلَةُ طَلَيْطَلَةَ .

وَفِي أَيَّامِهِ ، قَتَلَ عُمَةُ أَبُو أَيُّوبَ مِنَ الْمَغْرِبِ ، وَطَلَبَ الْأَمْرَ لِنَفْسِهِ . وَكَانَتْ حَرْبٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَهُمَا ، أَجَلَتْ عَنْ هَزِيمَةِ أَبِي أَيُّوبَ وَقَتْلِهِ . وَكَانَتْ لِلْحَكَمِ غَزَوَاتٌ شَهِيرَةٌ . وَأَنْكَرَ النَّاسُ عَلَيْهِ أُمُورًا ، مِنْهَا : إِطْلَاقُ يَدِ رَبِيعِ الْقُومِيسِ مَتَوَلِّيِ الْمُعَاهِدِينَ بِالْأَنْدَلُسِ مِنَ النَّصَارَى ، وَكَانَ حَظِيًّا فِي رَجَالِهِ ، سَوَّغَهُ افْتِرَاضَ الْمَعَاوِنِ وَالْمَعَارِمِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ . فَثَارَ بِهِ أَهْلُ الرِّبَاصِ بِقَرْطَبَةَ سَنَةِ ٢٠٢ الثُّورَةُ الشَّهِيرَةُ ، وَنَابَذُوهُ ، وَجَاهَرُوا بِخُلْعِهِ ، وَرَجَعُوا إِلَى بَابِ قَصْرِهِ فِي السَّلَاحِ وَأَحَاطُوا بِهِ فِي أُمَمٍ لَا يَحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ ، وَفِيهِمُ الْفُقَهَاءُ الْجُلَّةُ وَأَهْلُ الْفِتْيَانِ مِثْلُ طَالُوتِ الْفَقِيهِ ، وَبُحَيْبِ بْنِ بَحِيٍّ الرَّابِيعِ عَنْ مَالِكٍ ، وَأَخِيهِ ، وَأُمَثَالِهِمْ . وَكَانَ مِنْ جَمَلَتِهِمْ جَدُّ لَنَا يَعْرِفُ بَابَ زَوَيْرٍ ، مِمَّنْ طَرَحَتْ النَّوَى بِرُكَابِهِ ، وَاسْتَقَرَّ بِطَلَيْطَلَةَ ، وَمِنْهَا تَحَوَّلَ إِلَى مُسْتَقَرًّا يَلُوحُشُهُ ؛ فَكَانَ خَطِيئًا بِهَا ؛ وَلَهُ يَنْتَسِبُ بَيْتُنَا مِنْ بَعْدِ النَّسَبِ الْأَوَّلَى .

وَذُكِرَ الْحَكَمُ لَمَوْلٍ مَا رَأَاهُ ، وَأَمَرَ بَعْضُ خُدَّامِهِ الصَّقَالِيَةِ أَنْ يَأْتِيَهُ بِوَعَاءِ الْغَالِيَةِ ؛ فَاسْتَرَابَ الْفَتَى ، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ ، وَقَالَ : « وَأَيُّ وَقْتٍ غَالِيَةٍ هَذَا ! » فَصَاحَ بِهِ ، وَقَالَ : « أَنْتَ بِهِ وَبَيْحَاكَ ! وَإِلَّا ، فَمَنْ أَيْنَ يُعْرِفُ رَأْسَ الْحَكَمِ ؟ » وَجَاءَ بِهَا ؛ فَغَلَفَ بِهَا رَأْسَهُ وَحَبَسَهُ ، وَاسْتَبَسَلَ لِلْمَوْتِ . وَتَوَافَى إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ خُدَمَتِهِ ، وَاسْتَرْكَبَ عَبِيدَهُ وَحُجَّابَهُ ، وَأَخَذُوا أَعْقَابَ النَّاسِ ؛ فَدَهَشُوا إِذْ عَدَمُوا مِنْ يَلْتَفُّ عَلَيْهِ جَمْعُهُمْ . فَقَدْ كَانَ مِنْ نَوَادِرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، الْمَأْثُورَةُ مَثَلًا فِي هَيْجِ الرُّعَاغِ ، أَنَّ حَدَّادًا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ صِيٌّ يَسُوقُ الْكَبِيرَ ، وَأَبْصَرَ اجْتِمَاعَ النَّاسِ وَحُضُورَهُمْ فِي الْأَسْلَحَةِ ؛ فَقَالَ : « وَمَنْ

رئيسهم؟ « فقليل : « ليس لهم رئيس . » فقال للصبي : « يا صبي ، حرك الكبر واعمل عملك ؛ فإن هؤلاء لا يكون منهم شيء ! » فأعمل السيف يومئذ في أهل الرُبض ؛ فقتل منهم أزيد من عشرة آلاف رجل . وجلى عن قرطبة أضعاف ذلك . وما استقرّ منهم طائفة ببلد من البلدان إلا وثاروا ، حتى لقد حكي أن آلافاً منهم استقرت بالإسكندرية ، وأن رجلاً منهم تكلم مع جزّار ؛ فرمى الجزّار بوجهه بكرش كانت في يده ؛ فبطش به وقتله ؛ ونادى مُناديهم في المدينة ؛ فتألبّوا ، وثاروا ، وتغلبوا على المدينة ، حتى صرفوا عنها صلحاً إلى جزيرة إفريقية . وأقسم الحكّام بمحاربات الإيمان أن لا يمشی عن الرُبض حتى يدعّه دكاً ؛ فصيره على عظمه وهوله وأصالة بنائه مزرعة .

قلت : ولقد باشرتُ بالأندلس أخاً ونظيراً لهذا الموقف الحكمي النكد : أعظّم الله به الأجر ، وجعلته آخر المواقف الكريمة في الدنيا ! إلا أن الناس اجتمعوا على هذا العهد الذي شهدناه ، والتفتوا على رجل من قرابة السلطان ، ولم يكونوا هملاً ؛ فكان الشقاء بهم أسدّ لولا لطف الله . وذلك أن السلطان أبا عبد الله بن أبي الحجاج بن نصر ، لما عاد إلى الأندلس ، شره خدامه إلى طلب الناس بالذنوب ، وكلّهم جانّ بيده ولسانه ؛ واتّفت الكلية الواحدة على الثورة به ، ولحقت ببابه ، والأمر قد كمل استعدادُه للشر ، وأبرمت عقده ؛ وأخيف الدليل المبركي ؛ فشايع هو وطائفة من مثله الرئيس عليّ بن عليّ بن نصر من القرابة ، وأنا ذاهل عن الأمر ، إلى أن شيوخ التكلف والفطنة والاستغال بما لا يعني من أمر الدنيا والآخرة ، عليّ بن كُماشة ، عتبي ، مُشفقاً ، في القدوم على الأندلس يومئذ ، وقال لي : « احتل في الانصراف ! فإنما السلطان كالبَيْضة فوق النار ؛ كأنّي بها قد فُرقت . وانشقت فسات ! » وتهاوتت بقوله ؛ وما رابعتني من الغد وأنا بين يدي السلطان ، وقد جلس للناس في قبة الجنان

المُخَصِّل بالقصر ، وأبطأ المبكرون على بابه إلا والنذير العريان يقول : « قد ثار البلدُ والتداء فيه بدعوة فلان ! » وكثر ذلك . والتفتنا من طيقان القبة ؛ فإذا البلد يموج بأهله خيلاً ورجلاً . فقال لي السلطان : « ما ترى؟ » فقلت : « الصبر والتوكّل على الله تعالى ! » وأشرت عليه بالانصراف إلى منزله وسد أبواب القلعة إلا واحداً يُسدّ بالرجال ؛ وأشرت عليه بالدخول إلى منزله ولبس سلاحه ؛ وفُتحت خزائن العدة ، وصعد السلطان في موقفٍ مطلّ على البلد ونشرت رايته فوق رأسه ، وأسمع النفير ، ونودي على الجند بالعطاء ؛ والحلق قد ناصبونا الحرب ، والصياح قد سدّ الآفاق ، والسهام تتراسق نحونا ، وصاحب القوم واقف في ربوة تجاه القلعة ، ومن انحاز إلينا لا تعرف فينا مذهبيهم . وألهم الله الصبر ، وسدّ القول والعمل ؛ فلم يستحكم الزوال إلا وظهر اختلاف مصاف القوم ، ورسائي تشنّد إلى وجوه الناس . فخذل المكابدون ، وسقط في أيديهم ، وفرّوا على وجوههم ؛ وقبض على الشيخ ، وسكن الله الإرجاف ، وأخمد النائرة ؛ وقد كانت الآزفة التي ليس لها من دون الله كاشفة ، وعظم خوف الناس من السلطان ، واستحكمت صبغة الشر ، وكثر المستريب ؛ فبادرت من الغد يوم الجمعة المسجد الجامع ، وعلوت ذروة المنبر بكتاب أشهدت فيه على السلطان بتوكّ قديم المؤاخذات وحديثها ، ورفّعت الجوف عن الناس ، وبذل الأمن لجميعهم ؛ وارتنت في ضان ذلك رقبة قرنت به العافية إلى ما بعد . والحمد لله !

( رجع الحديث ) وكان الحكّام على فظاظته ساعراً مطبوعاً بما يؤثر من شعره قوله في جوارٍ كان مغرمًا بهنّ :

[ الخفيف ]

ظُلّ من فرط حبه مملوكاً ولقد كان قبل ذلك مملوكاً  
إن بكى أو شكاهوى زيد ظلماً وبعاداً يذني حياماً وشيكاً  
توكّنه جاذر القصر صبّاً مستهماً على الصعيدي تريباً

يَجْعَلُ الْحَدَّ وَاضِعاً فَوْقَ تَرْبِ الَّذِي يَجْعَلُ الْحَرِيرَ أَرِيكَ  
هَكَذَا يَحْسُنُ التَّذَلُّلُ بِالْحُرِّ إِذَا كَانَ فِي الْهَوَى مَمْلُوكاً  
وتوفي - رحمه الله - يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ٢٠٦ .  
ولي الأمر بعده ولده عبد الرحمن بن الحكم .

## دولة عبد الرحمن بن الحكم

### ابن هشام بن عبد الرحمن معاوية

كنيته : أبو المطرّف ، وكان ملكاً كبيراً ، قارع الثوّار ، وهزم  
الكفار ، وأبعد الآثار . ولما صلى على والده وواراه ، جلس متطأطأً ،  
ليس تحته وطاء ، وفعل من معه كذلك ؛ فافتتح القول فقال : « الحمد  
لله الذي جعل الموت حتماً من حكمه ، وعزماً من أمره ، وأجرى الأمور  
على مشيئته ، واستأثر بالملكوت والبقاء ، وأذلّ خلقه بالفناء ! تبارك اسمه  
وتعالى جدّه ! وصلى الله على محمد نبيه ورسوله وسلم تسليماً ! وقد كان  
مصاب الإمام - رحمه الله - ما جلّت به المصيبة وعظمت به الرزية ؛ فعند  
الله نحتسبه وإياه نسأل إلهام الصبر ، وإليه نرغب في إكمال الأجر والذخر !  
وعهد إلينا بما فيه صلاح أحوالكم . ولستنا بمن يخالف عهده ، بل لكم لدينا  
مزيدٌ إن شاء الله ! » ثم قام ، وخرجت الكساوي والأموال على أقدارهم .

وفي أيامه ، انتقض المعاهدة بجزيرة ميورة ؛ فغزاهم في ثلاثمائة مرّكب ؛  
فافتتحها ثانية . وغزا بنفسه جليقية ؛ فافتتح حصونها ، وسبى حريمها ، وقتل  
مقاتلها ، وذلك سنة ٢٢٥ ؛ وطالت غيبته في غزاته هذه ؛ وفي ذلك يقول  
شاعره عبد الله بن الشمر على لسانه ، وقد وصف له أرقاً عراه وتذكراً  
لمن حنّ إلى لقائه :

[ المتقارب ]

عَدَانِي عَنكَ مَرَارُ الْعِدَى وَقَوْدِي إِلَيْهِمْ لَهَا مَاهِيَا  
فَكَمْ قَدْ تَعَسَّفْتُ عَنْ سَبَسَبٍ وَلَا قِيْتُ بَعْدَ دُؤُوبٍ دُؤُوبَا  
أَلَا قِي بَوَجْهِي سُومَ الْهَجِي رَوْقَدْ كَادَ مِنْهُ الْحَصَى أَنْ يَدْوُبَا  
أَنَا ابْنُ الْهَشَامَيْنِ مَنْ غَالِبٍ أَشْبُ حُرُوباً وَأُطْفِي حُرُوبَا  
وَادَّرِعُ الثَّقَعِ حَتَّى لَيْسَ تَنْبَعِدَ نَضْرَةٌ وَجْهِي شُحُوبَا  
سَمَوْتُ إِلَى الشَّرْكَاءِ فِي جَحْفَلٍ مَلَأْتُ الْحُزُونَ بِهِ وَالسُّهُوبَا

وكان ذا حظٍّ في البلاغة : تردّد عليه بعض مواليه ، يسأله استخدامهم  
بلطائف الرغبة وترقيق الملاطفة ؛ فقال له : « لم يتقدّم لك عندنا خبرةٌ نوليك  
بها ، ولا تجربةٌ تقدّمك بسببها ، غير ما رأيناك من بلاغتك وحسن خطابك  
فيما يردّ علينا من كتبك . فإن كنت كاتبها ، فقد جوّدت وأحسنّت ؛  
وإن كنت تطلّبت بعنايتك ، وتخيّرت بفضل همّتك من حسن ذلك عنك ،  
فقد أحسنّت في العناية ، وفضلت في الهمة ، [ فأنّت ] بكائي الحاليتين متقدّم !  
وقد رجونا باستلطافك لعلك وتهذيبك لخدمتك ، وقد وليناك على الرجاء  
فيك ؛ فصدّق ما خيّل الظنّ بك . فإنّك إن حافظت على أدنّى حظّك ،  
أدركت أقصاه ؛ وإن احسنّت في بدئه ، نكّلت أحسن عقابه ! » وكتب  
إليه بعض عمّاله يسأله عملاً رفيعاً ، ليس من شاكلته ؛ فوقع له في أسفل  
كتابه : « من لم يصيب وجهه مطلبه ، كان الحرمان أولى به . »  
ومن شعره :

ولقد تعارض أوجه لأوامر فيقودها التوفيق نحو صوابها  
والشيخ إن يخوّر الشئ بتجارب فشباب رأي القوم عند شبابها  
وفي سنة ٢٠٨ ، كانت الغزاة التي عقدها عبد الرحمن على وزيره عبد  
الكريم بن عبد الواحد بن مغيث بالصائفة المعروفة بغزوة آلبسة والقلاع ؛  
دخل فيها أرض العدو ، وأمعن بالاعهاد به من الفجّ المعروف بفجّ جرينيو ؛

فأخرب كل ما مر به ، ونازل مدائن ، وفتح معاقل ، وهزم جموعاً كثيرة ، حسباً هو مذكور في كتاب عريب وغيره .

وفي أيامه ، خرجت مراكب المجوس ؛ فدخلت مدينة إشبيلية وقادس وسدونة وأشبونة ؛ ثم انهزموا ؛ والمجوس هم الذين يستونهم اليوم نصارى قشتالة بالأنقليش ، وأهل المشرق بالفرنج وبالأنكثير ، ومستقر ملكهم بجزيرتين عظيمتين ذرع إحداهما سبعمائة ميل ؛ وهم أهل قوة وبأس وشدة . وقد ذكرنا شيئاً من حديثهم عند ذكر أيام صلاح الدين ؛ ونجلب شيئاً منه فيما يأتي بحملته ، إن أعان الله على ذلك وأنساً الأجل إليه .

وفي أيامه ، احتفلت دولة بني أمية بالأندلس ، وعظمت الألقاب ، وشيدت القصور ، وجلبت إليها المياه . وجلبت إليه من المشرق ، بعد أن عاثت الفتنة في قصور الأمير وخزائن بغداد ، الذخيرة الرفيعة كعقد الشفاء ومثله أعلق زبيدة بنت جعفر ، وفي أيامه ، اتخذ الطراز ، الذي كان حديث الرفاق ، وطرفة أهل الآفاق .

وكانت وفاته يوم الخميس ثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ٢٣٣ . وتخلّف من الولد أزيد من ثمانين ، بين ذكر وأنثى ، شطرم ذكور . وولي بعده ابنه محمد بن عبد الرحمن .

## دولة محمد بن عبد الرحمن

### ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

بيع للأمير محمد بن عبد الرحمن لأربع خلون من ربيع الآخر سنة ٢٣٣ . واستعصت عليه طليطة ؛ فبرز إليها بنفسه ؛ واستجاش أهلها بملك النصارى بجليقية أرذون بن إذفونش ؛ فوجه إليهم أخاه . وكادّه

الأمير محمد ؛ فبث الكمناء وقصد المدينة في جمع غير كثير ؛ فاستبشر الطاغية ، وأيقن أنه يظفر به . فلما خالطه ، برزت الكمناء من الجهات ؛ فهزمه الله شر هزيمة ، وبلغ عدد القتلى ثمانية آلاف فارس . ثم وصل الغزو إلى أرض آلبه والقلاع ؛ فعظم أثره .

وفي سنة ٢٦٢ ، عظم أمر عبد الرحمن بن مروان من المنتزين على الأمير ببطليوس وماردة ؛ وكان من المستأمنين المستنزلين على الخلاف ، المستقرين بقرطبة ؛ فحمى أنفه ، ولحق بحيث ذكر ؛ وأعضل داؤه . وكان سبب انتقاضه أن الوزير هاشم بن عبد العزيز ، الأثير لدى الخليفة محمد ، القريب للصوق به ، بجّه ابن مروان من بين الوزراء لحدة كانت في هاشم ، لم يملك معها نفسه أن قال له : « الكلب خير منك ! » وأمر به ؛ فصفع قفاه واستبلغ به ؛ ففر في خير طويل ، واستكن بسعدون السرنباني وقومه ، وهم فرسان العرب بالثغر . وبادر هاشم بن عبد العزيز ؛ فطلب فرصة ينتهزها فيهم ، وأفحص بفرته ، وجاوز الوعر ، وأبعد عن العسكر ؛ فأخذت المضايق عليه ، وناسبوه القتال ، وواقفته الجراح ، وقتل جملة من جباغته ، وأسير . واستقر بيد عدوه الذي صفعه وأهان به فبرّه وأحسن إليه وحلم عنه عند قدرته . وبلغ ذلك الأمير محمداً ؛ فأخفى على هاشم وقال : « هذا أمر جناه على نفسه بعجلته وطيشه ! »

وفي سنة ٢٦٤ ، تم انطلاقه ، بعد أن كان الأمير محمد أقعد ابنه عوضاً عنه بمرتبة الوزارة في حال الصغر ، وحفظ عليه جاهه ونعمه ، إلى أن قرئت بذلك عينه عند خلاصة نكبة أمره .

ولقد أذكرني قضية هاشم ، وأنا قاعد مع الوزير الندب المهام أبي بكر بن غازي ، المقيّد هذا الكتاب بأمره ، ما حدث من مثلها في شأن الشيخ عثمان بن إبراهيم بن أبي طلاق العسكري المتميّز بنصيحته ، وهو صاحب العلم لبني عسكر ؛ وقد بلغه الخبر بأمره وتحصيله بيد عدوه ، لتجلّده عند

نكبه ، واستدعاه ولده ، وإجلاله بمكانه على صغر سنه ، وعقد الراية فوق رأسه ، وضمَّ خدام أبيه إليه ، وانصرافه رافلاً في الخلع السلطانية وراكباً في الحلة الرفيعة إشادة لعزّه . ونسبته على ذلك من قرب منّي من خواصّه تفاؤلاً بخلاصه ؛ فكان كذلك لأقرب مدّة ، من غير يدٍ ولا فدية . والحمد لله منبسط السعادة ومبلغ الإرادة !

وفي أيام الأمير محمد ، كان ابتداء أمر ابن حفصون كبير الثوار بالأندلس على عهد الدولة الأموية ، المنسحق الأمد ، المثلّس الدولة لباس الكمد ، متّصل العناء به أزيد من سبعين سنة ، حسباً يأتي عند ذكر الثوار .

وكان الأمير محمد أوحده قومه في البلاغة والرجاحة ، متنزّهاً عن الحنى والقبیح وعن القبول على السعایات . قال وزيره هاشم بن عبد العزيز ( وكان هاشم من رجال الكمال ، قلّ أن تأتي الدنيا بمثله من اجتماع خصاله ) : كان الأمير محمد - رحمه الله - فصيحاً بليغاً ، عظيم الأناة ، متنزّهاً عن القبيح ، يؤثر الحق وأهله ، لا يسمع من ساعٍ ، ولا يلتفت إلى قول رام ؛ وكان عاقلاً ، على أخلاق حميدة ومكارم جميلة ، ذا بديهة وروية ، يرى كل من خدمه وباشره أن له الفضل المستبين في إدراكه وفهمه ، ودقّة ذهنه ، ولطف فطنته ، وجزالة رأيه . وكان متى أعزل منها شيء ، رجع إليه فيه ، وإذا أخلّ أحد من خزّانه وأهل خدمته الحساب شيئاً من ذلك ، لم يجز عليه باللحظة والنظرة . ولقد استدرك على بعض خزّانه في صكّ يشتمل على مائة ألف دينار كدراهم خمسة عشر درهماً ؛ فردّ الصكّ ، وأمر بتصحيحه ؛ فتجمّع الخدّمة والكتّاب إليه ؛ فلم يقعوا على ذلك النقصان لقلّته وخفائه ؛ فرجعوا إليه معترفين بالتقصير ، وأعلبوا الرسول ؛ فردّ الصكّ وأعلمه باعترافيهم ؛ فعلم على موضع الخطأ ؛ فإذا هو خمسة عشر درهماً .

وخدمته ملوك البلاد المغربية ؛ واعترفت بطاعته بتاهرت وسجلماسة .

١ ق و ج : لهم .

وكان على عهده من ملوك إفريقية أعظمها وأفخمها فردّ لئند يهاديه ويتأخّفه على تراميه بنفسه إلى الغاية التي لم يذهب إلى مثلها قومه . فهذا الملك هو الذي اتخذ مثلاً زنته ثلاثمائة رطل من ذهب خالص وحفّه من الياقوت والزبرجيد بما لا يدخل تحت القيمة ، واتخذ له كرسيّاً بأعظم من ذلك كلّه ، وحشد جميع الأمم الفرنجية لرائته ؛ ثمّ دفعه إلى صاحب كنيسة الذهب .

وكان الأمير محمد يستنفر لغزوه في الصوائف المجردة إلى جليقية مع ولده من كورة إلبيرة وجيان وقبرة وإستجة وشذونة وموزور خمسة عشر ألف فارس ، ليس فيهم من أهل الأندلس غير من ذكر ؛ وربّما أوغل في بلاد العدو ستة أشهر . وذكروا أنه خرج متنزّهاً يوماً لبعض متنزّهاته ، ومعه هاشم بن عبد العزيز ؛ فكان بها صدرّ نهاره على راحته ؛ فلما أمسى واختلط الظلام ، انصرف إلى القصر ؛ فأخبر من سمع هاشماً يقول : « يا ابن الخلائف ، ما أطيب الدنيا لولا الموت ! » فقال له : « يا ابن اللخناء ، وهل ملئنا هذا الملك الذي نحن فيه إلّا الموت ! ولولا الموت ما كنّا نراه أبداً ! »

وكانت وفاته يوم الخميس ليلة بقيت من شهر صفر سنة ٢٧٣ ، وهو ابن خمس وستين سنة . وكانت مدّته نحواً من خمس وثلاثين سنة - رحمه الله .

## دولة المنذر بن محمد بن عبد الرحمن

### ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

كنيته : أبو الحكم . وتقدّم بعهد أبيه ؛ وكان بعيد الهمة ، قوي الشكّية ، يكرم إخوانه ، ويحبّهم ، ويدني مجالسهم ، ويصلّهم ، ويحضرهم مجالس أنسه . وكان يجزل العطاء للشعراء ، وينشدونه غزياً وراجعاً . وكان من شعرائه أحمد بن عبد ربّه ، والعكّي ، وغيرهما من شعراء العرب .

ولم يكن أحدٌ من الحلفاء قبله في شجاعته وصرامته وحزمه وعزمه ؛ ولقد بلغ ذلك في سنة ما لم يبلغه غيره في الدهر. ولقد كان أبطال الرجال وأنجادهم من أهل الفِئنة يُذْعِنون إليه دون مِحنة ، ويرسلون إليه بالطاعة قبل أن يطلبها ؛ وإنَّ الحَبْرَ المستفيضَ عن الشيوخ الذين أدركوا ذلك الزمان، وعن أهل التمييز بالخروب ، أنه، لو عاش المُنذِرُ عاماً واحداً زائداً، لم يَبْقَ بين يديه مُناققٌ . وأخباره تدلُّ على ذلك . وأول أخباره الدالَّة على ذلك أنه ، لما أتاه خبر موت أبيه، لم يمنعه ذلك من التعرّيج عن القصد، واختصار الطريق ، ولا شغله أمرٌ منهم ولا أمرٌ جليل عن آخر ؛ فجعل طريقه على رِيته ؛ فهدَّبُ أمورها ، ونظر في أسبابها ، وولَّى عليها سليمان بن عبد الملك ابن أخطل وعبد الرحمن بن حُرَيْش ، وأدخل معها أهلَ المعاقيد من العرب والحشم . ثمَّ جمع في يوم واحد مُبايعيه ، وأعطى عطائين للجند، وأعمل النظر فيما أسقطَ من الأزمّة عن الرعيّة ؛ وما فعله من الاستحسان إلى أهل قرطبة بإسقاط العشور عنهم، والنظر في التدبُّ ، وإخراج القائد؛ وهكذا [ كان ] فعُله في جميع أسبابه .

وبادَرَ لأوّل أمره لسجن هاشم بن عبد العزيز الوزير ؛ وسبب ذلك أن هاشماً كان يُحسد لمكانه من الأمير محمد ؛ وكان حُسادَه يسعون به عند المنذر حتى تنافرت النفوس . فلما مات الأمير محمد ، أراد المنذر أن يتّبع به فعِلَ أبيه ؛ فولّاه الحِجَابَة ؛ ثمَّ تمالأ عليه حُسادُه ، وكثروا ، وجرّفوا كلامه ، حتى نفذ قضاء الله ؛ وكان مفخر دولتهم وزينة مُلكهم . ونُسي عنه أنه قال عند مواريّة الأمير محمد في قبره :

أُعزِّي يا محمدُ عنك نفسي معاذ الله والمنن الجسام  
فهلأ مات قومٌ لم يموتوا ودُفِعَ عنك لي كأسُ الحِمام

فأغروا المنذر بكونه قصده . وصدرت عنه في نكبته أشعاره وملاطفات لم تُعْن عنه . ومن شعره في ذلك ، ما كتب به لجارية له تسمى عَاج :

[الطويل]

وإني عداني أن أزورك مطبقٌ وبابٌ مَنيعٌ بالحديد مضببٌ  
فإن تعجبي يا عَاجُ بما أصابني ففي ريبٍ هذا الدهر ما يُتَعَجَّبُ  
تَرَكتُ رشادَ الأمرِ إذ كنتُ قادراً عليه فلاقيتُ الذي كنتُ أرهبُ  
وكم قائلٌ قال : أنجُ ويحك سالماً ففي الأرض عنهم مُستَرادٌ ومذْهَبُ  
فقلتُ له : إنَّ الفِرارَ مدلَّةٌ ونفسي على الأسواء أحلى وأطيبُ  
سأرضى بحكم الله فيما ينوبني وما من قضاء الله للعبد مهزَّبُ  
فمن بك أمسى شامتاً بي فإنه سينهل في كأسٍ وشيكاً ويشربُ  
إلى أن قتله - رحمه الله .

ثمَّ انصرف إلى محاربة عُمر بن حفصون الثائر بمدينة بيشتور ومنازلته ؛ فلم تسع أيامه لما وراء ذلك ، بعد أن أحفظه وأضاق صدره وظهر على قوّاده؛ فتجرّك إليه ، وقد أقسم القسم الغليظ ألا يبرح من حصره حتى يتمكن منه ، أو يموت بكونه . وعظم ذلك على الناس ، وشقَّ عليهم الثواء بعسكرهم ظاهرٍ بيشتور . وعيّن القدر الحتم لسيئه أحد الطرفين المقتضى الإملاء لابن حفصون ؛ فزعموا أن المنذر اعتلّ لأربعين يوماً من منازلته ابن حفصون والأخذ بمخنفه ، وبعث إلى قرطبة في إمارة أخيه عبد الله بن الأمير محمد لينوب عنه إن اتّصل مرضه . فلما وصله ، مات المنذر . وتفرّق العسكر، فلم يَلُور أحدٌ على أحد ؛ وظهر ابن حفصون، وبرز إلى منازعة عبد الله ومن ثبت معه ؛ فلم يسعه إلا أن رفع المنذر فوق جَمَلٍ وانصرف إلى قرطبة . وعظم أمرُ ابن حفصون ؛ فاستولى على معظم البلاد، ولم يَبْقَ بينه وبين دار المُلك إلا مقدار مرحلة قصيرة . فتحصّن بحصن بلّاي من الكتبانية .

وكانت وفاة المنذر يوم السبت من منتصف شهر صفر سنة ٢٧٥ .



## دولة عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن

ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

كنيته : أبو محمد . كان - رحمه الله - مُقْتَصِدًا في أموره من مطعم وملبس ، شديد التواضع ، متظاهراً بالبر والخشوع .

وذكره الإمام أبو محمد بن حزم ؛ فصَّحَ بالحمل عليه ، وقال : كان قتالاً ، نهون عليه الدماء ، مع ما كان يظهره من عفقه ؛ فإنه احتال على أخيه المنذر لما قصده بالعسكر ، وواطأ عليه حجاجاً سمَّ المَبْضَع الذي فصده به . ثم قتل ولديه معاً بالسيف واحداً بعد واحد ، وقتل أخاه القائم ثالثهم ، إلى من قُتِل من غيرهم . قلت : والإمام أبو محمد في التجريح والتعديل حُجَّةٌ على قومه ؛ وسوق الملك لا ينكر فيها أمثال هذه البضائع ؛ ومن عوفي ، فليحمد الله !

وكان الأمير عبد الله ذا حظٍّ من الشعر وحسنَ التوقيع : اعتذر إليه بعضُ مماليكه يوماً ؛ فوقع على عذره : « وَإِنَّ مَخَائِلَ الْأُمُورِ لَتَتَدَلُّ عَلَى خِلَافِ قَوْلِكَ ، وَتُنْبِيءُ عَنْ بَاطِلِ تَنْصُلِكَ ؛ وَلَوْ بُوَّتْ بِذَنْبِكَ ، وَاسْتَغْفَرْتَ لَجُرْمِكَ ، لَكَانَ أَحَبَّيْ لَكَ وَأَسَدَلَّ لِسِتْرِ الْعَفْوِ عَلَيْكَ ! » فكتب إليه : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَمَا يَقُومُ لِي عَذْرٌ . » فقال : « مَهْلًا عَلَيْكَ وَرُؤُودًا بِكَ ! تَقَدَّمَتْ لَكَ خِدْمَةٌ ، وَتَأَخَّرَتْ لَكَ تَوْبَةٌ ؛ وَمَا لِلذَّنْبِ بِجَالٍ بَيْنَهُمَا . » وقد وسَّعَكَ الْغُفْرَانُ !

ومن شعره :

[الشَّريع]

يَا مُهْجَةَ الْعِشَاقِ مَا أَوْجَعَكَ      وَيَا أَسِيرَ الْحُبِّ مَا أَخْضَعَكَ !  
وَيَا رَسُولَ الْعَيْنِ مِنْ لَحْظِهَا      بِالرَّدِّ وَالتَّبْلِيغِ مَا أَسْرَعَكَ

تذهبُ بالسَّرى فتأني به      في مجلس يخفى على من معك  
كم حاجةٍ أنجزتَ لإبرازها      تبارك الرحمن ما أطوَعَكَ  
ومن قوله في الزُّهد :

[الكامل]

يَا مَنْ يَرَاوِعُهُ الْأَجَلُ      حَتَّى مَ ' يُلْهِيكَ الْأَمَلُ  
حَتَّى مَ لَا تَخْشَى الرَّدَّيَ      وَكَأَنَّكَ بِكَ قَدْ نَزَلَ  
أَعْفَلْتُ عَنْ طَلَبِ النَّجَاةِ      وَلَا نَجَاةَ لِمَنْ غَفَلَ

وتصيرت إليه الخلافة ، وقد تحيَّفَ النكتُ أطرافها واقتسمها الثَّوَّار ، وكلب عليها الأشرار ؛ ولم يَبْقَ منها إلا الاسم فوق ظهر منبر قرطبة والقليل من غيرها ؛ وساءت الظنون . ولم يدْرِ عبد الله إلى أين يصرف وجهه : إلى ابن حفصون كبير الثَّوَّار المجاور لقرطبة ، وقد استولى على أعظم البلاد مثل لُلسيرة ورِيَّة وما إلى ذلك ، أم لابن حجاج ، وقد استقلَّ باشبيلية وقرمونة وما إلى ذلك ، أم لعبد الرحمن بن مروان الجَلِّيقي يَظْلِمُ يُونُسَ ، أم لعبد الملك بن أبي الجواد بباجة الغرب ، أم لابن السَّليم بشذونة ، أم لابن إلياس بالقلعة المنسوبة إليه ، أم لحَيْر بن شاكِر بشوذَر ، أم لعمر بن مُضِمِّم المَثْرُوي ، أم لسعيد بن هُذَيْل بخصن المُنْتَلُونَ ، أم لسعيد بن مَسْتَنَّة بباغو ، أم لبني هَابِيل بخصن جِيَّان ، أم لإِسْحَاق بن عَطَّاف بخصن مُنْشَاشَة ، أم لسعيد بن سُلَيْمَان بن جُودِي بغرناطة ، أم لمحمد بن أَضْحَى كبير العرب بالسيرة ، أم لأبي بكر بن يحيى بَشَنَّت مَرِيَّة ، أم لسليمان بن محمد الشَّدُونِي بِشَرِيش ، أم لعبد الوهَّاب بِمُورِين ، أم ليحيى التَّجِيبي الْأَنْقَرِي بِسَرَقُشْطَة .

وإنما أُلْعِنَا بِذِكْرِ أَسْمَائِهِمُ الْمُتَعَدِّدَةِ ، وهم بعضٌ من كلِّ وقليلٍ من كثيرٍ ، لَعَرَضَيْنِ : أَحَدُهُمَا التَّأْسِي والتَعَزِّي ، حتى لا ينكر مَلِكٌ أن ينزع أو يخرج عليه أو تُفْتَقِ ثَعُورُهُ وتُنْكُثَ عَهْدُهُ ؛ وَإِذَا تَعَيَّنَ الْمُسْتَحَقُّ

لأمر المسلمين ، أين يوجد مثل من خرج عليه هؤلاء نسباً ومذهباً وشروطاً مستوفاة ؟ وقد ساعدتهم رعاياهم وفقهاؤهم وعلمائهم قسراً وطواعية ، وأقطارهم عظيمة ، ومعاصروهم جلّة ، حتى اقتضوا الأيام التي حدّها الله لهم ، منطلقة أيديهم فيما كتب الله لهم أو عليهم من غير أو رشد . والثاني : الاستراحة إلى حسن العقبى وما أعدّه الله من كفاية من استكفاه .

فخرج بنفسه محتسباً إليها في سبيل الله ، وقصد بُيُوتهم ، وانتسف معاشها ، وقتل . فعقبه ابن حفصون ، واستولى على إسبجة وإسطنجة . وأخرج إليه الجيش ، وألحّ عليه حتى اتقاه ابن حفصون بطلب الأمان . ثم ضيّق على قرطبة ، حتى خرج بنفسه إلى حصن بلّاي ، وكان آخذاً بمخنفها ، فدخله وملكه . واحتشد ابن حفصون ، وأقبل في ثلاثين ألفاً ؛ فنصره الله وهزمه أقبح هزيمة ؛ وصرف وجهه إلى ابن حجاج بإشبيلية ؛ فهادته وعاقده . وتقاضى العمر مع ابن حفصون حرباً وسلماً ومعاقدةً ونكثاً ، إلى أن عاد روثق الخلافة ، وانتشع كثير من الظلماء .

ونقص عبد الله الدهر بما جرى به القدر من قتل ولديه حسباً . يتقرر في محله ؛ ولا أوحش الله من دنيا تطيب بعد قتل ولد ، ولو أن صاحبها إلى غير أمد . كانت وفاته في مستهل شهر ربيع الأول سنة ٣٠٠ ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . وملك خمساً وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً .

## دولة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله

ابن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام  
ابن عبد الرحمن بن معاوية

كنيته : أبو المطرف ، ولقبه : الناصر لدين الله . وولي بعد جدّه ، إذ كان أبوه محمد خاف من أبيه ، وأغراه به المطرف أخوه ، حتى سجنه الأب ،

ثم قتل أخوه في السجن ؛ وقتل عبد الله أبوهما المطرف قاتله . وألقى الله على عبد الرحمن هذا الحفيد محبةً من جدّه ، وشفقةً كنفه لها في حجره ، وأسكنه في مسكنه ؛ وكان يحطيه من دون بنيه ، ويومي إليه ، ويرشحه لأمره ، ويقعده في الأعياد والمواسم مقعد نفسه ، ويأمر بالسلام عليه . فتعلقت آمال الدولة به ، ولم يشكوا بصير الأمر إليه . فلما مات الجد ، أقعد على سريره دون ولده وإخوته ، ونهياً له ذلك من دون منازع لسكناء بقصره . وقيل إنه برى إليه بخاتمه إمارةً على استخلافه ؛ فكان أوّل من باعته أعمامه أبان ، والعاصي ، وعبد الرحمن ، ومحمد ؛ وتلاهم أخوة جدّه ، ثم من سواهم . والله يؤتي ملكه من يشاء . [الحفيف]

لا يضر الصغير حدثان سنّ لنا الشأن في سعود الصغير

كم مقيم فازت يده بغم لم تنك بالركض كف مغير

والناصر هذا هو الذروة العليا في ملوك بني أمية . طال عمره ، واتسع سعده ، واشتهرت أيامه ، وبعد حبه ، وانتشرت بالعدوة الغربية طاعته ، وعلت على منابرها كلمته . وهو أوّل من تسمّى منهم بأمير المؤمنين ؛ ثم اقتفاه من جاء بعده ؛ وذلك عندما ضعفت الدولة العباسية ، وظهرت الدّول التركية والدّينية ، وكثرت الألقاب ؛ وخطب بذلك خطيبه أحمد بن بقيّ بن تحلّد يوم الجمعة سنة ٣١٦ .

قالوا : وولي الناصر لدين الله الأمر ، والأندلس جمة تحتدم ، ونار تظلم ؛ وقد عظم الشقاق والنفاق ، وارتجت الآفاق ؛ فسكنها الله بسعده ، وعزّ نقيته . وكان يشبه بعبد الرحمن الداخل . وهو الذي استنزل الثوار ، وشيد القصور ، وغرس الغروس ، وخلّد الآثار ، وأعظم في الكفر النكابة . فلم يبق عليه في الأندلس مخالف ، ولا نازعه منازع . ودخل الناس أفواجا في طاعته ، ورغبوا في مسالته . وفي ذلك يقول شاعره ابن عبد ربّه :

[البسيط]

قد أوضح الله للاسلام منهاجا والناس قد دخلوا في الدين أفواجا  
وقد تزينت الدنيا ساكنيها كأنما لبست وشياً وديباجا

ونحرك إلى كورة البيرة ، واستنزل الثوار . ثم كرك على بيشتر ،  
وهي الدار العليا والداية العظمى ، وأقام البناء ، وشرع في السكنى ؛ فأذن  
حفص بن عمر بن حفصون المنصور إليه أمرها بعد أبيه وأخيه ، وألقى بيده ؛  
فتملكها رجاله يوم الخميس لسبع بقين من ذي القعدة من السنة . وكانت مدة  
بني حفصون أزيد من سبعين سنة .

وخاطب الناصر البلاد عندما أراحه الله من الغم القديم اللزيم المتعاقب هم  
ابن حفصون واستغلق قلعة بيشتر عليه ؛ فعين المخاطبة بأمير المؤمنين  
واللقب بناصر الدين ، بما نصه : « أمّا بعد ، فأنا أحق من استوفى حقه ،  
وأجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله ما ألبسه للذي فضلنا  
به ، وأظهر اثرنا فيه ، ورفع سلطانتنا إليه ، وبسر على ايدينا إدراكه ، وسهل  
بنا وبدولتنا مرامه ، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا وعلو أمرنا ، وأعلن  
من رجاء العالمين بنا ، وأعاد من انحرافهم إلينا ، واستبشارهم بدولتنا ؛  
والحمد لله ولي النعمة والإنعام بما أنعم به ، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه .  
وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين وخروج الكتب عنا وورودها  
كذلك ، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ودخل فيه ومتسم بما  
لا يستحقه . وعلمنا أن التادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق ضيعناه ،  
واسم ثابت أسقطناه . فأمر الخطيب بوضعك أن يقول به ، وأجر مخاطباتك  
لنا عليه ، إن شاء الله . »

### إيجاز خبر عمر بن حفصون

وعلى عهد الناصر لدين الله ، كان انقراض أمر عمر بن حفصون وولده .  
وكانت مدة خلافه وفتنته اثنتين وخمسين سنة وستة أشهر . وكان عمر كبير  
الثوار بالأندلس ، وغصص الخلفاء بها . وهو عمر بن حفص بن جعفر الإسلامي ،  
ظهر بنفسه ونجدته وحدثان تلقاه في أمره . وتحصن بمدينة بيشتر من كورة  
ريه ، وأطاعه أكثر بلاد المتوسط بين ريه والحضراء والبيرة وأحواز  
قرطبة . وأخرج الأمير محمد إليه الجيش لنظر وزيره هاشم بن عبد العزيز ؛  
فأمنه وأوصله إلى قرطبة مرفهاً عليه ؛ ثم استراب وفر إلى الجبل المذكور  
من المخالفة إلى شأنه سنة ٢٧٢ . وخرج المنذر ابن الأمير محمد إليه بالجيش ،  
وضيق به ؛ واتصل بالمنذر وفاة أبيه ؛ فعجل الرجوع إلى قرطبة . ولما قرر  
أمره ، خرج بنفسه إلى منازلة ابن حفصون ؛ فنازله بقامرة من عمل ريه ، وضيق  
حصاره . فلما اشتد عليه الأمر ، طلب الأمان لنفسه على النزول بأهله وولده  
إلى قرطبة ، وشرط أن يدفع له مائة بغل يحمل عليها ثقله وأهله إلى قرطبة ،  
وأن يفرج له ؛ فأسعف في ذلك ؛ فقتل العرفاء الناطرين على البغال ، وأخذها ؛  
وقد انحل العسكر . وانصرف إلى بيشتر ، وقفل المنذر إلى قرطبة ، وشرع  
في الحركة إليه ، وأقسم ألا يفارقه أو يستأصل أثره ، ونازله ببيشتر ، كما  
تقدم ذكره . فكانت وفاة المنذر محاصراً إليها .

وولي بعده الأمير عبد الله أخوه ؛ فعظم أمر ابن حفصون . وتغلب  
عامل عبد الله على كورة ريه ، واشتدت شوكته ، وظهرت على سوار ؛  
وأسر سعيد بن جودي أمير البيرة ، ووقعت المهادنة بينه وبين الأمير عبد  
الله . ثم انتقض ، وتملك حصن بلالي ، وجيش ثلاثين ألفاً من أهل الكور .  
وبرز له إليه الأمير عبد الله بنفسه في نحو شطر ذلك العدد ؛ ففر عنه ابن

حفصون . وفتح عبد الله حصن بلادي في سنة ٢٧٧ ، ونازل مدينة إسبيجة ؛ فاستنزل منها رجال عمر . ثم انتقل ؛ فنزل بظاهر 'بيشتور' ؛ ولم يتأت له في ابن حفصون غرض ؛ فقفل إلى قرطبة عن رحن كثيرة .

وجرت على ابن حفصون بأحوال الشيرة هزيمة أنخن بها جراحاً ، ولحق مفلولاً 'بيشتور' ، ثم قوي أمره بخلاف بني حجاج بإشبيلية ، واتصلت يده بهم ؛ فعظمت غاراته وسراياه إلى موزور وشذونة وقرمونة وغيرها .

ثم كبر أولاد عمر بن حفصون أيوب وجعفر وعبد الرحمن وحفص ؛ واعتل عمر علة شديدة ، انهم فيها أيوب ولدته بالفتك به ؛ فعاجله وقتله . والجيش في كل حين تتوالى عليه ؛ فتارة يستأمن ، وتارة ينكت ؛ وأهلكت الأندلس قنته . وخاطب ملوك الشيعة بإفريقية أصداد الأموية ، ووجهوا إليه رجلين ممن يعتقد مذهبهم بخلعات ، وخاطبوه بالخص على التزام طاعتهم وإقامة دعوتهم ؛ وأقاما عنده حتى حضرا كثيراً من حروبه ، وصرهما ؛ ووجه معهما هدية انتخبها إلى صاحبهما . ولما توطد لهذا العهد أمره ، أحضر أصحابه ، وعقد لولده جعفر العهد بعده ؛ وكتب عليهم عقداً استحلهم فيه . واتصل به مرض الأمير عبد الله ؛ فغلب لذلك على الحصن الذي ابتناه على مدينة 'بيشتور' ، وقتل من به . وبلغ ذلك الأمير عبد الله ؛ فأغزاه ابنه أباناً سنة ٢٨٥ ؛ فاستد الأمر عليه ، واستواب بأصحابه ، فحذرهم ، وعول على النصارى ، وتقلد ( زعموا ) دينهم دين آبائه .

ثم ولي الأمر عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، وصرفه إلى استنزال الثوار ؛ فرأى ابن حفصون من إقبال دولته وسعادة حركتها لطلب أمانه ؛ فأسغفه الناصر ، وكتب له عهداً ، أمضى ذلك له ولعقبه ما فوا ، وارتحن عنده ولده عبد الرحمن بن عمر . وغزا قواد الناصر بلاد النصارى غزوات حضرها ابن حفصون .

ثم توفي عمر في سنة ٣٠٦ ، وولي أمره ولده جعفر بن عمر ؛ وزعموا أنه

شهر دين النصارى ، وانفرد بجواراة أبيه مع القسيسين حتى دفنوه على سنة دينهم .

وذهب جعفر مذهب أبيه في العناد ، ودس الشرار للقطع بالطرقات ؛ فأغزى إليه الزامر ، ثم غزاه بنفسه ؛ فافتتح حصن بلدة عنوة ، وقتل مئدماً جعفر ، واستباح أهل الحصن قتلاً وأمرأ . وخالف على جعفر أخواه عبد الرحمن وحفص ، وضاق أمره ، واختلت حاله ؛ وقام عليه طائفة من خاصته ؛ فقتل . فكانت مدته ثلاث سنين وثلاثة أشهر . واستدعى قتلته أخويه سليمان وحفص ؛ فسبق سليمان إلى 'بيشتور' ، واستولى على أمر والده ، واستأمن إلى الناصر ، وخطب طاعته ؛ فسأله إلى أن نمكن وعلا قدره ؛ فنكت ، وشن الغارات ؛ فأخرج الناصر القواد إلى مضايقته ، وبني على طرش من حصونه قصبات حصينة ؛ فلاذ بالصلح ؛ فقبل منه ، وأخذ رهائنه ، وهدم حصن طرش من حصونه . ولم تطل مدة سلطه إلى أن نكت ودخل مدينة المنكب عنوة ؛ فقتل جميع أهلها ، وسبى نساءهم ؛ فخرج الناصر إلى منازلته ، وضيق به ، وفتح الكثير من جهاته ؛ ثم قتل ، وقد اختلقت كلمة أصحاب سليمان بن عمر بن حفصون ؛ فرصدوه حتى إذا خرج يوماً إلى مطالعة بعض حصونه ، أعلنوا بخلعه ، وخاطبوا القوميس كبير النصارى المعاهدين عامل الناصر بتلك الجهة ؛ فالحق بهم فبينما هو يروض الجملة في استدعاء قائد الناصر ، إذ لحق سليمان مستبلاً ، وقد أضاعوا الحزم في ضبط المدينة ؛ فدخلها متنكراً مثلثاً يحمل حزمة حطب ؛ وتلاحق به أصحابه ؛ ففر الأسقف وجعل سليمان السيف على من اتهمه . ثم ضافت حاله ؛ فكتب إلى عبد الرحمن الناصر بطلب الأمان والسلام ؛ فأجابه إلى ذلك ، وكتب له عهده . فلما تأثل ، نكت وعاود الغدر ؛ فوالى عليه عبد الرحمن الجيوش والحشم ، وأردف القواد حتى توالى عليه الوقائع ، وتبين إداره ؛ فأطاع جملة من معاقله ، وقطعت عن 'بيشتور' الميرة والمرافق ، إلى أن وقعت على سليمان الهزيمة

بأحواز شئت يَجْنَتْ ؛ وكبا به فرسه ؛ فقتل .

وولي بعده أخوه حفص : ملكه أهل القلعة أمرهم . وخرج إليه الناصر سنة ٣١٥ ؛ فافتتح مدينة أنجش من طاعة حفص ، ونازله ببشتور ، وابتنى بجوارها حصن طليعة ، وتخلّف فيه الوزير ابن المنذر ؛ فأدعن إلى السلم ؛ فلم يجب إلا على الخروج . فمّ ذلك بعد عناء كبير سنة ٣١٦ . ووصلوا بجمعهم إلى قرطبة . وتوسّع إلى حفص في إنزال واسع ، وإلحاق شريف . وغزا مع عبد الرحمن الناصر إلى جلّيقية ، وأغنى بين يديه إلى أن مات بوادي الحجارة سنة كذا وعشرين وثلاثمائة .

وانقضى أمر بني حفصون إلى هذا الحد . ولا بدء لكل أول من آخر ؛ فسبحان من له البقاء !

### ذكر شيء من أخبار بني حجاج

وكان هذا البيت من بني حجاج بنيت رياسة وظهور بإشبيلية ، وآخر بيوتات النباهة الأربعة : بيت بني حجاج هذا ، وبيت بني عبّاد ، وبيت بني خلدون ، وبيت بني الحكيم المستقر عقبهم الآن برندة ، حسباً ذكر لي أبو بكر بن الوزير أبي عبد الله منهم . وأدركت من بيوتات بني حجاج بالقة أمين العطارين بها يجبر بشرف عن هذا البيت ، وأنّهم استبدوا بحضرة إشبيلية عن بني أمية ، بحيث كانوا يقدّمون قاضي الجماعة من مدينتهم ، ولا يرجعون في شيء من أمرها إلى صاحب الدعوة المروانية .

وكان إبراهيم كبير هذا البيت ، لما كشف الوجه في الخلاف ، هادن الأمير عبد الله بن محمد على أن يولّيه ببلده ، ولا يعرض له ؛ فرضي منه بذلك ، وفعل . فجبى الأموال ، واصطنع الرجال ، وارتقى في درج الجلال ؛ وكان رئيساً ضخماً ، بعيد الهمة ، حسن الآثار ، جميل الذكر ؛

ولم يزل يتبسط على الأمير عبد الله حتى ساء ما بينهما ؛ فظهر الخلاف ، ومالاً يجاره ابن حفصون ؛ وعظمت نكايتهما إلى أن هلك إبراهيم ، وحالته حال الملوك مصافاً وإنعاماً . وكان يضاوي الملوك ، ويقصده الشعراء ، وتؤمّله الأشراف . وفيه يقول ابن عبد ربّه قصيدته التي أوّلها : [ الوافر ]

كتاب الشوق يطوبه الفؤاد ومن فيض الدموع له ميداد

وكان مهلكه فجأة في عام ٢٨٨ .

وولي بعده ولدّه عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج ؛ فطالت مدته إلى سنة ٣٠١ . وكان أخوه محمد بن إبراهيم بن حجاج بمدينة قرمونة ، قد أقام أيضاً رسماً كبيراً من الفضل ، زاد به على شهرة أبيه وجلالته . ولما توفي عبد الرحمن جعل أهل إشبيلية الأمر لأحمد بن مسلمة من بني حجاج ، وصرفوه عن محمد صاحب قرمونة ؛ فناصرهم الحرب ، وأعطى الناصر الطاعة ، وقد صار إليه الأمر ، وأمدّه بالجيش ؛ فضيق على إشبيلية ، وأقام بإقليم الشرف منها . ولما رأى ابن مسلمة ما لا يطيقه ، داخل الناصر لدين الله في سرّ من الأمر ، ومكّن الناصر من إشبيلية . ولما علم محمد ذلك ، أنكر كتم الأمر عنه ؛ فخالف الناصر ، وأغار على الأحواز القرطبية . وما زال الناصر يؤنّسه ، ويتأنّى له ، إلى أن أجابه إلى سكنى قرطبة حضّرتة ، على أن يترك بقرمونة بلكده نائباً عنه ؛ فكان ذلك في رمضان من عام ٣٠١ . ووصل قرطبة في رجاله وقومه ؛ فأجرى الناصر عليه ، وقرّبه من نفسه ، وولاه الوزارة متوّهاً به رفيع القدر ؛ وخرج للغزاة ؛ فأغزاه معه وزيراً . ثم امتنعت عليه قرمونة ؛ فحاصرها مع السلطان إلى أن طرقت في أمورها التهمة ؛ فعزل عن الوزارة وحبس . ثم أعته . ولم تطل مدته أن هلك في شوال سنة ٣٠٢ . وأنقضت أيام بني حجاج .

والثوار في دول بني أمية متعدّدون : شقيت بهم الملوك ، وتنغصت

بهم الخلفاء ؛ واضطروا إلى مُسالمتهم تارةً، ومُحاربهم أخرى. وجعلوا رسم الوفاء لمن عاهدوه منهم سياسةً، لولاها لجلَّ الخطبُ، ولم يخلص الملكُ. والسببُ في كثرة الثوار بالأندلس يومئذٍ ثلاثة وجوه : الأول : منعةُ البلاد وحصانةُ المعقل ، وبأسُ أهلها بمُقاربتهم عدوِّ الدين ؛ فهمُ شوكةٌ وحدٌ بخلاف سِوَاهُمْ ؛ والثاني علوُّ الهِمَمِ ، وشموخُ الأنوفِ ، وقلَّةُ الاحتمالِ لتقلِّ الطاعة ، إذ كان من يحصلُ بالأندلس من العَرَبِ والبرابرةِ أشرفاً يأنف بعضهم من الإذعان لبعضٍ ؛ والثالث : الاستناد ، عند الضيقة والاضطرار ، إلى الجبلِ الأشمِّ والمعقلِ الأعظم من مَلِكِ النصارى الحريص على ضَرْبِ المسلمين بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ . فكان الأمراءُ من بني أُمَيَّةَ يرون أنَّ اللجاج في أمورهم يؤدي إلى الأضلولة ، وفيها فسادُ الأموال ، وتعذرُ الجباية ، وتعريضُ الجيوش إلى الانتكاب وأولياء الدولة إلى القتل . ولا يقوم السرور بغلبةِ الثائر بما يوازنه من ترحه هذه الأمور . وسياسةُ الثوار والناجين قد أَكثَرُ أربابُ السياسة القولَ فيها من الفُرس واليونان والنُزك وغيرهم ، حسبما يتبيَّن في « كتاب رسالة الفُلك في سياسة الملك » إن شاء الله . فلا يزالون يسيغون في حسن التأنِّي لهم المرءُ ، ويتحملون المشاقَّ . وكان الأمير عبد الرحمن مبرزاً في ذلك مع معين البخت والإقبال ؛ فهادنَ طائفةً ، وارتهنَ أخرى ، واستنزل إلى حضرته أخرى ، وغلب بالسيفَ أخرى ؛ فاستأثر من بين قومه بالهدوء وخلو الجبهات من الهرج ، ونهناً محول الملك . وهذا الكتابُ كتابُ 'لمعٍ وإشاراتٍ' ، إن أطلَقْنَا فيها العِنانَ ، خَرَجْنَا عن الغَرَضِ .

نمَّ إنَّ الله ابتلاه ومحصه بالوقعة الشهيرة التي أوقعه بها عدوُّ الله رُذَمِير ابن أُرْدُون ، يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خَلَّتْ من شوال سنة ٣٢٧ ، على باب مدينة سَنَنْت مَانَكَش من بلاد الرُّوم ، بعد قتال أَيَّام جالَتْ

فيه المغالبة بين الفريقين بأشدَّ ما يكون وأصعبه . وكانت للعدوِّ الكثرة ؛ فانكشف المسلمون انكشافاً لم يسمع بمثله . وجرت الهزيمة على المسلمين طائفةً من جُنْد الناصر لدين الله حَسَدَتْهُ ما هَيَّأَ اللهُ له من الصنع ، ولم تُنَاصِحْهُ في الحرب حقَّ النصح ؛ فجالت ثانيةً للأعِنَّة ، واختلَّ مصافُ القتال . وألجأ العدوُّ المسلمين إلى خَنْدَقٍ بعيدِ الميوى ، إليه تُنْسَبُ الوقعة ؛ فتساقط فيه الناسُ حتى سَاوَوْا بين حَافَتَيْهِ . وانكشف الناصِرُ ، وأسلم محلاته ؛ فاستولى عليها العدوُّ بما فيها من عُدَّةٍ وغير ذلك ؛ وضاع فيها مُصَحِّفُه ودِرْعُه ، وكان لا قيمة لهما ، إلى أن استردَّ ذلك فيما يأتي .

ولما خُص من المعركة ، وجَّه طائفةً من أنجاد خَدَمَتِهِ سبقت الناس إلى قرطبة ؛ فبشَّرت بسلامته ، وأنفذت أمرَه باتِّخاذ الحَشَبِ والمصَالِبِ على ضَفَّةِ نهرها ؛ ولحين وصوله ، تقبَّض على ما يناهزُ ثلاثمائة من الفُرسان ؛ فصلبهم ، وأمر بالنداء عليهم : « هذا جزاءُ من عَشَّ الإسلام ، وكاد أهله ، وأخلَّ بمصافِّ الجهاد ! » فرُفِعوا بها ، وبأدْرَأَتْهم الرماحُ برأى من الناس ؛ ودخل إلى قصره . ومن لدن هذه الغزاة ، لم يُبَاشِرِ الغزوَ بنفسه . وضع الله له بعدها من الوقائع على ملوك النصارى واكتساح بلادهم ما لم يصنعه لأحدٍ مِمَّن قَبْلَهُ .

وتوالَتْ عليه بعد ذلك المنوح ، وأذعنت الأعداء ، وقدمت عليه رُسُلُ الملوك بالعدوة الغرَبيَّة من رَنْاتة والأدارِسَة والقَيْرَوَان وجَزَائِرِ بني مَرْغَنَّا . ووصل إليه رسولُ مَلِكِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ العُظْمَى ، راغباً منه في إيقاع المُوَالفة . ففَعَدَّ له المَقْعَدَ الشهير ، الذي لم يَتَّيَّأْ مِثْلُهُ لِمَلِكٍ قَبْلَهُ ؛ فدخل الرسولُ عليه ، وقد بهت لهول ما عاينَه ، ودفع إليه رسالته مُودَعَةً في دَرَجِ ذهبٍ كثيرِ التصاوير ؛ وكان الكتابُ في رَقٍّ سماويٍّ اللون مكتوباً بالذهب ، وعليه طابَعُ ذهبٍ ، في أحد وجهَيْهِ صورةُ المسيح ، وعلى الآخر صورة الملك قُسْطَنْطِين .

وتعهد 'ملك' الناصر ، وعظم أمره ، وبلغت الغاية مبادئه ؛ فزاد في المسجد الأعظم الزيادة الهائلة ، وبنى المنار الأعظم بقُرطبة ، وجعل في أعلى ذروته ثلاث رُمّانات تحطف الأبصار بالتساعيا ؛ أثنتان منها ذهب ، وواحدة فضة ، طوق كل رُمّانة فيها قنطار من الذهب ، ودور إحداها ثلاثة أذرع ونصف .

وهو الذي ابنتي الزهراء : ابتدأ بناءها في أوّل سنة ٣٣٥ . وكان يضرب فيها من الصخر المنجور العريض الضخم كل يوم ستة آلاف صخرة ، سوى صخر التليط والتأسيس . وجلب إليها الرُخام حتى من ثونس وقرطاجنة إفريقية ؛ وجلب إليها من سوري الرُخام أربعة آلاف وثلاثمائة سارية وأربعاً وعشرين سارية ؛ وجلب إليها من بلاد الروم على يد ربيع الأسقف حوضاً منقوشاً بالذهب ، يُنقل هويّناً من مكان إلى مكان ، حتى وصل إلى البحر ، ورفّع منه إلى بلده : فكان عبدةً لمتأمله ؛ وجلب إليه أحمد ابن حزم حوضاً ثانياً منقوشاً ، فيه تماثيل لا قيمة له ، احتيل في اجتلابه من بلاد الشام ؛ فوضعه في بيت المتام من المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس ؛ وكان عليه اثنا عشر تمثالاً من الذهب الأحمر المرصع بالدرّ النفيس الغالي . وذكر المخبر أن قوت الحيتان في بركات قصوره بلغ في كل يوم اثني عشر ألف خبزة . وكانت هيئته في البناء طامحةً فوق هيم الملوك .

وكانت جبابته مقسومة ثلاثة أقسام : قسم للجند ، وقسم للبناء ، وقسم مدّخر للضائر .

وحكى صاحب « طبقات القضاة » أن الناصر لدين الله اتخذ بسطح القبة المائلة على الصرح الممرّد المشهور شأنه بالزهراء قراميد مغشاة ذهباً وفضةً ، أنفق عليها مالاً جسيماً ؛ وقرمّد سقفاً بها فاقعة إلى بيضاء ناصعة تستلب الأبصار بطارح أنوارها المشعّعة . وجلس فيها ، إثر إتمامها ، لأهل

ملكته ؛ فقال لوزرائه وخاصته ، مفتخراً بما صنعه ، وبما يتصل به من البدائع : « هل سمعتم أو رأيتم ملكاً كان قبلي فعل مثل فعلي هذا أو قدر عليه ؟ » فقالوا : « لا ، والله ، يا أمير المؤمنين ! وإنك لأوحد في شأنك كله ، وما سبقك إلى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ولا انتهى إلينا خبره ! » فأبهجه قولهم وسره جدّاً . وبينما هو كذلك ، تضحك أسارى وجهه ، إذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجياً ناكساً ؛ فلما أخذ مجلسه ، قال له كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف المذهب واقتداره على إبداعه . قال : فاقبلت دموع القاضي تنحدر على لحية ، وقال له : « والله يا أمير المؤمنين ! ما ظننت أن الشيطان - لعنه الله - يبلغ منك هذا المبلغ ، ولا أنك تمكث من قيادك هذا التمكن ، مع ما آذاك الله وفضلك به على العالمين ، حتى ينزل منازل الكافرين ! » قال : فاقشعر عبد الرحمن الناصر لدين الله ، وقال : « انظر ما تقول ! كيف أنزلتني منازلهم ؟ » فقال : « نعم ! أليس الله تعالى يقول : « وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً » الآية . قال : فوجم الناصر لدين الله ، ونكس رأسه ملياً ، ودموعه تنحدر على لحية خشوعاً لله تعالى ، وتذمّماً بما أجري إليه . ثم أقبل على منذر بن سعيد ، فقال : « جزاك الله عنّا وعن نفسك خيراً ، وعن المسلمين والاسلام خيراً جزائه ، وكثر في الناس أمثالك ! فالذي قلّت هو الحق ! » وقام من مجلسه ذلك ، يستغفر الله ؛ وأمر بنقض سقف القبة ، وإعادة قراميدها ثراباً على غير تلك الصفة .

ثم طرّق الناصر ما طرّق جدّه ؛ فأنفذ قتل ولده عبد الله ، وقد بلغه أن جماعة من أهل قرطبة بايعوه بالخلافة ؛ وكان أهلاً لذلك فضلاً وعِلماً وبصراً بالفنون ؛ وذلك سنة ٣٣٨ . وكان الناصر شديد الجرأة على الدماء ، مرهوب السطوة ، ثقیل العقاب والسخطة . حدث شرطيه أنه استدعى للقصر ليلاً ؛ فأمره بضرب عنق جارية لا نظير لها في الدنيا ، وهي تسترحمه ، فلا يرحمها . قال : وسمعت للسيف في عنقها صوتاً لم أعلم ما هو . فلما صمّنت

عليها النطع ، وخرجت بها إلى الحفرة ، أُلْفِيَتْ عَقْدًا قد سقط في النطع لا قيمة له في الدنيا ؛ ورجعت فأَعْلَمَتْهُ ؛ فقال : « اذهب به فهو لك ! »

ومن آثاره التي ضربت بها الأمثال ، وقضيت منها العجائب ، حال الطراز ببابه لتسج ما يحتاج إليه من الخلع والكسي وملابس الحرم وغير ذلك ؛ فقد كان على عهده مدينة تشتمل على آلاف من الخلق ، قد اتخذت فيها المرافق والمساجد والحمام والسوق . ولو تتبعنا أصنافهم ، وما كانوا يجاولونه من صناعاتهم ، ويناغون به المشرق من بضائعهم ، ومقدار جريباتهم ونفقاتهم ، لضاق عنه الكتاب .

وتوفي - رحمه الله - يوم الأربعاء لإثنتي خلتنا من رمضان سنة ٣٥٠ . فكانت أيام ولايته خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام ، وعمره ثلاث وسبعون سنة . وقال ابن الفرعي : « وجد في تأريخه بخط يده : أيام السرور التي صفت لي من غير تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ، وكررت التواريخ ؛ فعدت ؛ فكل ما وجد منها أربعة عشر يوماً بطول خمسين سنة ونصف سنة . وكذا حال الدنيا لمن اعتبرها ، وموازينها لمن اختبرها .

ومن شعر كاتبه جعفر بن عثمان المصحفي في نديته : [الطويل]

ألا إن أياماً هفت بإمامها لجائرة مشتطة في احتكامها  
فلم يؤلم الدنيا عظام خطوبها وأحداها إلا قلوب عظامها  
تأمل فهل من طالع غير آفل لهن وهل من قاعد لقيامها  
وعاين فهل من عاش برضاها من الناس إلا ميت بفيطامها  
كان نفوس الناس كانت بنفسه فلما توارى أيقنت بحمامها  
فطار بها يأس الأمى وتقاصرت يد الصبر عن أعوالها واحتدامها  
وكان عدد الفتيان الصقالية بمدينة الزهراء حين وفاته ٣٧٥٠ ؛ وعدد

النساء بالقصر ستة آلاف وسبعمائة وخمسين ، يجري على الجميع اللحم والخبز والطيور والحيتان وغير ذلك من ضروب المؤتمرات وضروب الديار الجارية .

وقد عهد بالأمر بعده لولده الحكم ، وهو طفل صغير من ثماني سنين أو نحوها ، بحيث لو هلك لنصيب بعده بمكانه ، حسب اقتضاه ما أخذه على الناس من العهد بذلك ، واقتضاه من الأيمان الغليظة المحرجة شأن من يأخذ العهد لولده من الملوك ، إلا أن عمره امتد إلى أن كان يوم تصيير الأمر إليه بعده في سن الكهولة . فالحكم - رحمه الله - بهذا الاعتبار ممن اشترطنا ذكره ممن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام . وكفى بذلك ومجال ابنه المؤيد هشام بعده الايتساء لمن أراد الايتساء بذلك ، واختار الاقتداء به - رحمه الله عليهم اجمعين !

## دولة المستنصر بالله الحكم

ابن عبد الرحمن المستنصر لدين الله

بويع الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بعد موت أبيه ، تجديداً لعهد ، لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ٣٥٠ . وكان - رحمه الله - عالماً فقيهاً بالمذاهب ، إماماً في معرفة الأنساب ، حافظاً للتاريخ ، جماًعاً للكتب ، ميمراً للرجال من كل عالم وجيل ، وفي كل مضر وأوان ، تجرد لذلك وتهمم به ؛ فكان فيه حجة وقوة وأصلاً يوقف عنده .

وفي أيامه ، سكنت الفتنة لتوطيد أبيه الدولة ، واستظهاره على الثوار بحسن السيرة وطول العمر ومساعدة الأيام . وفي أيامه ، ظهرت المجوس المجلبة على المسلمين من بحر الجوف ؛ فتحرك إلى المريّة ، وقد



حصروا حصن القبيطة من حصونها ؛ فأوقع بهم ، وأنشأ الأسطول لغزوهم ؛ فكان عدده ستمائة جفن بين غزوي وغيره . وفي سنة ٣٥٢ ، غزا الروم ؛ ففتح مدناً جليلة .

وهو الذي بنى الزيادة بالمسجد الأعظم ، وزينه بالفسيفساء المجتلية من قبل ملك القسطنطينية مع الصنائع المحكمين لذلك ، محاذياً بفعله ما فعله الوليد بن عبد الملك بمسجد دمشق ؛ ففاق خدمته وبما ليكه في تعلم ذلك ، وبرعوا فيه ، إلى أن كمل ما أراه . وورد عليه إرسال ملوك البلاد ، وجبابرة العباد . وألقت الاقطار إليه بالمقاليذ ، وجمعت بالطاعة . وورد عليه جعفر بن علي وأخوه يحيى ملك الراب ، الذي مدحه محمد بن هاني الشاعر بالقصيدة الشهيرة التي أولها :

أَلَيْلَتَنَا إِذْ أُرْسِلَتْ وَارِدَاً وَحَفَا وَبَيْتُنَا نَرَى الْجَوَازَا فِي أَذْنِهَا سَنَفَا  
فاحتل لثقتيه ، وكان يوماً مشهوراً بالأندلس .

وفي سنة ٣٦٣ ، افتتح غالب ملوكه مدينة البصرة من أحواز أصيلا ، وقفل إلى الحضرة ، وقد استنزل ملوك الأدارسة الحسينيين . وأخبار الحكم - رحمه الله - شهيرة ؛ وإليه انتهت الأبهة والجلالة ، والعلم والأصالة ، والآثار الباقية ، والحسنات الراقية .

وولد له هشام ابنه في سن الكبر ؛ فعظم استبشاره به وسروره بموهبة الله فيه . حدث عبادة بن عبد الله فيه قال : بُشِّرَ الخليفة الحكم يوماً في خلوته بأشغال جاريته صبح على حمل ؛ وكان جعفر بن عثمان المصحفي بين يديه ؛ فأنشده بديهة :

هنيئاً للإمام وللأنام      كريم يستفيد على كرام  
مرجى للخلافة وهو ماء      ومأمول لأمال كرام

أضاء على كريمته ضياءً      فلم تعلم بغاشية الظلام  
ولم لا يستضاء بجانبها      وبين ضلوعها بذر التمام

قال : فولدت صبح من هذا الحمل هشام بن الحكم . واتفق أن حضر جعفر عند الخليفة ساعة أتاه البشير بولادته ؛ فقال في ذلك : [مخلع البسيط]

أطلع البدر من سحابه      واطرد السيف من قرابه  
وجاءنا وارث المعالي      ليثبت الملك في نصابه  
بشرنا سيد البرايا      بنعمة الله في كتابه  
فلو منحت البشير عمري      لكان زراً لمن أتى به

وتوفي الحكم ليلة الأحد لأربع خلون من صفر سنة ٣٦٦ ، وعمره نحو من ثلاث وستين سنة وسبعة أشهر .

### دولة هشام المؤيد بن الحكم

هو هشام بن الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية .

ولما توفي الحكم المستنصر بالله ، بويع ولي عهده هشام الملقب بالمؤيد بالله ، والخلافة قد بلغت المنتهى ، وأدركت الجنى ، وبلغ طورها ، وانتهى دورها ؛ فكانت كرامة ، ثم زهرة بسامة ، ثم ثمرة بهية ، ثم فاكهة شهية . وكان بكرسي العامرية مجلاها ؛ ثم نلاها ما نلاها ، وأرخص الخطوط من أعلاها ؛ فكان المال قد ضاقت عنه خزائنه ، والمصر قد عظمت مزايده ومزائنه ، والمثلث تعوذ بالله أن لا يصيبه عاثرة الذي يعاينيه ، والمباني قد بلغت السماء سُبُوًا ، وزاحمت الكواكب علوًا ؛ والبلاد قد بلغ فيها إلى قاصي الاهتمام ، وفرغت بناتها من لبنات التمام ؛ والآثار

الصالحة قد تخلدت ، والمآثر الواضحة قد تعددت ، والأذهان في بسطة الإسلام قد تبلدت ؛ ورسم الخلاف قد أضحى ، والدولة المروانية قد بركت وسط المرعى ، والدعوة قد انتشرت في المغرب الأقصى ؛ والمصر قد خرج في العمارنة عن المعتاد ، وظهور الربى والوهاد ، متزاحماً بجيوش الجهاد ، والصنائع تجلى ، والفتوحات من فوق المناير تثلث ، والأقربة تضيق عن أعدادهم مجالس الملوك ، ويقصر عن انتظام لآلهم الثمينة ذرع ذلك السلك .

ووقع الاتفاق على تعيين هشام للخلافة مع وجود الأعمام الكهول ، وبني الأعمام الفحول ، أسود الهياج وغيوث المحول ؛ وهشام يومئذ صبي صغير يناهز عشر سنين ، مع ضعف في الأصل ، وعدو في الحقل ، والكل على علم ، من أنه لم يبلغ الحلم .

حكى القاضي أبو الفضل عياض - رحمه الله - أن الحكم أباه ، لما وضع سريره للصلاة عليه ، قيل لجعفر بن عثمان : « من يصلي على أمير المؤمنين ؟ » فقال : « ومن يصلي عليه إلا أمير المؤمنين ولده ؟ » فتقدم هشام ، وتقدم خلفه بارزاً عن صف الناس القاضي أبو العباس بن ذكوان ، ناوياً الإمامة لصغر هشام عن هذه الوظائف ؛ وخلفه يومئذ ، من أعلام مشيخة العلم والدين والشهرة والصلاح في الحق ، أمة لم يشتمل العراق عليها أيام احتفاله ، ووفور رجاله ، ما منهم إلا عالم بسنه ومولده ، ومحل من الاضطلاع بأموهم والاستقلال بأعباء ما نخلوه . وأعطوه صفقات أيمانهم من بيعته ؛ والقوم القوم لا يؤتون من جهل ، ولا يهدون إلى سلوك سبل . فتم ما أريد من ذلك . وأخذ على الناس العقود به أياماً تباعاً حتى كمل العرض ، وتم ذلك الواجب المفترض .

وكان الناس يومئذ - لا بل وفي كل زمان - أربعة :

فصنفهم الدنيا التي ينالها بسبب الولد همة بالغاً ، مأمراً طبعاً في المهدي أو جليلاً في المنتهية . وهم صنائع الحكم وخدماؤه

وعملاته وفتيانه ورجاله ؛ وكل في علاقة به ، ممن يحسب نفسه أجنبياً عن خليفة غيره ، إن لم يعد عدواً ، تطرق الظن إلى ماله ونفسه . وهذا الصنف تجر زواجر ، وللحصى والقطر مكائير ؛ وينضاف إليه كل ذي علاقة قديمة سالفه أو حديثة ناشئة ، تنتسب إلى النائب عنه ، وهو مستكنز من الأولياء لضرورة ما تحمله والاستظهار على ما دخل فيه ؛ وهم أيضاً تجر ثان ، وهول لا يثنيه ثان .

وصنف مرتقى من الديوان ، مشهور العناية والمكان ، أو مجهول الشأن ، راض بحظته من الزمان ، لا يتشوق إلى المزيد ولا يجذر من نقصان ، قد تساوت في الدؤل أحواله ، وسكنت إلى الرزق والمفروض آماله ، فإن تعين الطئيل أو الكهل ، لم تلحقه بإزاء هذا مزينة ، ولا فقد لأجل هذا حالة سنية ؛ فهو هادئ ساكن ، وإلى فئة العافية راكبن .

وصنف يؤمل أمراً ، ويشب إن قدر جئراً ، ويرجو من القرابة الراجحة زبداً وعمراً ، ومستحق بأسف لما خرج عن بدنه ، أو يعتقد الظلم فيمن عدل عنه إلى تحلل ولده ، مستوحش ببخس حقه ، وجحد سبقيه ، ولا يعلم حال الدنيا فيمن ادعى الاستحقاق ، وفرض الرفاق . وإن هذا قياس فضح الأول والآخير ، والغائب والحاضر ، وقطع الأعناق ، وسحت الأرزاق ، وأكسب النار ، وأعقب الحسار ؛ وما تلبست الأيدي بشيء ، ولا حصلت إلا على ظيل وفسي ؛ وقد جرت بذلك الأمثال المضروبة والأقوال المشهورة ، كما قال قيس بن الملوّح ، وقد خسر على ليلي حتى عقله ومسكنه ، وذهب بها إلى رحله ، وتمتع بها بما حرم : [الطويل]

قضاها لغيم ، ابتلاي برؤيا ، شيء غير ذلك ابتلاي

وقال الآخر :

رب ساع لقاعد وأسلمي أم خالد

لا بل ، سبحانه الله الذي يقول : « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدَأُ الْخَيْرَ لِمَنْ تَشَاءُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . » ولا يعلم أَنَّ الحُطُوطَ قد كُتِبَتْ ، والأمُورَ قد أُبْرِمَتْ ، والفُلُوكَ قد سُخِّرَتْ ، والقُدْرَ قد قُدِّرَتْ ، والنجومَ قد أُمِّرَتْ ، والأحوالَ قد قُرِّرَتْ ، والمواليِدَ قد انشَبَتْ ، والغيوبَ قد أُهْمِتْ .

وهذا الصنفُ المنازعُ المنافسُ بَيْنَ أَنْ يَصْنُتَ فيموتَ بدائِهِ ، أو يَجْهَرََ بالمنازعة فينتهي إلى قَدَرِ الله وقضائِهِ . وكان في ذلك الوقت أضعفُ الأصنافِ ، لاستحكام الصبغة الحكيمة التي لا تثالي بمن تقادم . ولا تظنُّ غيرَ الحكمِ أو الناصرِ كان آدم ؛ فلم تَسْعَهم يومئذٍ إلا المِجَامِلَةُ ، وجَرَّتْ على الرضى المُعاملة ، واسْمَعَ الدعاء والإطراء ، واعمل السكون والإراء !

وصنّف من أهل الدنيا والآخرة ، قلّدوا أهلَ الحِلِّ والعقد ، والقبول والردِّ اجتهدهم ؛ وسألوا الله توفيقهم وسدادهم ، واستكفوه الشرور التي تنالُ النفوسَ والأقوات ، ونُسيءُ المحيا والممات ؛ واعتبروا بمن رَأَسَ الأُمَّةَ المُسْلِمَةَ في أمّهات البلدان ، من الفُتَيَّانِ والعِلَمَانِ ، والطَّوَّاشِيَةِ والحُصَيَّانِ ، والأعجام التي تُخاطَبُ بالترُجُمانِ ، والصَّيِّيةِ والتَّسْوَانِ . وهم أَشْرَفُ أوطاننا ، وأعظَمُ سُلْطَاننا ، وأَوْفَرُ أعلامنا ، وأعْضُ إسلامنا . ورأوا أَنَّ الله قد سدَّ ثلهم بمن يُحْكِمُ التلْفِيقَ ، ويلتَمِسُ التوفيقَ ، وحُسْنَ المآبِ ، ويُحْكِمُ السُّنَّةَ والكِتَابَ . وأَنَّهُ رَأْبُ الصَّدْعِ بِرَجُلٍ من أَنْفُسِهِمْ يُوْثِرُ التَّقْوَى ، ويدفع عن الجَوْرَةَ بالذراع الأقوى ،

١ سورة آل عمران : ٢٥ - ٢٦ .

إلى ان يستقلَّ هِشَامُ بأمرِ الحكمِ ، وتفضي المذاهبُ إلى النهجِ الأممِ . فحمدوا الله على حُسْنِ الكفاية واصطناعِ المنَّةِ ، وإقامةِ رَسْمِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ ؛ فاغْتَبَطُوا ، وارتبطوا ، ونشطوا ، وانبطوا ؛ وكلَّمَا زادت الأحوالُ صلاحاً ، شُكروا ، واعتبروا ، وذكروا ، واستبصروا . وهمُ جُنُهورُ الناسِ من الفقهاء والعلماء ، والخاصَّةِ والدهماء . فلم تَسْمَعْ عن أَحَدٍ منهم هِجْرَةَ أَعْمَلها ، ولا فِتْنًا سَوَّغَتْ الحِلَافَ لِمَنْ سَأَلَهَا ؛ ولم يستجيزوا ذريعةً تؤدِّي إلى سفكِ الدماءِ ، وتغييرِ النعماءِ ، وشياتِ الأعداءِ ؛ فصانوا أديانهم ، وعرفوا زمانهم ، واقتصروا على رسولِ الله في الإرشاد ، وإلهامِ السَّدَادِ .

وصنّف غارِمٌ ، لا همَّ له إلا فيمن يُخَفِّفُ أضرَّه ، أو يَدِيلُ بالبُسرِ عُسْرَه . وأمّا هؤلاء ، فأوباشُ أسواقِ ، وحَمَقَى ما لهم من أخلاقِ ؛ ففتح الله على الجميع في هذه الأيامِ الهِشَامِيَّةِ العامريَّةِ أبوابَ النِّعَمِ والمنوحِ ، وجلا صُورَ الفتوحِ ، والنصرِ المتَّوَحِّجِ ، شملت أحكامَ التَّهْيِيدِ ، وكنتف الخلقِ واقيةً كواقيةِ الوليدِ ؛ وتَمَلَّأوا العافية التي غَبَطَهم فيها أهلُ الأرضِ بما رَحِبَتْ خمساً وثلاثين سنةً ، مدَّةَ الكَفَّالَةِ العامريَّةِ ؛ وتغلبَ على الأمرِ رجالٌ ، زعموا أَنَّ لهم في السَّدَادِ بحالٍ ، يَوْزُونُ مروانَ بنَ الحكمِ عجوزاً من عجاثرِ البَيْتِ ، وعبدَ الملكَ ابنه في حَلَبَتِهِم بمنزلةِ السُّكَّيْتِ ؛ فسام الناسُ دَهْرَهُم سَوْمَ العَذَابِ ، وأخذتْهم الرجفاتُ من كلِّ بابٍ ، وتقطَّعتْ بالإسلامِ الأسبابُ ، وذهبت الأموالُ ، وتغيَّرت الأحوالُ ، وسُفِكَتِ الدِّماءُ ، وكتب الجلاء ، وطَوَّتْ عِمَارَةُ الإسلامِ الأعداءُ ، ليعلموا أَنَّ الخيرَ والخيرةَ إنما هي لمن بيده مَلَكُوتُ الأرضِ والسماءِ ، ومَقَالِيدُ السُّرَّاءِ والضُّرَّاءِ ؛ وصاروا يُعَلِّلُونِ باستخلافِ خَصِيٍّ من فِتَيَّانِ آلِ عامِرٍ ملازماً للسكرِ ، مُجَنَّباً للأُنثَى والدَّكْرِ ؛ فيَقْتَنَعُونَ به إماماً ، ويجهرُونَ جَمّاً في طريقه سلاماً ، ويقِفُ أعلامُهم ببابه خُدَّاماً ؛ وهذا يُقَرَّرُ ذمَّاماً ، وهذا يستعطرُ سُجْباً جَهَاماً ، من كلِّ منكوسِ الجِدِّ ، مجهولِ الأبِ والجَدِّ ،

أَشْوَسَ اللَّحْظُ ، أَعْجَبَنِي\* اللَّفْظُ ؛ لِأَذْوَانِهِمْ بِأَذْيَالِ لَسِيْبٍ وَزُهَيْرٍ وَفَائِقٍ  
وَوَاضِحٍ ، يَشْتُونُ عَلَيْهِمْ رَاحَةُ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَسْتَظِلُّونَ أَيَّامَ  
النَّصْرِ ، وَإِقَامَةَ رِسْمِ الْقَصْرِ ، وَأَوْفَاتِ الْعَافِيَةِ الَّتِي سَمَّيْتُ عَنْ الْحَضَرِ .  
اللَّهُمَّ ! لَا تَوَاضِعْنَا بِبَطَرِ الْعَافِيَةِ الَّتِي مُدَّتْ ظِلَالُهَا ، وَسُوِّغَتْ زِلَالُهَا !  
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ !

\*\*\*

وكان على عهد بيعة هشام بن الحكم من الأعلام هضاب راسية ،  
ومجار في العلم زاخرة ، وأعلام قَوْلهم مسموع ، وبرّهم مشروع ، وأثرهم  
متبوع ، مثل قاضي الجماعة أبي بكر يحيى بن محمد بن زَرْب ، وحسبك به  
شهرةٌ وحلالة ؛

والتاضي محمد بن إسحاق بن السليم ، قاضي القضاة على عهد الحكم  
وصدراً من دولة ولده ؛

والقاضي محمد بن يَبْقَى بن زَرْب ، قاضي الجماعة بَشْرُطية ؛  
والقاضي محمد بن أبي يحيى زكرياء بن بُرْطال ؛

وقاضي القضاة الرئيس الجليل المتقدم على الوزراء أبي العباس أحمد بن عبد  
الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذكوان الأموي،  
وكان أبعد الناس من الهوادة : ذكروا أن المنصور لما اتخذ مسجد الحطبة  
بالبصرة ، واقتصر على الصلاة فيه ، لم يصل معه ابن ذكوان فيه مدة  
أثامه مراعاة للخلاف ؛

وَأَبِي حَاتِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذَكْوَانَ ؛

وقاضي الجماعة أبي بكر بن السَّليم . قال القاضي أبو الفَصْل عِيَّاض : نال  
رياسة الدنيا والدين ؛

وعبيد الله بن الوليد بن محمد بن محمد بن يوسف أبي مروان المعيطي ،  
سمع من قاسم بن أصبغ ، والحسن بن سعد ، وأحمد بن عبادة ؛

من ابن لُبَّابة وغيره ؛

وعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الرحال ، من بيت النباهة

والوزارة بقرطبة ؛

وأبي بكر بن القوطية الإمام المصنف ؛  
وإسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم القيسي المصري بن الطحان ، اختصر  
« المدونة » وكان من كبار العلماء ؛

وأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن القيسي ، سمع وهباً وأبا علي النابلي  
وأفنى بجامع الزهراء ؛

وعبد الله بن محمد بن عبد البر النيمري ، والد أبي عمر بن عبد البر ،  
من أصحاب ابن بجاجة الإلييري ؛

وعبد الله بن محمد الصائبوني المعروف بابن بركة ، ولي الشورى بقرطبة ؛  
ومحمد بن عبد العزيز بن يحيى . قال : كان من أفضل أهل زمانه ، وله  
تأليف حسن ؛

وأبي عمر أحمد بن عيسى بن المكرم الغافقي ، وأخيه أبي عثمان سعيد بن  
عيسى ، سمع قاسم بن أصبغ ؛ وكان من أصحاب الرأي والتصرف والحفظ ؛  
وأحمد بن محمد بن زكرياء بن الوليد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن زيد  
ابن ميكايل ، مؤلف عبد العزيز بن مروان ، الرضاقي القرطبي ؛

وأحمد بن قزلمان أبو عمر من العبّاد المتبتلين ؛  
والقاضي محمد بن يحيى بن زكرياء التميمي ، سمع بقرطبة من ابن خالد  
وقاسم بن أصبغ وابن رفاعه وابن دحيم ؛

وإبراهيم بن أحمد بن فتح ، المعروف بابن الحداد القرطبي ، روى عن ابن  
أبي عمير وابن مسعود ؛

ومحمد بن الحاج بن عبد الرحمن بن علقه ؛  
وأحمد بن محمد بن يوسف المعافري القيسطي ، سمع أبا عيسى  
والدينوري ؛

وسعيد بن حمدون بن محمد القيسي أبي عثمان ، سمع ابن أصبغ وابن

الشامة وابن حزم وابن مطرف ؛

وخطّاب بن مسلمة بن محمد بن سعيد بن بئري الإيادي ، سمع ابن لبابة  
وابن أصبغ ، وحج ، فلقى ابن الأعرابي والنحاس ؛  
ومسلمة بن محمد بن مسلمة أبي محمد الزاهد ، سمع بمكة من الأجرى  
وغيره ؛

وعتاب بن هارون بن عتاب بن بيشر بن عبد الرحيم بن بيشر بن الحارث  
ابن سهل بن أيوب ، سمع بمكة من ابن الأناطلي والطوسي والخزاعي ؛  
وسعيد بن مرشد العكّي أبي عثمان الشذوني ، سمع وهب بن مسرة ،  
وشوور مع أصحابه ؛

وعثمان بن سعيد بن البشير بن غالب اللخمي الشذوني ، سمع ابن لبابة  
وابن خالد وعمر بن محمد بن إبراهيم بن الرفاعي الأبهري ، وروى  
« الإشراف » عن مؤلفه ابن المنذر ؛ وكان من أهل العلم والعمل ؛

وأحمد بن موسى بن أحمد بن يوسف بن موسى بن فيهر بن الإمام أبي بكر ؛  
وعبد الله بن محمد بن أزهر بن حريث بن قيس بن أيوب بن جبّار  
الإسجعي ؛

وأحمد بن يوسف بن إسحاق بن إبراهيم الإسجعي ؛  
ومحمد بن عبد الله بن القاسم الإسجعي ، سمع ابن لبابة وابن خالد  
وابن أصبغ ؛

وعبد الله بن عبد الوارث بن منبيل الطليطلي ؛  
وأبي تمام غالب بن عبد الله بن تمام بن غالب المعافري الطليطلي ؛  
وعبد الله بن فتش بن فرج بن معروف الحيو الطليطلي ، سمع من  
ابن الوراد والسكري وابن أبي الموت ؛

وعبد الله بن محمد بن علي بن سريعة بن رفاعه المعروف بالباجي ؛

ومحمد بن عبد الله بن سنية الإشبيلي ؛

ومحمد بن حسن بن عبد الله بن مذهب الزبيدي أبي بكر . قال ابن  
حيان : لم يكن له نظير بالأندلس ؛  
ومحمد بن شراحيل أبي زكرياء البكديسي ، له كتاب في تجميع حديث  
« الموطأ » ؛  
وإدريس بن عبيد الله بن إدريس بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن خالد ،  
كان حافظاً زاهداً ؛  
وعيسى بن العلاء أبي الأصبع التدميري ، من أهل الفتيا بمحله ؛  
ومحمد بن عيسى بن حسين بن أبي أسعد بن سيد الدار ؛  
وعبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر أبي محمد الأريلي ،  
انتهت إليه الرياسة ببلده ؛  
وأصبع بن الفرج بن الفارس الطائي أبي القاسم ، أحد أكابر المفتين  
بقرطبة ؛  
وعبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن صاعد أبي المطرف ، سمع الحريري  
وابن جهم وابن رستيق وقدّم للشورى ؛  
وأبي العاصي أمية بن أحمد بن حمزة ، ولي الشرطة والأحكام وأفتى ؛  
ومحمد بن أحمد بن محمد بن قادم بن زيد القرطبي ، سمع من قاسم بن  
أصبع وابن حمدان والصوائف وغيرهم ببغداد ؛  
وأحمد بن محمد بن عبد الله بن هانيء العطّار ، عرف بابن اللباب أبي  
عمر ، سمع قاسم بن أصبع ؛  
ومحمد بن محمد القرطبي ، سمع القاضي المرواني بالمدينة  
والخزاعي بمكة ؛  
وأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمين المرّي ، سمع  
من وهب بن مسرة وابن المشاط وابن عيسى وابن فحلون وابن حزم ؛  
وأبي عمر محمد بن يحيى بن سعيد بن الحديدي الطليطلي ؛

وأبي موسى بن أبي الحزم بن جهور المرشاني ؛  
وأبي بكر محمد بن وهب التيجي الحصار المعروف بابن القبري القرطبي ،  
أخذ عن ثابت وابن قطن وأحمد بن هلال والباجي ، وصحب أبا محمد بن  
أبي زيد ؛  
وأبي عثمان سعيد بن محسن ، تقلد الشورى بقرطبة ؛  
وأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحضرمي المعروف بابن الشرقي  
من الأئمة في الرواية ، ولي الصلاة والخطبة بجامع قرطبة ، وسمع ابن حزم  
وابن مطرف ؛  
وأحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الكلاعي أبي عمرو ، سمع من ابن  
عيسى ومسلمة بن محمد ؛  
وأحمد بن سعيد بن محمد بن يشر بن الحصار القرطبي أبي العباس ؛  
وأحمد بن عبد الله بن الحسن أبي عمر القرطبي ، سمع قاسم بن أصبع وغيره ؛  
وهب بن محمد بن محمود بن إسماعيل بن عبد الله بن يحيى الأموي أبي  
الحزم ، سمع من قاسم بن أصبع وهب بن مسرة وغيرهما ؛ وكان من  
أهل الرأي والشورى ؛  
وأبي المطرف عبد الرحمن الرعيّني ابن المشاط القرطبي ، ولي الشورى ؛  
وأحمد بن علي بن أحمد المقرئ أبي العباس الباغاني . قال ابن حيّان :  
كان ربّانياً في علوم الإسلام ، لم يخلف بعده أحد يعرفه في علوم القرآن ؛  
وعبد الرحمن بن أحمد بن سعيد البكري المعروف بابن عجب ؛  
وأبي عبد الله الحسن بن حيّ بن عبد الملك بن حيّ التيجي ، سمع الأجري  
وتقدّم للشورى ؛  
وعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الترجالي ؛  
وأبي عبد الله محمد الصابوني بن بركة من أهل الشورى ؛  
وعيسى بن العلاء التدميري ؛

وأبي عبد الله محمد بن قاسم بن الجالطي ، من القراء ، ولي الصلاة والخطبة بقرطبة ؛  
ويوسف بن محمد بن عمر بن يوسف ، سمع من أصبغ ومحمد بن أبي دهم وابن الأحمر ؛  
وأبي عمر أحمد بن عبد الله الباجي أبي محمد الإشبيلي ؛  
وسعيد بن عبد الملك الجندامي الإشبيلي أبي عثمان المعروف بابن الملاح ؛  
وسعيد بن موسى بن مهص الغساني ، لقي الأبهري ؛  
وأبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهني الطليطلي ، سمع ابن الوراد وابن السكن ؛  
وأبي عبد الله محمد بن عيسى المترثلي الطليطلي ، الرجل ذي الشجاعة والعلم والعفة ؛  
وأبي حفص عمر بن عبّاد الرُعيني ؛  
وأحمد بن عبد الله بن محمد بن عروس الموروري الحضرمي ، ولي الوزارة ؛  
ومحمد بن يعيش بن منذر الأسدي ، صدر بلده على عهده ؛  
وأبي الحرّم خلف بن عيسى بن سعد الخير بن أبي درهم الوشقيّ الفقيه ؛  
وأبي عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن الفقار الحافظ إمام المالكية بقرطبة ؛  
وأبي بكر عبد الرحمن بن أحمد بن محمد التّجيني ابن حرّيل القرطبي ، سمع مطرفاً وابن الأحمر وابن السّليم وابن حارث ؛  
وأبي المطرف عبد الرحمن بن هارون المعروف بابن القنّازعي ، سمع ابن بشر وابن القوطيّة ، وتفقه بابن المكنوي والأصيلي ؛  
وأحمد بن يحيى بن حكّم العاملي ابن اللّباقي القرطبي ، قاضي طليطلة ؛  
وأبي سعيد عمر بن عبد ربّه المعافري القرطبي مختصر « الدلائل » ؛

وأبي محمد بن الشاقّ ؛  
وعبد الله بن سعيد بن محمد القرطبي ، شيخ المفتين في وقته ؛  
وأبي محمد عبد الله بن يحيى بن كحّون ، أحد جيلّة شيوخ المفتين بقرطبة ؛  
وأبي محمد حمّاد بن عمّار الزاهد ؛  
وأبي القاسم يحيى بن عمر بن حسين بن تبييل القرطبي ، آخر من حلّ عن أصبغ ؛  
وأبي عبد الله بن يحيى بن محمد ابن الحذاء ، سمع من أبي كليلهم والأنطاكي وغيرهما ، وألّف شرحاً على « الموطأ » ؛  
وأبي عامر أحمد بن عفيف القرطبي ، سمع من ابن زرب وابن السّليم والقاضي ابن المطرف بن الحصار ؛  
وأبي عبد الله محمد بن هشام بن عبد الرؤوف الأنصاري الحمودي حاكم قرطبة ؛  
والليث بن حرّيش أبي الوليد المفتي ؛  
وأبي محمد مكّي بن أبي طالب ، تزيل قرطبة ، إمام القرآن في وقته ؛  
وأبي أيّوب بن ربيع الكلبي ؛  
وقاضي القضاة أبي الوليد يونس بن عبد الله بن الصّغار ؛  
وأبي المطرف عبد الرحمن بن سعيد بن جرج ، من أهل الشورى ؛  
وأبي القاسم بن مختار ؛  
وأبي محمد مروان بن عبد الملك بن الأصبغ ، وابنه عبد المهين ؛  
وأبي عمرو أحمد بن إبراهيم بن أبي سفيان الغافقي ؛  
وعبد الرحمن بن أحمد بن نصر بن خالد أبي المطرف من أهل الشورى بقرطبة ؛  
وأبي القاسم خلف بن البّناء الأثمي ؛  
وحمام بن أحمد بن عبد الله بن حمام ؛

وخلّف بن مروان الصّخري ؛

وأبي محمد بن فيّد القرطبي ؛

وعبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي ، من بيوتات الشرف والعلم بقرطبة ؛

وأحمد بن عمر بن عبد الله بن منطّور الحَضْرَمي المعروف بابن خَفِيف ؛

وأحمد بن محمد بن عبد الله أبي عمر الطَّلَمَنكي ؛

والقاضي أبي الوليد إسماعيل بن عبّاد اللّخمي ؛

وأبي بكر زُهر الإيادي ؛

وأبي الوليد بن مقبل ؛

وهاشم بن يحيى بن حجاج . قال ابن الحَدّاء : ما رأيتُ أتمَّ ورعاً منه ؛

وأبي القاسم المهلّب بن أحمد بن أبي صُفْرة التّميمي ؛

وأبي محمّد بن أبان الأموي جاور بكّة بضعاً وثلاثين سنة وسمع الشّجري

وابن فِراس وغيرهما ؛

وأبي العباس أحمد بن أيّوب بن أبي الربيع ، من أهل النّبيّرة وسكن

قرطبة ، ومن شيوخه ابنُ أبي زَمَنين وأبو الحسن القابسي ؛

وأبي بكر يعّيش بن محمّد بن يعّيش بن مُنذِر الأسدي الطّليطلي ؛

وأبي عمرو صعود بن داود بن دلّيات ، لقي ابن عبّاد وغيره ؛

وأبي عمر أحمد بن حُسَيْن القاضي الدّاني ؛

وسعيد بن سهّل الشّرّفي ؛

وأبي بكر عبد الله القرشي التّميمي القرطبي ؛

- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي الإشبيلي ؛

وخلّف بن سعيد بن أحمد بن محمّد الأزدي ؛

وأبي بكر محمد بن مُغيّرة بن عبد الملك بن مُغيّرة بن مُعاوية الإشبيلي ؛

وأبي بكر محمد بن قاضي القضاة أبي العباس بن دَكْنَوَان ؛

وأبي المطرّف عبد الرحمن بن مختار القرطبي ؛

وأبي الحسن مختار بن عبد الرحمن القرطبي ؛

وأبي عمر بن عبد الرحمن القَرْداحي ؛

والقاضي الشهير أبي الوليد الباجي صاحب « التمهيد والاستدكار » وغير ذلك ،

وأبي عبد الله بن عتّاب الفقيه المشهور ؛

والقاضي أبي زيد بن الحشّاء ؛

وأبي عيسى يحيى بن عبد الله اللّيثي ، سمع ابن عمّ أبيه ، وابن لبّابة ،

وأُسْلَم بن عبد العزيز ؛

ومحمّد بن عبّدون بن محمد بن فَهْد ، روى عن ابن وضّاح جدّه .

\*\*\*

وهذه نُبذةٌ يسيرةٌ ممّن كان على عهد أخذ البيعة لهشام في حياة أبيه، ثم بعدَها، وهو إذ ذاك صبيّ صغيرٌ، بإجماع من المؤرّخين؛ وأكثرهم من أهل قرطبة، وبعضُ أعلام ممّن شأنه الوفاة بعهد بلده ؛ وكلّهم من أصحاب إمام دار الهجرة مالك بن أنس - رضي الله عنه . ذكرهم أبو الفضل عياض في « مداركه » واستوفى أوصافهم . وجلبنا ذكرهم ليُجِدَ فيهم أسوة منْ بآثرٍ مثل ما بآثرُوه في زماننا، إن احتاج إلى ذلك، واختاره، وأرادَه، كما عدّنا جملةً من بُويع قبل الاحتلال ، ليتأسّى بها من جنح إلى مثل ذلك ، مع أنّ ذكرَ هؤلاء الفضلاء في هذا المحلِّ ممّا أشارَ به الأمرُ بتفصيله - أعزّه الله بعزّ طاعته ، وتولّى توفيقه بفضله !

ولقد رجّحَ الظنّ باستبصارهم في صحّة هذه البيعة ما كان من انعقاد الفَتْمَا في قِصّة عبد الملك بن مُنذِر صاحب الرّدّ من خدام الخلافة وطائفة من أصحابه ، وقد ذُكِرَ عنهم الشروعُ في خلع هشام وعقد البيعة لعبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر ، لما أجروهُ بحجَرَى المحاريين ، وجعلوا لهشام خليفتهم التخيير فيه ، حسباً تقرر ذلك في موضعه . فاستقرّ الأمرُ



لهشام ، بكتفه الحاجب المنصور أسعد أهل الأندلس مؤلداً ، وأشهرهم  
 بأساً ونداً ، وأبعدهم في حسن الذكر مداً ، الحازم العازم ، العظيم  
 السياسة ، الشديد الصلابة ، القوي المنّة ، الثبت الموقف ، معود الإقبال  
 ومبلغ الآمال ، الذي صجبت له أطف الله الحفّة في الأزمان ، واطرد  
 له النصر العزيز في نحو سبع وخمسين من الغزوات ؛ ولم تفارق السعادة  
 حالتي الحيا والمات . وكان هو وبنوه سترأ على هشام ورعيته ؛ فلما زال ،  
 لم تستر لهم عورة ، ولا عديمت ثورة ، ولا فقيدت للكروب ولا  
 للخراب فتوة . فأنهيت كل يد ما ملكت ، وفشتت الرعايا  
 وهلكت . وانشتت العصا ، وضرب طاعة الروم بن أطاع وجه من  
 عصا ؛ وصار كنعلم الصبيان في المكاتب ، إذ قعدوا فوق المراتب ،  
 يمرض الحرج ، ويصوب الفرج ، ويكلف الصعب ، وينشئ الرعب ،  
 ويُفقد الهول ، ويضمت القول ، ويسمع الوعيد المسوع ، ويطلق  
 الجوع . ويضم الأقطار بكتني يديه ؛ فلا من يدفعه ، ولا من يعترض  
 عليه . ولا حول ولا قوة إلا بالله !

ولما كان هشام مندرجاً في طي كافلة الحاجب المنصور - رحمه الله -  
 بحيث لا ينسب إليه تدبير ، ولا يرجع إليه من الأمور قليل ولا كثير ،  
 إذ كان في نفسه وأصل تركيبه مضعفاً مهيناً مشغولاً بالتزهات ، ولعب  
 الصبيان والبنات ، وفي الكبر بمجالسة النساء ، ومحادثة الإماء ، يخبر  
 بزعمه على اكتساب البركات ، والآلات المنسوبات : فكتم ألفي بخزائنه  
 من ألواح منسوبة إلى سفينة نوح ، ومن قرون منسوبة إلى كبش إسحاق ،  
 ومن حوافر منسوبة إلى حمار عزيز ، ومن خفاف منسوبة إلى ناقة صالح ،  
 لم يسترب في تعددها ، ولا فكر في مقدار ما يحتاجه الحيوان منها ، إلى  
 مصلّيات منسوبة لعباد ، وأواني وضوء متوارثة عن زهاد : بذل في ذلك  
 من الأموال ما يزن أضعاف أوزانها ، وهي مجتلبة من المجازر والمعاطي ،

ملتقاة من أيدي المخابث .  
 وجب أن نلّم بأحوال الدولة منسوبة إلى المنصور ملك الأندلس  
 وأكثر العداوة على الحقيقة ، السالك من الحزم على أفنوم الطريقة .

### أيام المنصور محمد بن أبي عامر

هو محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن  
 عبد الملك المعافري ؛ دخل جده عبد الملك مع طارق بن زياد مولى  
 موسى بن نصير ، ونزل بالجزيرة ؛ فساد أهلها ؛ وخدم منهم محمد أبو عامر  
 ابن الوليد ، وابنه عامر في دول الأموية . وكان أبو الحاجب المنصور من  
 أهل الفضل والإقباض ، حج وقفل إلى المغرب ؛ فتوفي بإطربا بلّس المغرب .  
 ونشأ محمد ابنه ظاهر النجابة ، مميّلاً نحولاً في الفضل والنباهة ،  
 تتفرّس فيه مخايل الرياسة ، ولا يزال يخبر بذلك عن نفسه ، حسباً هو  
 مشهور . ثم اتصل بالحكم ، وولي له أعمالاً من قضاء وأمانة ، نقله عن  
 طورينها ( وقد بهره مضاؤه ) إلى طور الخدمة والمباشرة والإنتظام  
 في أصحاب السلطان .

وما ينقل عنه من « الذخيرة » قوله : وقد ثقل عن نسط الفقهاء والقضاة  
 إلى خواص الدولة ؛ ووجه الخدمة قد قطعت الزئثار ونبتت  
 الرهبانة ؛ وترشح إلى وكالة ولي العهد هشام سنة ٣٥٩ ؛ ثم أضاف  
 الحكم له الخزانة ؛ ثم قدمه إلى خطة الموارث ؛ ثم استقضاة على كور  
 إشبيلية ؛ ثم رفته إلى الشرطة الوسطى ؛ ثم قدمه إلى الأمانات بالعدوة ؛  
 ثم أضاف إليه النظر في الحشم آخر أيامه . وتنفق للسيدة أم هشام بما  
 استهواها به من الخدمة والإتحاف والمهاداة ؛ بلغ في ذلك ما لا يُنتدى  
 إليه من قصور الفضة والابتهااء . وصحب لذلك الوقت خواص العسكر ،

واصطنع أهل الحصينة، فما من يومٍ إلا ويرتقي منزلةً أو يستزيد أثرةً . ولما توفي الخليفة ، تقلد حجابة هشام بعده جعفر بن عثمان المصحفي ؛ وأنهض في اليوم بعينه أبو عامر للوزارة ، وتعيين بسبب الدالة على السيدة أم هشام رسولاً فيما بين ولدها وبين الحاجب المذكور ؛ فتأكدت المداخلة . ولم يكن إلا أن شاع خبر مهلك الحكم ، فانتفض الطاغية ، وشاع كلبه على البلاد ؛ فاضطرب الأمر ، واستغاث أهل الثغور ؛ وكبر الأمر على جعفر ، وندب الوزراء للذب على الثغور ؛ فقصروا عن ذلك ، وانقبضوا منه . وأشار بعضهم بإزالة الجسر المتخذ على وادي آنه بين العدو وجنهور البلاد ؛ فأنيف لذلك محمد بن أبي عامر ، وانتدب للقيام بالجهاد ، وتبرع به ، وكفى السلطان مهمته ، وشرع في الحركة ، واختار الرجال والعدة ؛ وخرج أول رجب سنة ٣٦٦ ؛ فنازل حصن الحامة من عمل جليقية وحاصره ، وفتح ربضه ، وقفل غانماً إلى قرطبة عن خمسين يوماً . فعظم السرور والتيسر بحركته . ونال الجند من سعة ذرعيه وكرم إقامته وحسن عشيته وبدخ مائدته ما أحبوه له ، واغبطوا به من أجله ؛ ولما وشجت عروقه ، ناصب جعفرًا ، وابتر عزه ؛ فما زال يدفعه عن مرتبة ، ويستأثر بها دونته ، إلى أن أسقطه سقطة لم يستقلها عمره .

واستظهر محمد على المصحفي بشت نظام العبيد السنية المستعيرين بما خلف حجاب النصر ؛ وكانوا ينفون الألف ، فيهم الأكابر المستون بالخلقاء زهاء عشرين فتي ، يجرون دنيا الملوك العظام ؛ يتقدم الجماعة فائق وجوزر ؛ وتبع هؤلاء طوائف من الحجريّة والفحول . وكان عرض رؤساء الصقالبة العدول عن الولد هشام إلى من يضطلع بالأمر من القرابة ولهم الحكم في ذلك . وجرت معهم فيه محاوراة ألفت في نفس الحاجب المصحفي بئًا ؛ فجاءه ابن أبي عامر باب هواة في حسن دائم ؛ فألفاه شديد الانحطاط في ذلك الشعب ؛ فأشير على جملة من معتبريهم

المنافسين لغلبتهم بالرفع على أكابرهم ، وإعلان الشكوى بهم . فلما اتصل ذلك على يد جعفر المصحفي ، رأى هشام والسيدة أمه بديس المنصور أن إصلاح بواطنهم أكد في السياسة برفع حكم ذينك الكبيرين عنهم . فصدر الأمر به ، وضاق ذرعهما عن حمله ، نكرة وتعزُّزاً ، وعرضا بالانصراف عن القصر ، فكانت حاجة في النفوس قضيت . فأستعفا بالانصراف عن القصر إلى دورهما بالمدينة ؛ ولهما أتباع وصنائع يطوقون الحاجب المصحفي الموحدة .

ثم عرض على جمهور المستبقيين بالقصر اختيارهم من يرجعون إليه ؛ وقد تقدم لهم في ذلك بتدبير وإطماع كبير ؛ فاختروا كنف ابن أبي عامر . فحصل له بهم جناح كنف ، مباشر للنصر ، شديد الثغور عن جهة ضده .

ثم سما في المظاهرة عليه إلى أن أجلى من ذلك بمصاهرة كبير ممالك الحكم ، غالب ، ذي السيفين ، صاحب الثغر الأعلى ، وسيف الدولة الحكيمة والناصريّة ، وأنف عزها . وقد كانت بينه وبين الحاجب جعفر وحشة جرئتها الحساد ، وألفحتها الكواشح ؛ فتمكّن المنصور ، وعلت يده ، وصح بالملك انفراد ، وعليه أماله ، وبغالب وشيعته استظهاره . وصبت الدنيا راحة بين الله وثقاته ضبطاً أنسى به من سلف من الكفلة وأولي السياسة . ثم غزا غزوته الثانية ، واجتمع بصهره غالب ، وأظهر من موافقته والسعي في مرضاته ما استخلص به ضيقه ، وملك به قياده .

ولما تم له الغرض من نكب جعفر المصحفي ، وإسقاط جهة السلطان عليه ، وعرض صناعه ورجاله عوضاً عن صنائع جعفر وشيعه ، وقدّم أوليائه لمراكب الوزارة ، ورمى إلى الغرض البعيد من ضبط السلطان ، والحجر عليه ، والاستبداد ، وامتنال رسم المتغلبين على ملوك المشرق ،

وسما إلى ما سَمَّيتُ الملوكُ إليه من الاختصاص بقصر ينزله وبلد يسكنه ،  
خوفاً مما تجرُّه عليه الحيلُ في الدخول إلى قصر السلطان ؛ فابتنى مدينته  
الزاهرة ، وانتقل إليها ، واتخذ فيها الدواوين للأعمال ، والحجرات للعلماء ،  
والسقايف للحراس ، والقصور للولد والخاصة ، والإصطبلات للظهور  
والكراع ؛ وعمل داخلها الأهرام الواسعة والحزائن الوثيقة ، وانتقل إليها ،  
ورتب فيها مقاعد الوزراء وسقايف العمال ، وكتب بأن تجلب إليها  
وظائف الجبايات والأموال . وعطّل قصر الخلافة ، وسد بابها ، ونصب  
رسم الشرطة ليلقاه ، وأدار عليه السور الحريز الوثيق ؛ وأشاع أن  
السلطان فوض إليه النظر في أمر الملك ، وتخلّى بعبادة ربّه .

وبث ذلك في الرعية ، وأثبتته في النفوس مع قوة ضبطه وسرعة بطشه .  
فنافسه غالب ، لما رآه بطوي الدولة طيباً ، وينشئها خلقاً جديداً ،  
منسوباً إليه ، معروفاً باصطناعه ؛ فأضمر له الخديعة ، ورجا منه الإراحة ،  
وصانعه ، ومال في هواه ، ودعاه في إحدى غزواته ، وقد حل بظاهر  
مدينته المدعوة بأنثيسة من الثغر إلى وليمة أعدائها . فلما صعد القلعة في  
خيف من أصحابه ، وانفرد به ، شرع في عتابه ؛ ثم كرم عليه بسيفه ؛ فأصابه  
بجراح أبانت بعض أنامله ، وأثرت أثراً كبيراً بصدغه ؛ وفر أمامه ؛  
فأقبح فرسه مهدداً من أعلى القاعة ، أصاب عند استغراذه ساباط بناء نشب  
فيه ؛ وتخلّص جريحاً ، ونجا من ورطة كانت النجاة منها غريبة من  
آيات سَعْدِهِ .

وامتنع غالب بمقله ؛ وبادر المنصور إلى مدينة سالم ، حيث دار غالب  
وولده ؛ فسبق إليها الحبر ، وقد ضمن له كاتب غالب أمرها ؛ فاستولى  
عليها وعلى جميع ما كان له بها من مال ونعمة ؛ ففرّق ذلك كله في الجيش ،  
ولم يستأثر به ؛ وقفل إلى الحضرة . واستعاض غالب من ملوك النصارى  
وممن يرى رأيه في الخلاف على ابن أبي عامر . وكان غالب فارس الأندلس

من غير مدافع ، وأبأ الأبطال ، ومخرج الفرسان والشجعان ، وذمير  
الحروب . وبرز المنصور ؛ فأتيح لغالب الظفر عليه ؛ وكسر جيشه ،  
وأسر وزراءه ؛ وتكرّر ذلك حتى ظن بأن أبي عامر الإديار ، وهو مع ذلك  
جاد في مطالبه غالب ومعاودته ، إلى أن أراه الله ما لم يكن يحتسبه من  
آيات نصره .

قال المؤرخ : نهض ابن أبي عامر في جموعه إلى مدينة سالم للقائه غالب .  
وقد كان غرسية دخل إلى بلده عند حركة ابن أبي عامر ، ليدبّه عنه ،  
وهو يرى أنه قاصد لغاراته ؛ فلما استبان قصداه غالب ، خرج إليه في  
جمع من النصارى ، فيهم طائفة من البشكنش مع ابن ملكهم ردمير  
ابن شائجه المعروف بربي قرجه . فهد إليهم ابن أبي عامر إلى أنثيسة ،  
حتى نزل حصن شئت بجنت بالقرب من أنثيسة يوم الخميس لليلتين  
خلتا من المحرم سنة ٣٧١ .

وبرز له غالب ، وقد عبأ ابن أبي عامر عسكره أحسن تعبئة ؛ فصار  
في القلب مع الغلمان وطرائف جنود الحضرة ، وصير الوزير جعفر بن علي  
مع البرابر في الميمنة ، وأبأ الأخوص معن بن عبد العزيز التحيي وحسن  
ابن أحمد بن عبد الودود في معظم أهل الثغور في الميسرة ؛ فأطلقوا عقال  
الحرب يوم الخميس المذكور ويوم الجمعة ، وتواعدوا الصديق في غد يوم  
السبت ؛ وأفتروا على محاربة ؛ فأصبحوا يوم السبت لأربع خلون من  
المحرم على تعبئة ؛ ووقعت الحرب في كل جهة ، فاشتدت وحيت ؛  
وأقبل غالب لما متع الضحى من هذا اليوم على فرس له مذكور ، عليه  
درعه السابعة ، وعلى رأسه طشتان مذهب مرتفع السمك ، قد عصبه بعصابة  
حمراء أعلم بها ، وشده جبينه بعصابة أخرى ؛ وقد قارب في وقته الثمانين سنة ؛  
وحوله كبكبة من أنجاد غلثمانه وحماة رجاله ؛ فوقف ينظر في صفوف ابن  
أبي عامر مضعداً أو مصوباً ؛ ثم مال لمن حوله من هؤلاء ، وأشار إلى

الْمَيْمَنَةِ ؛ فَقِيلَ : « ابن الأندلسي والبرابرة ! » فقال : « الأعداد وراء القابلة ! شدوا عليهم بسم الله ! » فحمل عليهم حملة فضتهم فيها ، ولم يثبت قدأماهم أحد ؛ وانتقضت جلوتهم الميمنة . ثم عاد غالب إلى موقفه ؛ فقال : « من أولئك ؟ » وأشار إلى الميسرة ؛ فقيل له : « معن وصنيعتك ابن عبد الودود ، مع الجيران والصحابة ! » فقال : « الغادرون أولو القطيعة ! خضوهم على اسم الله بحملة ! » وشد عليهم ثانية كاللثيث العادي ؛ فانقلعوا قدأماهم طائرين ، لا يلوي أحد منهم على صاحبه . فاستوى له فض الجبهتين في وقت ، والقلب قائم مكانه . فضبطه ابن أبي عامر بهيبته ، وهو على أحر من الجمر ، يصفق بيده دهشاً ، ورجلاه تضطربان في ركبانه ، ينظر من أين يحاط به ، ولا يشك في حثفه ؛ وهو مع ذلك يظا من نفسه ، ويردّها على مكروها ، فيسكن جأشه .

وخرج غالب من غمرة الشدة الأخرى ؛ فخرج إلى موقفه ، وقال لأصحابه : « كيف ترون عاقبة الصبر ؟ قد كسرنا جناحي القوم ؛ وبقي القلب ؛ وإنما ثبت من فيه حياء من هذا الأحذب الملعون ( يعني ابن أبي عامر ) ! وليسوا ذوي حفاظ فما أخلقهم بإسلامه ! فاصدقوا الحملة عسى الله أن يكتن منهم بقدرته ! » ثم رفع يديه وقال : « اللهم ! إن كنت تعلم أن بقائي أصلح للمسلمين وأعود عليهم من نقاء محمد بن أبي عامر ، فأهلكه وانصرتني عليه ! وإن كان هو أولى بذلك مني ، فانصرتني علي وأرحني ! » فكانت مباهلة حكم الله فيها لمحمد . وحمل غالب على إثر ذلك ، وخوض القلب ، وخلط بين صفوفه ؛ وثار نفع عظيم ففقد فيه شخصه ، وسقط في مجال الخيل ؛ فعار فرسه ، وأصيب بجحلاً لجنتيه ، ميتاً ، لا أثر لشيء من السلاح في جسده . فقتل إن قنربوس سرجه الأندلسي — وكان شديد الإشراف عند تجافيه عنه بقوة ضربه — أصاب جانب قلبه . وقالوا غير ذلك ؛ فلم يتفقوا في سبب حثفه إلى اليوم .

وقد زعم قوم من غلبانه أنه عدل عنهم في أول هذه الصدمة عقب المباهلة ؛ فأمسكوا عنه ، ورأوا أنه يريد الحاجة ، وتوارى عنهم في وهدية ؛ فأبطأ ؛ فاستشرفوا حاله ؛ فوجدوه ساقطاً ميتاً ، لا حراك به وفرسه يعلك اللجام بقربه . فسقط في أيديهم ، وانحرفوا على وجوههم .

وسبق إلى ابن أبي عامر رجل من أصحاب غالب يبشره بهلاكه ؛ فلم يكن يصدق حتى جيء بيده ، وفيها خائفته ؛ ثم جيء برأسه . فخر ساجداً ؛ وكبر المسلمون تكبيراً خلع قلوب المشركين ، وولوا على وجوههم طائرين بكل سبيل ؛ ولم يكن لهم معرج على أنثيسة . وركب المسلمون أذبارهم ؛ فقتلوا منهم خلقاً عظيماً ، فيهم ري قرجه ؛ ونجا عرسية ، ولم يكر إلى بلاده . واستضاف ابن أبي عامر جيشه وبلاده وأمواله ليعلم أن الله على كل شيء قدير .

فلما استوسق له الأمر ، وتقررت له فوق المناير الألقاب ، وخضعت الرقاب ، أعمل الحيلة على جعفر بن علي بأن نادمه ليلة ، وأغض في هواه ، وتنازل إلى ما لم يعهد منه ، وسقاه ، وأغرى السقاة به ؛ ثم أرسد له في طريقه إلى منزله من ثار به وقتله ؛ ونادى بترات سالفة منسوبة إلى أيامه بإفريقية . ولم يعب ذلك عن أخيه ؛ فصرح به بما أوجب إسكانه وإزعاجه عن الأندلس إلى المشرق .

وكرر من بعد ذلك على ابن عم نفسه ابن أبي عامر . ولم يبق بداً بجذر بطشها إلا شئها ، ولا عيناً بريية نظرها إلا فقأها . ولما فرغ من أمر القصر ، سدا لأقفالها ، واستطاعاً مع الأنفاس لجريته حركاته ، وإذكاء بالعيون على من به ، واستناداً بسقائفه إلى ثقافته ، مع ير من به ، وإيجاب حقته ، وإسناء رزقه ، والغيرة على حرمة ، والصون لحشمته ، وحفظ رسومه ، ومواصلة تفقده ومطالعته ( فلم تفقد الخاصة ولا العامة ولا الأعلام ولا العمال في نيابته شيئاً من وظائف ملوكهم

وأبجنتهم ، بل عرفت الزيادة والتوسع ( والاضطلاع بأمور الدين والدنيا ، صرف سعيه إلى الجهاد ، وتمهيد البلاد ؛ فاستظهر بفُرسان الهيجاء ، وأبطال الكريمة ، وأعلام السُمرة من فُرسان الغرب كوزناتة الواردين على بابيه في سبيل الحسائف والدماء الواقعة بينهم وبين ناسهم ؛ فارتاش منهم بأجنحة وافية ، لم يستظهر قبضته ملكٌ بثليها ، ومغراوة وأزداجة وزناتة وحنهاجة . وانتفى الرجال ؛ فكان لا يلحق في ديوانه إلا من تقرر غناؤه ، وتحقق نفعه وكرام موقفيه . ودرت الفتوح ؛ فتعددت ممالكه وحشمه . واستكفى أمر العدو المغربي بني أخيه وولده وكبار ممالكه . فاستنزل حسن بن القاسم ، وجيء به إلى بابيه ، واستد بها سلطانه . وآثاره اليوم بعدوة مدينة فاس ومدينة سبتة شاهدة وبإذعان الأيام ناطقة . والله يؤتي ملكه من يشاء ! والله ذو الفضل العظيم !

وألح على ملوك قشتالة بالغزو والإضافة ، يوالي عليهم الصوائف والشواقي ، حتى أذعنوا من خطط الحسف لما لم يدعوا له قبلة ، ولا عرفوه في زمن تقدمه ، حتى لقد تقرب إليه بعضهم بإهداء ابنته ؛ فقبلها المنصور أحسن قبول ، وتزوجها ، وحسن إسلامها ؛ وكانت من خيرات نسائه ديناً متيناً وحسباً أصيلاً . وأولد منها ولده عبد الرحمن الملقب من أجل ذلك شنجول ( تصغير شنجو ) من أساء خؤولته . ولم تزل الأيام حتى ورد أبوها الملك على بابيه زائراً ومستصرخاً ؛ فخرج عبد الرحمن بن المنصور حفيد الملك الوارد ، ابن ابنته ، إلى لقائه بالجيش والأهبة المفضية ، طفلاً يرقد في السرّج ؛ فنزل جدّه إليه ، وقبل رجله وبدّه ، حسباً يأتي إن شاء الله ، حتى كان ذلك ممّا يتحدّث به في فنون السعد ومؤاناة الأيام .

وأخبار غزوات ابن أبي عامر وذكرها واحدة واحدة ممّا يطول الكتاب إن استوفيناها ، ونخرج عن الغرض فيه إن اتبعناه . وحسبه أن

دخل سمورة سنة ٣٧١ في غزوته الرابعة عنوة ، واستباحها وهدمها ، وهي دار الملك ومحل السلطان ؛ وسبى في غزوة شنت متكش بضعة عشر ألفاً من مختار السبي ؛ وما سما إليه من غزو مدينة شنت بأقرب قاصية بلاد غليسية وأعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الأندلس وما يتصل بها من الأرض الكبيرة .

وكانت على قدم الأيام مكان عزهم ، ومحل جمعهم وحجهم ، ومزارعهم ، قد سالتها الأيام منذ ألف عام لحج الروم إلى كنيسها من أقصى بلاد رومة لأجل القديس لقبر ياقب ( وهو تغيير اسم يعقوب ) أحد الحواريين الإثني عشر ؛ وكان هذا الحواري أخص الناس بالمسيح - صلوات الله عليه - والنصارى يسمونه أخاه للزومه إياه ولصوفيه . وزعم أهل التاريخ الرومي أنه أسقف بنت المقدس ، وساح في الأرض داعياً لمن فيها ، حتى انتهى إلى هذه القاصية . ولم يطع أحد من ملوك الإسلام في الوصول إليها لصعوبة مدخلها ، وبعد شقتها ، وخشن طرقها ؛ فخرج إليها المنصور في صائفة ٣٨٧ ، وهي غزوته الثامنة والأربعون ؛ وأخرج الأسطول يواجهه في غرضه من بحر المغرب ، وسبقه صاعداً إليه في نهر دويره من بوطقال ؛ فعبه به ، وعقد منه الجسر عليه للمحلة ؛ ثم قطع أرضين متباعدة الأقطار ، وعبر جملة من عظام الأنهار ، ووطئ بالحديد والفعلكة مسالك جبال شاحنة ارتقاها ، إلى أن بلغ البحر المحيط ، وأفضى إلى كبر إلبيا ، وهو آخر مشهد ياقب في الشهرة . وكان نزوله بشنت ياقب يوم الإثنين لليلتين خللتا من شعبان ؛ وقد فر من بها ، وهي خالية ؛ فغنم ما بها ، وهدم مبانيها ، وعفى آثارها . وكانت مصانعها آية من آيات الله في الأحكام والإتقان ؛ فتركت كأن لم تكن بالأمس . وأمر بصون القبر ودفع الأذى عنه . ولم يجد بالكنيسة إلا رجلاً واحداً من شيوخ الرهبان جالساً عند القبر ؛ فسأله عن مقامه ؛ فقال : « أوتس ياقب ! »

فأمر بحفظه والكف عنه .

وقفل إلى قرطبة ، وقد استصحب جملة من الملوك وأبنائها ، وبرز الناس إلى لقائه في عالم لا يحصيهم إلا مقدر أرزاقهم وآجالهم . وفي أول شوال من السنة ، عقد لهم مجالس جمّة لإحكام ما وصلوا إليه من السلم على حكمه . ثم أنفذ المنصور قاضيّه حمّاد بن عمر البكري مع القوم لاستيلاف الملك غرسيّة على ما التزمه من شروط ؛ وشهد عليه أهل ملته وبطانه بإطلاق أسرى المسلمين ؛ فنقد لذلك واقتضى ما توجّه إليه . وبلغت كسرى المنصور في هذه الغزاة إلى ألقى كسوة ؛ وهذا شيء يضيق عنه ساحة الملوك الذين دون ملوك بني مرين - أعزهم الله بنصره ! - فقد كانت الكسرى لأول هذه الدولة ، التي رفع الوزير المعظم ، معتمدنا بهذا الكتاب ، لواء الوفاء لها والذب عنها مذكرة بهذه العهود ومجددة لشأنها ، بحيث تنهم الحكاية ويقصر الوصف : يفاض في كلّ طبقة ما يناسبها عروضاً ثمينة وأصنافاً غالية ، وتلزم الكثير منها المراكب العتيقة والحلى الثقيلة والأموال المتعددة ، حتى لم يشذ من أجناسها فرد ، ولا خلا من صلاتها ببيت - حفظ الله رسوم المجدد بحفظها ، ولا أخلى صحائف الفخر من آثارها ، بمنته !

ومن لدن سنة ٣٨٨ ، صدر الأمر من المنصور بإعفاء الناس من إجبارهم على العزو ، استغناء بعدد الجيش ، واستظهاراً بأصيل العز . وأسمعهم الخطباء ذلك بإثر قراءة كُتب الفتح ، وعرفهم بأن من تطوّع خيراً ، فهو خير ، ومن خفّ إليه ، فمبرور ومأجور ، ومن تناقل ، فمعذور . فتمت على الناس النعمة .

ومن غرائب سعد ابن أبي عامر أن صاعداً بن الحسن ، نديم المنصور ، أهدى إليه أيتلاً سمّته على عادة أهل الأندلس ، وسمّاه غرسيّة بأمم العليج ملك الروم ، وأنفذه إلى القصر يوم السبت المنتصف من ربيع

الآخر سنة ٣٨٥ ؛ وكتب معه بهذه الأبيات متفائلاً : [ الكامل ]

يا حِرز كلِّ محوٍ وأمان كلِّ مُشرّدٍ ومُعز كلِّ مُدَلِّل  
يا سِلْك كلِّ فضيلةٍ ونِظام كلِّ جَزيلةٍ وثراء كلِّ مُعَبِّل  
عبدٌ جذبت بضبعه ورفعت من مِقداره أهدى إليك بأيل  
سَيْتُه غرسيّة وبَعَثَه في حبله كبا ينحّ تفأولي  
فلئن قبلت فتلك أنفُسُ مِنّةٍ أسدى بها ذو منحة وتطول  
فاتفق أن خيل المنصور لقيت النصراني جُزافاً ، وهو بتصيد ؛ فأمرته ، وجاءت به ؛ فكان من الاتفاق الذي عظم منه العجب .

ولم يباشر المنصور حرباً أشدّ عليه ، ولا أصعب مقاماً وأغلظ كربةً من حربه في غزاته صائفة سنة ٣٩٠ ؛ وقد كانت الهدنة امتدت وفترت خلق الشهامة ؛ وأنس الناس بالجمام . وتعاقدت ملوك النصارى ، واستجمعوا من كلّ أوب . واستقبلهم المنصور كفاحاً لغزوته هذه الصائفة المعروفة بغزوة جربيرة ؛ وذلك أن المنصور اقتحم قشتالة من ناحية مدينة سّاليم ؛ فوجد سانجه في جمعٍ عظيم ، يبعد عن الظن ، فيه سائر ملوك الجلالقة وقادتهم من حيز بنبلونة إلى أشتربة . ثم أقبل بهم سانجه حتى أزلهم جبل جربيرة بموسطة بلاده ؛ فاتخذهم معسكراً ؛ وكان نعم المراد لامتناعه وحصاته ، ولما وراه من الأعمال الواسعة التي لا تبعد من قبلها الميرة . وقد فوّض الجميع تديير الأمر إلى سانجه ، وتعاطوا على حسن الثبات ، وتحريم الفرار ، أغلظ العهود المؤكدة . فأثرف ابن أبي عامر من عظيم عساكرهم ، ووفور أعدادهم ، وحصانة مكانهم ، وإشرافه على من نازل بإزائهم ، وقوة انحدارهم على من دنا من كفاحهم ، واتساع المجال على فرسانهم ، وضيقه على من بإزائهم ، على ما هاله وأبهم فيه رأيه ؛ وفزع إلى مشاوره وزرائه القواد : فاختلفوا عليه .

وكانت المسلمين شائجة بنسرتة إلى الحرب قبل استيعاب النزول وإحكام التدبير ؛ فاشتبكت الحرب بكل جهة ، واشتعلت بكل ناحية ؛ وجميع عداة الله مراكبهم ؛ فدفعوا على الميمنة والميسرة دفعة واحدة فضوا بها تعبثهم جميعاً ؛ ثم تدارم حماة المسلمين ؛ فأحسنوا الثبات والكرّة . ودارت الحرب ملياً ؛ فصعبت الورطة . ونظر من خلف هؤلاء المحامين من المسلمين إلى ضحك المقاد ؛ فدهشوا ، وانحلت قلوبهم ، وقصر أكثرهم ، وعمل على الهروب معظمهم . ووقعت جولات بسائر جهاتهم ، كادت الفضيحة تقع معها ، والهزيمة تستمر بعدها ، لولا دفاع الله ، وكرم صبر المنصور ، وجودة ثباته ، مع قوة رعبه ، وفرط دهشه ، وتقلب كفيته كالخضب ، وشدة استرجاعه ، وتأوّه كالمسوت ، إلا أن الله أمدهم بنصره وبرجال أحسنوا الثبات ، وصلوا أوار الحرب حتى ردوا من بإزائهم . وأنس من خلفهم من المتجولين بفعلهم ؛ فكروا بعد القر ؛ ومنح الله النصر . وكان أظهر تلك العصاة الحامية عن الملة عبد الملك ابن المنصور إجماعاً غير نجليزية ، وإنصافاً لا محابة ؛ ومعه أبطال من أعلام المسلمين الأندلسيين والعديويين ، عامتهم فرسان البرابرة ، على أن الاسم منهم في هذا اليوم ذهب إلى كيدير الدمري الأبرص من كبار القواد وأحد ملوك بني كمر بالعدوة ، وكان له إقدام عظيم قتل في احتدامه ذلك أحد قواميس بني غوميس ، وجاء برأسه . فاستمرت الهزيمة على أثره . وما قصر عبد الرحمن بن المنصور في شدة الإقدام وثبتت المقام . وكانت حرباً عظيمة تعاص على الصفة .

حدث حيّان بن خلف بن حسين عن أبيه كاتب المنصور قال : لما اشتد الأمر ذلك اليوم ، برز المنصور على فرسه بأهل موكبته إلى تل يقرب من موضع المجاورة ويشرف على مكان الملحمة ، قائماً يمد أهل النواحي من حوله ، إلى أن اضطربت الميمنة ، فانكسرت ، وعظمت

الحيرة واستفحلت ، إلى أن انفص الناس عنه ، ولم ينظروا أمره ؛ وارتأى كل واحد منهم برأيه ، واستعد للإجفال وراءه ، حتى جعل كاتب المنصور عبد الملك بن إدريس الجزيري يقول لسعيد بن يوسف المعروف بابن القلينة : « هلم إلى التوديع يا شهيد ! » قطعاً على حلول المنيّة ؛ فكان مأثوراً بعد انقضاء اليوم .

قال خلف بن حسين : فنظر المنصور إلى جملة من معه فقال لي : « اعترض لي من بقي من أهل موكبتي ! » قلت : « أسئتهم لك : فلان وفلان ! » وعددت قوماً من خاصته نحو العشرين ؛ فرفع يده إلى السماء وقال : « اللهم إنهم خلّوني ! فانصرهم ! وأفردوني ! فاصحبهم ! » ودعا عبد الملك ولده ، وكان قائماً إلى جنبه ، يتلفت إلى الحرب ؛ فلا يأذن له أبوه ؛ فاستدناه ، ودّعه ، وجعل يقبل وجهه ، ونحيبه عالي ، وأرسله نحو الميمنة موطناً على فقده . ثم أرسل أخاه عبد الرحمن خلفه في جهة أخرى ، وتحول عن الفرس إلى العمارية عند استداد المحنة ؛ فركبها ، ولا يكاد يملك أطرافه زمعاً ورعشة ؛ وإنما ركبها توطناً لمن حوله عن ثبت مقامه . وكان إلى جنبه جملة من جنائبه ؛ فقال لي : « لا ترد عنها يداً ؛ فإنهم أولى بها من العدو ! » وظل قائماً في جمعه يستغيث الله ويناشده عهده ، والحرب تقوى ، والأمر يصعب ، إلى أن عن له مع اشتداد الإلزال رأي كان من أقوى أسباب الفتح .

وذلك أنه أمر برقع محلته عن الوهدة التي أعجله العدو عن الظهور منها إلى الربوة التي كان قائماً عليها ؛ فصاح ابن حوله في إنفاذ الثقل ، وأوعدهم على تأخيرهم ، وأحضّر خدماً مضرباً ، وجعل لهم على السبق به إلى ذلك التل جعلاً وإفراً . فوافقوا به لوقتهم حبلاً على الأعناق ، واستوى مضروباً لحينه . فلما عاين العدو شخصه ، سقط في أيديهم ، وعلّموا أن المسلمين قوة ووراءهم مدد ؛ فنكصوا عقب ذلك . واستمرت الهزيمة بهم ،

وركب المسلمون أكتافهم ، يقتلونهم كيف شاؤوا . ووجدت الجبال بأيدي أكثرهم ، قد أعدوها ليقروا أسرى المسلمين . فأخذ جميع ما في تحلّتهم من الكراع والسلاح والآنية . واثبتت الحيل منهنزمتهم فاسيخ ؛ فأصيب كثير من فرسانهم . ونصر الله المسلمين عليهم نصرأ ما سميع بأعظم منه . واستشهد في هذه الواقعة من صنوف المدونة وغيرهم أزيد من سبعمائة رجل . وذلك يوم الإثنين لست بقين من شعبان سنة ٣٩٠ .

ولم يخيم المنصور عن وجهته ؛ فأوغل في أرض قشتيلة . فدر ، ولم يبق ولا وذر . ثم خرج إلى سرقسطة ، وعقب منها إلى قشتيلة ؛ فاقتحمها يوم الفطر من هذه السنة ، ونصل منها إلى بنبلونة ؛ فأثر هناك آثاراً عظيمة . ولم يظهر إليه بالبلدين أحد . ثم قفل إلى قرطبة ؛ فوصل إلى مائة وتسعة أيام . وعقب المنصور على كافة جنده بما ظهر من نكوصهم ؛ وأمر كاتبه على الرسائل عبد الملك بن إدريس بإنشاء كلام انتسخه القواد ليقرؤوه على كافتهم . منه فصل :

« وكثيراً ما فرط من قولكم إنكم تجهلون قتال المعادل والحصون ، وتشاقون ملافاة الرجال الفحول ! فحين جاءكم سانجه بالأمية وقاتلكم بالشريطة ، أنكرتم ما عرفتم ، وناقرتم ما ألفتكم ، حتى فررتم فرار اليعافير من آساد الغيل ، وأجفلتم إجمال الرئال عن المفتنصين ! ولولا رجال منكم رخصوا عنكم العار ، وحرروا رقابكم من الذل ، لكانت من جماعتكم ، وسبب بالموجبده كافتكم ، وخرجت للإمام والأمة عن عهدتكم ، ونصحت المسلمين في الاستبدال بكم ! ولم أعدم من الله تعالى عاجل نصر وحسن عقبى ! فلا بد أن ينصر دينه من شاء ! »

وفي ذلك ، يقول صاعد يهنيء بهذا الفتح ؛ وهي من أفخر شعره :

[ الكامل ]

جددت شكري للهوى المتجدد وعهدت عندك منه ما لم يعهد

اليوم عاش الدين وأبتدأ الهدى غصاً وعاد الملك عذب المورد ووقفت في ثاني حنين وقفة فرأيت صنع الله يؤخذ باليد من فاته بدر وأدرك عمره جربير ففو من الرحيل الأسعد فوددت لو حتم القضاء بأنني في القوم أول طالع مستشهد ما استكين لروعة ومحمد وبنوه أنصار النبي محمد عهدي به والله ينظر صبره والموت بين مصوب ومصدق غطى عليه المشركون فلم يكن في القوم إلا صخرة في فدفد حتى تحصن بالملائكة التي حفنته بين معفر ومردد حملت ميامينهم عليك نشيجة كالسيل يحطم جليداً عن جليد ورأوك فارتدوا على أعقابهم مثل ارتداد تنفس المنتهد وركبت فلهم بكل مهتد يفضي به في الروع كل مهتد ما ناجزوك وفي الجوانح موضع لتصبر ومكانة لتجلد طال الشقاء عليهم وتبرموا بالجلش في الذل المقيم المقعد فتحالفوا لمحتث وتجمعوا لمفرق وتآلفوا لمبدد ثم واصل المنصور الغزوة بنفسه وولده ورجاله على سانجه ملك النصارى ، حتى أذن لاندأ بعقوه ؛ واستأذنته في القدوم عليه بنفسه ؛ فأدبه ، وسر بجيبه سروراً ما سر قط بمثله . فتقدم في الاستعداد له واستحضر طبقات الأولياء ؛ فوصل ثلاث خلون من رجب سنة ٣٨٢ . وأركب المنصور الجيوش والمطوعة لتلقاه في دخوله إلى قصر الزاهرة ؛ فكان يومه أحد أيام الدنيا الشهيرة ، حتى هبت الذي كفر ، ورأى من وفور المسلمين ، ونباهة أسلحتهم ، وجمال زيهم ، وكثرة عددهم ، ما لم يكن طائناً أن الدنيا تجمعهم ، ولا الأيام تحشده ، ولا الحرائ تكفه . ولقيه ولد المنصور عبد الرحمن حفيده من بنته ، كما قدمنا



ذكره ؛ وقد حَفَّ به وزراء السلطان ووجوه القواد وأكابر أهل الخدمة والممالك ، في أحسن زيٍّ وأكمل تعبيته . فلما وقعت عينه على الصبي ، ترجل ، وباس رجله ؛ فأمر بالركوب ، وأقبل معه إلى أبيه . وصار بين صبي حديد حفافتي الطريق أميالاً : ما ثم إلا الدروع السارية ، والجواشين المذهبة ، والأبطال قد لبسوا السوق والسواعد ، وأسبغوا الخلق ، وعلّقوا الدرق ، وخلّفهم صفوف الرثمة ، مشدوداً عليها المناطق المذهبة . والمليك الرومي يتلّسب الطرف ، قد غشى قلبه ذعراً ، إلى أن وصل إلى مجلس المنصور في الساعة السابعة من النهار ؛ وقد قعد له أفخم قعود ، وأعلى مرتبة ، مكثتفاً سريره بالوزراء وأعظم رجال الدولة ؛ وامتد الوفاء والصقالبة صفّين من باب المجلس إلى باب القصر . فحين وقعت عينه على المنصور بن أبي عامر ، أهوى إلى الأرض مقبلاً يُعيد ذلك مرّات ، وهو يستدنيه ، حتى قبل رجلتيه ويدّه . وأمر ؛ فألقي له كرمي مذهب قعد عليه ؛ وأشار ؛ فخرج الناس ، وخلاه قاضياً وطره من عدله ، والعليج يقابله بالاعتراف . ثم خرج وتبعه بالخلع السلطانية ؛ ومشت بين يديه المراكب والبروز . وما انقض المجلس إلا تحت جناح الليل .

ولما خض ابن أبي عامر شوكة النصارى بقشتالة وليون وما إلى ذلك الصقع ، صرف الوجه إلى غزو الفرنجة المتصلة بأرض إفرانسة ورومة ، وهي الأمة التي لا يطاق قتالها صبراً وسلاحاً وجفوة وكثرة . فدوّنوها ، ودخل برجلونة ؛ وكان بما اتخذ له لقتالهم القراميد التي تُغشى بها السواعد من الهند لتلقى بها الفرسان سيوف الفرنج من فوق رؤوسها ووجوهها ، وتفتّح بها الشدائد مفرجة بها .

وإن أطلعنا في أخبار ابن أبي عامر القول ، لم نَقِفْ عند غاية ؛ فقد أجمع المشيخة أنه نهض بجدي لا كفاءة له ، وأصبح سعداً لا تحس بخاطئه ،

وأعطي إقبالاً لا إداراً معه ؛ قد وثق بذلك ؛ فلم يلتفت إلى غيره . ولقد حذر يوماً من رجل يُنبز بالشؤم تعلّق به ، وقصّت عليه أخبار من شؤمه ؛ فقال المنصور : « لا مَرَحَباً بسعدي إن كان لا يعفني على شؤم هذا ومثله ! » فزعموا أن حال ذلك الرجل انتقلت بمعرفته إليه . وكان الناس يعجبون من نجاح رأيه كلّمّا ارتكب في الشورى مخالفة أو سلك مضاضة . وكان مهيباً وقوراً ؛ فإذا خلا ، كان أحسن الناس مجلساً ، وأبرهم بن يحضر مُنادماً ومؤانساً . وكان شديد القلق من التبسط عليه والدائّة والامتنان ، لا يغفرها زلّة ، ولا يحلم عنها جريرة ؛ ولم يكن يسامح في نقصان الهيبة وحفظ الطاعة أحداً من وَلَدٍ ولا ذي خاصّة ؛ دعاه ذلك إلى قتل ولده عبد الله صبراً بالسيف بما هو معروف . وحكاياته في هذا الباب شهيرة .

وكانت الجزالة والرجولة ثوبه الذي لم يجالعه إلى أن وصل إلى ربّه ، والحزم والحذر شعاره الذي لم يفارقه طول حياته ، والنصب والسهو شأنه في يومه وليله ، لا يُفضل لذة على لذة تديره وحلاوة نهيه وأمره ؛ فينقذ الأمور ، والكأس تدور ، والجبال للطرب تمور . زعموا أنه أكثر في ذلك ليلة على كاتيه الأخص عيسى بن سعيد ، وكان أوّل كاتب كتب له قبل ملكه ؛ فكان ينسبط عليه لسالف خدمته وقديم صحبته . فلما باعد بينه وبين شهوته ، وقطع به عن . . . ، قال : « اللهم غفراً ! إماً شراب ولذة ، وإما خدمة ومشقة ! فإذا عزمّت على صلة النهار بالليل ، فأسكت المسعة ولتَحْضُر الحريطة ! ثم مرّ بما شئت نغم به على الحقيقة ! فخلط الجِدُّ بالهزل مُفسدُه . وإنما نستجم بهذه الساعة الضيقة لقطع الأوقات الطويلة ! » فضحك المنصور وقال : « احجر يا عيسى ! وليس مثاً في شيء ؛ ومن عدل بالأمر والنهي لذة ، فقد انتفى من الذكورة ! » ثم

توفّر ببقية الليل على المناداة .

وحدث فتاه شعلة ملازمه ، قال : غلب عليّ السحر عند مولاي ، وقد اختلف ما بينه وبين الخليفة ؛ فكان يفرّ على الحرم ، ويصعد إلى قبته المسماة بلؤلؤة وغيرها من مستشرفاته ، يرعى النجوم ، وينفرد بنفسه ، ويكبّ على الفكرة ، والشعلة بين يديه ، والدّرج ملقّى على الدواة إلى جانبه ؛ فإذا تاب له رأي ، أثبتته ؛ ولا يزال كذلك إلى أن يدنو الفجر ؛ فيستلقي على مهادٍ يجده في كلّ وجهة من أماكن خلوته ؛ فلا يتحصل لأهله على الحقيقة مكان مرّقه ، ولا يزال قائماً على القدم حتى تدنّى منه سواكه ووضوءه ، ويؤذنه المؤذن بالصلاة ، فيقضيها ، ويربط الدّرج في منديل كتمه ، ويرفع الستّر عنه ؛ فيدخل من رسته البكور من الخاصة والوزراء والصحابة ؛ فينظرونهم فيما رسمه ليله ، ويأمر بتقيده ما شاء منه ، إلى أن يرتفع النهار ويجتمع الناس ؛ فيأخذ في النظر العام ، ويتناولني الدّرج ، فأقطع صغارا وأغرقة في ماء وردٍ بحضرة حتى تخفى أجزاؤه . ولقد قلت له ليلة : « قد أفرط مولانا في السهر ؛ وبدنه يحتاج إلى أكثر من هذا النوم ! وهو يعلم ما يحرك عليه السهر من علّة العصب ! » فقال : « يا شعلة ! حارس الدنيا لا ينام إذا نامت الرعية ! لو استوفيت نومي ، لما كان في دور هذا البلد عين نائمة ! ولو كنت من صاحب القصر ( وأشار إلى ناحية الخليفة ) على مثل مسافة بسطة ، لأحرمت النوم ! فكيف وإنما بيننا مدى صيحة ! »

وأما آثاره في بناء القصور ، وزيادة المسجد الجامع ، والجباب لسقي الناس ، وبنیان التناطير بنهر ريّ قرطبة وإسجة ، فأثار عظيمة ، ولو لم يكن من آثاره غير الزاهرة ذات القصور الفخمة ، والمنزهات المخترة .

وكان ، لشدة حذره من الحادث الواقع بعد دولته ، وتقية المكروه من جهة أهل بيت سلطانه ، قد اتخذ رجلاً ثبّاً أميناً جعله عيناً على من

بالمدينة من ولد الخلفاء ؛ وأمر المروانيين مع ذلك بلزوم منازلهم في المدينة ، وحظر عليهم الركوب والخروج رأساً إلا لضرورة ، ووكل بهم ثقات من مشيخة الفتيان الحكّمين على دواول متعاقبة ، يطالعون ما ينكرونه من أحوالهم ؛ وأخذهم بتفريق من حوّلهم إلا لمن يأذن فيه من غلام أو وكيل أو معلّم أو طبيب ، وحذرهم صحبة سواهم من الناس ، وألزمهم القصد في أمورهم والإقبال على ما يعينهم . وكان يأخذهم بالخروج معه إلى الغزوات ، حتى خشعوا ، واقتصروا على بيوتهم ، وأهملتهم أنفسهم . وكان له كاتب يدور في الدواوين يتوصّد ما يجري من قصّة أو يحدث بين ولائها من مناظرة ؛ فيثبت ذلك ، ويطالع به . وكان شأنه في الأخذ على المكشّين والمنسجّين ومن يئذّر بذكر قاطع على الدولة أو اقتراب من المؤدّة ؛ فكان يمتنع لذلك ، ويذهب فيه بقطع الأعناق والألسنة بعد العقاب الأليم . وكان أحرص الناس على التثبير والاعتار ، والمشاحة للعمال .

وعلى الجملة ، فكان نسيج وحده في صقه ؛ وقلّ أن يسمع بمثله في غيره . قال بعض من تعنى بأخباره : كان آية من آيات الله فطرة دهاء ومكر وسياسة ، عدّاً بالمصاحفة على الصقالبة حتى قتلهم ؛ ثمّ عدّاً بغالب على المصاحفة حتى قتلهم ؛ ثمّ عدّاً بجعفر بن الأندلسي على غالب حتى استراح منه ؛ ثمّ عدّاً بنفسه على جعفر حتى أهلكه . ثمّ انفرد بنفسه ، يتأدي صروف الدهر : هل من مبارز ؟ فليسا لم يجده ، حمل الدهر على حكمه ؛ فأنقاده وساعده ، واستقام له أمره منفرداً بسابقه لا يشاركه فيها غيره .

ومن أعجب أحواله أنه كان على بصيرة من أمره ، هائلاً بما ذخرت له الأيام في حداثة سنّه ؛ فكان يتكلم في ذلك بين أصحابه ولداً ، ويشير بما خبا الله له من عيبه . فحدث ابن أبي الفيّاض في كتابه قال : أخبرني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد ، قال : أخبرني محمد بن موسى بن عزرون ،

أي بيت الحاجب جعفر المصحفي .

قال : أخبرني أبي قال : « اجتمعنا يوماً في مُنتَزَهٍ لنا بجهة الناعورة بقرطبة ، ومعا ابن أبي عامر ، وهو في حدائقه ، وابن عمه عمر بن عسقلانة ، والكاتب ابن المار عزى ورجل يعرف ابن الحسن من جهة مائة . وكانت معنا سفرة فيها طعام . فقال المنصور ، من ذلك الكلام أرى أن يكون ينكم به : « لا بد لي أن أملك الأندلس ، وأقود العسكر ، وينفذ حكمي فيها ! » ونحن نضحك منه ، ونهزأ به . وقال : « تمسكوا علي ! » فقال ابن عمه : « نتمنى أن نتولى المدينة ! » وقال ابن المار عزى : « نتمنى أن نتولى السوق ! » وقال ابن الحسن : « أتمنى أن توليني القضاء بجهتي ! فإني أحب التين ، حتى أتشفى من أكل التين ! » قال موسى بن عزرون : وقال : « تمن أنت ! » فأسمعته كلاماً قبيحاً . فلم يك إلا أن صار الملك إليه ، فولى ابن عمه المدينة ، وبلغه أملاكه من ضرب الأبخار ، وولى ابن المار عزى السوق ، وكتب لابن الحسن بالقضاء عساه يشبع من التين . قال : « وأغرمتني أنا مالاً عظيماً ، أججفتني وأفقرتني لتيسر ما كنت جئت به . »

قلت : والشيء يذكر بالشيء . وقف عندي على هذه الحكاية الشيخ القاضي اليوم بغرناطة علي بن الحسن الملقب بجعسوس ، أطروفة الدنيا وأضحوكتها شكلاً وعلماً وخلقاً ؛ فحبها فرصة تفتن بضعف عقله ، وظهر له بسبب اشتراك اسمه مع ابن الحسن المذكور أن يتنسخ من هذا الكتاب عدة نسخ أنفق عليها ما تضيق عنه حاله الضعيفة . وجعل كلما فرغ من الكتاب ، باعه أو هداه ، لا يقف في ذلك عند حد ولا غاية . فقلت للكاتب ابن زمر كالمولع بالعبث به وحفظ نوادره : « ما ترى ما يذهب إليه أبو الحسن بن الحسن من اقتصاره على نسخ هذا الكتاب والاشتغال به عن ضرورياته ؟ » فقال لي : « إنه سمع الحديث

١ راجع « تاريخ قضاة الأندلس » لابن الحسن النباهي ، ص ٨١ .

« تزوجوا في مكاتير بكم الأمم » ؛ فقدّر ، جاريّاً على أفيسسته الفقهية ، أن كل مكاتير لشيء ما فهو مأجور . « فقلت له : « أجبر في الحديث بحضرة إذا جاء إلينا للطعام ! » ففعل ، فقال : « يا سيدي ! هو ذكر جميل ، وفيه فخّر للولد ! » فقلت : « سبحان الله ، وعلى قدر أن يكتب بظهر كل منسوخ عقد بآثك ابن الحسن ، وأن هذا جدك ! وأي فخّر فيمن تبين أن سبب طلبه القضاء الذي يستعني عنه أهل الفضل والورع هو حب التين والشبع من أرهاطه ! وهي شهوة يتوصل إليها في ساحلكم بيضة كجاجة أو كيمرة خبز ، لا بل بغير تمن ! وهلاً ، إذ ظهر له أن يذكر السبب ، قال : لنجري الأحكام بالحق وأن نتخذ الشهود وننظر في الأحباس الضائعة ، أو سكت وطلب القضاء فقط ! وأما جعل مثل هذا الوظيف الديني ذريعةً ووسيلةً إلى الشبع من التين ، فلا يقوم مدح صاحبه بالقضاء ، وتعرّفه ابن أبي عامر في وقت الحمول بمذمة النهم والحسة ! إنما كان الأمر يقرب لو قال المؤرخ : رغب أهل مائة في تقديمه أو استخار الخليفة الله ، فهده إليه ! ولو أدركت هذا الرجل الذي رغب في الخلاص إليه ، لتبته بطير العصور ! » ( وهو عندنا طائر معروف يأكل التين ) ؛ فقال : « يا سيدي ، ومتى ينظر أحد بنظر أو يعطي هذه الأشياء ما تعطىها من اعتبارك ؟ ما تمّ اليوم أحد من العلماء يصل بفكره إلى مثل هذا ! » فقال ابن زمر ك : « حضري أبيات أخطب بها سيدي الفقيه ! » فقلت : « افعل ! » فأنشده ، وهو من المستظرف في معناه :

أحافد عبد التين يملأ بطنه من التين والمسا (؟) لهم من غير لقد كنت قبل اليوم فيك محيراً إلى أن هديت الفكر مني للسير فقد طبت من طير العصور بنسبة فخرت بها بين القضاة على العيون

١ التصحيف ظاهر في الأصل .

فَأَنْتَ إِذَا مِنْ ذَرَقٍ جَدِّكَ نَابِتٍ كَمَا تَنْبِتُ الْأَشْجَارُ مِنْ ذَرَقِ الطَّيْرِ وَذَهَبْنَا فِي الدَّعَابَةِ كُلِّ مَذْهَبٍ وَحَرَدَ ، وَأَرَادَ أَنْ يُجِيبَهُ ؛ فَأَرْسَلَ عَلَيْهِ . وَالنَّوَادِرُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِذِكْرِ ابْنِ الْحَسَنِ هَذَا الْمَتَأَخَّرُ غَرِيبَةٌ جَدًّا ، قَدْ تَضَمَّنَهَا كِتَابُ يَسْمَى : « بَحْلُغُ الرُّسَنِ فِي التَّعْرِيفِ بِأَحْوَالِ ابْنِ الْحَسَنِ » ، بِمِثْلِ دُونََ الْمَمُولِيِّ السُّلْطَانِ الْمُقَدَّسِ أَبِي فَارِسَ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لَا شَيْءَ فَوْقَهُ فِي الطَّرَفِ وَالِاسْتِطْرَافِ ، بِسِلْيِ التَّكَالِي . وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى !

**رجع الحديث .** وكذلك كان المنصور أيضاً على علم من مدته ؛ فحدث أبو مروان [ ابن حبان ] عن أبيه ، عن أحمد بن سعيد بن حزنم وزير ابن أبي عامر ، الأخص به ، قال : كُنَّا مَعَهُ يَوْمًا بِالزَّوْ ( وَهُوَ مَرَكَبُ النَّزْهَةِ ) فِي الشَّهْرِ بَيْنَ يَدَيْ قَصْرِ الزَّاهِرَةِ ، فِي نَفَرٍ مِنْ خَاصَّتِهِ ، مِنْهُمْ أَبُو عُمَرَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حُدَيْرٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ يُصْعَدُ بَصْرَهُ وَيَصُوبُ فِي قُصُورِهِ بِالزَّاهِرَةِ ، وَمَصَانِعِهِ الْمُطْلِئَةِ ، وَمِبَانِيهِ الْمُشْرِفَةِ ، وَقَدْ قِيدَتْ الْأَحْطَاظُ حُسْنًا وَهَيْجَةً . فَقَالَ مُحَمَّدٌ : « وَاهَا لَكَ يَا زَاهِرَةُ الْحُسْنِ ! لَقَدْ جَمَلَ مَرَّاكَ ، وَرَأَى مَنَظْرُكَ ! فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ الْمُدِيرُ الْمَشْهُومُ الَّذِي يَهْدِمُكَ ! » قَالَ : فَاسْتَغْظَمْنَا مَا كَانَ مِنْهُ ، وَحَسَبْنَا أَنَّ التَّيْدَ عَمَلٌ فِيهِ . وَأَفْرَطَ أَبُو عَمَرَ فِي اسْتِنْكَارِ مَا جَاءَ بِهِ ، حَتَّى تَحَدَّاهُ بِالْقَوْلِ ، وَقَالَ لَهُ : « كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِهَذَا ، يَا أَبَا عَمَرَ ! وَهُوَ عِنْدَكَ وَعِنْدَ سَلَفِكَ عَنْ صَاحِبِكُمُ الْحَكَمِ كَالْحَتَمِ الْمُنْتَظَرِ ! وَلَكِنْ تَتَجَاهَلُ ! سَيُظْهِرُ عَلَيْهَا عَدُوُّنَا ، فَيَهْدِمُهَا ، وَيُلْقِي حِجَارَتَهَا فِي هَذَا النَّهْرِ ! » فَأَخَذْنَا فِي التَّعْلِيلِ لِهَذِهِ الْآثَارِ . وَقَالَ : كَانَ الْمَنْصُورُ يَعْلَمُ الَّذِي يَزُولُ أَمْرُهُمْ عَلَى يَدَيْهِ ، وَصِفَتَهُ بِمَا أَطْلَعَهُ مِنْ ذَلِكَ الْآثَارِ ، وَجَلِبَ أَحَادِيثَ . اخْتَصَرْنَاهُ .

وتوفي المنصور - رحمه الله - مُنْصَرَفًا عَنْ غَزْوَتِهِ إِلَى بَلَدِ ابْنِ غُومِسٍ صَاحِبِ قَسْتَالَةَ ، بِمَدِينَةِ سَالِمٍ ، الَّتِي بَنَاهَا بِوَادِي الْحِجَارَةِ مِنَ الثُّغَرِ ، وَسَيِّدَهَا ، وَأَقَامَهَا فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ ، مَحْمُولًا إِلَيْهَا مِنْ بَلَدِ الْحَرْبِ عَلَى

الرُّؤُوسِ ، عَزِيزًا ، عَلَى فَرَاشِ التَّجِلَّةِ وَالتَّكْرِمَةِ ، وَحِجَابِ الْمَلِكِ وَالْعَمَلِ الْمُخْتَوَمِ بِالْجِهَادِ ، لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ ٣٩٢ . وَذُفِنَ بِصَحْنٍ قَصْرُهَا . وَقَبْرُهُ هُنَاكَ مَعْرُوفٌ ؛ أَخْبَرَنِي بِهِ بَعْضُ الطَّلَبَةِ مِمَّنْ وَجَّهَتْهُ لَتَأْكِيدِ عَقْدِ الصُّلْحِ مَعَ صَاحِبِ قَسْتَالَةَ ؛ فَدَخَلَ مَدِينَةَ سَالِمٍ فِي طَرِيقِهِ ، وَقَدْ أَوْصِيَهُ بِذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّ رُسُومَهُ مِنْ شِعْرِ مَنَقُوشٍ وَتَأْوِيلِهِ مَكْتُوبٍ وَأَمْرِهِ مُتَوَّجٌ بِهِ مَفْقُودَةٌ .

وحدثت من سمعه يوصي ابنه عبد الملك في مرضه الذي مات فيه ؛ فقال له : « يَا بُنَيَّ ! لَسْتُ تَجِدُ أَنْصَحَ لَكَ وَلَا أَشْفَقَ عَلَيْكَ مِنِّي فَلَا تُعَدِّينِ وَصِيَّتِي ؛ فَقَدْ جَرَّدْتُ لَكَ رَأْيِي وَرَوَيْتِي عَلَى حِينِ اجْتِمَاعٍ مِنْ ذَهْنِي . فَاجْعَلْهَا مِثْلًا بَيْنَ عَيْنَيْكَ . وَقَدْ وَطَّأْتُ لَكَ مِهَادَ الدَّوْلَةِ ، وَعَدَلْتُ لَكَ طَبَقَاتِ أَوْلِيَائِهَا ، وَتَمَارِطُ لَكَ بَيْنَ الْمَمْلَكَةِ وَخَرَجِهَا ، وَاسْتَكْتَوْتُ لَكَ مِنْ أَطْعِمَتِهَا وَعُدَدِهَا ، وَخَلَقْتُ لَكَ جَبَابَةً تَزِيدُ عَلَى مَا يَقُولُكَ بِجِشِكَ وَبِنَفَقَتِكَ . فَلَا تُطْلِقْ يَدَكَ فِي الْإِنْفَاقِ ، وَلَا تُقَيِّضْ لَطَلَمَةَ الْعُمَالِ ؛ فَيَخْتَلِ أَمْرُكَ سَرِيعًا ؛ فَكُلُّ سَرَفٍ رَاجِعٌ إِلَى اخْتِلَالٍ لَا تَحَالَةَ ! فَاقْصِدْ فِي أَمْرِكَ جَهْدَكَ ، وَاسْتَنْبِطْ فِيمَا يَرْفَعُ إِلَيْكَ أَهْلُ الْبَطَالَةِ . وَالرَّعِيَّةُ ، فَقَدْ اسْتَقْصَيْتُ لَكَ تَقْوِيمَهَا ؛ وَأَعْظَمْتُ مِنْهَا أَنْ تَأْمَنَ الْبَادِرَةُ ، وَتَسْكُنَ إِلَى لَيْلِ الْجَنْبَةِ . وَصَاحِبُ الْقَصْرِ قَدْ عَلِمْتَ مَذْهَبَهُ وَأَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِهِ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ ، وَالْآفَةُ مِمَّنْ يَتَوَلَّاهُ وَيَتَلَمَّسُ الْوُثُوبَ بِأَسْمِهِ ؛ فَلَا تَمُتْ عَنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ جَمْلَةً ، وَلَا تَرْفَعْ عَنْهَا سُوءَ الظَّنِّ وَالتَّهْمَةَ ؛ وَعَاجِلُهَا مِنْ خِفَتِهِ عَلَى أَقْلٍ بَادِرَةٍ ، مَعَ قِيَامِكَ بِحَقِّ صَاحِبِ الْقَصْرِ عَلَى أَمْرٍ وَجْهِ . فَلَيْسَ لَكَ وَلَا لِأَوْلِيَائِكَ شَيْءٌ يَقِيكُمْ الْحِنْتُ فِي بَيْنِ بَيْعَتِهِ إِلَّا مَا تَقِيهِمْ لَوْلِيَّيَا مِنْ هَذِهِ التَّفَقُّةِ . وَأَمَّا الْإِنْفِرَادُ بِالتَّدْبِيرِ دُونَهُ ، مَعَ مَا بَدَّوْنَهُ مِنْ جَهْلِهِ وَعَجْزِهِ عَنْهُ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنِّي وَإِلَيْكَ مِنْهُ فِي سَعَةٍ مَا تَسْكُنُنَا بِالْكِتَابِ

١ راجع ابن حبان في « ذخيرة » ابن بشام ( ج ١ / ٤ ، ص ٥٦ - ٥٨ ) .

والسنة . والمال المخزون عند والدك هو ذخيرة تملكك ، وعدة حاجة تنزل بك . فأقيم مقام الجارية من جنارك التي لا تبدلها إلا عند الشدة ، تخاف منها على سائر جسدك . وأخوك عبد الرحمن ، قد صيرت له في حياتي ما رجوت أني قد خرجت له فيه عن حقه من ميراثي ، وأخرجته عن ولاية الثغر لئلا يجيد العدو مساعاً بينكما في خلاف وصيتي ، فأسرع ذلك في نقض أمري ، ويجلب الفاقة إلى دولتي . وقد كفيك الحيرة فيه ؛ فاكفني الحيف منك عليه . وكذلك سائر أهلِكَ فيما صنعت فيهم بحسب ما قررت به خلاصي من مال الله الذي بيدك . وخلافتك بعدي أجدي عليهم بما صرفته إليهم ؛ فلا تضيع أمر جميعهم ، والحظنهم بعيني ؛ فإنك أبوهم بعدي . فخرج ذكورهم باستخدامك ، وألحف إنائهم جناحك ، جبر الله جماعتهم ، وأحسن الخلافة عليهم . وإن انقادت إليك الأمور بالحضرة ، فهذا وجه العمل ؛ وإن اعتاصت عليك ، فلا تلتقن بيدك إلقاء الأمة ، ولا تبطر بك وبأصحابك النعمة والسلامة ، فتنسوا آمالك في بطون بني أمية وشيعتهم بقرطبة ؛ فإن قاومت من توثب عليك منهم ، فلا تذهل عن الحزم فيهم ؛ وإن خفت الضعف ، فانتبه بخاصتك وغلمانك إلى بعض المعاقل التي حصنتها لك . واختير عندك إن أنكرت يومك . وإياك أن تضع يدك في يد مرواني ما طاوعتك بنائك ؛ فإني أعرف ذنبي إليهم ! »

قال : وسمعت يقول لغلمانه عند هذه الوصية : « تنبّهوا لأمركم ، واحفظوا نعمة الله عليكم في طاعة عبد الملك أخيك ومولاكم ، ولا تغرؤكم بوارق بني أمية ، ومواعيد من يطلب منهم ستاتكم . وقدروا ما في قلوبهم وقلوب شيعتهم من الحقد عليكم ؛ فليس يرأسكم بعدي أشق عليكم من ولدي . وملاك أمركم أن تنسوا الأحقاد ، وأن تكونوا كرجل واحد ؛ فإنه لا يفل فيكم ! »

وانصرف المظفر لشأنه ، وضبط سلطانه ؛ وتخلّف المنصور ، ينازع من أجله ، وانفراد به عليه ، قد قطع الدهر به عن أمه ، فسبحان الحي الباقي لا إله إلا هو !

قلت : ولم نطيل القول فيما اختص بدولة هشام بن الحكم المؤيد بالله ، وكفالة المنصور ابن أبي عامر إياه ، إلا لكونه أشبه الأحوال بما نحن فيه من جهة اتّفاق الخواص على مبايعة صبي لم يبلغ الحلم ، وفي قطر يقتدي الناس بأعلامه وأحكامه ، والتعويل في ذلك الرسم الإمامي على من يتولى وزارة التفويض ، وشأنها معروف ، إذ تعذر وجود جميع الشروط المعتبرة ، ووجب مراعاة حال المصلحة المقدرة ، لا سيما ومن هذه النيابة فقد عدم المطعن فيه عدالة وكفاية ، وتمثت أمور المسلمين بذلك أحسن ما مسّت فيما سلف من الأزمان ، وكونه عند من اقتصر عليه وأعطى حقة يمينه فيه بما اقتضاه الاجتهاد الوقفي ، وغير ذلك من المناسبات ؛ فلذلك مددنا القول فيه لكي يعتضد الشكل بشكله ، ويأنس صاحب هذه الوظيفة الشرعية بذكر سير مثله ؛ فيجتهد ليراعي في فضله وعدله ، وينكب عما أنكر عليه من قبله فيجيد عن سبله ، بقدر نبله . والله يجعلنا ممن قصد الخير في أمره كله ، بقدرته وعونه وحوّله ! وفي آخر الكتاب عند الوزان ، والكلام في الزمان والمكان ، وفضل الدولة المرينية بالبرهان ، نستوفي ما نريده من هذا الشأن ، بمشيئة الله .

## دولة المظفر عبد الملك

### ابن المنصور محمد بن أبي عامر

وصار الأمر بعد محمد بن أبي عامر لولده عبد الملك ، الملقب بالمظفر سيف الدولة ، يوم الإثنين لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ٣٩٢ .

وخاطبَ الأقطار بالمغرب والأندلس، يعرف الناس بوفاء أبيه، وربما تصير له من أمره؛ فاستوسق له الأمر، ولم يخالفه أحد. واجتمع الناس على حبه. كان مع كلِّه بالبيد، واستغراقه فيه، مراقباً لله، محباً للصلح، يظهر العدل، ويحمي الشرع، وينصر المظلوم، ويوفي بالرعية، ويقمع عدو الدين. وبالكثيرة شعري إلى أين يذهب الناس بعد هذا وما الذي يريدونه! وكان ممّا تقرب به إلى قلوب الناس إسقاطُ سدس الجباية عن جميع البلاد. وابتدأ من الحد الذي وقف فيه أبوه، تزامياً بهيئته العالية وآماله الشريفة.

قالوا: كان عبد الملك أسعد مولى ولد بالأندلس على نفسه وأبيه وغيرهما؛ فجدد الألقاب، واقتنى الرسوم. فلقد ذكر أن المنصور توفي عن ألقاب عديدة من ألقاب الطبقات من بابه من الفقهاء والعلماء والكتّاب والشعراء والأطباء والمتجملين؛ فلم يكونوا أوقرّ عددًا ولا أسمى أرزاقاً منهم في أيامه، مع عدم التلبس بشيء من أمرهم، إذ كان مقتصرًا على شأنه من التجنّد والعمل بالسلّاح، حفظاً للرسوم، والناساً لحيل الذكّر، وحرصاً على التزيّد والشفوف على غيره. وكان مثلاً في الحياء والشجاعة، إذ ما كان عند الحياء والحشمة بكراً عزيزة، وفي مواقف الكريمة أسداً ورّداً، لا يقوم له شيء إلا خطمه.

قال أبو مروان في «الكتاب المتين»، فقال يصف مدته: انصب منه الإقبال والتأييد على دولته انصباباً ما عهد مثله في دولة. وسكن الناس منه إلى عفاف، ونزاهة، ونقي سريرة، ووثوق في بعد همته، اطمانوا بها إلى جنبه في السر والعلانية؛ فباحوا بالنعم، واستثاروا الكنوز، وتناهوا في الأحوال، وتناغوا في المكاسب، وتحاسدوا في اقتناء الأصول وابتناء القصور، وغالوا في الفرش والأمتعة، واستفروها المراكب والعلمان، وغالوا في الجوّاري والقيان؛ فسَمَت أمان ذلك في تلك

المدّة. وبلغت الأندلس فيها الحد الذي فاق الكمال؛ فمهد تلك الدولة في احتشاد النعم عندها، وارتفاع حوادث الغير عنها، نذراً لerman قضاء، وأسبوعاً بعمره تملأه في كنف ملك مفتبيل السعد، ميمون الطائر، غافل عن الأيام، مسرور بما تنافس فيه رعيته من زخرف دنياها. فاجتمع الناس على حبه، ولم يدهنوا في طاعته. ورضي بالعافية منهم؛ وآتوه إياها. فصفا عيشه، وانشرح قلبه، وخلّصه الله من الفتن.

وقال في إطراد دينه: كان في سر أمره عفيفاً متواضعاً على رفعة حاله، يبكي على ذنبه، ومحبة الصالحين، ويستهدي أذعيتهم. وذكر لقاءه لولي الله على عهده أبي أيوب الفريشي - نفع الله به -؛ ثم قال: وحكى الأستاذ أبو القاسم المقرئ، فقال: طرقة عبد الملك ليلاً؛ وأحسننا بذلك لقربنا من منزله الشيخ؛ فامتلت المقبرة بحيل المظفر، وقصد باب الشيخ في خيف من غلمان، والقاضي أبو العباس بن دكتوان معه؛ ففرع الباب عليه، وهو قائم يصلي؛ فأدنته زوجته بمكانه؛ وكانت فاضلة؛ وقالت: «يا أبا أيوب أوجيز في حلاتك! فهذا صاحب البلد واقف على بابك، ينبغي الدخول عليك! فانظر ما جناه عليك ابن...!» فانصرف، وقال لها: «يا هذه بلوى حلت تستدفع بالصبر! ائذني له! وقانا الله فتنته!» فدخل وكلّمه؛ فوعظه؛ ثم تناول كفه مصافحاً، فقال له: «يا مظفر! إن لك كفاً ناعمة رخصة. فائق الله عليهما من لفتح الجحيم!» فأقبل عبد الملك على البكاء والنحيب؛ ثم دعا له ويدّه في يده؛ فقال: «بسطة الله في الجهاد وأطالها بالصدقة! ما يبئلغني عنك بنعمة الله عليك إلا ما يسر! وقد وجب علي نصحك: فائق الله ربك فيمن استرعيت أمرهم، وتذكر من بعد عنك وعجز عن قصدك! فاكشف عن مظالمهم جهنمك، وتوق سوء دعائهم ما استطعت، واحترس من

١ ياض في الأصل. ولله «ابن الفاعة».

بطانتك أشد من عدوك ! فإنهم أقرب إلى ضرك ، يُزَيِّنون لك شهواتك لينالوا رضاك ، ولا يغنون عنك من الله شيئاً . والله الله في الجهاد ! فيه أعز الله أباك - رحمة الله عليه وعليك - بإصلاح السبيل ؛ فهي أهم ما ترك إليك . وتقوى الله أوّل وأخير ما أوصيك به ؛ فاسعروها قلبك ؛ فإنك تأتي إليه وحداك ، ولا يعني عنك أحد شيئاً ! » في كلام نحو هذا .

وذكر أن المظفر أرسل إليه بكرة من خمسمائة دينار وقال : « إنها من أطيب ترائي ! وأريد أن تضعها بكان ينفع ! » فقال : « ما أعلم إلا إمام المسجد هذا لبست له دار . فإن شاء أن يشتري بها داراً يوقفها على أئمة المسجد ، فنعماً هي ؛ وإلا فهو أعلم بصدقته ! » فأمر عبد الملك بذلك ؛ فالدائر تُعرَف بهذا من يومئذ .

قال : وكان بما سلك فيه عبد الملك مسلك والده من الأعمال الزكية نظّره في السجون وكشفه عمّن طال منهم سجنه وتعذر خلاصه ؛ فيطلى من يؤمن إضراره بالمسلمين ويُرَجى سيّاهم .

قال : وكان عبد الملك لصحة عقده ، مع قلّة عقله ، لا يحلف بالله البتّة ، ولا يحلف به تعظيماً لله . كتب عنه الكاتب يوماً شيئاً من ذلك في وعيد ؛ فلما مرّ بسمعه ، أنكره ، وأمر بمحو اليمين ؛ وقال للكاتب : « ومهما عهدتني خلافاً ؟ » قلت : « وقد ذكر الناس ذلك في مناقب أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه .

وذكر أن عبد الملك كان أبرّ خلق الله بالدين . وحكى عنه في ذلك خلقاً شريفاً ألّفه الله رضوانه . وذكر حياته وعفته ؛ فقال : كان لا يكاد يرفع طرفه إلى سائل ولا معذور حياة ورقّة . وكان أعف خلق الله إزاراً ، وأستترهم لعورتهم ، وأبعدهم عن جميع ما يتدنّس في الملوك من وهنة وعهر خلوة . وأجرى شجاعته ؛ فقال : وهذه خلّة كانت أغلب خلل الظفر عليه ؛ فحكى عن الوزير حكّم بن بدّز أنه أجرى لمحمّد بن

علي بن محمّد بن خزّار المغربي ، عظيم زناة ، مفتخراً به للعصيّة الأندلسيّة بعد موته بزمان ؛ فقال : « لا تشك » ، يا أبا العاصي ، في أنّه لم يكن في عسكره فارس يعدله البتّة .

قال ابن حبان : وكان من أحسن الغرائز في الناس ما جمع الله فيه من الحياء والشجاعة . فلقد استحق وصف القائل :

فتى هو أحيى من فتاة حيية وأشجع من ليث بخفان خادر  
ثم تكلم في سعدة ويؤمن سلطانه ، وتلكه ، ورهائيه ، ومبانيه  
وآثاره ؛ فجاء ببدعات تحسدها الرمم البالية والدول الخالية . فيا ما أحسن الذكّر الجميل في بطون الأوراق ، والمحاسن تنشأ بالأندلس ، ثم تطير إلى الشام والعراق ! وسبحان الذي يقول ، حكاية عن نبيه ( واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم . ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ) .

وله في الرّوم وسيل الجهاد آثار كريمة : غزا سبع غزوات ، منها إلى برجلونة وبلاد الفرجة ، ومنها إلى بنبلونة ، ومنها إلى غليسيّة ؛ ومنها غزوة الحريقة ؛ ومنها غزوة قلونية ؛ وآخرها التي مات قافلاً عنها . وفي سنة ٣٩٤هـ ، تناهى ملكه ، واحتكمت إليه ملوك النصارى فيما شجر بينهم . وما رى في أمراء الجيوش أبسط يد في الحركات الجهاديّة ، ولا أرعد معونة من المظفر . ولقد كان يفيض العطاء في المطوعة التي تعبر البحر للجهاد معه من أرض العدة وجبال البرابرة . وعهد في غزواته التي فتح فيها حصن منحص من ثغر برجلونة إلى الخزان بتوزيع خمسة آلاف درع وخمسة آلاف بيضة وخمسة آلاف مفر على طبقات الأجناد الدارين .

وفي سنة ٣٩٨ ، استدعى الخليفة إلى قصره بالزاهرة لتزهة أنشأها هنالك في قصوره ؛ فركب إليها من قصر الخلافة على سبيله المعهودة من الاستخفاء عن أعين الناس وطردهم عن طريقه بكل جهة ؛ والحاجب المظفر بين يديه في الجيش على العادة . وفاوض عبد الملك فيما أراده وتمتع من لقائه ؛ فلما انصرف من عنده ، أتبعه رُقعة بخطه ؛ وهي بعد بسم الله :  
« من الخليفة هشام المؤيد بالله .

بسم الله الرحمن الرحيم .

أتم الله عليك نعمته ، وهنالك قيسمه ، وألبسك عفوّه وعافيته ، لما رأيناك - سلمك الله - من صنع الله الجسيم ، وفضله العظيم ، لنا عليك ما شفى الصدور وأقرّ العيون ، استخرنا الله تعالى في أن سميناك المظفر . فنسأل الله سؤال إلحاف وضراعة وابتهاال إليه أن يعرّفنا وإياك بركة هذا الاسم ، ويحلّيك معناه ، ويعطينا وإياك وكافّة المسلمين فضل ما حملت منه ، وأن يخيّر لنا ولهم في أقضيته ، ويقرّنه بيمنه وسعادته بمنه وخفي صنع . وكذلك أجبناك التكنّي في مجالسنا ومحافلنا ، وفي الكتب الجارية منك وإليك في أعمال سلطاننا وسائر ما يجري فيه اسمك معنا ودوننا ، إنفاقه بحلّك لديّنا ، ودلالة على مكانك منّا . وكذلك ما شرفنا فتاك أبا عامر محمّد بن المظفر ثلاثاً أسعده الله بالإنباض إلى خطّة الوزارةتين ، وجمعناه بها في التكنّي على المشيخة والترتيب . إثرك في الدولة . وأنت الحقيق منّا بذلك كله ، وبجميل المزيد عليه ، لأنك تربيتنا ، وسيف دولتنا ، وولي دعوتنا ، ونش نعمتنا ، وخريج أدبنا . فأظهر ما جدّدناه لك في الموالى وأهل الخدمة ، واكتب به إلى أقطار المملكة ، وتصدّقه بشكر النعمة ! أحسن الله توفيقك ، ومتّعنا طويلاً بمعافاتك ، وآنسنا ملياً بدوام سلامتك ! إنّه ولي قادر ، عزيز قاهر ، إن شاء الله تعالى !

وعنوان ما كتب به عبد الملك : « من الحاجب المظفر سيف الدولة أبي مروان عبد الملك بن المنصور . »

وكان عبد الملك قد أجحف بالمال لانطلاق يديه في حاصله ، والتوسعة على الناس بسدسه ، وكثرة حركاته ، والتجاوز في نفقاته . ثم تاب في أخريات أيامه ؛ فهجر الله والراحة ، واستيقظ من الغلة ، وعكف على مباشرة أمره ، والإشراف على سلطانه ، وإحياء رسم والده . فانقلب إلى طرف من حاله ، حسم به أطباع العيال ووالى الجلوس للكشف عليهم ؛ فتضافت رغبته وحرصه ، وتراحت أحواله المالية إلى الصلاح والوفور . وبلغ من ذلك في المدة القصيرة ما رجيت بعده الثروة ، وحسنت العاقبة . وقضى الله باحترامه عند ترقّيه في ذلك أسد ما كان في رأيه وأضبط ما كان لشأنه ؛ فمضى حميداً .

وكان قد اعتل في منصرفه من غزوته بالصائفة سنة ٣٩٨ عن بلاد سنانجه ابن عرسيّة ؛ ووصل الحضرة منتصف المحرم في عتاييل عيلته متحدّثاً بالانكفاء إلى أرضه ؛ فلم يستقرّ بقرطبة إلا ريثما تراجعت قوتنه إلى أن صحّ عزمه على مفاجأة العدو بالشانية ؛ فخرج من قرطبة للنصف من صفر سنة ٣٩٩ ؛ فزاد به مرض الذبحة . ووقع العمل على إعادته إلى قصره في العماريّة . فكانت وفاته بها في الطريق قبالة دير أرميلاط من أحواز قرطبة - رحمة الله عليه - يوم الجمعة لإثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ٣٩٩ . وولي الأمر بعده أخوه عبد الرحمن بن المنصور .

## دولة عبد الرحمن بن المنصور

محمد بن أبي عامر

ولما دخل المظفر قصر الزاهرة ميّناً ، وقد كان أخوه ضبطه مستخلفاً



عنه ، فقام بالأمر ، وأنفق الأموال ، وثقف المدينة ، وجلس مجلس أخيه . ودخل الناس عليه مهتئين . ثم ركب إلى قصر الخليفة ؛ فعزاه بأخيه ؛ وانصرف ، وقد خلع عليه خلعاً سلطانيةً ، وقلّده الحجابة ، وأصدر له بخطه تسميته بالمأمون . فتلقّب بالناصر ، ثمّ بالمأمون . فكان يدعى بالخاجب الأعلى المأمون ناصر الدولة . وساء تصرّفه ؛ وانتهى إليه ملك الدس : وإذا أراد الله أمراً هيئ أسبابه ؛ وسلك خلاف مسلك أبيه وأخيه في مداخله الخليفة والوقوف في أمره عند ضرورة السياسة ؛ فتفق إليه ، وفتح الباب إلى تفسير أغراضه ، واستأله ، وخلطه بنفسه ، وطرده العمل في استدعائه إلى الشّهوة على رأسه من الحجة عن الرعيّة . وكان رأسه أن يكسّى برؤساً في جملة الجوّاري ؛ فلا يُعرّف منهن . وأوعز بالاحتفال له .

وسوّلت لعبد الرحمن نفسه أن يلتمس ولاية عهد هشام ، والقيام بأمر المسلمين من بعده ، إذ كان هشام قد عدم الولد ضعفاً ومهانةً ؛ فأسغفّه بذلك ، مثيراً على نفسه الفاقرة ؛ فإنّ المروانيين من أهل بيته كانوا يرتّبون عادة الدهر بالكرّة التي تُعيد الأمر إليهم منسلخاً عن العامريّة ؛ فهم يتعلّقون بالأحلام ، وأضغاث المنام ، ويزجرون ساعات الأيّام . فلما رأوا انصراف العهد إلى بني أبي عامر ، وخروجه عن بني مروان ، بكتوا ما لا يسعه ذرع التحمل . وشرع رجالهم في مبادرة الأمر واستأله من دونه ؛ وقد جبّل الله أهل قرطبة على ملل ملوكها ، والقلق بذوي أمرها ، والإرجاف بما يتوقع لها . وكان سفهاؤهم بالأسواق والمجاميع غير المحتشمة تؤثر عنهم في العامريين نوادر حارّة واستراحات عنهم ؛ كان المنصور وولده المظفر يستحضر لذلك مشيختهم ، ثمّهم بإنهاء وعيده ، وينشأهم بإنكاره ؛ ولا يزال حكّامه يبلغون في تغيير ذلك وإنكاره أقصى المبالغ ضرباً للظهور ، وقطعاً للألسنة . فلمّا ذهب عبد الرحمن هذا المذهب ، وأطاع هذا الحرّق ، كثر الحمل ، وشهرت البغضة .

قال أبو مروان بن حيّان : وقد تقدّم القول في سبب تعلق هذا الجاهل بدعوى الخلافة عجريةً من غير تأويل ولا عقيدة ، وكيف استهواه كيد الشيطان ، وعثرته قوة السلطان إلى أن ركبها عمياء مظلمة ، لم يشاور فيها نصيحاً ، ولا فكّر في عاقبة ، بل جبرها بالعجلة . ولم يهل الخليفة بعد منصرفهم من نزهتهم التي أوقعوا فيها هذه الوهلة ، حتى غدا عليه اليوم الرابع في جيوشه المتكاثفة وعدده المتظاهرة ؛ فأخذ عليه أنقاب قصر الخلافة ، بعد أن أحضر من شاء من طبقات أهل الحضرة ؛ فأجلس لهم هناك ، وأشهدهم فيما أمضاه من الولاية . وأخرج كتاباً قريء بحضرته من إنشاء كاتب الرسائل أبي حفص أحمد بن بُرد - رحمه الله .

وهذه نسخة العهد بالبيعة :

« هذا ما عهد به أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله - أطال الله بقاءه - إلى الناس عامّةً ، وعاهد الله عليه من نفسه خاصّةً ، وأعطى عليه صفقة يمينه ببيعة تامّة ، بعد أن أمعن النظر ، وأطال الاستخارة ، وأهمّه ما جعله الله إليه من إمامة المسلمين ، وخصّه به من إمرة المؤمنين ، واتقّى حلول القدر بما لا يؤمن ، وخاف نزول القضاء بما لا يضرّف ، وخشي أن هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدور ذلك به ، ولم يرفع لهذه الأمّة علماً تأوي إليه ، ولم يوردها ملجأ تنعطف عليه ، أن يكون يلقي الله مفراً فيها ، ساهياً عن أداء الحق إليها . ونقض عن ذلك طبقات الرجال من أحياء قريش وغيرها ممن يستحق أن يسند الأمر إليه ، ويعوّل في القيام به عليه ، ممن يستوجبه بدينه وأمانته وهديّه وورّعه ، بعد اطّراح الهوادة والتبرّي من الهوى ، والتحرّي للحق ، والتلّؤف إلى الله ، عزّ وجلّ بما يرضيه ، وإن قطع الأواصر وأسخط الأقارب ، عالماً بأن لا شفاعه عنده أعلى من العمل الصالح ، وموقناً أن لا وسيلة إليه أرضى من الدين الخالص ؛ فلم يجِدْ أحداً هو أجدر أن يقلّده الخلافة ، ويفوض إليه النظر في أمر الخلافة بعده ، في فضل نفسه

وكرم خيمه وشرف هيئته وعلو منصبه ، مع تفواه وعفافه ومعرفته وحزمه ، من المأمون الغيب ، الناصح الجيب ، النازح عن كل عيب ، ناصر الدولة أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر - وفقه الله - إذ كان أمير المؤمنين قد ابتلاه واختبره ، ونظر في شأنه واعتبره ؛ فرآه مسارعاً الخيرات ، مستولياً على الغايات ، جامعاً للمأثورات ، وارثاً للمكرمات ، يجذب بضبعه إلى أرفع منازل الطاعة ، وينمو بعينه إلى أعلى درج النصيحة ، أب منقطع القرين ، وصنو معدوم الغريم ، ومن كان المنصور أباه ، والمظفر أخاه ، فلا غرو أن يبلغ في سبيل الخير مداه ، ويجوي من حلل المجد بما حواه ، مع أن أمير المؤمنين - أكرمه الله - لما اطلعه من مكنون العلم ، ورعاه من مخزون الأثر ، أمّل أن يكون ولي عهد القحطاني الذي حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاصي ، وأن يتحقق به ما أسند أبو هريرة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - أن لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق العرب بعصاه . فلما استوى له الاختبار ، وتقابلت عنده فيه الآثار ، ولم يجد عنه مذهباً ولا على غيره معدلاً ، خرج إليه من تدير الأمر في حياته ، وفوض إليه النظر في الخلافة بعد تيماته ، طائعاً راضياً ، ومجتهداً متخيراً ، غير محابٍ له ولا مائل له بهوادة ، ولا متترك نصح الإسلام وأهله فيه . وجعل إليه الاختيار لهذه الأمة بولاية عهده فيها إن رأى بقاء ذلك في أمير المؤمنين - أعزه الله . وأمضى أمير المؤمنين - أعزه الله - عهده هذا ، وأنفذه ، وأجازته ، وبثله ، لم يشترط فيه مننوية ولا خياراً ، وأعطى على الوفاء بذلك في سره وجهره .

تاريخ أبي المطرف محمد بن المنصور - صلى الله عليه وسلم - وذمة الخلفاء الراشدين من آله وآبائه ، وذمة نفسه ، بأن لا يبدل ولا يغير ولا يحول ولا يتأول . وأشهد على ذلك الله وملائكته ، وكفى بالله شهيداً . وأشهد عليه من أوقع اسمه في هذا الكتاب . وهو - أعزه الله -

جائز الأمر ، ماضي القول والفعل ، بحضر من ولي عهده المأمون ناصر الدولة أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور - وفقه الله - وقبوله لما قلده ، والتزامه ما ألزمه . وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٣٩٩ .

وهذا الكتاب نستختان ؛ أول الشهود فيه قاضي الجماعة أحمد بن عبد الله بن ذكوان ؛ ويلييه من الوزراء خاصة أسماء تسعة وعشرين رجلاً ؛ يليه أسماء مائة وثمانين رجلاً من أصحاب الشرطة وسائر أهل الخدمة من الحكام والقضاة والفقهاء المشاورين ، وغيرهم .

قال ابن عون الله : وصدر عبد الرحمن في أهل المملكة إلى قصره بالزاهرة ، يجتال في ثوب الخلافة ، ويحسب أنها له نخلة . فلما استقر به مجلسه ، أذن لخاصته من الوزراء والأصحاب وأكابر أهل الخدمة بالدخول إليه ؛ فأفاضوا في ذكر تهنئته بما أكرمه الله به ، والدعاء له ، والمعونة عليه ، ويمدونه في غيته ، وقلوبهم منكرة عليه ، وهو يؤليهم قبولاً ، ويوسعهم تكريمه . وأمر بإفاد الكُتُب عنه إلى أقطار المملكة بالأندلس والعِدوة ، يخبر بولايته العهد والإمان إليهم بالدعاء له على متابريهم بالعهد بعد الدعاء للخليفة ، مع نسق أسمائه المجموعة له .

قال : وعدا وجوه الناس من أهل قرطبة لتهنئة المغرور عبد الرحمن بهذه المنحة ، التي كانت عندهم أشد محبة ، كلهم يعزّي عنها نفسه ، ويكفكف عليها عبرته ؛ ثم تجملوا بالملق . وجلس لهم عبد الرحمن بقصر الزاهرة في مرتبة الملك ، لا ينقصه دققة ، وصفا رجال المملكة قياماً ، بين يديه على مراتبهم في رائق أبهائهم ؛ وأذن لمن حضر الباب بالدخول إليه لتهنئته ؛ فدخلوا على منازلهم ، يقدمهم المبعدون عن الخلافة من أهل بيت المؤيد هشام المرواني وغيرهم من بطون قرطش ، تبدو عليهم في ظاهريهم الاستكانة والكبوة ؛ وتسائل بعضهم وجوه الناس من الحضرة ؛ فقصوا حق تهنئته ، وغبطوه بما ارتقى إليه من رفيع مرتبته ؛ فأحسن الرد

عليهم ، وخرجوا من عنده ، وقلوبهم ذؤوبة عليه موقدةً بنبغضه .

وولّى عبد الرحمن ابنه عبد العزيز خطّة الحجابة مجموعة له بسيف الدولة ، لقب عيه نظفّر . فرسم هذا الطفل بالحجابة بقية مدة أبيه .

وانهمك عبد الرحمن بعد هذه الحادثة في غيّه ، وأقبل على بطائه ، وجاهر بذيّاته . ومال إلى صحبة الجند بكائيته ، فأدنى أكابر الفريقين ، ونادى وجوه الجنّيين ، أعني السراير والأندلس ، فأكثروا الشغل بالراحات والاسعاف بالمحالات ، حتى تفاقم الأمر ، وهو ذاهل عن ذلك كله ، مشغول بشأنه .

قال ابن الرقيق في كتابه : لما تمّ له ما أراد من ولاية العهد ، ودبر سائر الأمور ، أخذ في التخليط والفسوق والانمهاك في مجلس شرابه وخلوته حتى كبا فيه عن قريب ، حجباً تذكّره إن شاء الله .

قال ابن حيّان : ومن مختار ما قالته الشعراء في تهنئة عبد الرحمن بولاية العهد قول أبي العلاء صاعد البغدادي :

قرأت كتاب الجود وحدك أولاً وأوضحت منه كل ما كان مشكلاً فلما تجلّى الحسن منه لبستته فأحسنت في الأقوام أن تنفضلاً أما والذي أعطى الخلافة ربها أغرّ معيماً في التبايع مخولاً لقد حازها مرخ عليها جناحه عقاب إذا ما أعلق الصيد جلجلاً وقال أبو منصور زيادة الله الضبي في ذلك بديهة :

تخير الله والسلطان للأمر وليّ عهد براه الله من كرم لا يعدم الملك منه أن يشيد له عزّاً شديداً بضرب السيف والقلم اختاره الله للإسلام يحفظه وخصه بعلوم القدر والهمم وقال أيضاً :

بولي عهد المسلمين ساء التقى وأبيض وجه الدين حتى أشرقاً

الآن أبلغت الخلافة سؤلها

عند الإمام لها فأثبت عزها  
ملك ترى نور الهدى بجبينه  
زان المغارب في ولاية عهده  
لو أن مكة تستطيع زيارة

وقال قاسم بن محمود المرواني :

لقد وفق الله الإمام المؤيد  
فقلدك العهد الذي مدّ عهده  
شهدت بأن الله ولأك خير من  
ولائك يا مأمون أفضل منثقى  
وهل دخر الرحمن ذا الملك لأمري  
الا يا ولي العهد وقيت عزّة  
تقلدته وأبشّر بالخلافة بعده  
فأنت الذي جاءت به النذر التي  
وأنت أمين الله مهدي يعرّب بن  
لكم كان هذا الأمر بدءاً وفيكم

وقال كاتب الرسائل ، وأفرط في قوله ، وهو مؤلى بني مروان :

[الكامل]

الآن عاد الدهر غصّاً مشرقاً وتمكنت أرجاؤه واستوسقا  
وغدا هلال الحق بدرأ بعد ما قد كان أصبح شمله متفرقا  
بولي عهد المسلمين ومن غدا في المشركين إذا تقم قيلقا  
فالله يشهد للمؤيد أنه قد حاط أمة أحمد منه بقا

وغدا لها رأي الإمام موثقاً  
بولاية المأمون عهداً موثقاً  
متبججاً وسني التقى متألقاً  
بالبر والتقوى فشاك المشرقاً  
لأنت إليه مودة وتوثقاً

[الطويل]

وألمه للحق فيك وأرشدك  
لك الله منه في الرقاب وأكثدا  
به أسس الدين الخفيف وشيذا  
وأجدر من عهد الخلافة قلدا  
سواك وأهداه إليك ومهدا  
بأمن وقت في الزمان وأسعدا  
وذوق ذوي الغل الحسام المهتدا  
أنى الأثر المروي فيها مرددا  
فحطان فيها طبت نفساً ومحتدا  
يكون مدى مستأنف الدهر سمرمدا

وأحلّهم في باذخ متمنع صعب حواشيه عسير الملتصقا  
أسمى يفتش قومه وعشيرته شحاً عليها والحميم الألفقا  
ورجا بأن يلفي إذا ما فتشوا في عبدر شمس للخلافة معلقا  
فراهم متخلفين عن العلا لا يصلحون لأن يسوسوا جردقا  
فرس إلى المأمون أمر جميعهم إذ لم يزل حذبا عليها مشفقا  
قالوا إذا ضعفت قرينش أخرت وأبو هريرة قال ذاك مصدقا  
وأني عن الفاروق أكرم أسوة خبر غدا للخافقين مطبقا  
لو أن فيكم سالما قدمته ليلي الأمور مغرباً ومشرقاً

وهذا الذي جلبنا : بعض من كلٍ وقليل من كثير . ولو أننا رأينا  
أخبار العامرية غير مستثناة ، لذهبنا في الاختصار أقرب من هذا  
المذهب .

ونحرك إلى الغزو سانية ٣٩٩ التي اجتمعت أمره . وكان فتاه الأكبر  
نصح له في ترك الغزو ، وخوفه من اضطراب الناس ، وأبلغه عن بعض  
المراتب نصيحة في محاولة رجل منهم القيام عليه ، واستجابة خلقت من  
الجند إليه ، فأعرض عما ذكر ، واستهان به ، وقال : « والله ، لو اجتمع  
بنو مروان إلى مرقدي ، وأنا نائم ، ما أيقظوني ! » وهذه سبيل القرون  
التي سلك عليها معظم أهل الدول ، إلا القليل من الحزمة كالنصور ؛ فإن  
الحازم من لا يأمن الدهر ؛ فإنه جهم العجائب ، ولا يبطل طبيعة الممكن ؛  
فإن القريب في الدنيا بعيد ، والبعيد قريب ؛ والحازم من تزين كلاً  
ببزائه ، وبعد له عدته ، ويعطيه حظاً من فكره وكفلاً من احتياطه ؛  
فإن اتسقى حال السلامة ، لم يضر حازماً حزمه ولا محتاطاً احتياطه ، ولو  
لم يكن في ذلك صلاح ، إلا أنه شجاً للعدو ، وكيداً للمكائد في أن يبصره  
بعيداً عن الغفلة ؛ فيتهيب رأسه ، ويترك مهابيته ، ويفتم السلامة معه والنجاة

منه وضبط القطر بأولي غناء من رجاله وذوي كفاية من بطانته .

ونفذ بسيله في وقت لم يسع بأشد منه قوة بردٍ وكلب مطر .  
واقنهم جليقة من ثغر طليطلة على سبيل مكررة من اللهو والبطالة .  
وكان يوعز إلى صاحب شرطته في المحلة أن ينادي في الناس : « يأمركم  
أمير المؤمنين بكذا وكذا . » فيفعل ، ويقول له إذا عاد : « كيف رأيت  
الناس ؟ هل أنكر أحد منهم شيئاً ؟ » فيقول : « لا ! » فيقول : « عاود  
ذلك مراراً كثيرة ! » إلى أن وصل طليطلة . وبها اتصل به أن محمد بن  
هشام بن عبد الجبار قام بقرطبة ، واستولى على القصر ، وفتح مدينة  
الزهرة ، وأخذ أموالها ، ثم أحرقها وهدمها ؛ فهاله ذلك ؛ وضبط الجيش ،  
وأقى قلعة رباح ؛ فأقام بها حائراً بنفسه ، لا يدري ما يصنع إلا أن  
يستخلف الجند عند المنبر . وكان قد صحبه في موامبه قوميس كبير  
من زعماء النصارى ، المتوسلين إليه بقرني أمته من عموم الملك . فلما  
رأى اضطرابه ، عرض عليه رأي الخلاص من الحاقق والنجاة ، وبين له  
الأمور ؛ فقال له : « أنا على علم من أتي إذا ظهرت لأهل قرطبة ، لا يبقى  
أحد على ابن عبد الجبار ! » فقال له الرومي : « أنا على علم من أنك  
مغرور ! واهماً لك ! ولكن لا يؤسعي الوفاء لك إلا الموت معك ، مع  
أنني قد أمكنتي خلاص نفسي ؛ فدونك وما شئت ! »

قال : ودعا أهل العسكر إلى مبايعته على حرب أهل قرطبة ونصر  
الخليفة المظلوم ؛ فلم يمتنع عليه أحد ، وأقبلوا مجلفون له أياماً متوالية .  
وقال ابن يعلى الزناتي : دعاني وقال لي : « أصدقني عن نفسك وعن قومك !  
فلا رأي للكذوب ! » فقلت : « نعم ! لا تغتر ! فليس يقابل عنك  
أحد من زناة ؛ والناس تبع لهم ! » فشق عليه ذلك ، وقال : « ما الدليل  
على قولك ؟ » فقلت : « تأمر بتقديم مطبخك إلى طريق طليطلة ،  
وتظهر الرحيل ؛ فتعلم من يتبعك ومن يتخلف عنك ! » فقال :

« حذقت ! » ثم لم يفعل ، ورحل إلى قرطبة وقد زين له عدائته دخولها عنوة . وأخرج إليه ابن عبد الجبار حاجبه ابن ذري ، وقد فرّ عنه الناس . فقتل رحمه الله وقتل معه ابن غوميس ، وذلك بمنزل هانيء من أرملاط ، أدنى محلاته إلى قرطبة ، يوم السبت لأربع خلون من رجب من السنة .

\* \* \*

وانتضى أمر العامرية . وإلى دولتهم بلغت حدود التناهي في دول ملك الأندلس ، بحسب ضيق الخطّة وبُعد النجعة ، إذ الأمور لا تنفّس إلا بأشكالها ، ولا تناظر إلا بأمثالها . فذكر أبو مروان حيّان بن خلف رحمه الله . في كتابه الذي أنافّت على المائة أسفاره ، المسمى بـ « أخبار الدولة العامرية » ، المنسوخة بالفيتنة البربرية ، وما جرى فيها من الأحداث الشيعة » ، فقال : كتب إلي أبو التامم محمد بن مرشد ، أحد بقايا وجوه الكتاب المستأخرين المتمتعين بالنظر والمعرفة على كبر السن ، معترفاً بأشياء سألته عنها من هذا الباب سنة ٤٣٦ ، أثبتّها نقلاً من كتابه ، وهي :

مبلغ الجباية آخر أيام المنصور أربعة آلاف ألف دينار ، سوى رسوم المتوارث بقرطبة وكنوز الأندلس كانت تجري على الأمانة ، وسوى مال السبئي والمغانم على اتساعه في هذه المدّة ، وسوى ما يتصل به السلطان من المصادرات ومثل ذلك مما لا يرجع إلى قانون . قال : وكانوا يعتدونها أربع بيوت : تؤخذ النفقات السلطانية منها على المشاهرة بالزيادة والنقصان ، ما بين الشهر والشهر مائتي ألف دينار إلى مائة وخمسين ألفاً ، إلى أن يدخل شهر يوثنيه العجمي : فيتضاعف فيه الإنفاق من أجل الاستعداد لغزو الصائفة ؛ فينتهي منه إلى خمسمائة ألف دينار وأكثر منها . وما فضل من المال بعد جميع النفقات أحرّزه السلطان في بيت ماله مع غير ذلك من ضروب استفاداته .

قال : وكتب أبو محمد عبد الله بن مروان ، آخر حذاق كتاب المحاسبة اليوم ، وممن لحق طرفاً من تلك الدولة أن محمد بن أبي عامر أحب الوقوف على حاصل الأطعمة في الأهراء عندما اعتزم على غزو برجلونة سنة ٣٧٤ ؛ فارتفعت جملة إلى مائتي ألف مدي ونيّف عليها . قال : فلحقه العجب بذلك حتى قال : « أنا أكثر طعاماً من يوسف صاحب الخزان ! » فلم يخطئه بعني كلمته إذ برأها من الاعتصام من ربه تعالى ، واعتورته السنون الشداد المتوالية من سنة ٣٧٨ ؛ فانتسفت أطعمته بالتصال الإنفاق وعدم الاعتلال ، حتى أشفى على المجاعة وهم بالجواز إلى العدوّة لحصنها يومئذ ، حتى أغاث الله بلاد الأندلس ، وأخرج أرزاقها ؛ وجعل بعد ذلك لا يستكثر شيئاً من الأطعمة ، ولا يقتصر على ما يجنيه منها حتى يخرج المال في شرائها في سني الحصب . فهلك وحاصله منها جملة غليظة .

وكتب إلي أبو عبد الله بن سعيد التجاني بما أثبتته ، فقال : كان عدد جميع الأجناد العامريين ، من الفرسان خاصة من سائر الطبقات والأحرار ، وجميعهم مرتقون في الديوان ، يُقام لهم بالحملان والحلية والسلاح والمنازل والثقة والعلوقة على مراتب مختلفة إثني عشر ألف فارس ومائة زيادة . قال : وانتهى تحصيل المنصور بن أبي عامر لجميع من ضمه عسكره في بعض صوائفه الحافلة من الفرسان خاصة إلى ستة وأربعين ألف فارس . فكان عدد فرسان الحرس لحمل العدوّة وخدمة العساكر ستمائة فارس ، وعدد الشرط والرؤاد المتصرفين في خدمة العساكر مائتي فارس ، وعدد الطبّالين مائة وثلاثين فارس . وانتهى عدد الرجالة معهم إلى ستة وعشرين ألف راجل .

قال : وأذكر أن المنصور بن أبي عامر ، لما اعتد للصائفة التي توفي في قفوله عنها سنة ٣٩٢ ، أنفذ الكتاب إلى جميع الثغور بأن يلحق ببابه

جميع طبقات المتوجلين من فرسان الجند بسائر النواحي ، ليُشرفَ عن حملهم بنفسي ؛ فعملهم جميعاً بالإركاب لكثرة ما تكامل من الحيل يومئذ . وقاد مع نفسه في العسكر بعد ذلك سبعة من رأس من الحيل أغراء عدة لما يحدث في طريقه ؛ ومعه خمسون فرساً من العتاق لركابه ، إلى قريب من عدتها تخلّفها بقرطبة . وأفضل مع ذلك كله في الإصطبلات بقرطبة مقدار ألف فرسٍ عدوية كانت طريقته العبور ، استغنى عنها ، وأمر بالقيام عليها .

قال : وواصل الابتاع على ذلك في طريقه كله من الوفود وغيرهم إلى أن ورد مدينة سالم ، وقوده من الأغراء نحو ألف فرس . وكان له من المطايا والبغلات سوى ما يحمل عليه مائتان وخمسون رأساً ، منها لركابه نحو خمسين . وكان له من البيغال المستخدمة في الأسفار نحو ألف رأس سوى الزوامل الخادمة للحيل ومطايا الوكيل . وكان له من الجبال المتصرفة في حمل الأثقال أربعة آلاف ، إلا مائة بسارج كنوة تدمير . وكان له من الرماك المستنتجة بجزائر إشبيلية المعروفة بالمدايق على أجناسها ثلاثة آلاف فرس ، يعدلها من فحول الحيل للضراب أو أن الاستنتاج مائة رأس تميزل عند العلو .

قال : وكانت حمولة ابن أبي عامر لغزاته الصائفة الحافلة ما بين أقاله وأقال غلماة خاصة تنتهي إلى ألفي رأس في أعظم السنين ، إلى مائة رأس كانت معه تحمل أرواح الطحن الموزعة بجهات عسكره لطحن الأرواد . وربما قسّر ظهره هذا عن حمولته في بعض الأوقات ؛ فيحتاج إلى الاكتراء من الناس من بلد إلى آخر . ثم قال : ومن تفصيل حمولته ( وقصّل ألقاباً من السرايق الكبير ، والمطبخ ، وآلات الوضوء ، ودار الصنعة ، وأغلال السجون ، وحمل المال ، وأرجل النساء الغوازي ، وأخشيبة الفتيان ) . وكان من جملة مائة داخل السرايق ومائتان إلا

سنة تحمّل لمن لا قطعة له من الجند ، وثلاثمائة خباء تحمّل الرجال ، وثلاثون خباء فاضلة للأضياف والواردين . ثم ذكر عدداً كثيراً للغطاء والوطاء على صنوفه ، وآلات الطبخ ، والسقائين ، والوضوء ، والمائدة ، وتوابيت الكسبي والخلع ، وآلات المنجنيق ، وتوابيت التبال ، وصناعات العسكر ، والزيت ، والنقط ، والقطران ، والمشافة وما يُستضاف إلى ذلك ، وأحمال الدروع والعدة ، وأرجل الرماكين والمقدمين .

ثم قال : وهذا كله زائد على ما كان يقدم إلى الثغر من العدة على دواب الأكرياء المستأجرة لحمل ستمائة ثرس عامري ، وألف ثرس سلطاني ، وألفي حرّبة إفرنجية ، وألفي وضم للرجم ، وأربعمائة وإثنين وعشرين خباء ، ومائة وسبعة وسبعين خباء من الأخشيبة المعروفة بالفرو ، وخمسين رُبعا من الزيت ، وستة مجانيق من مدينة سالم ، ومائتي ألف سهم ، وخمسة آلاف ثرس سلطاني من مدينة سالم ، ومائتي زوج من أزواج المطاحن ، وآلات الحديد . وكان يدفع لأهل الحملان وللنواحي فرس ومطية وسرج ولجام ، ولكل واحد نفقة شهرية من الطعام والعلوفة ؛ وتعين لهم الدور للسكنى .

وكان الرستم أن يصنع من الأخشيبة عدة للجند كل عام على أجناسها ثلاثة آلاف خباء ، إلى ما يقيمه السلطان لنفسه ولمن يتمون إياه من كبار خدمه وغلماة . وكان يصنع بدار التراسين من أصناف التراس كل سنة ، حسباً تلقينته من بحبي التراس ، أحد من بقي من مشيخة التراسين في وقتنا ؛ فقال : كان الطريحة من التراس في السنة ثلاثة عشر ألف ثرس ، وطريحة القيسي في السنة إثني عشر ألف قوس بشطرين عريّة وتركية : ستة آلاف من قبل أبي العباس البغدادي المعلن الأكبر بقرطبة ، ومثلها من قبل طلحة الصفلي بالزهراء . وكانت طريحة النبل في الشهر عشرين ألفاً .

قال التَّجَاجِي : وكان بالزاهرة على ذلك كله من التراس الحَفْصُونِيَّة المَعْدَّة للتوزيع على رجالة قُرْطبة وغيرهم من المَحْشُودَةِ أَيَّامَ البُرُوزِ والزينة أربعون ألفاً . وكان فيها من أبدان الدروع المستعدة فيها لذلك سبعة آلاف درع ، ومن أجناس الدروع السَّوَابِيغِ والعَلَالِ السَّابِرِيَّة خمسة آلاف درع ، ومن الجَواشِنِ التَّنَسِيَّةِ والحُرَّاسَانِيَّةِ سبعمائة قطعة .

قال : وكان الجاري من اللحم على صَقَالِيَّة ابن أبي عامر على طبقاتهم في الشهر وقِسْطُ المداوِمة سبعة وعشرين ألف رطل ؛ والجاري على نسائه في قصره على طبقاتهن منه تسعة آلاف رطل ، سوى وظيفة مطبَّخة الخاصَّة المُقامَةِ كلَّ يوم ؛ فإنَّه لم يَقِفْ عليها .

وزعم أن عدَّة الفرسان من البرابرة العُرباء في ديوانه ثلاثة آلاف فارس ، يضاف إليها من رجالة الرُقَّاصَةِ السُّودان الداخلين في عدادهم ألفا راجل تَبِيَّة خمسة آلاف .

وذكر أحوال الطَّرَاز ، وما يصنع فيها ، ومقدار ما كان يَرْدُ على بابه من الرِّصاص والحشب . فرأينا أنَّ نطولُ بحلب ذلك .

قال : وكان يُزْدَرع لدوابِّ السلطان من شعر الفصيل لقضم خَيْلِ الحملان وغيرها مُفْتَتَحَ الزريعة من كلِّ شتوة بالأحقال السلطانيَّة في أَعَمِّ السنين خمسائة مُدِّيٍّ من الشعر . وكان حاصِلُ الابتاع من الخَيْلِ في أَعَمِّ السنين ثمانية آلاف فرَس ، سوى ما يُبْتَاع من البغال بأرض الأندلس .

قال : ولما عزم على غزو مُنْتَمِيَّوْر ، احتاج إلى الاستكثار من البغال ، وأمر باستحضار ما يصلح منها ، وقعد لما يُقَادُ بين يديه منها ؛ فابتاع في سبعة أَيَّام متوالية من شوال من هذه السنة ثلاثة آلاف رأس . وقال : شاهدتُ عند التقابض في خِزَانَةِ السِّلَاحِ بين محمد بن إسماعيل المقرِيطي وعبد الله بن اللَّباد ؛ فأذكرُ أن المقرِيطي دخل فيها من العُدَّة على نحو خمسة عشر ألف جُنَّة ، ما بين درع سَابِغَةٍ وجَوْشَنٍ وَبَدَنٍ خاصَّة . وأما سائر الأسلحة

من الدرق والتراس والسيوف والرِّمَاح والبيض والطَّشْتَانِيَّاتِ والسُّوقِ والسَّوَاعِدِ والدَّابِيَّيسِ والطَّبَرُزِيَّاتِ وغير ذلك ، ففَاتَ إحصائي كثرة ، إلى ما شارفتُه في خزائن الحلية من أجناس المراكِبِ المُفَضَّضَةِ والمَذْهَبَةِ والحِزَمِ والمناطقِ والسُّروجِ واللَّجَمِ المختلفة الصِّفَاتِ ، وغير ذلك ممَّا يحير اللبَّ اتِّسَاعاً وكثرة ؛ كلُّ هذا أحاطَ به الثَّهْبُ يومَ قيامِ ابن عبد الجبار خطفةً في ساعة ، لم يحصل منه على شركة ؛ فأعظم بها نكبة .

وبلَّغَتِ المدينةُ من الاتِّسَاعِ والانبساطِ وَبُعْدِ الأقطارِ إلى أن كانت أرباضها لِاحْدَى وعشرين رَبَضاً ؛ كلُّ رَبَضٍ منها يُعَدُّ أكبرَ مدينةٍ من مدائن الأندلس ؛ بِالْجِهَةِ الغَرْبِيَّةِ منها تسعة : رَبَضُ الرُّقَّاقِينَ ، رَبَضُ مَسْجِدِ الكَهْفِ ، رَبَضُ حَوَانِيَتِ الرُّجَّافِي ، رَبَضُ مَسْجِدِ الشِّقَاءِ ، رَبَضُ مَسْجِدِ مَسْرُورٍ ، رَبَضُ بِلَاطِ مُغِيثٍ ، رَبَضُ حِمَامِ الإلبيري ، رَبَضُ السَّجْنِ القَدِيمِ ، رَبَضُ الرُّوضِ المُحَدَّثِ ؛ وبِالْجِهَةِ الجُوفِيَّةِ ثلاثة : رَبَضُ الرُّصَافَةِ ، رَبَضُ بابِ اليَهُودِ ، رَبَضُ قُوتِ رَأْسِهِ المَنسُوبِ إلى أُمِّ سَلَمَةَ ؛ وبِالْجِهَةِ القِبْلِيَّةِ إثنان : رَبَضُ سَقَنْدَةَ وَرَبَضُ مِثْيَةِ المُغِيرَةِ ؛ وبِالْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ رَبَضُ مِثْيَةِ عبد الله ، رَبَضُ فُرْنِ يَرْبِيلٍ ، رَبَضُ فَحْصِ النَاعُورَةِ ، رَبَضُ المدينةِ ، القَصْبَةِ العَتِيقَةِ واسِطَةِ البلدة . وكان ينقسم على رَبَضَيْنِ الجامِعِ ، وما حَوْلَهُ رَبَضٌ واحدٌ يتولَّاه عَرِيفُهُ ومَحَارِثُهُ على حِدَةٍ . وَرَبَضٌ آخَرُ بذاته ينفرد به أيضاً عَرِيفُهُ . وكان ذَرْعُ مَسَافَةِ الحَنْدَقِ المضروبِ على قرطبة أَيَّامَ قتالِ البرابرة من جهاتها الثلاث ، إذ أغنى الثَّهْرُ الأعْظَمُ عن مدِّ الحفيرِ عليها من الجهة القِبْلِيَّةِ ، سبعةً وأربعين ألف ذراع وخمسمائة ذراع ، يجب لها ستة عشر ميلاً غير سُدُسِ مِيلٍ .

قال : وهلك المنصورُ عن سبعة خُلَفَاءَ مِنْ فِتْيَانِهِ الأَكْبَرِ . وكان شأنهم في ملكِ الأمويَّة كبيراً ؛ وهو يسوءُ بِثِقَلِ كُلْفَتِهِمِ البَاهِظَةِ . فلما تولى

ولده عبد الملك بعده الأمر ، بلغ بهم ستة وعشرين خليفة ؛ فضاعف مؤنتهم أضعافاً كثيرة . وكان من مشاهيرهم : واضح ؛ بشير ؛ نظيف ؛ نجاء ؛ شعله ؛ مظفر ؛ مجاهد ؛ زهير ؛ خيران ؛ نصر ؛ نصير ؛ طرفة ؛ سفيح ؛ يمن ؛ واثق ؛ بشير ؛ واضح ؛ بشرى ؛ الزاب ؛ بلتيق ؛ كوثر ؛ حلفت ؛ جعفر ؛ خلف آخر . انتهى كلام التتجاني . قلت : خيران ومجاهد ملكان قد طارت بهم الأخبار ، ونسبت لهم المآثر والآثار .

ومن خط الميزاني الكاتب في تاريخه قال : أحب المنصور أن يتعرف مقدار ما يدخل قرطبة من جهاتها من أحمال الخطب في اليوم الواحد من أيام دروره للاحتكار ؛ فوكل بإحصاء ذلك عدة من ثقاته ؛ فعثوا له راصدين بسائر طرق قرطبة وأنقابها ، وكتب كل واحد منهم ما أحصاه ، ورفعوا جميعه ؛ فأنتهى إلى ستة آلاف حمل وستائة حمل على اختلافها . وذكر أن الخليفة الحكيم وكل من أخصى له ما يباع بقرطبة من السمك المملوح المسمى بالسردين خاصة ، المجلوب من الساحل ؛ فأنتهى البيع فيه في يوم واحد إلى عشرين ألف دينار دراهم .

هذه نبذة من أحوال تلك المدينة التي كان أهلها تحت بئعة صبي لم يبلغ الحلم بعمره ، ولا باشر شيئاً من أمره ، ولينظر نائب عنه بحمي حماه ، ويدافع عداه ، ويصون حرمة ، ويهتبه فضل الله قبله ونعمته ، ويخلد آثاره ، ويوفي لإجلاله وإيثاره ، ويعطي وظائف الدين حقها ، ويوضح من شعائر الشرائع طرفها . وقد تقرر ما انتهى إليه أمرها من بعده ، وكيف ذهبت سعادتها بذهاب سعدة ، وأنجز لها الدهر كالي وعده ؛ فحالت أحوالها ، وتغير جمالها ، وشئت عن العورات أسماؤها ، وصارت معتبراً لذوي الاعتبار ، ومندباً لناظمي الأشعار . فيما ينسب في ذلك إلى الوزير أبي عامر بن شهيد من كبواها ، وأبناء وزرائها :

[ الكامل ]

ما في الطلول من الأحبة 'خبر' فمن الذي عن حالها تستخير' لا تسألن سوى الفراق فإنه ينبيك عنهم أنجدوا أم أغوروا جار الزمان' عليهم فتقرقوا في كل ناحية وباء الأكثر جرت الخطوب' على محل ديارهم وعليهم فتغيرت وتغيروا فدع الزمان يصوغ في عرصاتهم ثوراً تكاد له القلوب تنسور' فليمثل قرطبة بقل بكاء من يكي بعين دمعها متفجر' دار - أقال الله عثرة أهلها - فتبربروا وتغبروا وتمصروا في كل ناحية فريق منهم متطرر لفرأقها متحير' عهدي بها والشم' فيها جامع' من أهلها والعيش فيها أخضر' ورياح زهرتها تلوح عليهم بروائح يفتتر منها العثبر' والدار قد ضرب الكمال رواقه فيها وباع النقص فيها يقصر' والقوم قد أمنوا تغير حُسْنها فتعموا بجمالها وتآزرُوا يا طيبهم بقصورها وخدورها وبُدورها بقصورها تتخدر' والقصر قصر بني أمية وافر' من كل أمر والحلقة أوفر' والزاهريّة بالمراكب تزهر' والعامريّة بالكواكب تغمر' والجامع الأعلى يغص بكل من يتلو ويسمع ما يشاء وينظر' ومسالك الأسواق تشهد أنها لا يستقل يسالكها المحسر' يا جنة عصفت بها وبأهلها ربح النوى فتدسرت وتدسروا آسى عليك من المات وحق لي إذ لم نزل بك في حياتك تفخر' كانت عراصك للميمم مكة' بأوي إليها الخائفون فينصروا يا منزلاً نزلت به وبأهل طير النوى فتغيروا وتنكروا



جَدَّ الْفَرَاتُ بِسَاحَتَيْكَ وَدِجْلَةُ وَالنَّيْلُ جَادَ بِهَا وَجَادَ الْكَوْثَرُ  
وَسَقَيْتَ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ غَمَامَةً نَحْيَا بِهَا مِنْكَ الرِّيَاضُ وَتَزَهَرُ  
أَسْفَى عَلَى دَارِ عَهْدَتِ رُبُوعَهَا وَطَبَاؤُهَا بِفَنَائِهَا تَتَبَخْتَرُ  
أَيَّامُ كَانَتْ عَيْنُ كُلِّ كَرَامَةٍ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ إِلَيْهَا تَنْظُرُ  
أَيَّامُ كَانِ الْأَمْرُ فِيهَا وَاحِدًا لِأَمِيرِهَا وَأَمِيرٍ مَنْ يَتَأَمَّرُ  
أَيَّامُ كَانَتْ كَفُّ كُلِّ سَلَامَةٍ تَسْمُو إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ وَتَبْدُرُ  
حَزْنِي عَلَى سَرَوَاتِهَا وَرَوَاتِهَا وَنِقَاتِهَا وَحُمَاتِهَا يَتَكَرَّرُ  
نَفْسِي عَلَى آلَائِهَا وَصَفَائِهَا وَبَهَائِهَا وَسَنَائِهَا تَتَحَسَّرُ  
كَبِدِي عَلَى عُلَمَائِهَا حُلَمَائِهَا أَدْبَائِهَا طُرَفَائِهَا تَتَقَطَّرُ

قال : وممن رثى قرطبة أيضاً ، من وجوه أهلها وأرباب النعم  
المؤثلة بها ، وأكثر التفعُّع على دياره منها ، لما استولى الخرابُ عليها  
عند فراو البرابر عنها ، الفقيه الأديب أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد  
ابن حزم ، ابن وزير آل عامر الأكبر . فإني وجدتُ بخطه في خبر  
ذكره قال :

وقفتُ على أطلال منازلنا ، بحومة بلاط مُعَيْثٍ مِنَ الْأَرِبَاضِ الْغَرَبِيَّةِ ،  
وَمَنَازِلِ الْبَرَابِرِ الْمُسْتَبَاحَةِ عِنْدَ مُعَاوَدَةِ قَرْطَبَةٍ . فَرَأَيْتُهَا قَدْ سَحَتْ  
رُسُومُهَا ، وَطَسَّتْ أَعْلَامُهَا ، وَخَفِيَتْ مَعَاهِدُهَا ، وَغَيَّرَهَا الْبَلَى ؛ فَصَارَتْ  
صَحَارِيَّ مُجْدِبَةٍ بَعْدَ الْعِمْرَانِ ، وَفِيَّائِي مَوْحِشَةٍ بَعْدَ الْأَنْسِ ، وَآكَامًا  
مُسَوَّهَةً بَعْدَ الْحُسْنِ ، وَخَرَابَ مُفْزَعَةٍ بَعْدَ الْأَمْنِ ، وَمَأْوَى لِلذِّيَابِ ،  
وَمَلَاعِبَ لِلْجَانِّ ، وَمَعَانِي لِلْغِيلَانِ ، وَمَكَامِينَ لِلْوَحُوشِ ، وَمَخَافِي  
لِلنَّصُوصِ ، بَعْدَ طُولِ غُنْيَائِهَا بِرِجَالِ كَالسِّيُوفِ ، وَفُرْسَانِ كَاللِّيُوثِ ،

١ راجع « طوق الحمامة » لابن حزم ( ص ٨٨ من طبعة ليون ) ، ومقالتنا في مجلة  
« الأندلس » ( ١٩٥٠ ، ص ٣٦١ - ٣٦٣ ) .

تَفِيضُ لَدَيْهِمُ النَّعَمُ الْفَاشِيَّةُ ، وَتَغْلُصُ مِنْهُمْ بِكَثْرَةِ الْقَطِينِ الْحَاسِيَّةُ ،  
وَتُكَنِّسُ فِي مَقَاصِيرِهِمْ طِبَاءُ الْأَنْسِ الْفَاتِنَةِ تَحْتَ زِبْرِجٍ مِنْ غَضَارَةِ الدُّنْيَا  
تُذَكِّرُ نَعِيمَ الْآخِرَةِ ؛ حَالُ الدَّهْرِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ طُولِ النُّصْرَةِ ؛ فَبَدَّدَ  
سَمَلَتَهُمْ حَتَّى سَارُوا فِي الْبِلَادِ أَيْادِي سَبَا ، تَنْطِقُ عَنْهُمْ الْمَوْعِظَةُ . فَكَأَنَّ  
تِلْكَ الْمُحَارِيبَ الْمُسْتَمَقَّةَ ، وَالْمَقَاصِيرَ الْمُرَشَّقَةَ ، الَّتِي كَانَتْ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ  
كَبُرُوقِ السَّمَاءِ إِشْرَاقًا وَبَهْجَةً ، يَقْدِرُ حُسْنُهَا الْأَبْصَارُ ، وَيَجْلِي مَنَظَرُهَا  
الْهُمُومُ ، كَأَنَّ لَمْ تُغْنِ بِالْأَمْسِ ، وَلَا حَلَّتْهَا سَادَةُ الْأَنْسِ : قَدْ عَثَ بِهَا  
الْخَرَابُ ، وَعَمَّهَا الْهَدْمُ ؛ فَأَصْبَحَتْ أَوْحَشَ مِنْ أَفْوَاهِ السَّبَاعِ فَاعِرَةٍ ،  
تُؤَذِّنُ بِقَنَاءِ الدُّنْيَا ، وَتُرِيكَ عَوَاقِبَ أَهْلِهَا ، وَتُخْبِرُكَ عَمَّا يَصِيرُ إِلَيْهِ  
كُلُّ مَا قَدْ بَقِيَ مَائِلًا فِيهَا ، وَتُزَهِّدُكَ فِيهَا . وَكَرَّزَتْ النَّظَرَ ، وَرَدَّدَتْ  
الْبَصَرَ ، وَكُنْدَتْ أَسْطَارَ حَزْنًا عَلَيْهَا ، وَتَذَكَّرَتْ أَيَّامُ نَشْأَتِي فِيهَا ،  
وَصَبَابَةَ لِدَائِي بِهَا ؛ مَعَ كَوَاعِبِ غَيْدٍ ، إِلَى مِثْلِهِنَّ يَصْبُو الْحَلِيمُ !  
وَمَثَلَتْ لِنَفْسِي انْطِوَاءَهُنَّ بِالْفَنَاءِ ، وَكَوْنَهُنَّ تَحْتَ الثَّرَى إِثْرًا تَنْطُحُ  
جَمْعُنَا بِالتَّفَرُّقِ وَالْجَلَاءِ فِي الْآفَاقِ النَّائِيَةِ ، وَالتَّوَاحِيِ الْبَعِيدَةِ ؛ وَصَدَّقَتْ  
نَفْسِي عَنْ فَنَاءِ تِلْكَ الْقَصَبَةِ ، وَانْصَدَاعِ تِلْكَ الْبَيْضَةِ بَعْدَ مَا عَهْدَتْهُ مِنْ  
حُسْنِهَا وَنَضَارَتِهَا وَزِبْرِجِهَا وَغَضَارَتِهَا ، وَتَضَوُّتِهَا بِفِرَاقِهَا مِنَ الْحَالِ الْحَسَنَةِ ،  
وَالْمَرْتَبَةِ الرَّفِيعَةِ ، الَّتِي رَفَلْتُ فِي حُلَّتِهَا نَاشِئًا فِيهَا ، وَأُرْعَيْتُ سَمْعِي  
صَوْتَ الصَّدى ، وَالْيَوْمَ زَاقِيًا بِهَا ، بَعْدَ حَرَكَاتِ تِلْكَ الْجُمَاعَةِ الْمُنْصَدَعَةِ  
بِعِرْصَاتِهَا ، الَّتِي كَانَ لَيْلُهَا تَبْعًا لِنَهَارِهَا ، فِي انْتِشَارِهَا بِسُكَّانِهَا ، وَالتَّقَاءِ  
عَمَّارِهَا ؛ فَعَادَ نَهَارُهَا تَبْعًا لِلَّيْلِ فِي الْهَدْوِ وَالِاسْتِيحَاشِ ، وَالْخُفُوتِ  
وَالْإِخْفَاشِ . فَأُبْكِي ذَلِكَ عَيْنِي عَلَى جُمُودِهَا ، وَقَرَعَ كَبِدِي عَلَى حَلَابَتِهَا ؛  
وَهَاجَ بِلَابِي عَلَى تَكَاثُرِهَا ، وَحَرَّكْتُ لِقَوْلٍ عَلَى نُبُوٍّ طَبْعِي ؛ فَقُلْتُ :

[ الطويل ]

سَلَامٌ عَلَى دَارِ رَحَلْنَا وَغُودِرَتْ خَلَاءَ مِنَ الْأَهْلِ مَوْحِشَةً قَفَرًا

تراها كأن لم تغن بالأمن بَلَقَعَا  
 فيا دارُ لم يفرك منّا اختيارنا  
 ولكنّ أقداراً من الله أنفذت  
 ويا خير دارٍ قد تركت حميدة  
 ويا مجتلى تلك البساتين حقها  
 ويا دهرُ بَلَعٍ ساكنيها تحيّي  
 فصبراً لسطور الدهر فيهم وحكمي  
 لأن كان أظماناً فقد طال ما سقى  
 وأيتها الدارُ الحبيبة لا يرم  
 كائنك لم يسكنك غداً أو أنيس  
 تفانوا وبادوا واستمرت نواهم  
 سنصبرُ بعد البسر للعسر طاعة  
 وإني ولو عادت وعدنا لعهدنا  
 ويا دهرنا فيها متى أنت عائد  
 فيا رب يومٍ في ذراها و ليلة  
 فوا جِسمي المضى ووا قلبي المعزى  
 ويا همّ ما أعدى ويا سجنو ما أورا  
 ويا دهر لا تبعد ويا عهد لا تحل  
 سأنذب ذاك العهد ما قامت الحضرنا  
 ولا عمرت من أهلها قبلنا دهرنا  
 ولو أننا نستطيع كُنْتُ لنا قبرا  
 نُدترنا طوعاً ولنا حل أو قهرا  
 سَقَتِكَ الفوادي ما أجل وما أمرا  
 رياض قوارير غدت بعدنا عبرا  
 ولو سكنوا المروين أو جاوزوا النهرنا  
 وإن كان طعمُ الصبر مُستقلاً مرّاً  
 وإن ساءنا فيها فقد طال ما سراً  
 ربوعك جون المزن يمي بها القطرنا  
 وصيد رجالٍ أشبهوا الأنجم الزهرا  
 لمثلهم أسكت مقلتي العبرا  
 لعل جميل الصبر يعقبنا يسرا  
 فكيف بمن من أهلها سكن القبرا  
 فنحمد منك العود إن عُدت والكررا  
 وصلنا هناك الشمس بالهوى والبدرا  
 ووا نفسي التكلي ووا كبدي الحررا  
 ويا وجد ما أشجى ويا بين ما أفرا  
 ويا دمع لا تجمد ويا سقم لا تبرا  
 على الناس سقفاً واستقلت بنا العبرا

## دولة محمد بن هشام بن عبد الجبار

ابن عبد الرحمن الناصر لدين الله

وكتبته : أبو أيوب ؛ ولقبه المهدي ، وكان عبد الملك بن المنصور  
 قد وتر محمدًا هذا بقتل أبيه هشام بن عبد الجبار لاثامه بالتدبير على  
 دولته ؛ فكان يطلب له الغوائل . فلما توفي المظفر ، وكان من قدر الله  
 أن اتهمت أمه الذلفاء ، حظية المنصور ، بالتدبير عليها وقتله بالسم  
 أخاه عبد الرحمن المتأثر بعده ؛ فداخلت المروانيين في الوثوب عليه  
 بوساطة بشر الصقلي من الفتيان العامرية المنحرفين عن مولاة عبد  
 الرحمن ؛ فأرشدوه المروانيون إلى فائق من فتيانهم في ذلك الوقت ،  
 جرار جصور ، ثائر ، مخاطر ، خليع ، مُدْخِل للصقورة والفئاك ،  
 لا يدري في أي وادٍ يهلك ، وهو المهدي هذا . ففتح معه باب التدبير ،  
 ووعده عن الذلفاء الإعانة بالمال . واستظهر بسائر ولد الناصر وفتيان  
 المروانية ، وقد شملتهم كلمة بعض العامرية ؛ فبايعوا محمدًا سرّاً ،  
 واستألو له خلفاً كثيراً ، يلقونه بأطراف قرطبة وسفج جبلها ، على  
 حال اكتتام وخفية . وخفي عن شيعه السلطان أكثر ذلك . فلما ذهب  
 عبد الرحمن لوجهته من الغزو ، وأبعد عن الحضرة ، تمكن محمد بن عبد  
 الجبار من وثوبه ؛ فأقدم على باب السلطان في السادس عشر من جمادى  
 الآخرة سنة ٣٩٩ ، واهتل الغيرة لاستعمال صاحب كرسي المدينة القاعد به  
 يومئذ أكثر حرسه في احتقار كرومه أمناً وطمانينةً واعتزازاً بالأيام .  
 وقد كان ابن عبد الجبار بث رجاله بتلك النواحي ، وانتبذ هو في عدوة  
 الشهر قبالة القصر يرتقب الميقات ، إلى أن تألف إليه من أصحابه اثنا عشر

فني ، فبه طرسوس المجوسي ، وهو أشهر القوم ، عاملين على الكروور  
إلى الباب ويظهر الأمر ؛ فانكفى إلى هناك ، وقد بث العصابة أمامه ؛  
فتكثفوا الباب كأنهم نظارة ، إلى أن طلع عليهم ابن عبد الجبار . فشهروا  
سيفه ، وهجم للحين على صاحب المدينة ، واقتحم عليه مجلسه . فجيء به إلى  
محمد بن هشام محتبلاً لقرط جزعه ؛ فأمر بضرب عنقه بين يديه ، ورفق  
رأسه على فتاة . وحين أبصرت العامة رأس المذكور ، تداعت إلى ابن عبد  
الجبار كالسيول من السفلة والغوغاء ؛ فقويت بهم نفسه ، وجعل يحرقهم  
على العامرية ، ويخاطبهم بوجه قيامه واحتسابه . وبأذن بكسر سجن  
العامرية ، وفيه اللصوص والذغار وأرباب الجرائم . وتلاحق به بنو عمه  
المروانيون ، يستدعون الناس .

وأغلق هشام المؤيد باب القصر ، وارتقى إلى السطح ، وأشرف على  
العامة بين مصحفين ، يحملهما خادمان ؛ وأشار إلى من تحته من العامة ،  
يسكتهم بيده ؛ فصاحوا به : « لا حاجة لنا بك ! وهذا أولى بالملك ! »  
فولّى عنهم منصرفاً إلى قصره . وأمر الخدم بالكف عن دفاعهم حتى يقضي  
الله قضاءه ، ودخل مخراجه ؛ فلم يتحول عنه إلى أن تم أمر الله عليه . وأمر  
محمد بن نقب القصر والدق لأبوابه ؛ فشرع في ذلك ، وجلبت السلالم .  
وخاف هشام على نفسه وأهله لما رأى عجز من الزاهرة عن نصره ،  
وتمالوا الناس عليه ؛ فأرسل إلى ابن عبد الجبار ؛ وجرت بينه وبين هشام  
محاورة في عشي هذا اليوم . وقصدت الزاهرة أمم من أخلاط الناس ؛  
فما نعتهم أهلها ليلتهم ؛ ثم خذلهم الله بعددها . وأرسل ابن عبد الجبار  
الناس من سقف القصر ، وذادهم عن أنقابهم ، وأجلس بكرمي الشرطة محمد  
ابن المغيرة ابن عمه ، ونصب عبد الجبار ابن عمه الآخر مكان الحاجب ،  
واستدنى سليمان بن هشام منهم ؛ فسأه ولي العهد ، وبعث ليلتد إلى هشام  
مغلوبه مبتكراً له على حبّه إلى آل عامر ، ويدعوه إلى خلع نفسه ؛

فاعتذر بالعجز عن الإراحة منهم ، وبأذن إلى ما سئل منه من الخلع .  
فسر ابن عبد الجبار بذلك ، وبأذن بالإرسال عن الناس ليلته ، لم يطبق  
جفناً . فسارع المشيخة وأهل البيت من قریش والأعمام والوزراء  
وطبقات الخدام والقضاة والفقهاء والعدول ؛ وقد بأذن إليه هشام بخلع  
فأخيرة ، غير بها الوقت من أحواله . ودخل عليه الأسهاد ؛ فصحت الخلافة  
لمحمد بن عبد الجبار في صبح تلك الليلة . وتلقب بالمهدي ، لقب لم يلبسه  
مرواني قبلاًه .

وكان المهدي جسوراً ، مضطرب الرأي ؛ ويقال إن عدة من تبعه من  
سفلة قرطبة ، فأثبت أسماءهم في العطاء ، خمسون ألفاً . وانتهب الزاهرة ؛  
فتقتمت الأيدي كل ما استلبت عليه من مال مخزون وآلة ومتاع  
وعُد سلطانية ، وفرش ، وآنية ، حتى اقتلعت الأبواب الوثيقة والخشب  
الضخمة ؛ وتوصل منها القاليم — زعموا — بعد ذلك خمسة آلاف وخمسمائة  
ألف دينار كراهيم ، ومن الذهب لألف ألف وخمسمائة ألف دينار .  
واستخرج من بعض الدفائن مائتي ألف لم يغن عنه شيئاً مع الاضطراب  
والفتنة . وأطلق من حرم آل عامر الحرائر ، واصطفيت الأماء . ولما  
فرغ من تحويل ما كان بالزاهرة أمر بهدمها ، وحط أسوارها ، وقنع  
أبوابها ، وتشعث قصورها ، وطمس آثارها ، وتعجل ذلك ، توقفاً  
لتدارك عبد الرحمن بن أبي عامر ومن لديه من الجيوش أمره . وسوغ  
الناس إنقاضها ؛ فبلغوا من تدوير تلك المدينة الجلييلة ما لا يبلغه الدهور  
المتعاقبة ؛ فأصبحت بلفظاً كأن لم تغن بالأمس .

وذكروا أن المنصور بن أبي عامر بانيتها كان يرى في منامه كأن الله  
اطلع عليها وتجلي لها ؛ فسأل عن ذلك ابن الهمداني ؛ فأخبره بحراها ،  
وتلا قوله تعالى : « فلما تجلّى ربه للنجيل جعله دكاً » . فكان

المنصور متى تذكر هذه الرؤيا تنغص عيشه . وكان ما تقدم به التعريف من اغتوار عبد الرحمن بن المنصور ، وإقدامه بالجيش على قرطبة ، وفرار الناس عنه إلى ابن عبد الجبار وقتله .

وسر أهل قرطبة بولاية المهدي سروراً عظيماً ، وأفرطوا في اتخاذ الأعراس له بالرحبات والأرباض ، غافلين عما خبا القدر لهم في ذلك من المكروه الذي أباده خضراؤهم ، وفرق جموعهم ، وأجاع بطونهم ، وسلب أموالهم ، وهدم دورهم ، وألبسهم لباس الجوع والخوف ، سئة الله في الرعايا إذا بطرت ، وملئت العافية ، ودانت بحب الإهالة والقلق بالملوك والشعر إلى الثورات .

والثقف الجيش الغازي مع عبد الرحمن بن أبي عامر على صاحب الأمر ، ودانوا بطاعته ؛ فكان من أسباب إداره قعود من وكّل بأبوابه من السفلة ومحدثي الاستعمال والاستخدام من أراذل العامة المتجنّدة بكل من يجيب برؤه وتسويده من وجوه الناس وأعلام الحيلة وشيوخ البرابرة ؛ فكانوا يطالبونهم بإلقاء السلاح ، ويبادرونهم بالنجعة ويستمعونهم الحنى ، من غير تمييز بين أعلاهم وأدناهم ، حتى انبعثوا منهم حقداء ، وأثاروا على إسلام ابن أبي عامر ندامة . وهاجّت طائفة ؛ فتعدت على دور البرابرة بالرصافة ؛ فنهبتها ؛ ففسدت طاعته ، وانحرفت النفوس عنه .

فلما استوسق له الأمر ، وكتب إليه واضح العامري صاحب طليطلة بالطاعة ، وتم مراده من انتظام الملك ، أخرج المؤيد هشاماً من قصره ، وأسكنه ببعض دور الملك ، وأحضر للناس رجلاً ميتاً شبيهاً به ، قيل إنه كان يهودياً أو نصرانياً ؛ فعابته الوزراء ، وشهدوا بأنه هشام المؤيد من غير شك فيه . وقام بحق مواراته يوم الإثنين لثلاث بقين من شعبان هذه السنة ، ثم أسقط سبعة آلاف ممن كان قد استلحقه من جنوده ، فاستهدف لانحرافهم وعداوتهم ، وأعلن ببغض البرابرة

وتنقصهم ، جهلاً بمحلتهم من البأس والعصية ؛ فتألفت من هذه الأصناف جملة على هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، وتعصبت العامة للمهدي . وأجلت الحال عن القبض على هشام بن سليمان ، والإتيان به إلى ابن عبد الجبار ، وتفرق من كان قد التف به من البرابر المستوحشين من ابن عبد الجبار لكونهم صنائع ابن أبي عامر ، وغيرهم من البكديتين والصنائع والفتيان . فقتل هشام بن سليمان صبراً بين يديه ، وانتهبت دورته ودور من تلبس به من البرابر وغيرهم . وانحاز البرابرة والمغاربة من القبائل بجمعهم إلى أرملاط خارج قرطبة عشية يوم الجمعة ، بعد محاورة بينهم وبين العامة ؛ ثم صرفوا وجوههم إلى الثغر . وراسلهم محمد بن عبد الجبار ؛ فلم يلتفتوا إليه .

وكان سليمان بن الحكّم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله قد فرّ من قرطبة طالباً النجاة بنفسه لما قتل من قتل من بني أمية ؛ فصار من جملتهم . ولما سأله عن نفسه فصدّهم عن أمره ، قدّموه ، وعقدوا له الخلافة ، وتسمى المستعين بالله ؛ وذلك في عقب شوال من سنة ٣٩٩ المذكورة ، ونهضوا به إلى سنانجه بن عرسية بن قرذلند ، وعاقدوه على أن يعين سليمان بن الحكّم على دخول قرطبة ؛ فتحرّك معهم في عسكر عظيم من النصارى ، واحتل قرطبة . وبرز إليهم المهدي فيمن معه ؛ فهزمهم سليمان ، وقتل النصارى يومئذ من أهل قرطبة أزيد من ثلاثين ألفاً . وكانت أول ثارات المشركين على المؤمنين .

ولما عظم الأمر على ابن عبد الجبار ، ورأى انحراف الناس عنه ، بدا له في أمر هشام المؤيد بالله المخلوع ، وظن أن الناس يتعصبون له إذا رأوه ؛ فأخرجه للناس ، ورجا أن يستمسك الحال به ؛ فلم يجد ذلك ، وقد تمكن الداء ، وأعضل المشتكى ؛ وعجز ابن عبد الجبار ، ورأى إرباز هشام للناس لم يغفر ؛ فدبر الحيلة ، وأذعن لسليمان ومن معه من البرابر ، وسلم في

القصر السلجاني ؛ فوجهه إليه واليداء الحَكَمَ ليضبط أمره بجلال ما يتم خروج ابن عبد الجبار عنه بأهله ، ويدخله ضجوة اليوم ؛ ففرَّ ابن عبد الجبار من ليلته ، واختفى في المدينة أيتاماً ؛ ثم خرج مُتَنَكِّراً إلى طليطلة في خبر غريب ، يتقاضى حديثاً اختفائه وحيلته وما جرى عليه من الخطوب. فكان اتِّصاله بطليطلة والحياشة إلى واضح الحَكَمِ بها في أوَّل جمادى الأولى من سنة ٤٠٠ . وقبيله أهل طليطلة أحسن قبول ؛ وكان من أمره ما يُذكر .

## أيام سليمان بن الحكم بن سليمان

ابن عبد الرحمن الناصر لدين الله

والحديث قد تقدّم بقيام البربر بدعوتيه ، ونزوله بظاهر قرطبة من بعد هزيمة ابن عبد الجبار ، ثم الخلاعه لهم عن الأمر ، واختفائه في المدينة ، ونزول سليمان قصر قرطبة مرثته الأولى في السابع عشر من ربيع الأوَّل سنة ٤٠٠ ؛ ثاني يوم من فرار المهدي وطليبه ، فأعيانه . واستقرَّ سليمان بقر المُلْك ، وخاطب البلاد ، وقدَّم العمال . ولحين لحاق ابن عبد الجبار إلى طليطلة مستظهِراً بواضح ، بادر ، فأحكم له أيضاً العقْد مع الفِرَنْج ، على أن يخرج لهم عن مدينة سالم ؛ فقبضوها ، إلى ما التزم لهم عن نفسه من مالٍ ونفقت . وتحرك الجميع إلى قرطبة . وبلغ ذلك سليمان ؛ فاستنفر الناس ، وخرج إلى لقاءهم لأربع عشرة خلت من شوال هذه السنة . ولما أحكمت البرابر التعبئة للحرب ، جعلوا سليمان في أحيائهم ، ومعه خيل من المغاربة ، وقالوا له : « لا تبرح من مكانك ، ولو وطأتك الخيل ! » فلما دفعت الفِرَنْج ، وخرقت صفوف البربر ، لم يدرك أن البربر أفرجت لها ، إذ لا يقوم لصدمتها شيء ، وإنما تلتف عليها بعد ؛ فلم يشك أن

البربر قد اصطلبوا . فانهمز فيمن كان معه على ذلك ؛ فقتلت يومئذ البربر أزمقند ملك الروم ومين من كبار قومه . وقتل من البربر نحو من ثلاثمائة من رجالهم ، إذ لم يقتل لهم يومئذ فارس . وانحازوا إلى الزُّهراء ؛ فرفعوا أولادهم ، وفرُّوا على وجوههم . ومضى سليمان فاراً إلى ساطبة . وخرج أهل قرطبة ؛ فانتهبوا أثاث البربر ، وقتلوا من وجدوا . وأتى محمد بن عبد الجبار وواضح الفتي قرطبة ؛ فدخلها .

## أيام محمد بن هشام في الرجعة الثانية

قال : ولما عاد ابن عبد الجبار إلى قرطبة ، جدَّ البيعة لنفسه ؛ فكان أوَّل من بايعه هشام المؤيد . وطلب الناس مالاً يفرضونه لمن معه من النصارى ؛ وكانوا في تسعة آلاف . ثم أقسم بالآيمان المغلظة أن لا يستقر ولا يحل شعار الحرب حتى يفرغ من أمر البربر ؛ وقد كانوا ساروا بعيالهم وأولادهم ، يحملونهم على سروج دوابهم وغير ذلك ، إلى جهة البحر الزقاق في تجاه بلادهم الغربية ، ونزلوا بوادي يارو من أحواز مراكلة . وتحرك إليهم بكل من قدر على حمل السلاح من أهل قرطبة وبواديها ، حتى نزلوا على البربر يوم الخميس لست خلون من ذي قعدة سنة ٤٠٠ ؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً . وغشَّ ابن عبد الجبار فرسان الثغر ، وبكروا من البربر قتال المستميت الذي لا يطمع في الحياة . ومن قاتل كذلك ، فقد كتب الله له الصائلة . فانهمز واضح وابن عبد الجبار والفِرَنْج أعظم هزيمة عن عدو قليل ذليل إلا أنه أثبت رجلك في مستنقع الموت ، ولم يعول على الحياة . فقتل من الفِرَنْج يومئذ أكثر من ثلاثة آلاف ؛ وغرق منهم بوادي السقائين ، وهو وادي يارو خلق كثير . واحتوى البرابر على ما في عسكرهم وعسكر واضح وابن عبد الجبار من مَضَارِب ومال وسلاح ودواب . ووصل المنهزمون إلى قرطبة ثاني يوم الواقعة . ورغب ابن عبد

الجبار وواضح من النصارى في الرجوع معها إلى البربر ؛ فأبوا منه ذلك ، ورحلوا إلى بلادهم مقلولين . وشرع ابن عبد الجبار في الحركة والرجوع ، وطلب أهل المدينة بالمال تجلداً وعزيمة كاذبة . ولم يكن إلا أن رحل عن الحضرة ، ثم غلب رأي الانحجار والاحتجار ، وأمر باحتقار الخندق . وتكالبت البربر ، وظهرت خيلهم مغيرة على الأطراف ، وغلبوا جبل ببشترو قاعدة خلاف ابن حفصون في القديم . وأجحف ابن عبد الجبار بالناس ؛ فنشأوا عنه ، ونشأوا به ؛ وبدا لهم سوء ما ذكر لهم القدر من أيامه ، وأحسوا بعقاب الله إليهم في بطر العافية المقترة بدول العامرية التي ملكوها وسيموا نعيمها ، وضجوا من مواصلة جهادها في سوء الجوار وكفران الحق . ولهذا العهد أتت النفقات على أسباب السلطان ، وذهب عتاده وزينه ، وأصبح حقيراً فقيراً ، واستأسل العدو ، واستقال سليمان بن الحكم أمير البربرة العشرة . واقتضى نظراً واضحاً ومن معه قتل ابن عبد الجبار ، وإعادة هشام المؤيد المستبق لهذا العهد ، المبلى بهذه المحن ، إلى محله . وكان المهدي قد استجيب واضحاً ؛ فدخل عليه يوم الأحد الثامن من ذي الحجة سنة ٤٠٠ ، وقبضوا عليه ، وأخرج هشام المؤيد ؛ فأجلس ابن عبد الجبار بين يديه ؛ فعاتبه طويلاً لما جنى عليه في نفسه وحرمة ؛ ثم أخرج من بين يديه ؛ فقتل ومثل به . واختفى ولده ولي عهده إلى أن لحق بطليطلة .

## أيام هشام بن الحكم بن عبد الرحمن

### الناصر لدين الله في المرة الثانية

ولما قتل المهدي ابن عبد الجبار ، جلس هشام للناس ، وتقدم لحجابه وإصيح ، وجدده له البيعة ، وبعث برأس المهدي إلى سليمان أمير البربرة وإلى

من معه ، ودعاهم إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ، والاستقالة من الفتن ؛ فلم يقبلوا ذلك ، واعتبطوا بأميرهم . وفي أخريات ربيع الأول من هذه السنة ، نزلوا قرطبة ، ودخلوا مدينة الزهراء . وانضم الخلق من الأحواز إلى المدينة ، وانتشرت الغارات ، وعظم العياث فيما اتصل بالبلد . وانتشر البرابر على كوز الأندلس مالقة ، وإشبيرة ، وما اتصل بأحواز قرطبة ، بخريون الدبار ، وينسفون النعام ، ويسبون الحرير ، ويصادرون الفداء من بينهم باليسار من الرعية ؛ وطلبوا الناس بالأموال ، وقطعوا الميرة عن قرطبة ، فاشتد الغلاء ، وعظم البلاء ؛ واضطر هشام وواضح إلى خطبة الحسف من استصراخ النصارى والاستغاثة بملكهم على شرط تتمكثه من البلاد . ووصلت رسله إلى قرطبة ؛ فأحكمت الشروط على تسليم أزيد من مائتي حصن بما فتح الملوك المجاهدون من بني أمية وكافل أمرهم المنصور وولده . وحضر لذلك الفقهاء والقضاة والمفتون ؛ وانصرف الجميع مستبشرين بنصر العدو إليهم خذلاناً وعباية ولجاجاً في الغي ونقمة من الله لبطر العافية . وارتكب العوام والرعايا بين المناصرة للبربر والمجانبة الطبيعية ، وعدم الإغماض في استصلاحهم ، مرتكباً من اللجاج والتصامم مكث خزي الله من وجوههم ، وتل ربق القهر في رقابهم ؛ فلقد كانت من واضح وهشام في بعض الأحيان مروضة في السلم والصلاح ، وصل للكلام فيها من قبل القوم رجل خير يعرف بان بكور ، وقع الناس عليه ، وقتلوه ومثلوا به ، وقد عجز صاحب الأمر عن نصره .

وتجرد الناس لقتال البرابر ، وكلفوا المال للجيش ، حتى تليف أموالهم . وكان مما ألزم رسم الجيش خمسمائة فرس ؛ واضطر السلطان إلى المال ؛ فأخرج ما في قصره من حلى ثينة وذخيرة وآنية فضة وذهب وثوب ومتاع ، حتى الكتب والخزائن والموازين والفنون ، وحتى الأدوية الطيبية والعقاقير المجلوبة . ذكر أرباب التاريخ من ذلك أموراً تجدد الفجعة

وتبعث الحسرة ، لم يفتن ذلك من شيء لعيات الأيدي فيه ، وامتياز أيدي العوام به ، وشتره أهل الجاه والتمكن إليه . وجمع السلطان الناس إلى القصر ، وشكا إليهم القل والحاجة ؛ فأظهروا العجز ، وقالوا : « لم يبق فينا مطمئع ولا غلالة ! فاخترج بنا إلى العدو ! فإننا لا نقيم على هذه الحالة ، والموت خير منها ! » ونحير وأصبح وارتبك عليه أمره ؛ فعزم على الفرار إلى الثغر ؛ وفطن له الجنود ، وضعف في أعينهم ؛ فاجترأوا عليه ، واجتمعوا على ابن وداعة من وجوه قواد العسكر ، وزحفوا إليه ؛ فعاتبوه بما أتلف من الأموال ، وما عزم عليه من خراب الدولة ؛ ثم سلّوا السيوف ، فقتلوه ، واحتزوا رأسه ، وطافوا به البلد ، وألقوا جثته بالموضع الذي طرح فيه جثة ابن عبد الجبار ؛ ونهبت دورته وخزائنه ، وألفت أمواله مبصرةً ورحاله مشدودة . ونجلد هشام بعده ، وأظهر الاستغناء عن الوزير ، ونجوداً لمباشرة الأمر بنفسه .

وكتب سليمان بن الحكم إلى أهل قرطبة يحذّره الفتنة ؛ فلبثوا . وبلغت الغاية ، وانتهى الأمر . وطال على الناس لزوم المحاريس والمراصد والبيات ؛ فلبثوا وعجزوا . وبان للعدو فشلهم وإخلاقهم إلى الأرض ؛ فاشتد فيهم طبعه ، وهم على خلصة إضعاف الحاصر . وتوالت عليهم الهزائم ، وأكلتهم السلاخ ، وأضرعتهم الحاجة . واقتحم البرابرة أرباض قرطبة عنوة . فكان الأمر في هول يومها يجلّ عن الوصف ، ويشذ عن العبارة ، من استيلاء السيف والسبي والنار والتخريب ؛ ولباً من تأخر أجله إلى المدينة . وخرج القاضي ابن ذكوان ، وكان له نوسل إلى أميرهم سليمان بن الحكم ، وقدم في الصاغية إليه ، ورأي سديد في مصلحة قومه ؛ ففقدوا للناس أماناً تحت ضغار وذلة ودنية وخفية . ودخل سليمان القصر بقرطبة بعد .

## أيام سليمان بن الحكم بن سليمان

### ابن الناصر لدين الله عبد الرحمن في المرة الثانية

دخل سليمان القصر بقرطبة يوم الاثنين ثلاث بقين من شوال سنة ٤٠٣ هـ ؛ وأحضر هشاماً ؛ فوبّخه ، وقال : « كنت تبرأت لي من الخلافة وأعطيت صفقة بينك ! فنقضت عهدك ! » فاعتذر إليه بأنه مغلوب على أمره . ثم تبرأ له عن الأمر بجملة . وانتقل سليمان إلى سكنى الزهراء ، ورثب الأمر ، وكتب بالتسكين إلى الجهات ، وأخرج الولاة ، وقسم بعض كنوز الأندلس بين رؤساء القبائل البربرية ؛ وكانوا ستة : فأعطى صنهاجة منهم بني زيري بن مناد السيرة ؛ وأعطى مغراوة جوفي البلاد ؛ ومندرة ابن يحيى سرقسطة ؛ وبني برزال وبني بقرن جيان وذواتها ؛ والمغاربة وبني كمر وأزداجة سذونة وموزور . وولّى علي بن حمود على سبتة ، والقاسم بن حمود على مدينة طنجة وأصيلا الخضراء . ولما استقر الأمر لسليمان ، كان رؤساء البربر غاليين على أمره ؛ فحذر لذلك العامرية ، وفرّوا إلى بلاد شرق الأندلس ؛ فتأثّلوا بها الملك ، حسباً يأتي بحول الله .

وفي هذا العهد ، لأوّل عودة سليمان بن الحكم ، هلك هشام - رحمه الله - ؛ وكان الفتيان والعامريون والبقايا الشاميون ، لما يسوا من حسن العقبى ، وأيقنوا باستيلاء البرابرة مع سليمان على قرطبة ، قصدوا الليلة الإثنين الذي فتح فيه البرابرة قرطبة إلى باب السدة ، وقد تأهبوا للفرار ، وجهدوا في الدخول إلى هشام ؛ فلم يمكنهم من ذلك . فجعلوا يرأسونه ويعرضون عليه الدخول إلى مدينة الزهراء ، كيما يجتمع الجند إليه بها ؛ فأبى وقال : « المدينة من قرطبة ! ومن فاته رأس الأمر فلا يأخذ بذنبه ! » وقد علم الله أني ما أحببت الدخول في شيء مما أذخلتهموني

فيه ؛ فقد نَفَذَ قضاؤه بكرهه ، وهو حسي ! » قالوا : « فاركب معنا الليلة في خَفٍّ من رَجُلِكَ وصفوة من أهلك ، نُخْرِجَكَ في جَمْعنا ، ونقطع من الليل ؛ فنُلْحِقَكَ بقلعة شاطِبة بِحِلِّ عَصْمَةٍ . فلا يبعد أن يلحق بك الناس ، وينحل أمرُ عدوك بِسرعة ! » فقال : « وهذا أشدُّ ! أعود إلى مثل حالِ سليمان ، والقبح الفتنه ، والعرج الأُمّة ! هاهنا لا يكون أبداً ! » فلما يشوا منه ، مالوا إلى الصلح من غَدٍ ، وطمعوا في الحياة ، واستجابوا لخلع هشام ؛ ومكثوا من ناصيته . فحمل إلى سليمان ، وعاتبه ؛ ثم صرفه ، وقد رُقَّ له مع محمد بن سليمان ولده ، ووصاه بالجميل في أمره ؛ فأقام معه أياماً ، لا يخفى مكانه ؛ ثم غيب شخصه ؛ فكان آخر العهد به .

وشاع يومئذ أن محمداً أعجل عليه دون إذن والدِه سليمان ؛ فاغتاله خنقاً منفرداً بذلك ، مع بطائه ابنُ حدير وغيره ، لحس خلون من ذي القعدة سنة ٤٠٣ . فكانت مُدته في هذه الكربة سنتين وأربعة أشهر ، أنست ما قبلها من آمان الشر وأزمان الفتنه . وكانت سنه يوم الخلع الثاني ثمان وأربعين سنة وأربعة أشهر . ولم يخلف عقباً من ذكر ولا أنثى . واقتدر قاتلوه على ما لا شيء فوقه من كتم أمره ، وأساعوا أنه فرّ لوجهه مأذوناً له ؛ فعتش زماناً سقاءً بالمصرية .

وكان من غرائب الدهر ، ولعمري إن الدهر لغرائب كلّه ، أن ضمَّ ابنُ عبّاد بإشبيلية شيخاً مأبوناً من عرض الرّعاع ، أضبطه ، وحجبه ، وزعم أنه هشام المؤيد ، استقرّ عنده وقام بدعوته ، وندب الناس إليه ، ووقف عليه معاينو هشام أيام حياته ؛ فشهدوا بوجوده حيّاً لديه فخطب له بأكثر بلاد الأندلس قرطبة وإشبيلية وغيرها زماناً ؛ وتوصل بذلك إلى كثير من تدييره حتى توطد له الأمر بإشبيلية ، واستحكم بناؤه ، وأورثه بنيه بعده .

ولما تنفس مخرجُ العامريين الموالى والصنائع الهاشمين ، وعادوا على سليمان بالحقود البربرية ، صرف بعضهم إلى علي بن حمّود أمير سبته من الحسنين عهداً منسوباً إلى هشام المؤيد ، وبخطه زعموا ، يعهد فيه بالأمر بعده إلى علي بن حمّود وتوليته الطلب ؛ وسهلوا عليه سبيل طلب الخلافة . فأظهر به الخلاف على سليمان بن الحكم ؛ وكان أملاك لنفسه ؛ ثم تحرّك بعد أن التفت عليه بشر كثير ، وبعد أن خاطب أخاه القاسم بقرطبة ؛ فلحق ببلاده الحضراء . فكان استبداد علي بن حمّود بسبته سنة ٤٠٤ . وقتل قاضيها محمد بن عيسى ، والفقيه ابن يربوع عميداً ، لاثامهما بميل إلى سليمان ؛ وقد بعث عيوناً تنظّيع له على أحوال سبته .

وفي السنة المذكورة ، جاز علي بن حمّود من سبته إلى مالقة ، بعد أن بعث منها إلى حبوس الصنهاجي وإلى خيران العامري ؛ فأشارا عليه بقصد مالقة وقتله . وخرج سليمان المستعين بالله من قرطبة إليه ؛ فالتقيا في شهر محرم من سنة ٤٠٧ . فكانت على سليمان الهزيمة . وقبض على سليمان وأخيه وأبيه الحكم ؛ فقتلهم بيده ، وقال بلسانه الزناتي : « لا يقتل الزنطان إلا الزنطان ! » وقيل إن علي بن حمّود قال للشيخ الحكم : « يا شيخ ! هكذا قتلتم هشاماً ! » فقال : « لا والله ! ما قتلناه ، ولا هو إلا حي يرزق ! » فعند ذلك عجل علي بقتله . وكان هذا الشيخ الحكم بن سليمان فاضلاً ، لم يتلبس من أمر ابنه بكبير شيء . وجعلت رؤوس ثلاثهم في طست ، وأخرجت من المحلة إلى القصر ، يُنادى عليها : « هذا جزاء من قتل هشاماً ! »

وانقضى أمر سليمان على هذه السبيل . وكان أديباً شاعراً مُدرِكاً متأثراً ، إلا أنه خرج الأمر في تلفيق الأمور عن يده . وشعره متداول مشهور . وهو أحد من شرف الشعر باسمه ، ونصرف على حكمه .



ومن المشهور له ، قوائمه 'يعارض' الرشيد هارون في قوله بسبب جوارحه  
الثلاث ١ :

مَنْكَ الثَّلاثُ الْآيَاتُ عِنَانِي وَحَلَلَنْ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ  
مَا بِي نَطَاوَعِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأَطِيعُهُنَّ دَهْنٌ فِي عَصِيَّانِي  
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ سُلْطَانَ الْهَوَى وَبِهِ قَوَيْنَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي

بقوله :

عَجَبًا يَهَابُ اللَّيْثُ حَدَّ سِنَانِي وَأَهَابُ لِحَظَةٍ قَوَاتِرِ الْأَجْفَانِ  
وَأَفَارِعُ الْأَبْطَالِ لَا مُتَهَيِّبًا مِنْهَا سِوَى الْإِعْرَاضِ وَالْهَيْجَرَانِ  
وَتَمَلَّكَتْ نَفْسِي ثَلَاثُ كَالْدُمَى زَهْرُ الْوُجُوهِ نَوَاعِمُ الْأَبْدَانِ  
كَكُوكِبِ الظُّلُمَاءِ لِحْنُ لِنَاطِرِي مِنْ فَوْقِ أَغْصَانٍ عَلَى كُثْبَانِ  
هَذِي الْهَلَالُ وَتِلْكَ بِنْتُ الْمُشْتَرِي حُسْنًا وَهَذِي أُخْتُ غُضَنِ الْبَانِ  
حَاكَمْتُ فِيهِنَّ السُّلُوَ إِلَى الْهَوَى فَقَضَى بِسُلْطَانٍ عَلَى سُلْطَانِي  
فَأَبْغَنَ مِنْ قَلْبِي الْحِمَى وَتَرَكَتْنِي فِي عِزِّ مُلْكِي كَالْأَسِيرِ الْعَانِي  
لَا تَعْدُلُوا مَلِكًا تَذَلُّلًا لِلْهَوَى ذُلُّ الْهَوَى عِزُّ وَمُلْكٌ ثَانِي  
إِنْ لَمْ أُطِيعْ فِيهِنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى كَلَفًا يَهِينُ لَا كُنْتُ مِنْ مَرْوَانِ

واغتنمته شعراء العامرية والدولة الأموية ؛ وقد نسجت على أفواههم  
ومحاربهم العناكب أيام الحرب والفيتنة ، واشتدت فاقمتهم ، وحثت  
طبائعهم . وكانوا كالبرزاق الفدحة الجياع ، انقضت لفرط الضرورة على  
الجراحة ؛ فلم يبال صداهم ، ولا شدت خلعتهم ، لاشتغاله بشأنه واشتداد  
حاجة سلطانه . فمن ذلك ما أنشده شاعر الأندلس على عهده ، الكائن

١ راجع « ذخيرة ابن بسام » ( ج ١ / ١ ، ص ٣٣ - ٣٤ ) .

فيها يومئذ بنوالة المنتسبي بصقع الشام ، أبو عمر بن دراج القسطلاني ١ :  
[ الطويل ]

هَنِيئًا لِهَذَا الْمُلْكِ رَوْحُ وَرِيحَانِ وَلِدَيْنِ وَالْدُنْيَا أَمَانٌ وَإِيمَانُ  
فَإِنَّ قَعِيدَ الْحِزْبِي قَدْ ثَلَّ عَرْشُهُ وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانُ  
سَمِيَّ الَّذِي انْقَادَ الْأَنَامُ لِأَمْرِهِ فَلَمْ يَعْصِهِ فِي الْأَرْضِ إِنْسٌ وَلَا جَانُ  
وَبَانِي الْعُلَى لِلْحَمْدِ غَادٍ وَرَائِحُ وَحِلْفُ الثَّقَى لِلَّهِ رَاضٍ وَعَضْبَانُ  
بِهِ رَدٌّ فِي جَوْ خِلَافَةِ ثَوْرَهَا وَقَدْ أَظْلَمَتْ مِنْهَا قُصُورُ وَأَوْطَانُ  
وَأَنْتَقَدَ دِينَ اللَّهِ مِنْ قَبْضَةِ الْعِيدِ وَقَدْ قَادَهُ لِلشَّرِّ ذُلُّ وَإِذْعَانُ  
وَقَامَ فَقَامَتْ لِلْعَالِي مَعَالِمُ وَلِلْخَيْرِ أَسْوَاقُ وَلِلْعَدْلِ مِيزَانُ  
وَجَدَّدَ لِلْإِسْلَامِ ثَوْبَ خِلَافَةِ عَلَيَّهَا مِنَ الرَّخْمَنِ ثَوْرٌ وَبُرْهَانُ  
وَأَكْدَهَا عَهْدَ الْأَكْرَمِ مَنْ وَفَى بَعْدَهُ زَكَّتْ مِنْهُ عَهْدُهُ وَأَيْمَانُ  
بِهِ شَدَّ أَزَرَ الْعَدْلِ وَالْعِلْمِ وَالْهُدَى وَفَاضَ عَلَى الْأَيَّامِ حُسْنٌ وَإِحْسَانُ  
فَتَى نَكَصَتْ عَنْهُ الْعِيُونَ مَهَابَةً فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الرِّغَابُ أَقْرَانُ  
يَهُونُ عَلَيْهِ يَوْمٌ يَرُوي سِيوفَهُ دَمًا أَنْ يُوَافِيَهُ الدُّجَى وَهُوَ ظَلَمَانُ  
سَمِيَّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ وَوَارِثُ مَا شَادَتْ قُرَيْشٌ وَعَدْنَانُ  
وَمَا سَاقَتْ الشُّوْرَى وَأَوْجِبَتْ الثَّقَى وَأَوْرَثَ ذُو النُّورَيْنِ عَمَّكَ عُثْمَانُ  
وَمَا حَاكَمَتْ فِيهِ السُّيُوفُ وَحَازَهُ إِلَيْكَ أَبُو الْأَمْلَاقِ جَدُّكَ مَرْوَانُ  
مَوَارِثُ أَمْلَاقٍ وَتَوَكِيدُ بَيْعَةٍ جَدِيرٌ بِهَا فَتَحٌ قَرِيبٌ وَرِضْوَانُ  
وَدَوْحَةٌ تَجْدِدُ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا كُوكِبُهَا مِنْهَا فُرُوعٌ وَأَغْصَانُ  
لَنْ عَظُمَتْ شَأْنًا لَقَدْ عَزَّ تَصَرُّفُهَا بِكْرَاتُ فُرْسَانٍ لِأَقْدَارِهَا سَنَانُ  
قِبَائِلُ مِنْ أَبْنَاءِ عَادٍ وَجُوهُهُمْ لَمْ يَصْفُو مَا تَسْمِيهِ هُودٌ وَقَحْطَانُ

١ راجع بعض أبيات هذه القصيدة في « ذخيرة » ابن بسام ( ج ١ / ١ ، ص ٥٣ - ٥٤ ) .

بنو دول الملك الذي سلفت به  
فهم عرفوا مشواك في هبوة الردى  
وللموت في نفس الشجاع تحيل  
فأعطوك واستعطوك في حومة الوغا  
كان السماء بدرها ونجومها  
وقد سمعت حولك منهم أسنة  
أسود هياج ما تال تراهم  
وأقمار حارب طالعات كأنما  
ويوم اقتحام الحفر أيقنت أنهم  
دلفت بهم للحرب تحت عجاجة  
بكل زفاتي كان حسامه  
وأبيض صنهاج كان سنانه  
لقد علموا يا مستعين بأنهم  
ولولاك والبيض التي مهدوا بها  
ولا استبدلت قرع التواقيس بالضحى  
وهم سمعوا داعيك لما دعوتهم  
نصاوير ناس مهطعين لصورة  
فله عزم رد في الحق روحه  
وقلنت لئلا للعائرين كأنك  
وأصبح أهل الحق في دار حمهم  
محدد من رد النفوس فأصبحت  
وأنس شمل بالفرق موحش

ورد جماع الغي من غرب شأوه  
وقد أمن التريب إخوة يوسف  
وأعقب طول الحرب أبناء قيلة  
وحشت لداعي الصلح بكر وتغلب  
وفازت قداح المشتري بسعودها  
وعرف معروف وأنكر منكرك  
وأغمد سيف البغي عثا وعطلت  
وما كان منّا الحى في نوب ذلك  
ومن على المستضعفين وأنجزت  
يسنن الإمام الظافر الغافر الذي  
مجرد سيف الانتقام لمن عثا  
فمن سره المخيا فسمع وطاعة  
وكان ملكه ، الذي عفا على محاسن العباد والبلاد ، بوطن الجهاد ،  
وذهب منه بالطارف والتلاد ، وإذ قرطبة حضرة الدنيا ، وأمّ الذواعد من  
غير ثنيا ، حرّ النار ، ويرد الشفار ، وترك حديثها محلاً للاعتبار ، ثلاث  
سنين وعشرة أشهر ، ألوت بمحاسن المضر الأنيق ، وذهب بروقه الشهير .  
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي الكبير !

وعقد سليمان بن الحكم العهد لابنه محمد بن سليمان ، في منتصف جمادى  
الآخرة سنة ٤٠٠ . وكان يومئذ واحده ، وهو صبي مراهق ، فأعلن  
بتقليده عهده ، وزعم أنه من حسن اختياره لرعيته ، بعد أن شاور في  
ذلك وزراء ورجال مملكته من الطائفتين . فتوحى معظمهم مراقبته ؛  
فأمضى به العهد ، وأوقع الدعاء له بذلك في سائر عمله ، وأجرى ذكره  
بالتأمين والتكثيف في المخاطبة . فتمت ولايته على هذا الوجه دون نقعة

ولا أعطي لفتة المال . فكان أول من اقتنع بذلك ؛ وتلاه من جاء بعده من المتوكلين في الفتنة ، حتى صار العهد كخطبة من الخطط ، يقتصر فيه على صحيفة مقروءة . وأمر بنقش اسمه في السكة والأعلام والطروز ؛ وتقدم إلى الخطيب قاضي الجماعة ابن ذكوان بالدعاء له فوق المنبر على الرسم ؛ ونفذت الكتب بذلك عن سليمان . فكانت نسختها :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين ، لما جبله الله عليه ، وحبه إليه ، من الاجتهاد للمسلمين ، والنظر لهم ، والفكر في عواقبهم ، والحرص على مصالحهم ، والإشفاق من اختلافهم ، واقتراح كلمتهم ، رأى أن يجتهد لهم مساندة ، كما اجتهد لهم في حياته ، بأن يرفع لهم علماً يتبدون به ، وينصب لهم وزراً يلجأون إليه ، وموثلاً يتعطفون عليه ، يؤلف شملهم ، ويجمع كلمتهم ، ويلهم شغفهم ، ويسكن قلوبهم ، ويؤمن روعتهم ، مقتدياً في ذلك بالائمة المهتدين ، والخلفاء الراشدين ، الذين نظروا للامة من بعدهم ، وأشفقوا من اختلاف كلمتهم ، وتفرق مذاهبهم ، عندما يفجأهم ما لا يحيد لهم عنه ولا بد منه من بغتات الأقدار ، ونفاد الأعمار ، الليل والنهار ، فأطال استخارة الله - عز وجل - والرجة إليه في أمده ، بتوفيقه ومعاذته بتسديده ؛ وحمله على ما فيه الخيرة له ولجميع المسلمين وجميل العاقبة في الدنيا والآخرة ؛ فألقى الله في روعه ، وثبت في خلده ، وقرر في نفسه ، أن محمد بن أمير المؤمنين أولى أهل بيت الخلافة بولاية عهد المسلمين غير محاب له ولا آخذ بهوادة فيه ، بل لما قد علمته الخاصة والعامة من تكامل خلال الخير له ، واجتماع أدوات الفضل فيه ، وما هو عليه في دينه ، وهديه ، وورعه ، وفضله ، وطهارته أثوابه ، وعفاف مذهبه ، وصلب نفسه ، واكتمال حلمه ، وسعة علمه ، وكإل أدبه ، واضطلاع بأعباء الخلافة ، ومعرفة بمعاني السياسة ، ونفاذه في التدبير والإدارة . فأمضى أمير المؤمنين ما استخار الله تعالى فيه ، وعزم عليه ، وجعل ولاية

عهد المسلمين إلى محمد بن المستعين بالله أمير المؤمنين ، وهو يعتقد أنه قد خرج جماعة المسلمين عما ألزمه الله من حقهم ، وتبرأ إلى الله بما كلفه من أمرهم ، وأدعى الأمانة التي حملة الله في الاجتهاد لجماعتهم ، وقضى ما وجب عليه من الاحتياط في الاختيار لإمامتهم ، مبتغياً بذلك ثواب الله العظيم ، وفضله الجسيم ، ونظراً لأمة محمد - عليه السلام - وتحصيناً عليها ، واحتياطاً لها ، وهروباً من التقصير في حقها . والله يورث وجماعة المسلمين الخير والخيرة واليمن والبركة والسعادة والغبطة فيما وفق أمير المؤمنين له وألمه إليه . فأعلم ذلك من عقد أمير المؤمنين وعهده وما أنقذه من فعله ، وتقدم إلى أصحاب الصلوات في جوامع عمك بالدعاء له في خطب الجمع بما أدرجناه طي كتابنا هذا . والله يسأل أمير المؤمنين أن يتولاه في جماعة المسلمين بما فيه الخير لهم ، وجميل العاقبة في دينهم ودنياهم ، وأن يقارضه بجميل نيته لهم ، وكريم مذهبه فيهم . إنه ولي المجازاة بالإحسان عن الإحسان ، والمتمن بالفضل والامتنان ، إن شاء الله . وكتب في النصف من جمادى الآخرة سنة ٤٠٠ .

قال أبو مروان في « المتين » : ومن غريب ما طرحه أهل التنجيم في مبتدأ هذه الفتنة وكثرة تأثيرها على أصولهم وزعمهم أن القرآن الشنيع الحادث في سنة ٣٩٧ المؤذن بها كان في برج ذي جسد قيل له السنبلة ؛ فأندروا بذلك بأن تكون لمن قام بالملك في هذه الفتنة دولتان لا محالة . فوجدت ذلك ؛ فإذا القضاء قد أخرجه من القوة إلى الفعل ، حسباً ذكره ، وتناشق على الكرور في الملك خمسة أملاك ملكوا مرتين ، وهم : محمد بن هشام هذا ؛ ثم هشام بن الحكم صاحب الجماعة ؛ ثم سليمان بن الحكم صاحب البرابرة ؛ وإثنان من ملوك الحمودية : القاسم بن حمود ، وابن أخيه يحيى بن علي بن حمود . وارتفعت بعد هذه العادة على أن أباه علي بن حمود ، عاقب سليمان بن حكم ، وأول ملوك بني حمود ، شد

عن هذا الترتيب في تنية الملك وسطاً من ستيانه ؛ فلم يدل إلا مرة واحدة . والله أعلم بأمره وأحكامه .

### ذكر دولة الأدارسة الحسنيين بقوطبة وما يتخللها من أفذاذ بني أمية من بعد الجماعة

#### دولة علي بن حمود بقرطبة

وهو علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبد الله بن إدريس ابن إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - . وهو أول ملوك بني هاشم بالأندلس . والكلام في هذا البيت ولحق أهله من البلاد الحجازية بالمغربية مما يرجى القول فيه إلى الجزء الثالث بعد هذا إن شاء الله . لقبه : الناصر لدين الله ؛ وكنيته : أبو الحسن . وكان من جملة أمراء المغاربة المترسبين في ديوان بني أمية بقرطبة .

ولما التفت البرابرة والمغاربة بسليمان ، استجاشوا من العصابات الأندلسية ، وتشيراً لمقارعتها ، وأجفل البرابرة إلى وادي يارو ومنهزمين ، لحق بالعدوة الغربية ، وتغلب على سبنة محتالاً . ثم عاد إلى الأندلس لما استوسق الأمر لسليمان ، واختص من كثر إيلته التي اقتسمها البرابرة واقتطعوا بسبنة ، وأخوه القاسم بالجزيرة ، كما ذكرنا آنفاً . ولم يصب عن دهاء أصحاب سليمان بن الحكم فساد رأيهم في إشراك بني حمود مع نفسه في الولايات على نفسه وترشحهم إلى طلب ما بيده . ولكن الله غالب على أمره ؛ فلقد دخل على سليمان عبد الله البربري من رؤساء البرابرة ، لما بلغه تقديم بني حمود بضفتي العدو وتين ؛ فقال له : « بلغني أنك ولئت بني حمود على المغرب ! » فقال : « نعم » . فقال : « أليس العلويون طاليين ؟ » فقال : « نعم » . فقال له : « تأني إلى الأحباش ، فتروهم

تعاين ! » فقال له : « قد نقتد الأمر بذلك ! »

وقال ابن حيّان : ومن الإتفاق العجيب على سليمان أنه ، لما استوسق له الأمر بعد فراغه من أمر هشام ، أنفذ عزمه من بين قواد جيوشه في اختيار علي بن حمود للتقديم بسبنة ، رأياً ذهل عنه ، ونبذه إلى ضد له مكاشح شريك في الدعوى والقراية ؛ فتلقفها علي ، وهجم عليه ؛ فسنبه ملكه ، وحول دولته ، ومزق عثيرة . وإذا أراد الله أمراً ، أمضاه ! وذكر أن هشاماً كان معنياً بقائم على المروانية بسبنة ، أول أسبه عين ، حسبا تلقى ذلك من كتب الملاحم والحدثان ؛ فلم يزل يرتقب ظهوره إلى أن قام علي بسبنة ؛ فكتب له عنده ؛ فكان من أخذه بثأره ما تقدم .

ولما صارت إليه الدولة ، قهر البرابر ، وأمضى الأحكام ، وأقام العدل . وكان الأغلب على خلقه السماحة والشجاعة والإنابة . وكان مفتوح الباب ، مرفوع الحجاب ، يقيم الحدود ، ويعذب المتظلمين ؛ فانتشر الناس في الأرض . ثم ساء في الناس رأيه ؛ فألزمهم المغارم ، وانتزع منهم السلاح ، وتوصل إلى خيارهم بسبب الإطعام ؛ فامتحن لذلك جملة من أعيان قرطبة . وكان فيما زعموا تليقاعة ، يصيب بعينه ؛ فما يستحسن شيئاً إلا أمرعت إليه الآفة . وازورت عنه جوانب الكثير من الرؤساء والعامة .

وفي سنة ٤٠٨ ، كان مقتله بأيدي أحداث من صقاليته بجمام قصره ، لم يشركهم في أمره سيواهم . ولما استطال نساؤه لبته في الحمام ، دخلوا عليه ؛ فألفوه صريعاً بسيل دمه ؛ فطار خبر مقتله . وبُعِثَ إلى القاسم أخيه بإشبيلية ؛ فلحق بقرطبة ، وصلى على أخيه ، وقعد مكانه ، وعثر على اثنين من الصبية فقتلا وصلبا ؛ ولم تنتقل التهمة إلى غيرهم . فسكنت الأحوال .

## دولة القاسم بن حمود بقرطبة

وقد تقدم نسبه في ذكر أخيه . وكان لقبه المأمون ، وكنيت أبو محمد . وولي الأمر مرتين مداولاً لابن أخيه يحيى ، أولاها لأربع خلون من ذي قعدة ، سادس يوم من موت أخيه . وأحسن تلقى الناس ، وأجمل مواعدهم ، وأمتهم ، وأسقط عنهم ما كان قد طلبهم به أخوه ؛ وأقر الحكام وأرباب الألقاب على ما تخلصهم عليه أخوه . ثم ضعف أمره وتلاشى ، وغلب عليه رؤساء البرابرة المستولون على الكور ، وأمراء الثغر ، والفتيان العامرية بالبلاد الشرقية . واتفق أمراء الثغر منذر بن يحيى ، وابن ذي الثون ، وزهير العامري على إعادة الدولة الأموية ؛ فبايعوا من بني أمية عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر لدين الله .

## بيعة المرتضى من بني أمية ،

وهو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر

وكان من أسباب ذلك أن خيران الفتي العامري ، لما دخل قرطبة مع علي بن حمود ، طمع في أن يجيد هشاماً المؤيد بالله حياً . فلما لم يجده ، استراب من علي بن حمود ، وحذره ، وشرع في الفرار ؛ وأتبعه علي بذلك ؛ فسبقه زهير ، ولحق بأمنه وشيعته . ونصبوا هذا المرتضى ، وزحفوا به إلى قرطبة ، بعد أن أحكموا أمره ، وراشوا جناحه ، وأقاموا آلات الملك ، ونزلوا بإغترناطة ، بادئين بها ؛ وأميرها يومئذ زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي . فكانت بينه وبين القوم محاورات ومخاطبات ؛

ثم اقتتلوا اقتتالاً شديداً أياماً ؛ ثم إن المرتضى خذله أنصاره من هؤلاء الأمراء ؛ وكانوا قد بدا لهم في أمره ؛ فأنزموا عنه ، وهم في أضعاف مضاعفة من عدوهم . وقتل المرتضى . واستولى الصنهاجيون أصحاب زاوي على محلته من الآلات والحيل والظهور والقياب ، على ما يجوز الوصف كثرة .

وورد على القاسم بن حمود الجبر بمقتل المرتضى وهزيمة الأندلسيين من قبل زاوي مع سهمه من الغنية ؛ وفي الجملة مرادق المرتضى ؛ فسر بذلك ، وضرب المرادق على نهر قرطبة ؛ وغشيه الناس ينظرون إليه ، وقلوبهم تنتقع أمى وحسرة .

ومن بعد هذه الواقعة ، ركبت ريح المروانية ، وتقطعوا في الأرض ، واستهنوا ؛ فلم تقم لهم قائمة . وكان ممن نخطاه الملاك يومئذ أبو بكر هشام بن محمد ، أخو المرتضى ، ولحق بالموالي العامريين ؛ فزهدوا فيه ؛ فاستقر عند ابن قاسم صاحب حصن البنت ؛ فأجاره . ولم يزل عنده إلى أن استدعي للأمر بقرطبة ، حسبا يأتي التنبيه عليه إن شاء الله . ومن بعد هذه الواقعة أزمع زاوي بن زيري الرحيل عن الأندلس إلى وطنه بإفريقية ، معتبياً بما تم لها ، وحذراً من العواقب بعده ، إذ رأى أن الذي جر له الهزيمة على الأمراء إنما كان إغماضهم وتخاذلهم عن نصر صاحبهم . وكانت هذه الواقعة في سنة ٤٠٩ .

رجع الحديث إلى دولة القاسم . ولما ضعف أمر القاسم ، شرع أبناء أخيه : يحيى الكائن بسببة ، وإدريس الكائن بالقلة ، في مطالبته ؛ فأجاز منهم يحيى بن علي بن حمود البحر إلى مالمقة ؛ فضبطها ، وتخلّف إدريس بسببة . وجمع يحيى جيشاً ممن انضاف إليه بالقلة ومن أعانته من جيرانه البرابرة ، وقدم على عمه بقرطبة . واستجار القاسم برؤساء البرابرة جيرانه ؛ ففقدوا ، وأرادوا التعريب بين أولئك الحسنين . ولما عجز القاسم عن

مُقاومته ، فرّ إلى إشبيلية ببلده ، لثان خلون من ربيع الآخر سنة ٤١٢ ، وضبط مَنْ بها من العدوّين ، إلى أن لحق يحيى بن علي بقرطبة .

### دولة يحيى بن علي الحمودي الحسني بقرطبة

ببيع له بقرطبة يوم الإثنين مستهلّ جمادى الأولى من سنة ٤١٢ . واجتمع عليه الفريقان من البرابر والأندلسيين بقرطبة وأعمالها . وكان شريف الأرومة في بيت كريم الولادة ، رابع أربعة من أبناء القرشيات في الإسلام : أوّلهم علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — ثمّ الحسن ، ثمّ الأمين ابن زبيدة بنت جعفر . وسلك لأوّل أمره مسلك أبيه في التحقق بالفروسيّة والصيد ، ومُجانبة العصيّة ، وإيثار النصفة ، وطلب السلامة ، إلّا أنّ الكبر والعجب ساءاه ، وثلّت خصاله ، إلّا أنّ الإضاعة والراحة واستكفاء غير الكفي طرقت الحلل لأمره ، وضيّت عليه الكلف ؛ فاضطرّ إلى ارتكاب ما ناهى الناس على غيرِه ؛ فساءت حاله ؛ وتمثّت مدّة ولايته الأولى هذه ، وهي سنة واحدة وستّة أشهر ونصف شهر ، بمسالمة ومعاقدة بينه وبين عمّه المجاور له بإشبيلية .

قال أبو محمد بن حزم : ولم يسمع بخليفتين تصالّحا ، ولا بأدلّ على الإِدبار منه . واضطرّ إلى الفرار عن قرطبة لاثنتي عشرة سَلّت من ذي قعدة سنة ٤١٣ .

### دولة القاسم بن حمود الحسني بقرطبة

#### في كرمه الثانية

ولما فرّ يحيى بن علي بن حمود من قرطبة ، وخلعه مَنْ بها من جُند البربر وغيرهم ، استدعى الأمر القاسم من إشبيلية ثانية ؛ فدخل قرطبة يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٤١٣ . فاستمرت أيامه بقرطبة وإشبيلية ، وابن أخيه يحيى بالقة ، يدعى لكل واحدٍ منهما بأمير المؤمنين ، إلى أن ساءت حاله ، وفسد ما بينه وبين أهل المدينة بسبب من حقه من البرابرة . فثار الناس بهم وأعلنوا بخلعه كلمة إجماع ، وأزعجوه عن المدينة يوم الثلاثاء لتسع بقين من جمادى الآخرة منها ، بعد حصره في القصر أياماً ، يراوحوه القتال ويُعادونه ، إلى أن انتقل إلى الرُبض الغربيّ منها في جيش البربر . واتّصل الحصار منه بقرطبة نحو شهرين ، إلى أن أتيحَ عليهم التّصّر لأهل المدينة ، ووقعت عليهم هزيمة شنيعة فرّوا لها مفلولين ؛ وذلك لاثنتي عشرة ليلة سَلّت من شعبان من السنة .

وفرّ القاسم إلى إشبيلية ، وبها ابنه محمد الحسن وأهلُه . فسبّ أهلها أبواب المدينة في وجهه ؛ وعميدهم القاضي بإشبيلية محمد بن إسماعيل بن عبّاد أوّل الطائفة العبّاديّة ، وهذه الحال كانت أسّ دولتهم . وانصرف القاسم طريداً إلى مدينة شريش ؛ فاستقرّ بها . وأعمل إليه الحركة يحيى المُعتلي بالله ، ابن أخيه مُداوِلُه بقرطبة ، فنازله بمدينة شريش إلى أن فتحها وأمره ؛ فسجنه مع بنيه بالقة ؛ ثمّ أمضى قتله خنقاً فيما زعموا .

ولما فرّ القاسم عن قرطبة منهزماً مع البرابر ، وظهر عليهم القرطبيّون ،

طمعوا في جَبْرِ الدعوة المروانية ؛ فاختاروا من أبناء المروانية أُمْلَ مَنْ فِي بَقَايا الوقت 'سليمان' بن عبد الرحمن ، وكتبوا بَيْعَتَهُ ، ولَقَّبُوهُ بِالْمُرْتَضَى . فبينما هم بالمسجد الأعظم ، قد شرعوا في أَخْذِ الْبَيْعَةِ لَهُ ، إِذْ هَجَمَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْجُبَّارِ ، أَخُو الْمُهْدِيِّ الْقَائِمِ عَلَى بَنِي أَبِي عَامِرِ الْمُسْتَوْدِي عَلَى أَمْرِ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ ، فِي شِرْذِمَةٍ مِنَ النَّاسِ ، يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ ؛ فَرَجَعُوا إِلَيْهِ طَوْعًا وَكَرْهًا . وَبُشِّرَ اسْمُ سُلَيْمَانَ مِنَ الرَّقِّ وَجُعِلَ فِيهِ اسْمُهُ ؛ وَذَلِكَ مِنَ النَّادِرِ الْغَرِيبِ .

### دولة عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار

بويغ يوم خروج القائم والبرابر من رِبْضِ قَرْطَبَةِ مَهْزَمِينَ ، يَوْمَ الثَّلَاثَةِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ سَنَةِ ٤١٤ . وَتَلَقَّبَ بِالظَّافِرِ بِاللَّهِ . وَكَانَ قَدْ هَمَّ بِالْوُثُوبِ عِنْدَ اضْطِرَابِ أَمْرِ الْقَائِمِ بْنِ حَمُودٍ ، وَبِثَّ دَعْوَتَهُ ؛ فَلَمْ يَتَأْتْ لَهُ ذَلِكَ ، وَنَذَرَ بِهِ الْوُزَرَءَ وَالْمَشِخَةَ ؛ فَحَذَرُوا مِنْ شَوْمِ الْوُثُوبِ . وَوَقَعَ الطَّلَبُ عَلَيْهِ ؛ فَلَمْ يَظْهَرِ إِلَّا يَوْمَ هُجُومِهِ ؛ فَاسْتَفَوْهُ بِذَلِكَ ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ أَعْلَقُوهُ بِالشُّورَى لِوَاعَتِهِ ، وَجَعَلُوهُ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ بَعْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُرْتَضَى ، وَمُحَمَّدَ بْنَ الْعِرَاقِيِّ . فَاسْتَقَلَ بِالْأَمْرِ يَوْمَئِذٍ ، وَتَكَنَّفَهُ أَمِيرُ الدَّائِرَةِ مُحَمَّدٌ وَعَنْبِيرُ الْمُقَدَّمَانِ عَلَى الرِّجَالِ الْمُتَخَذِينَ بِقَرْطَبَةِ لِحَايَتِهِمَا مِنَ الْقَائِمِ وَالْبُرَابِرَةِ . فَسَاءَ الْوُزَرَءُ وَالْمَشِخَةُ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَهْلِهِمْ أَنْ قَبِضَ عَلَيْهِمْ ، وَاعْتَقَلَهُمُ بِالْمُطْنِيقِ ، وَأَغْرَمَهُمْ أَمْوَالًا ؛ فَسَعَوْا عَلَيْهِ مِنَ الْمُطْنِيقِ ، وَكَانَبُوا النَّاسَ ؛ فَاسْتَجَابُوا لَهُمْ وَثَارُوا ؛ فَكَسَرُوا الْمُطْنِيقَ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ بِقَرْطَبَةِ مَعْقِلٌ يَمْلِكُ أَلْسُلَانُ فِيهِ نَفْسُهُ إِلَّا الْقَصْرَ ، اغْتَرَارًا بِأَزْمِنَةِ الْعَافِيَةِ ، وَحُسْنِ ظَنِّهِ بِالْأَيَّامِ . وَخَرَجَ الْوُزَرَءُ وَالْمَشِخَةُ ؛ وَالتَفَّ بِهِمُ النَّاسُ ، وَتَغَلَّبُوا عَلَى الْقَصْرِ ، وَأَقْعَدُوا بِهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ لَدِينَ اللَّهِ ،

ولقبوه المستكفي بالله .

وقال بعض المؤرخين : إنما ثار به الناس لإكرامه وفنداً من البرابر قدموا عليه ؛ فصاح الناس : « عاد شرُّ البرابر جدعاً ! » ووافقهم الدائرة ؛ فقتلوا الضيوف من البرابر ، وماجوا في البلد ؛ فسَمِعَهُمْ مَنْ بِالْمُطْنِيقِ مِنْ مَشِخَتِهِمْ ؛ فَاسْتَعَانُوا بِهِمْ ؛ فَكَسَرُوا أَقْفَالَهُ . وَمَا رَأَاهُ إِلَّا تَسَوُّرُ النَّاسِ السَّقْفَ عَلَيْهِ . وَأُحِيطَ بِهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ . وَرَكِبَ يَطْمَعُ فِي الْخُرُوجِ ؛ فَقَامَتِ الدَّائِرَةُ مِنْ وَجْهِهِ بِسَبُونِهِ ؛ فَتَرَجَّلَ ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ ، وَاخْتَفَى فِي أَتُونِ حَمَامِ الْقَصْرِ . وَسُيِّتَ حَرَمُهُ بِمَا لَمْ يُجَزَّ عَلَى حَرَمٍ مِثْلِهِ . وَبُحِثَ عَنْهُ ؛ فَاسْتُخْرِجَ بِجَالٍ قَبِيحَةٍ ؛ فَبَطِشَ بِهِ أَحَدُ الرِّجَالِ الْقَائِمِينَ عَلَى رَأْسِ ابْنِ عَمِّهِ الْمُبَايَعِ . فَقَتِلَ وَمَضَى لَسِيلَهُ يَوْمَ السَّبْتِ ثَلَاثَ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ٤١٤ ، وَكَانَ ، لَوْلَا قَاطِعُ الْأَدْبَارِ عَلَيْهِمْ ، مِنْ ذَوِي الْفَضْلِ الْبَارِعِ ، وَالظَّرْفِ النَّاصِعِ .

قال ابن بسام : كان على حدوث سنه ذكياً ، يَقِظًا ، لِيَبًا ، أَدِيبًا ، حَسَنَ الْكَلَامِ ، جَيِّدَ الْقَرِيحَةِ ، مَلِيحَ الْبَلَاغَةِ ، يَتَصَرَّفُ فِيهَا شَاءً ، وَيَصُوغُ قِطْعًا مِنَ الشُّعْرِ مُسْتَجَادَةً ، يُزِينُ ذَلِكَ بِطَهَارَةِ أَثْوَابٍ ، وَغَفَّةٍ ، وَبِرَاءَةٍ مِنْ شَرِّ النَّبِيدِ . وَكَانَ فِي وَقْتِهِ نَسِيجَ وَحْدِهِ ؛ بِهِ خَمٌ فَضَاءٌ أَهْلَ بَيْتِهِ النَّاصِرِيِّينَ .

### بيعة المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن

ابن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ لَدِينَ اللَّهِ

وكنيته : أبو عبد الرحمن . وكان عمره اثنتين وخمسين سنة . ووافقَ لَقْبَهُ لَقَبَ شَيْبِهِ مِنَ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْحِلَالِ ؛ مِنْهَا تَوَثَّبَهُمَا فِي

الفتنة ، واستظهارهما بالفسقة ، واعتداء كل واحد منهما على ابن عمه ، وتوسيط كل واحد منهما في شأنه امرأة خبيثة ؛ فلذلك حسناء الشيرازية ، ولهذا بنت المروزيّة . قال ابن حيّان . وكان منقطعاً إلى البطالة ، عطلاً من الحصال ، ضدّاً لقتيله المستظهر . وفي أيامه ، عاجل ابن عمه ابن العراقي بالحق ؛ وفي أيامه ، استوصلت القصور الناصرية بالحراب .

وفي سنة ٤١٦ ، اتصل بأهل قرطبة تحريك يحيى بن علي بن حمّود إليهم من مالقة ؛ فدخل الوزراء والمشيعه على المستكفي ؛ فأغلظوا عليه في الكلام ، وقالوا : « قد اضطررنا إلى مكافحة عدونا ! ونحن خارجون إليه ! ولا ندري ما يحدث عليك بعدنا . فاحرّج معنا ! » فأجمل الرد عليهم ، وخرج فارّاً بنفسه في هيئة النساء متنقّباً بين امرأتين . فذكر أن من خرج معه من رجاله أتهموه بمال ؛ فاغتالوه وقتلوه بأقنيلج من الثغر . وكان خروجه في يوم الثلاثاء لحس بقين من ربيع الأول من السنة . وعاد يحيى بن علي بن حمّود إلى قرطبة .

## دولة يحيى بن علي بن حمود بقرطبة

### كرّته الثانية

وقدم يحيى بن علي من مالقة بعد انصراف المستكفي عن قرطبة ؛ فدخل القصر يوم الخميس لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٤١٦ المذكورة ، وبقي به إلى تمام السنة . ثم خرج إلى مالقة يوم الثلاثاء اثنان من المحرم ، وترك بقرطبة وزيره وكتابه أبا جعفر . موسى ، ودوناس بن أبي روح ، إلى أن قصد إلى قرطبة الموفق زهير وخيران العامريّان من قبل حبّوس بن مأكسن . فلما أحس أهل قرطبة

بهما ، وثبوا بمن كان عندهم من البرابر ؛ فقتلوه يوم الثلاثاء لعشر بقين من ربيع الأول من السنة ؛ وبلغ عددهم ألف رجل . وفرّ أحمد بن موسى ودوناس ؛ فنجيا . وكان يحيى بن علي بن حمّود قد انتقل إلى قرطبة ، مضيقاً على ابن عبّاد ؛ وطمع فيه ابن عبّاد لاستئثار اللهو والشراب به ؛ فوجه إليه إسماعيل بن عبّاد ابنته مع جيش من صنائعه وطائفة من البرابر المستخدمين لديه ؛ فطرقوا أحوار قرطبة ليلاً ، وقد كمنوا ، وستروا أنفسهم . واتصل خبرهم بيحيى ، وهو عاكف على شرابه ، نسيلاً ؛ فتعرّعوا - زعموا - وقال : « وايضا يحيى الليلة وابن عبّاد زائر ! » وبادر الخروج برجاله ، ومضى ، يضرب إبطي قرسه . وألقى بنفسه على القوم في أوائل خيله ؛ فقال منهم منالاً كاد يفضحهم ، لولا أن انتفضت الكتفانة . وجاد صبره ؛ ثم انهزم أصحابه وضرع ؛ فحز رأسه ، وطير به إلى ابن عبّاد بإشبيلية . فخرّ ابن عبّاد ، فيما زعموا ، ساجداً ؛ وانطبق البلد فرحاً . وكان لديه محمد بن عبد الله البيروني كبير البرابرة من بني يرزّال ؛ فابتدر قرطبة لوفته ، وقد ملك أبوابها سودان يحيى بن علي ؛ فتوصل من بعض الأماكن حتى دخلها عن حيلة ؛ فحاز ما اشتملت عليه .

وانقضى أمر يحيى بن حمّود على هذه الوتيرة ، وذلك في سنة ٤١٧ ؛ فكانت مدته هذه ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً . وكان من حديث بني حمّود ما يأتي ذكره إن شاء الله .

قال : واجتمع أهل قرطبة بعد هذه الكائنة على خلع الفاطميين من بني حمّود ؛ ونشأت بينهم الترات التي تأتي المهادنة ؛ فنظروا من يسدون به الرّسم من بني أمية .



## دولة هشام بن محمد بن عبد الملك

ابن عبد الرحمن الناصر

وقد تقدم أن انشأ نضلي الذي يبعه العامريون قتل بظاهر غرناطة لما حل بها طالباً الأمر لنفسه ، على يد زاوي بن زيري ، وأن أخاه هشاماً هذا فر يومئذ من الواقعة ، واستقر بحصن البنت عند صاحبه عبد الله بن قاسم الفهري . ولما خضع الحموديون ، بايعه أهل قرطبة بمكانه من الثغر المذكور ، يوم الأحد لحس بقين من ربيع الآخر سنة ٤١٨ . وأقام كذلك سنتين وسبعة أشهر وثمانية أيام ؛ فخطب له بقرطبة غائباً عنها . ثم أتى قرطبة في سنة ٤٢٠ . ولم تطبل مدته أن خلع بسبب وزير له يعرف بحكم بن سعيد ويدعى بالقزاز ، أساء معاملته الوزراء والرعية . وكان إحسان معاملته من ذكر يومئذ معوزاً بكل حال لسوء خلق المدينة ، وشذوذ أهلها عن ضبط السياسة ، وجرائهم على الثوب ، وضعف السلطان وعجزه عن مؤنة من يقهر به العامة ؛ فبطشوا به وقتلوه . وكان المغربي بهشام ابن عم له ، هو أمية بن عبد الرحمن العراقي ، من أبناء الناصر ، فتى شديد التهور والجهل ، سوت له نفسه الاستيلاء ؛ فلما قتل حكم قام أمية هذا . وهو أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر . واجتمع عليه العوام ، وتقدم إلى القصر ، وهشام الشيخ غافل بين نسائه ؛ فبادر حين بلغه الخبر والرجفة الصعود إلى العلية متمتعاً بها . ونهبت العامة القصر . وبادرت العامة إلى الشيخ أبي الحزم بن جهور كبيرهم ؛ فهتف على الناس بكف الأيدي . وأمية مع هذا مقيم بالقصر ، قد تبوأ مجلس هشام ، واستوى على فراشه ، ورثب من النهاية من

ينفذ أوامره بحرماً على هشام ، لا يشك في تمام الأمر له . وأمر الوزراء والمشيخة الرأي ؛ فاتفقوا على خلع الشيخ وإبطال رسم الخلافة لجملة لعدم الشاكلة ، وعلى نفي المروانية وإجلالهم . وأنفذوا إلى هشام المعتزل بالله ، وإلى أمية بالخروج عن قرطبة ؛ فأنزل الشيخ هشام من العلية إلى ساباط الجامع المفضي إلى المقصورة ، فيمن تألف إليه من ولده ونسائه ، طارحاً نفسه على الجماعة ، يُشيدهم الله في مهجته . فأعلم بكره الناس له ؛ فقال : « ليتني قرب البحر : يرموني في اللجة ؛ فيكون أخف لشأني ! فافعلوا ما شئتم ، واحفظوني في أهلي وولدي ! » وبقي بمكانه يومه وليلته أسيراً ذليلاً ، خائفاً ، شاخص البصر إلى جهة تهجم منها المنية عليه .

وذكر بعض خدمة المسجد أن أول ما سأل الشيوخ الداخلين عليه إحضار كسيرة يسد بها جوع طفلة صغيرة له ، إذ كان قد ضمها إليه ساتراً إيها بكفه من برد ليلته ؛ وكانت تشكو له الجوع ، ذاهلة عما أحاط بها ؛ فتزبد في همه ؛ وسأل سراجاً يتأنس به نسأوه . فأبكى من كلفة اعتباراً بعادية الدهر . وبات الناس ليلئذ بالجامع ليفرغ الوزراء من شأنه ؛ ثم أخرج إلى حصن ابن الشرف من غير أن يؤخذ خطه بالخلع ، ولا يشهد عليه بعجزه عن تدبير الخلافة وإحلال الأمة من بيعته على السبيل المعهودة . وأنساهم الله ذلك تهاوناً بحقه ونسياناً .

وأما أمية بن العراقي فلم يبرح من القصر حتى أزعج مطلياً لسانه من الحمل على الوزراء بما شاء . ومشى البريد في الأسواق والأرباض بأن لا يبقى أحد بقرطبة من بني أمية ، ولا يكتفهم أحد . وكان القائم بإخراجهم ومقيم الرسم بقرطبة بعدهم أبا الحزم بن جهور ، حسباً يأتي الكلام فيه . وانتهى أمر بني مروان لهذا الحد ، ومحا رسم الجماعة ؛ وتقسّم البلاد والأقطار رؤساء الطوائف ، قد استحاز كل منهم استبداده بنفسه . ورضي

بذلك مَنْ بقواعدهم من المسلمين على وفور الفضلاء، وتعدد العلماء، وانفساخ الأقطار، وتراحم الاعتار. والأرض لله، يُورثها من يشاء من عباده. والعاقبة للمتقين. ونكره بالقول على تمام حديث العلويين الفاطميين من بني حمود.

#### ذكر تلخيص الكلام

#### في الامراء من بني حمود

وقد ذكرنا منهم فيما سلف كبيرهم علي بن حمود، والقاسم أخاه، ويحيى بن علي، وانتهينا إلى ذكر مقتل يحيى بن علي بظاهر قزمونة على يدي ابن عبّاد، وتعلّب محمد بن عبد الله البرزالي على قزمونة. فنصّل ذكر القوم بعده؛ فنقول: ولما بلغ إدريس بن علي بن حمود الكائن بسبّنة خبر يحيى أخيه، أسرع اللحاق بالآفة، ودعا إلى نفسه. ونهض إليه حبّوس بن ماكسن مع صنهاجة؛ فبايعوه، واستضافوا بحملتهم زهيراً الفتي، فخطب له بالمريّة لمطاوعة زهير حليفه وجاره بالليرة، وذلك في منتصف ذي الحجة من السنة. وتوجّهوا إلى قزمونة وإشبيلية؛ فجلّوهما نهباً وغارة؛ ولم يتّجه لهم فيها أكثر من ذلك.

ثم توفّي إدريس صاحب سبّنة ومالقة سنة ٤٣١؛ فبويع بعده أخوه حسن بن علي بسبّنة، وتسمّى بالمستنصر بالله. ولما توفّي حسن بن علي، قام بعده بأمره ولده يحيى، ودام ملكه بها سنتين. ثم قام عليه ابن عمه حسن بن علي بسببه؛ فخلّعه. وبذكر أن والد حسن هذا، وهو يحيى بن علي، أسند إليه عهده؛ فسبقه عمه إدريس أبو هذا القتل إليه. وعبر حسن بن يحيى إلى مالقة، وكان له أخ اسمه إدريس

وشى به؛ فنقّفه في القصر. ثم نادى ملك حسن بالآفة إلى أن توفي بها مسنوماً. وترك ولداً صغيراً له بسبّنة؛ فبايعه أبو القوز نجاة العلوي قائده وثقته بها؛ وهو من شرط كتابنا ممن يبيع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام. وأجاز البحر لثقاف البلاد؛ فأثى الجزيرة، وبها أبناء القاسم بن حمود؛ وأراد إخراجهم منها. فبرزت إليه سبّنة أمهم حاضرة، وقالت: «يا أبا القوز! أنقطع أيتام مواليك، وتخرجهم، وتكشفهم عن البلاد؟» فضجل - رحمه الله - من ذلك، وانصرف إلى مالقة، وقد صحبه قوم من برغواطية كانوا أخوالاً لحسن المتوفّي بالآفة؛ فترصدوا غفلة من أبي القوز نجاة العلوي؛ فقتلوه بالطريق من مالقة. ثم نهضوا إليها؛ فسبقوا الخبر، ودخلوا على أحمد بن موسى الوزير قائدها؛ فقتلوه؛ وأخرجوا إدريس بن يحيى من سجنه، فبايعوه بها ثم ومن فيها من رؤساء البرابر ولقبوه العالي بالله وخطبوا باسمه سنة ٤٣٤.

ثم ثار على العالي ابن عمه محمد بن إدريس بن علي بن حمود؛ فضاغه في شعبان من سنة ٤٣٨؛ اهتبلوا غرته، وقد خرج إلى قلعة بيشتر؛ فسدت الأبواب في وجهه؛ فعاد إلى بيشتر. ثم ترحل بأهله وولده إلى سبّنة؛ فأقام بها عند سواجات البرغواطية، القائم بأمرها لذلك العهد؛ وبأبي التعريف به.

واستقام أمر محمد بن إدريس بالآفة، وتلقّب بالمهدي. وكان محمد بن إدريس هذا سفاكاً للدماء؛ فأعملت الحيلة في هلاكه بكأس مسنومة وجهها باديس بن حبّوس الصنهاجي أمير غرناطة مع رجل من خاصته؛ قتال: «هذه كأس جليبت للحاجب المظفر باديس؛ فلم يرها تصلح إلا للخلافة. فاخضّك بها.» فأعجب بذلك محمد بن إدريس، وملأها خمرًا، وضمها إلى فيه؛ فأحس في نفسه رغبة؛ فأمر الرجل الذي أوصلها إليه؛ فشرب ما فيها؛ فتهرأ لحمه من حينه. وبقي محمد بن إدريس

ثلاثة أيام ، ومات في آخر سنة ٤٤٤ .

وقام بعده بالأمر ابن أخيه ، وهو إدريس بن يحيى بن إدريس بن علي بن حمّود ، وتسمّى بالسّامي . ثم أحمل نفسه ، وركب البحر كأنّه تاجر ، ونزل في ريف غمارة . فتبيّض عليه وأُتي به إلى سبتة ؛ فقتله سواجبات البرغواطية . وبقي العالي عنده إلى أن مات في سنة ٤٤٤ .

وولي بعده ولده محمد ، وتسمّى بالمستعلي . وانتفق أمراء البربر على البيعة لمحمد بن القاسم بن حمّود ، الكائن بعد أبيه بالجزيرة الخضراء وما إليها ؛ ولقبوه بالمهدي ، وخطب له بجميع بلادهم . وتوجّه إليه من رؤسائهم جماعة ، منهم كبيرهم باديس بن حبّوس صاحب غرناطة ، وإسحاق بن محمد بن عبد الله الزّناتيّ صاحب قرمونة ، ومحمد بن نوح صاحب موزور ، وعبدون بن خزرون صاحب أركش . وانضاف إليهم فتح الله بن يحيى من أمراء ولثة الغرب ، وابن الأفطس صاحب بطليوس ، ونهضوا به إلى بلد ابن عبّاد إشبيلية ، ونازلوه ، وانتسفوا أرضه ؛ ثم انصرفوا ، وقد عجزوا عنه ؛ وذلك في سنة ٤٣٩ .

ولما توفّي محمد بن القاسم ، بايعوا ولده محمد بن محمد بن القاسم على رسمه . ثم مات . وولي بعده القاسم ولده الملقّب بالمستعلي . ثم تغلّب باديس بن حبّوس على مالقة ، وأخرجه عنها ؛ ولم يبق لهذا العهد على ملك الحسنيين إلا الجزيرة الخضراء ، وأميرها القاسم بن محمد بن القاسم بن حمّود ؛ فنازله قائد ابن عبّاد عبد الله بن سلام في البر ؛ ونازله أساطيله في البحر . فلما عجز من مقاومته ، تخلّى له عن البلاد عن أمان أكّده ، وركب البحر معرضاً عن جهة سواجات بسببته إلى المريّة فأقام بها إلى أن مات . وانقضت مدّتهم . وكانت من يوم ولي علي بن حمّود إلى تخلّي القاسم عن الجزيرة ثمانياً وخمسين سنة .

قال أبو محمد بن حزم : اجتمع عندنا بالأندلس في صغر واحد خلفاء

أربعة ، كل واحد منهم يُخطب له بالخلافة بوضعه . وتلك فتية لم يُرَ مثلها : أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام ، كلهم يتسمّى بالخلافة وأمارة المؤمنين ؛ وهم : خلف الخصريّ بإشبيلية ، عليّ أنّه هشام من بعد اثنتين وعشرين سنة من موت هشام ، وشهد له خصيان ونسوان ؛ فخطب له على منابر الأندلس ، وسفكت الدماء من أجله ؛ ومحمد بن القاسم خليفة بالجزيرة ؛ ومحمد بن إدريس خليفة بالآلة ؛ وإدريس بن يحيى ابن علي ببشّشور .

ذكرُ نبذة من

### أحوال ملوك الطوائف بعد الخلاف

نقول ، وبالله الاستعانة ، ومنه الحول والقوة : ذهب أهل الأندلس من الانشقاق ، والانشعاب والافتراق ، إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار مع امتيازها بالمجل القريب ، والخطّة المجاورة لعباد الصليب ، ليس لأحدهم في الخلافة إرث ولا في الإمارة سبب ، ولا في القُرُوسية نسب ، ولا في شروط الإمامة مكتسب ، اقتطعوا الأقطار ، واقتسموا المدائن الكبار ، وجبّوا العمالات والأمصار ، وجنّدوا الجنود ، وقدموا الفضاة ، وانتحلوا الألقاب ، وكتبت عنهم الكتاب الأعلام ، وأنشدتهم الشعراء ، ودوّنت بأسماهم الدواوين ، وشهدت بوجوب حقهم الشهود ، ووقفت بأبوابهم العلماء ، وتوسلت إليهم الفضلاء ؛ وهم ما بين محبوب ، وبربري مجلوب ، ومجتد غير محبوب ، وغفل ليس في السراة بمحبوب ؛ ما منهم من يرضى أن يسمى ثائراً ، ولا لحزب الحق مغايراً ؛ وقصارى أحدهم أن يقول : « أقيم على ما بيدي ، حتى يتعين من يستحق الخروج به إليه ! » ولو جاءه عمر بن عبد العزيز ، لم يقبل عليه ، ولا لقي خيراً لديه ؛ ولكنهم استوفوا في ذلك آجالاً وأعماراً ، وخلفوا آثاراً ، وإن كانوا لم يبالوا اغتراراً ، من معتدٍ ومعتصِدٍ ومرقضى وموفقٍ ومستكفٍ ومستظهرٍ ومستعينٍ ومنصورٍ وناصرٍ ومُنوكلٍ ، كما قال الشاعر :

[البسيط]

بما يهديني في أرض أندلس أسماءُ معتصِدٍ فيها ومعتدٍ  
ألقابُ مملكةٍ في غير موضعها كاهِرٌ يحكي انتفاخاً صورة الأسد

جلبنا منهم ذكرًا ليعتبط مطالعته بجاليه ، ويرضى الواقف عليه من زمانه ، وينتج بشأنه ، ويرى أنه أوثق عهده ، وأحكم عقده ، وأرحب عطنا ، وآمن وطننا ، وسبحان من لا تزين الدنيا عنده جناح بعوضه ، ومن لم يرض لأوليائه الكرام عليه غير ما لديه !

### ذكر أيام بني جمهور بقرطبة وما اليها

قلت : وكان من الترتيب أن نُقدّم من تقدّم بالزمان من هؤلاء الرؤساء ، واستحقّ تقدّم الذكر بتقدّم وقت ظهوره . وإنما ابتدأنا هؤلاء الجهاورة اعتناءً بمحلّ ولايتهم دار الملك قرطبة لأعادها الله . ونبدأ أولاً بشيء من ذكرها ؛ فنقول :

قال أبو محمد الرشاشي : « قرطبة قاعدة البلاد ، وأمّ المدائن ، ومستقر الخلافة ، ودار الإمارة ؛ فيها كان الخلفاء من بني أمية ؛ وآثارهم بها ظاهرة ، وأبنييتهم فيها وفيما جاورها سنية ، وبها الجامع المشهور أمره ، الشائع ذكره ، من أجل مصانع الدنيا لكبر مساحته ، وإحكام صنعه ، وجمال هيئته وإتقان بنيته ؛ تهتم به الخلفاء من بني أمية ؛ فزادوا فيه زيادة بعد زيادة ، وتسموا إثر تهتمهم ، حتى بلغ الغاية في الإتقان ، واستولى على أمر الإحسان ؛ فصار يحار فيه الطُرف ، ويعجز عن حُسنه الوصف . وقرطبة على نهر كبير فوهته مجبل سفورة ، ويسر على قرطبة ؛ وينصب فيه تحت قرطبة أودية ؛ ثم يمر إلى إشبيلية ( وقد ذكرناه في باب الإشبيلية ) ؛ وعليه بقرطبة قنطرة عظيمة حصينة من أجل البنيان قدرا ، وأعظمه خطرا ؛ وهي من الجامع في قبليته وبالقرن منه ؛ فانتظم به الشكل إلى الشكل ، وجاءت كالفرع لذلك الأصل . ولما كانت قرطبة على الصمة التي ذكرنا محل الإمارة ، ومستقر الخلافة ، كثرت بها العلم والعلماء ، واستقر فيها

فيه ؛ فأعطوا قوسَ السياسة باريها ؛ فانسدل عليهم به الستر .

قال المؤرخ : وكان مع براعته ، ورفعة قدره ، أشدُّ الناس تواضعاً وعفةً ، وأشدَّهم أولاً بأخيراً ، لم يختلف به حالٌ من الفتاة إلى الكهولة . واستمرَّ في تديره بقرطبة ؛ فأفجج سعيه ، ولمَّ الشعب في المدَّة القريبة ؛ فنش الرِّفَات ، وأحْيى منها الموات ، ودافع بحسن تديره البرابرة ، وأحسن الجوار والمعاملة . ثمَّ توفِّي - رحمه الله - ليلة الجمعة السادس من شهر محرم سنة ٤٣٥ .

### أيام أبي الوليد محمد بن جهور

قال ابن حبان<sup>١</sup> : وولي بعده ابنه أبو الوليد محمد بن جهور بن محمد ابن جهور بن عبید الله ، نهاية بيوت الشرف الأثيل بقرطبة على تمرَّ الدهر المغرَّب سَأَوْهُ في نظم قِلادة خمسة ككعُوبِ الرُّمَح أنبوباً على أنبوب ، همَّ ما همَّ ، تناقلوا الوزارة والكتابة ما بينه وبين خامسهم عبید الله ، خوَّهم الله الرياسة على تعاقب الأزمان واختلاف الأعصار ؛ فلم تنقلها الفتنة إلى أن ورثها رِثَها هذا الوالي الفاضل أبو الوليد ، ولما يعرف البؤس يوماً ، فأعانه ذلك على الحسب والمروءة . وأقرَّ لوقته الحكام وأولي المراتب . ثمَّ اقتفى آثار أبيه في السياسة ؛ فأصبح من العجَب العُجَاب تكاف الناس عن التظالم والتسافك ، بخلاف ما كانوا عليه تحت الضبط الشديد بأيدي جبابرة أصحاب الشرطه أيام الجماعة . فلا يكاد يُسمعُ لشرارهم من معهود ذلك إلا السَّادِرة . ثمَّ قال : فلم يقم من الأمر بثل ما قام به أبوه ، بل قدَّم ولده عبد الملك على الناس وأخذ عليهم العهد والبيعة لابنه المذكور ؛ فجار واعتدى ، وصحب الأردال ، وأهمل الأمور ، وأخاف

١ راجع « ذخيرة » ابن بيات ، ج ١/٢ ص ١١٧ - ١١٨ .

السُّبُل ، وأظهر الفساد ، وتعاطى ما أحجم عنه سلفه من الاستبداد ؛ فسَمَّى نفسه بذي السَّيادَتَيْن المنصور بالله الظافر بفضل الله ؛ وخطب له على المنبر باسمه . ولم يكن أبوه ولا جدُّه انتقلا عن رَمَم الوزارة ولا تلبسا بشيء من أمور الأمويَّة .

### أيام عبد الملك بن محمد بن جهور

وكان الرئيس أبو الوليد - رحمه الله - قد ألقى الله منه على ابنه الأصغر من ولديته محبةً آثرة لها على أخيه كبيره عبد الرحمن ، لِمَزِيَّة شهامة كانت في نفسه جنى بها خروج الأمر عنهم . وخصَّ عبد الرحمن بحظٍّ رغيب من أمره ؛ فكان لعبد الملك النظر في الجُند ، والتولِّي لعرضهم ، والإشراف في أعطيَّتهم ، ولعبد الرحمن النظر في أمر الجبابة والإشراف على أهل الحُدُمة ؛ ورضيا بذلك ، إلا أن عبد الملك ابتزَّ ذلك ، وتغلَّب عليه ، وسجنه في منزله ، ورقب عليه ؛ وقد أصابت الأب زمانة . واستولى عبد الملك على الأمر .

وكان من تديره الانحطاط في سلك المعتضد بن عبَّاد جارهم المصاقب ، فوالى مخاطبته ومداخلته ، وزاره بنفسه ؛ فقام ابن عبَّاد بحقه ، وأغراه بما تسبَّب به إلى ما بيده من قتل وزير أبيه الكاثر سَجَى في حلق ابن عبَّاد ، وهو المعروف بابن السَّقاء . واتصلت مصادفته لابن عبَّاد بضده يحيى بن ذي النون ؛ فصرَّف عزمه إلى قرطبة ، وجعل التضييق عليها نصب عينيه ، واستهان في سبيل الحصول عليها الأموال ، واصطنع الرجال ، وتحرك إليها سنة ٤٦٢ . فاستغاث عبد الملك بن أبي الوليد بن جهور بصديقه ابن عبَّاد ، لعجزه عن الانفراد بمقاومة ابن ذي النون ؛ فبعث إليه المعتضد ابن عبَّاد بكثيبي من ثلاثمائة فارس ؛ ثم أتبعها ألف فارس لنظر قائديه

الفضلاء والنبلاء ، وصارت دار هجرة للعالم ، ومكان رحلة لأولي الفهم .  
 وكان مَنْ بها من الخلفاء - رضي الله عنهم - هم العلماء ، ويكبرون من  
 يولونه منهم خُطَّة القضاء ، ويختارون للخطَّة أهلها ، ويوفونهم حقوقهم  
 فيها ؛ فكانت للقضاة بها الميزة العالية ، والرتبة السامية ، مع كَوْن الخلفاء  
 مُتقادين لأحكامهم ، واقفين لدى نكضهم وإبرامهم ، مع ما خُصَّ به أهل  
 قرطبة من علو الهمة ، واجتماع الكلمة ، وتألفهم على الحقائق ، واتباعهم  
 لأحسن الطرائق ؛ فصارت بذلك لهم النخوة والعزَّة ، وحازوا أعلى منازل  
 الرفعة . فمَنْ ولي القضاء بقرطبة ، وكان بها على الصفة التي ذكرنا ، محمد  
 ابن بشير .

ووقع لي ذكرها في بعض كتب الفتوحات ؛ فقلت : قرطبة  
 وما أذكرها ما هيته ، ذات الأرجاء الحالية الطامية ، والأطوار الراسخة  
 الراسية ، والمباني المباهية ، والزهاء الزاهية ، والمجاسين غير المتناهية ،  
 حيث هالة بدور السماء قد استدارت من السور المشيد البناء دارا ، ونهر  
 المجرَّة من تهرها الفيض ، المسلول حُسامه من غمود الغياض ، قد لسق  
 بها جارا ، وفللك الدُّولاب ، المعتدل الانقلاب ، قد استقام مدَّارا ، ورجع  
 الحنين اشتياقا إلى الحبيب الأول ؛ وادَّكارا ؛ حيث الطود كالتاج ، يزدان  
 بلجين العذب المجاج ، فيزري بتاج كسرى ودارا ؛ حيث جُورُ الصور  
 المديدة ، كأنها عوج المطيِّ العديدة ، تعبر النهر قطارا ؛ حيث آثار العامري  
 المجاهد ، تعبق من تلك المعاهد ، شدَّاء معطارا ؛ حيث كرائم السحاب ،  
 تزور عرائس الرياض الحباب ، فتجمل لها من الدُّر ثارا ؛ حيث شمول  
 الشمال تدور على الأدواح ، بالغدو والرواح ، فترى الغُصون سكارى  
 وما هي بسكارى ؛ حيث أيدي الافتتاح ، تقتض من شقائق البطاح ،  
 أبكارا ؛ حيث نغور الأقاحي البوام ، تقبلها زوار النوايم ، فتخفق من  
 قلوب النجوم الغيارا ؛ حيث المصلَّى العتيق قد رجب مجالا وطال منارا ،

وأزرى ببلاط الوليد احتقارا ؛ حيث الظهور المثاره بسلاح الفلاح تحب  
 عن مثل أسنمة المهارا ، والبطون كأنها لتدميت الغمام بطون العذارا ،  
 والأدواح العالية ، تخرق أعلاها الهادية ، بالجداول الحيارا . فما شئت  
 من جو صقيل ، ومعرض للحُسن ومقيل ، ومالك للعقل وعقيل ، وخمائل ،  
 كم فيها للبلابل ، من قال وقيل ، وخفيف بجواب بثقيل ، وسنابل تحكي  
 من فوق سوقها ، وقصب بسوقها ، المتمزات فوق الألفات ، والعصافير  
 البديعة الصفات ، فوق القصب المؤتلفات ، تميل لهبوب الصبا والجنوب ، مالة  
 الجيوب ، بدور الجيوب ، وبسطاح لا تعرف عين المتحل ، فتطلبه بالذحل ،  
 ولا تصرف في خدمة بيض قباب الأزهار ، عند افتتاح السوسن والبحار ، غير  
 العبدان من سودان النحلة ، وبجر الفلاحة الذي لا يدرك ساحله ، ولا يبلغ  
 الطية البعيدة راحله ؛ إلى الوادي ، وسر النوادي ، وقرار دموع الغواصي ،  
 المتجاسير على تخطيطه ، عند تمطيه ، الجسر العادي ، والوطن الذي ليس  
 من عمرو ولا من زبد ، والقر الذي في جوفه كل صيد ، أقل كرسية  
 خلافة الإسلام ، وأغار بالريضة والجسر دار السلام ؛ وما عسى أن تظن  
 في وصفه أئسنة الأقلام ، أو تُعبر به عن ذلك الكمال فنون الكلام .

\*\*\*

ولما خلَّع هشام الأخير ، واتفق رأي الجماعة بقرطبة على نحو رسم  
 الخلافة الأموية ، لعدم الصلوح في أهل بيتها ، وسوء الجوار ، وفناء الأموال  
 التي يُرزق منها مَنْ يقهر به السلطان كرواف الناس ، اتفق الملأ على إسناد  
 الأمور بالخضرة إلى شيخ الجماعة ، وبقية الأشراف من بيوت الوزارة ، أبي  
 الحزَم جهور بن محمد بن جهور بن عميد الله بن أحمد بن محمد بن الغمر  
 ابن يحيى بن عبد الغافر بن يوسف بن بُخت بن أبي عبدة . وكان مدخل  
 جدِّهم يوسف بن بُخت بن أبي عبدة إلى الأندلس أنثر عظيم من جليل  
 الذراع وسعة الباع ؛ وأسندوا إليه مههمهم ، وعدوا من خصاله ما لم يختلفوا

الكبيرَيْن : خَلْفَ بنِ نَجَاح ، ومُحَمَّدِ بنِ مَرْثِين ؛ وتقدَّم إليهما بما يكون عليه عَمَلُهُما .

ولَمَّا انْصَلَّت يَدُ عبد الملك بجيش ابن عَبَّاد ، دافَعَ ابنُ ذِي النون عن حوزته ؛ فانصرف عنه ، ولم يَجِدْ فيه غِرَّةً ، بعد قتال ومُدافعة . وكان مُضْطَرَبُ الجيش العبَّادي أيام مقامه في نصرة ابن جَهْوَر بالرُبُص الشرقي من قرطبة .

ووقعت المداخلة بين قائدَي الجَيْشَيْن وبين بعض الإشبيليين في الإراحة من بني جَهْوَر وخنعتهم وتَصِيرُ الأمر إلى ابن عَبَّاد . فلما صحَّ انصرافُ ابن ذِي النون ، وذهب القائدان ومن مَعَهُما إلى وداع ابن جَهْوَر بباب المدينة ، اقتحم رجاله الأبواب وملكوها ، ودخل الجيش ، وقامت الدعوة باسم ابن عَبَّاد يوم الأحد لتسع بقين من شعبان سنة ٤٦١ . وامتنع عبد الملك وخَوِصُّهُ في عِلْيَةِ الدار حيث سُكِنَاه ، ودافع عن نفسه إلى أن غشي الدارَ الجرادُ المنتشرُ من الناس وشملها النهبُ . ولجأ الشيخُ أبو الوليد أبوه ؛ فأوى إلى مَقْصُورَةِ المسجد بِيَتَانِهِ وكرائمه ؛ واقتحمها طائفة من نصارى الجُنْد الإشبيلي ؛ فجرَّ دُوم ، وانتهبوا ما أصابوا عندهم من ذخيرة .

وطلب عبدُ الملك الأمان لنفسه ، ونزل إلى القائدين ؛ وتحصَّل البلدُ ورؤساؤه في أيديهما ؛ فأُطلِقَا النِّدَاء بكفِّ الأيدي ، ونوعدا بالسيف ، وعجلاً بإخراج عبد الملك وأخيه عبد الرحمن إلى إشبيلية من يَوْمِئِذٍ ، مراعاةً للحِزْم . وأُلْحِقَا بالجللاء طائفتَهُما ؛ فوَكَّلَا بالكلِّ من تطلَّع بذلك ؛ ثم عطفَا على النظر في حال الشيخ الزَّيْنِ أبي الوليد ، صَدَرَ بَيُوتَاتِ الأندلس ، وأوثقها عروةً جاريةً وأشدَّها ركنَ تَعْيِينٍ ؛ فصَيَّرَاه إلى دارٍ صُغْرَى ، إلى أن وصل جوابُ ابن عَبَّاد بإخراج الشيخ ومن معه إلى جزيرة سَلْطِيش من الجزرِ الكائنة في مَوْقِع نَهْرِ إشبيلية ؛ فأُخْرِجَ ، من بعد العِزِّ

والبجلة واتصال الترف ، محمولاً بَيْنَ عِدْلَيْيْنِ على كَظْهَرِ زَامِلَةٍ ، قد أُرْكِبَ خَلْفَهُ مَنْ يُمْسِكُهُ .

قُلْتُ : وقد أفرَّجَ أبو مَرْوَانَ بن حِيَّان لهذه النكبة الجَهْوَرِيَّة كِتَاباً سَمَّاه « البَطْشَةُ الكُبْرَى » ؛ وكلامه فيه من لبابِ بلاغَتِهِ . وذكر أن الشيخَ أبا الوليد بن جَهْوَر لما تَوَسَّطَ القنطرة ، مُخْرَجاً عن وَطَنِهِ على تلك الحالة ، رفع يَدَيْهِ إلى السماء ، وأخذ يَبْتَهِلُ في الدعاء ؛ وكان بما حَفِظَ عنه قوله : « اللّهُمَّ ! كما أَجَبْتَ فِينَا الدعاءَ عَلَيْنَا ، فَأَجِبْ لَنَا ! » فمات لأربعين يوماً من نكبته بجزيرة سَلْطِيش — رحمه الله وغفر له — فكانت هذه سبيلُهم — رحمةُ الله عليهم .

وشرع الوزيران في ضَبْطِ قُرْطُبَةٍ . فتَأَنَّى بَعْدُ حَوَادِثُ تَخَلَّلتْ ذلك ، يطولُ الكتابُ إن استقصيناها . فكانت مُدَّةُ بني جَهْوَر بقرطبة أربعين سنة إلا يسيراً . والبقاء لله وحده . وتأَتَّى هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ ، وخصوصاً لأبي الحِزْمِ والدهما ، ما لم يَتَأَتَّ لِمُتَأَمِّرٍ من مُسَالمةٍ من يَلِيهِ ، وانسحابِ العافية على بلده مُدَّةً ولايته ، حتى كان لرؤساء الطوائف بمنزلة الأب ، يفصل بَيْنَهُم في القضايا ، ويشفع في الحوائج ، ويُصْلِحُ بَيْنَهُم في المنازعات ؛ فلم يَدْرِ الناسُ ما فقدوا فيهم إلا بعد أن بَلَّوْا غَيْرَهُم وفقدوا خَيْرَهُم . والحُكْمُ لله سبحانه !

ولم يُنْتِجِ الْمُعْتَمِدُ بن عَبَّاد بما حصل عليه من منيعة قُرْطُبَةٍ ، بل نقصه مرورُها بما كان من هُجُومِ ابن عَكَّاشَةَ على قرطبة ليلاً ؛ فطرقها . وتيسَّرَ ذلك له لِنَظَرِهِ بعض الحصون المجاورة للحضرة ؛ وقد كان الْمُعْتَمِدُ تَخَلَّفَ فيها الظافِرَ وَلَدَهُ والوزيرَ مُحَمَّدَ بن مَرْثِين ، مضيعَيْنِ للحِزْم ، غريقَيْنِ في اللذات . واحتال ابنُ عَكَّاشَةَ حتى دخل المدينة ليلاً برجاله ، وطرق دارَ الإمارة . وبرز الظافِرُ إلى استجلاء الأمر ؛ فقتل وحزَّ رأسه . وبادر إلى ابن مَرْثِين . وهو عاكِفٌ على شرابٍ وهو ؛ ففَيَّضَ عليه . وتأَمَّرَ ابنُ

عُكَاثَةُ بْنُ الْبَلَادِ مِنْ أَوْلِيَاءِ ابْنِ ذِي الثُّونِ . فَتَمَّتِ الدَّعْوَةُ لِابْنِ ذِي الثُّونِ .  
وَلَمْ يَمُضِ إِلَّا زَمَنٌ قَرِيبٌ ، وَقُتِلَ ابْنُ عُكَاثَةَ ، وَعَادَتْ قَرْطُبَةُ إِلَى  
الْمُعْتَمِدِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِهِ .

### ذكر أيام بني عباد باشبيلية وغيرها

وَبَنُو عَبَّادٍ مِنَ الْعَرَبِ الدَّاخِلِينَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ مِنْ لَخْمٍ .

قَالَ أَبُو مَرْوَانَ : جَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ الْفَتْحِ رَهْطٌ مِنْ لَخْمٍ تَفَرَّقُوا  
فِي أَقْطَارِهَا ؛ وَانْحَازَ مِنْهُمْ إِلَى غَرْبِهَا أَخْوَانُ نَعِيمٍ وَعَطَّافٌ ؛ فَنَزَلَ  
أَحَدُهُمَا بِقَرْيَةِ يَوْمِينَ ، وَتَنَاسَلَ وَلَدُهُ بِهَا مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ ، ثُمَّ  
انْتَقَلُوا إِلَى إشبيلية فَتَسَوَّوْا ، وَتَصَدَّرُوا لِلْوَجَاهَةِ وَالنِّبَاهَةِ فِي دَوْلَةِ الْحُكْمِ  
الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ وَدَوْلَةِ ابْنِ هِشَامٍ وَحَاجِبِهِ الْمَنْصُورِ . وَقَدْ كَانَ نَشَأَ فِيهِمْ  
صَدْرُ بَيْتِهِمْ وَمُؤَسَّسُ مَجْدِهِمْ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّادٍ ؛ فَقَدَّمَهُ الْمَنْصُورُ عَلَى  
خُطَّةِ الْقَضَاءِ بِهَا ؛ فَاتَّصَلَ اسْتِعْمَالُهُ إِلَى زَمَنِ انْقِرَاضِ الْإِمَامَةِ الْأُمَوِيَّةِ .  
وَاسْتَمَرَّتْ حَالُهُ مَعَ مَنْ نَجَمَ فِي الْفِتْنَةِ ؛ فَنَظَرَ فِي صِلَاحِ الْقَطْرِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى  
الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّثِي مِنَ السِّيَاسَةِ ، إِلَى أَنْ نَزَلَ فِي عَيْنَيْهِ الْمَاءُ سَنَةَ ٤١٤ ؛  
وَقَدَحَ ؛ فَعَادَ بَعْضُ بَصَرِهِ ؛ فَلَمْ يَسْتَجِزِ الْحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ ؛ فَوَلَّى  
وَلَدَهُ أَبَا الْقَاسِمِ الْقَضَاءَ ، وَاقْتَصَرَ هُوَ عَلَى رِيَاسَةِ الْبَلَدِ وَتَوَلَّى رَأْيَ الْمَشِيشَةِ .

وَكَانَ نَسِيجَ وَحْدِهِ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَأَدَبًا وَحِكْمَةً ؛ فَحَمَى مَدِينَةَ  
إشبيلية مِنْ سَطْوَةِ الْبَرَابِرِ الَّذِينَ اقْتَطَعُوا أَحْوَازَهَا وَنَزَلُوا حَوْلَهَا بِالتَّدْيِيرِ  
الصَّحِيحِ ، وَالرَّأْيِ الرَّاجِحِ ؛ وَالنَّظَرِ فِي الْأُمُورِ السُّلْطَانِيَّةِ ، إِلَى أَنْ هَلَكَ  
سَنَةَ ٤١٤ .

### ذكر أيام القاضي أبي القاسم محمد بن عباد

#### أَوَّلُ مَلُوكِهِمْ بِإِشْبِيلِيَّةِ

وَهُوَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ ذِي الْوَزَارِكَيْنِ أَبِي الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ  
إِسْمَاعِيلِ بْنِ قُرَيْشٍ بْنِ عَبَّادٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَسْلَمَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَطَّافِ بْنِ  
نَعِيمِ اللَّخْمِيِّ . وَعَطَّافٌ هُوَ الدَّاخِلُ مَعَ بَلْجٍ بْنِ بَشْرٍ .

وَكَانَ الْقَاسِمُ بْنُ حَمُودٍ ، لَمَّا مَلَكَ إشبيلية ، قَدْ اخْتَصَّهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهِ عَلَى  
مُهَيْمَاتِ تِلْكَ الْحَضَرَةِ ، وَاسْتَنَامَ إِلَيْهِ لِمَحَلَّتِهِ مِنَ الْجَلَالَةِ وَالْأَصَالَةِ فِي النَّظَرِ ،  
وَوُفُورِ الْمَالِيَةِ . فَلَمَّا جَرَى عَلَى الْقَاسِمِ مَا تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ مِنْ لِقَاقِ أَهْلِ  
قَرْطُبَةِ بَيْنَ مَعَهُ مِنْ بَرَابِرَتِهِ ، وَإِجْلَالِهِ وَإِيْثَامِهِ عَنِ الْحَضَرَةِ ، وَمَا أُتِيحَ لَهُمْ  
مِنْ هَزِيمَتِهِ ، خَاطَبَ بَيْنَ يَدَيْ حَاقِهِ بِإِشْبِيلِيَّةِ مَنْ بِهَا بَأْنُ تَخَلُّسِي لَهُ الدَّوْرُ  
لِمَنْ فِي صَحْبَتِهِ مِنَ الْبَرَابِرِ . فَوَقَعَ الْإِتِّفَاقُ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ عَلَى سِدِّ أَبْوَابِ  
الْمَدِينَةِ فِي وَجْهِهِ ، وَأَنْ يُخْرِجَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ ؛ فَفَعَلُوا . وَوَصَلَ  
الْقَاسِمُ ؛ فَامْتَنَعُوا عَلَيْهِ ، إِلَى أَنْ قَصَدَ شَرِيشَ ، كَمَا مَرَّ قَبْلُ . وَتَوَلَّى  
ضَبْطَ الْمَدِينَةِ عَلَى كَثْرَةِ الْهَرَجِ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ ، عَمِيدُ الْبَلَدَةِ ، مُشْتَرِكًا  
النَّظَرَ مَعَ وَجُوهِ الْبَلَادِ وَأَعْلَامِ بِيَوْنَاتِهَا ، إِلَى أَنْ انْفَرَدَ بِالْأَمْرِ دُونَهُمْ .

وَجَرَّتْ لَهُ فِي تَدْيِيرِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ أُمُورٌ شَهِيرَةٌ ، إِلَى أَنْ خَلَصَ  
بِسَابِقَتِهِ ، وَأَجْمَعَ أَهْلُ عَمَلِهِ عَلَى طَاعَتِهِ ؛ فَدَانُوا لَهُ ، وَسَلَكَ سِيرَةَ أَصْحَابِ  
الْمَمَالِكِ بِالْأَنْدَلُسِ ؛ وَأَقْبَلَ لِأَوَّلِ وَقْتِهِ بَضْمُ الرِّجَالِ ، وَبِشْتَرِي الْعَبِيدِ ،  
وَالْجِدِّ بِسَاعِدِهِ ، وَالْأُمُورِ تَنْقَادَ لَهُ ، إِلَى أَنْ اسْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ ، وَبَنَى  
قَوَاعِدَ سُلْطَانِيَّةِ سَامِيَّةِ الْعَمَدِ .

وَكَانَ مِنْ تَدْيِيرِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ عَبَّادٍ ، لَمَّا ضَاقَ دَرْعًا بِمَزَاحِمَةِ بَنِي حَمُودِ



الفاطميّين من كل جهة ، ولهم في الناس النداء المسموع والحق المعلوم ، أن دعا إلى تجديد بيعة الخليفة هشام المؤيد ، المشكوك في موته ، المدعي كثير من الناس أنه فرّ لوجهه ؛ وزعم أنه عثر عليه سائحاً في الأرض ؛ وقد كان صاحب المريّة زهير العامري ذهب مذهبه في رجل سقاء شديد الشبه بهشام ؛ فمؤّه زمناً به سنة ٤٢٦ ؛ ثم تلاشى الأمر في يده ؛ فطرده ؛ وأحكم ابن عبّاد أمره ؛ فأعلق منه اليد بشبهه ؛ فمضى الحال بها زمناً طويلاً . والدنيا عند الله حقيرة الوزن ، خاملة الشأن .

قال ابن القطّان حاكياً عنه ؛ فذكر أن هشاماً فرّ من الفتنة ، ورفض الملك ، وكنم أمره ، واستقرّ في قرية من قرى إشبيلية ، يؤدّن في مسجدها ويعبّره ، ويتقوّت من العمل في الحلفاء ؛ فخرج إليه القاضي محمد بن إسماعيل هذا وولده وجميع خاصته وعبيده ، ومعه أبواب الحلفاء وملايسهم وزبهم ومراكبهم ، ولم يشعر الرجل ، وهو خارج المسجد من القرية ، يعمل بيده في حلفاء ، إذا بالقوم قد عثّوه وأحاطوا به ، وترجل القاضي وابنه ومن معهم ، وقبلوا الأرض بين يديه ؛ فبهت الرجل لما عاين ، وجعل يقول : « لست بالذي تعنون ولا بالذي تطلبون ! » وهم لا يردّون عليه شيئاً سوى التضرّع والرغبة ، إلى أن أقاموه من مكانه ، وجردوه من حلفائه ، وألبسوه الكسوة الخلافة ، ووضعوا القلائس على رأسه ، وأركبوه ؛ ومشى القاضي وجميع من معه أمامه . وكان الرجل أشبه الناس بهشام ؛ ودخلوا به المدينة ، وصائح ينادي : « يا أهل إشبيلية اشكروا الله على ما أنعم به عليكم ! فهذا مولاكم ! قد صرف الله الخلافة من قرطبة إلى بلدكم ! » واستقرّ بالقصبة ، وحجبه ابن عبّاد بابنه إسماعيل ، شأن المنصور مع هشام بقرطبة . وخاطب الناس بكل جهة في شأنه ؛ فوجه الكثير منهم أرساله وثقافته ليقيموا على حقيقة أمره ؛ فأدخلوا على الرجل ، وهو في بيت مظلم ؛ وذكر لهم أنه يشكو مرض

عَيْنَيْهِ ، كلبوه وكلّهم ، غير أنهم لم يثبتوا صفتهم ؛ فمنهم المقرّ والمنكر . وأبى قبول ذلك ابن جهّور ؛ فغزا ابن عبّاد بلده ، إلى أن أظهر الموافقة . وخطب له في القواعد التي تعلّب عليها العامرية .

وعظم ملك ابن عبّاد ، وضيق على الجهات ، وأكثر الغارات ، إلى أن أصيب ولده إسماعيل بأيدي بني زيري المتغلبين على كنورة البيرة في هزيمة انتجّنت عليه . وكانت له وعليه وقعات شهيرة ، إلى أن توفي القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عبّاد في سنة ٤٣٣ . وولي الأمر بعده ولده أبو عمر عبّاد بن محمد الملقّب بالمعتضد .

### أيام المعتضد بالله عبّاد بن محمد بن عبّاد

تولّى الأمر بعد أبيه منسليخ جمادى الأولى من سنة ٤٣٣ . واستولى على غرب الأندلس كسلب ، ولبلّة ، وجبل العيون ، وما إلى ذلك .

قال أبو مروان : وكان عبّاد قد أوتي من جبال الصورة ، وقام الحلقة وفخامة الهيئة ، وسباطة البنان ، وثقوب الذهن ، وحضور الخاطر ، وصدق الحس ، ما فاق به على نظرائه . ونظر مع ذلك في الأدب أدنى نظري بأذكي طبع ؛ فعصل منه على قطعة وافرة . قالوا : ومن عجائب سَعْنده أنه فتح ما يجاوره من بلاد أعاديه ، وأجلى طواغيتهم عن جواره حتى انضاف إلى بلاده عمل قرمونة وعمل الجزيرة ، ونحصّلت في خزائنه جملة من رؤوس ملوك البرابرة والأدارسة ، مثل رأس محمد بن عبد الله أمير قرمونة ، شهاب الفينة ، ورؤوس خزرون وابن نوح والخليفة يحيى بن علي بن حمود وغيرهم ، بمن أُرْداهم بسيفه ؛ وجدّها اللثونيون لما دخلوا إشبيلية على ولده في مستودعات مفاخره ، والرقاع ملصقة بها معربة عن أسائها . هذا ، وهو قاعد فوق أريكته ، منفذ للعظام من

جوف قصره . وكان شديد الجرأة ، قوي المنة ، عظيم الجلادة ، مستهيناً بالدماء ؛ قتل ولده إسماعيل صبراً بيد نفسه ، وقد انتهه بالفساد عليه . واحتال على طائفة من رؤساء أعدائه البرابرة ، حتى زاروه ببلده ، فأدخلهم الحمام في سبيل التكرمة ؛ فسد بابه إلى أن هلكوا عن آخرهم . وما زال الناس ينسبون إلى هذا اللقب مصاحبة الجرأة والفظافة في كل زمان ومكان .

وقال بعضهم فيه : لم يتصرف عبّاد في دولته ، التي مهدها فوق أطراف الأسيّة ، وصير أكثر شغله فيها شبّ الحروب ، وكيادة الملوك ، وإهراج البلاد ، وإحراز التلاد ، في توفير حظّه الأوفى من الأمور الملوكيّة ، والعُدّة السلطانيّة ، والآلات الرئاسيّة ؛ فابتنى القصور الساميّة ، واعتبر العمارات المنيّة ، واكتسب الملايس الفاخرة ، وغالى في الأعلاق السنيّة ، وارتبط الخيل السابحة ، واقتنى الغلمان الرؤوفة ، واتخذ الرجال الذادة ؛ فانقاهم من كل فرقة ، يتعمّد طبقاتهم بإدوار الأعطية وضمان الزيادة ، على صدق الصيال والوفاء بالوعيد على الكول ، سياسة أعيت على أنداده من ملوك الأندلس . وكان يتشبه في حزمه وضبطه لأمره بأبي جعفر المنصور .

وعظمت القطيعة بينه وبين جاريه المظفر بن الأفتّس ، حتى عجز المظفر عن حربته . وسنّ الله بينها الهدنة في ربيع الأول من سنة ٤٤٣ ، بسعي الشيخ ابن جهور أمير قرطبة . وبعد ذلك ، فرغ ابن عبّاد إلى حرب الأمراء الباقين بالغرب ، فأنتج له من الظفر بهم ، والاستيلاء على بلادهم ، ما هو معلوم . ثم مدّ يده إلى الجزيرة الخضراء ؛ فنازل فيها محمد بن القاسم ، كما ذكرنا ، وقتلها من يديه . ثم صرف جده إلى قرطبة ، ووجه إليها عزّمه . فأتاه الحيام من دون ذلك . وكان ملكها مذخوراً لولده المعتدّ وولي الأمر بعده . وهو محمد المكثي بأبي القاسم ، الملقب

أول الأمر بالظافر ، ثم بعده بالمعتدّ على الله . وكان المعتدّ ، مع جوده وبسالته وعلو هيمته ، يقرض الشعر ، ويصدر عنه المقطعات الرائقة ، والمعاني الفائقة ؛ فمن شعره المنسوب إليه قوله : [المنسرح]

كأنما ياسيننا الغض كواكب في السماء تبيض  
والطرق الحر في جوانبه كخد عذراء مسه عض

وقوله : [الطويل]

شربنا وجفن الليل يغسل كحله بماء صباح والنسيم رقيق  
معتقة حمراء أمّا بخارها فضخم وأما جسها فدقيق

### دولة المعتمد على الله محمد بن عباد

كنيته : أبو القاسم . وهو الجواد ، الشجاع ، البليغ ، ذو الأخبار الشهيرة الذكّر ، والأنباء الماثورة في الدهر .

قال ابن الصّيرفي : المعتمد على الله محمد بن عبّاد نسيج وحده في الجود ، وأصلب نظرائه مكسر غود ، فذ في البلاغة ، طرف في الشعر والكتابة ، باوع النظم والنثر ، كثير الأدب ، جزل الألفاظ ، كثير المعاني ، حرّ المآخذ ، لدن معاطيف الكلام ، رقيق الحاشية ، كثيف المتن ، كثير البديع ، رائق الديباجة ، لائق الاستعارة ، حسن الإشارة ، جمّ التوليد ؛ لم ينشده من الوزراء والشعراء أشعر منه ، على كثرة ما اجتلب إليه من أعلاق الثناء ، ونثر عليه من ثمر الحمد ، ووضع في يديه من برّ القريض .

قالوا : وكان شجاعاً مقداماً ، حسن السيرة ، رفيقاً بالرعيّة . وسنت به هيمته إلى غلث قرطبة ؛ فدخلت في أمره حسباً وقع الإلماع به عند

مُجالسةً ، وشهامةً نفسٍ ؛ فأخذَ بِمَجَامِيعِ قَلْبِ المَعْتَدِ ، وحلَّ منه المَحَلَّ المَحْجُورَ على سِوَاهِ . وكان خَيْرَانِ العَامِرِيِّ ، لما خرج عن مُرْسِيَةِ ، تغلبَ عليها أبو عبد الرحمن بن طاهرٍ من أَعْيَانِهَا وجِلَّتِيهَا ، ومَحَلُّهُ في الأدبِ والفضْلِ والسرَاوَةِ معروفٌ ، قد قرَّرَ ذلك الفَتْحُ في كتاب « القلائد » ، وغيرُهُ ، إلى أن خَالَفَ عليه أَهْلُهَا ، وكَاتَبُوا المَعْتَمِدَ يستدعونَهُ إليها . فوجَّهَ ابنَ عَمَّارٍ وزيرَهُ اليَهم ، وقائِدَ جيشِهِ عبدَ الرحمن ابنَ رَشِيقٍ . فدخَلَ مُرْسِيَةَ ، وتحصَّلَ ابنُ طاهرٍ في اغْتِقَالِهِ . وضبطَهَا واستقرَّ فيها قرارُهُ ، إلى أن سَوَّلتَ له نفسُهُ الانْفِرَادَ بِهَا ، وكَشَفَ وجْهَهُ في الحِلَافِ للمَعْتَمِدِ . وقَبِضَ لابنَ عَمَّارٍ من ابنِ رَشِيقٍ جَزَاءً عَامِلٍ بِسِوَةِ عَمَلِهِ ؛ فاهْتَبَلَ غِرَّتَهُ ، وقد خرجَ لتَفْقُدِ بعضِ سُؤُونَ حُصُونِهَا ؛ فوثَبَ على مُرْسِيَةِ ، واستولى عليها . وبلغَ ابنَ عَمَّارٍ الخُبْرُ ، ففرَّ عنها ، ولحقَ بالمُعْتَمِدِ ابنُ هُودٍ بِسَرَقِيسْطَةِ . واستولى بنُ رَشِيقٍ على مُرْسِيَةِ ؛ فامتنعَ أيضاً بِهَا . وجَرَى بينَهُ وبينَ المَعْتَمِدِ في ذلكَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ ، إلى أن خَرَجَ ابنُ رَشِيقٍ عن مُرْسِيَةِ لِيُوسِفَ بنَ تَاشْفِينِ أميرَ لِسْمُونَةِ ، عندَ جَوَازِهِ إلى الأَنْدَلُسِ . واستعدَّ المَعْتَدُ لَهُ ؛ فلم يَسْمَعْ المَعْتَدَ بعدَ ذلكَ فِيهِ الكَلَامَ .

وبَقِيَ ابنُ عَمَّارٍ عندَ الْمُؤْتَمِنِ بنِ هُودٍ على شَأْنِهِ عندَ المَعْتَدِ من سُلْطَانِهِ ، إلى أن أغْرَاهُ بِحِصْنِ سَقُورَةِ ، ووَعَدَهُ من نَفْسِهِ بِفَتْحِهِ ، ورجَّهَ إليه . فلما نَزَلَ بِسَاحَتِهِ ، كَادَهُ صاحِبُ الحِصْنِ ، وسَهَّلَ عليه الأمرَ ، وجعلَ البَلَدَ في يَدِهِ بِاللَّسَانِ ، وطلبَ منه الصُّعُودَ بِنَفْسِهِ لِمُبَاشَرَةِ قَصَبَتِهِ ؛ فأسْرَعَ لذلكَ في طَائِفَةِ بِسِيرَةٍ من مَمَالِكِهِ ورجَالِهِ ، وقد أَعْمَى عَيْنَهُ الحِرْصُ والغُرُورُ ، ونهَوْرُهُ المشهورُ ؛ فلما تحَصَّلَ في قَصَبَةِ صاحِبِ الحِصْنِ ، وثَبَّ بِهِ ، وأكْبَلَهُ وأودَعَهُ المَطْطِيقَ .

واتَّصَلَ ذلكَ ابنَ عَمَّادٍ ؛ فراسَلَ صاحِبَ الحِصْنِ في التَّمَكِينِ مِنْهُ ،

وأرْعَبَهُ فيما لَدَيْهِ حتى استَفْزَهُ وأَمَكَّنَهُ من رَمْتِهِ . فأدْخَلَ إِسْطِيلِيَةَ مَدْخَلَ الشُّهْرَةِ ، فوقَ ظَهْرِ بَيْنِ عِدْلَيْ بَيْنٍ . وحشَرَ النَّاسَ إلى رُؤْيَتِهِ ، وقد خرجَ أميراً كبيراً ، وأُعِيدَ اليَوْمَ كَذِليلاً أُسِيرَ . وتلكَ عَادَةُ الأَيَّامِ في تَعَاقُبِ الصُّرُوفِ ، وجِدُّ المَعْرُوفِ . واعتَقَلَهُ المَعْتَدُ بِيَعْضِ حِجَرِ القَصْرِ ؛ وكان يَسْنَحُضِرُهُ ، فيبَالِغُ في عَتَبِهِ ، ويتَأَقَّاهُ ابنُ عَدَارٍ من الاستعطافِ والاسترحامِ بما كَادَ يَحِلُّ عَقْدَةَ مَوْجِدَتِهِ ، ويطمَعُ في الإِبْقَاءِ عليه ، لولا أنْ أعدَاءَهُ شَمَّرُوا للإغْرَاءِ بِهِ ، ونَسَبُوا إِلَيْهِ أَقْوَالَ في إِسَاءَةِ ذِكْرِهِ ، والنَّيْلِ من أُمِّ وَلَدِهِ ؛ فَأَمْضَى قَتْلَهُ يَدِهِ .

وصَدَرَتْ عن ابنِ عَمَّارٍ من الأَشْعَارِ في غَرَضِ اسْتِقَالَتِهِ واستعطافِهِ كَلِمَاتٌ شَهِيرَةٌ ، تُعَالِجُ بِمَرَامِهَا جِرَاحَ القُلُوبِ ، وتَعْفِي على هَضْبَاتِ الذُّنُوبِ ، لولا ما فَرَّغَ عَنْهُ مِنَ القَدَرِ المَكْتُوبِ ، والأَجَلَ المَحْسُوبِ ؛ فمنَ ذلكَ قولُهُ :

سَجَايَاكَ إِن عَافَيْتَ أَتَدَى وَاسْتَحْ . وعَذْرُكَ إِن عَاقَبْتَ أَجْلِي وَأَوْضَحْ  
وإِن كَانَ بَيْنَ الخُطِئَتَيْنِ مَرِيَّةٌ . فَأَنْتَ إِلَى الأَذَى من الله تَجَنَّبْ  
وماذا عسى الأعداءُ أَنْ يَتَزَيَّدُوا . سِوَى أَنْ ذَنْبِي ثَابِتٌ مُتَصَحِّحْ  
وَأَنْ رَجَائِي أَنْ عِنْدَكَ غَيْرُ مَا يَخْضُ عِدْوِي اليَوْمَ فِيهِ وَيَرْحُ  
أَقْلَنِي بما بَيْنِي وَبَيْنَكَ من رِضَى . له نَحْوُ رُوحِ الله بَابٌ مُفْتَحْ  
ولا تَلْتَفِتْ قولَ الوُشَاةِ وزُورَتِهِمْ . فكلُّ ائِءٍ بالذي فِيهِ يَرْشَحْ  
وقالوا سيجزيه فلانٌ بذنبه . فقلتُ وقد يَغْفُو فلانٌ ويَصْفَحْ  
ألا إِنَّ بَطْشاً للمُؤَيَّدِ يَرْمِي . ولكنْ حِلْماً للمُؤَيَّدِ يَرْجَحْ  
وبَيْنَ ضُلُوعِي من هَوَاةٍ نَمِيَّةٍ . ستَشْفَعُ لو أَنَّ الحِمَامَ مُجْلَحْ  
سلامٌ عليه كيف دار به الهوى . إليَّ فَيَدْنُو أو عَلَيَّ فَيَنْزَحْ

ذكر بني جهنم ؛ ووصل إليها ؛ فأثس أهلها ، وبث المعروف فيها ، وأحسن السيرة في أهلها ؛ فسرؤوا بإيالته . وولئى عليها ابنه الحاجب ميراج الدولة عبّاد بن محمد بن عبّاد ليستخلفه فيها ؛ فوصلها يوم الثلاثاء السادس من شوال تلك السنة ، ودخلها دخولاً فخماً ، تضاعف له سرور أبيه .

وانصرف المعتمد إلى إشبيلية ، وخلف ابنه والياً عليها ؛ وترك معه القائد ابن مرتين بجماعة من الفرسان ؛ فدخل ابن ذي النون صاحب طليطلة في أمرها رجلاً من قواد الحصون المجاورة لقرطبة ، مهمة من البهم ، أجزاً من خادير الأسد ، يعرف بحكم بن عكاشة ، ضمن له غرور ابن عبّاد بها . ومما ذلك إلى القائد ابن مرتين ؛ فأكذب الخبر ، وتهاون به ، إلى أن تم لابن عكاشة ما أراد ؛ ففتح له بعض أبوابها قوم من شيعته ، ودخل المدينة ليلاً ، بحيث لا يشعر به ، في سرزمة من خيله ورجله ؛ فقصد دار ابن جهنم ، حيث سكنى الأمير ابن عبّاد . وبوز ابن عبّاد عند سماع الهبة ؛ فجالدهم بسيفه حتى قتل . ثم نهضوا بعد قتله إلى دار ابن مرتين ، وهو عاكف على شرايه ولتهوه ؛ ففر ، واختفى ببعض دور صنائه . وعثر عليه بعد ثلاثة ؛ فاستحضر ابن عكاشة من كان بين يديه ليلتذ من القينات والمثلهين ؛ فجعل يسأله عن أسماء من حضر ، شأناً له ؛ ثم أكسبه وبعته إلى حصنه . فلما وصل ابن ذي النون ودخل الحضر ، أمر بقتله . ولم تصبح ليلة هجوم ابن عكاشة على المدينة إلا وقد انضم إليه أعداءه من الأشرار . واستولى على البلدة ، وأقام فيها الدعوة الذنونية . وخاطب ابن ذي النون ؛ فتلاحق بقرطبة ؛ فدخلها في أبهة عظيمة ، وأخذ بيعة أهلها . وكان وصوله إليها من بكنسية يوم الجمعة لحس بقين من جمادى الآخرة سنة ٤٦٧ . ولم ينشب ابن ذي النون أن اعتل بقرطبة ؛ وتوفي فيها لإثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٤٦٧ .

وخاطب أهل قرطبة المعتد ؛ فأقبل إليهم ، وقاموا بدعونه . وفر ابن عكاشة على وجهه ، يوم المدافعة ؛ فقتله بالخنطرة يهودي من رجال قرطبة . واستولى ابن عبّاد على المدينة ثلاث ليال بقين من ذي قعدة السنة المذكورة . ومن بعد ذلك ، اتصلت بها طاعة ابن عبّاد ما ينيف على ست عشرة سنة . وأسكن بها ولده الملقب بالمأمون ، وعاد إلى إشبيلية .

واتصلت أيام المعتد على الله أحسن أيام . ولذلك ما هجت القصص بأخباره وأحاديث خطيبه المساة اغتياداً ، لجمع أسبها حروف لقيه ؛ وهي أم الملوك الأربعة من ولده ، والمنسوبة روميكية إلى مولاها الذي اشتراها منه ، واسمه روميك بن فلان ، إلى أن ناله ضم من صاحب قشتالة إذقونش بن قرذلاندي في شأن الضربة التي كانت تؤذيها إليه ملوك الأندلس ، وابن ساليب اليهودي المتولي لقبضها منه ، بحيث أسمعته ما يكرهه ؛ فغضب - رحمه الله - وأمر بقتله وأسر من وصل صحبته من النصارى . فعظم ذلك على الطاغية ، وأقسم أن لا يرفع عقلاً عن ابن عبّاد ؛ فاضطره ذلك إلى الجواز إلى المغرب ، والحق بالأمير يوسف بن تاشفين ، والاستظهار به على جهاد الطاغية ؛ فأجابه لذلك ؛ وخرج له عن الجزيرة الخضراء . وكان ما يقع التعريف ببعضه من الوقعة بالعدو على يد يوسف بن تاشفين ، وحسن بلاء المعتد في ذلك ، إن شاء الله .

### خبر المعتمد بن عباد مع ابن عمار

وكان محمد بن عمار من المعتد بن عبّاد بالمحل المعروف ترابية وخدمة ، وطول صحبة ؛ وكان نادرة وقته براعة وأدباً ، وحسن

لِيَهْنِئَهُ إِنْ مِتُّ السُّلُوكُ فَإِنِّي أَمُوتُ وَبِي شَوْقٌ إِلَيْهِ مُبَرَّحٌ  
 قُلْتُ : وَلَوْلَا أَنْ يَطُولَ الْكِتَابُ ، لَأَسْتَوْفَيْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَعْجِبُ  
 اسْتِيفُوه . وَسُبْحَانَ الَّذِي جَعَلَ نَفُوسَ أَكْثَرِ الْمُلُوكِ تَنْقَادَ فِي أَرْمَةِ حَبِّ  
 التَّشْفِي ، وَطَلَبِ الْإِنْصَافِ ، فَلَا تَتَوَقَّفُ فِي مُطَاوَعَتِهِ . وَذَلِكَ لِأَنَّهَا  
 نَفُوسٌ غَيْرُ مَقْهُورَةٍ بِالرِّيَاضَةِ وَالْمُلْكَاتِ ، وَلَا مَرْغَمَةٍ بِفِرَاقِ الشَّهَوَاتِ ، إِلَّا  
 لِلْقَلِيلِ النَّادِرِ مِمَّنْ كَانَتْ نَفْسُهُ مُتَّصِفَةً بِالرَّحْمَةِ فِي أَصْلِ جَبَلَتِهَا ؛ فَبِهَا سَاكِنَةُ  
 الْفُورَةِ ، كَالْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ فِي الْعَفْوِ عَنْ عَمَلِهِ الَّذِي نَادَمَهُ عَلَى كَأْسِ السَّلَافَةِ ،  
 مِنْ بَعْدِ أَنْ ابْتَزَّهُ تَوْبُ الْخِلَافَةِ ، فَتَرَكَهَا مَثَلًا بَعْدَهُ ، وَلَا يَخْلِفُ اللَّهُ لِمَنْ  
 اتَّصَلَ بِالْحِلْمِ وَعُدَّهِ ؛ وَمِمَّا يُوَثِّرُ عَنِ الْمَأْمُونِ قَوْلُهُ : « لَوْ عَلِمَ النَّاسُ  
 كَحَبْتِنَا فِي الْعَفْوِ ، لَتَقَرَّبُوا إِلَيْنَا بِالْجُرَاحِ ! » ، وَمَا كَانَ أَجْمَلَ بِالْمُعْتَمِدِ أَنْ  
 يَبْقِيَ عَلَى جَانٍ مِنْ عَبِيدِهِ قَدْ مَكَّنَهُ اللَّهُ مِنْ عُنُقِهِ ، لَا بِوَسْطِ الْحُصُولِ عَلَى  
 أَمَدِهِ ، وَلَا بِجَذْرِ تَعْصَبِ قَبِيلِهِ ؛ وَلَا بِزَيْدِهِ الْعَفْوُ عَنْهُ إِلَّا تَرْفَعًا وَعِزًّا ،  
 وَجَلَالَةً وَهَيْمَةً ، وَذِكْرًا جَمِيلًا ، وَأَجْرًا جَزِيلًا . فَلَا شَيْءَ أَمْنَحَى لِلْسَّيِّئَةِ  
 مِنَ الْحَسَنَةِ ، وَلَا أَقْتَلَ لِلشَّرِّ مِنَ الْخَيْرِ ! وَرَحِمَ اللَّهُ الشَّاعِرَ إِذْ يَقُولُ :

[الكامل]

وَطَعَنَتْهُمْ بِالْمَكْرُمَاتِ وَبِاللَّهِ فِي حَيْثُ لَوْ طَعَنَ الْقَتْلُ لَتَكَسَّرَا  
 وَذَكَرُوا أَنَّ الْمُعْتَمِدَ نَدِمَ عَلَى قَتْلِهِ وَلَاتِ حِينَ مَنَدَمَ ! وَمَنْ الْحِكْمُ  
 قَوْلُهُ : « أَنْتَ عَلَى مَا لَمْ تَفْعَلْهُ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا فَعَلْتَهُ ! » جَعَلْنَا اللَّهُ  
 مِمَّنْ يَمْلِكُ عِنَانُ نَفْسِهِ ، وَتَقْدَمُ لَعْدِهِ فِي أَمْسِهِ . وَكَانَ زَمَنُ الْمُعْتَمِدِ بِالْأَنْدَلُسِ  
 مَشْهُورًا بِالرَّاحَاتِ وَالْآدَابِ ، وَأَيَّامُهُ مَوْصُوفَةٌ بِاخْضِرَارِ الْجَنَابِ .

### بقية اخبار المعتمد بن عباد

ولما استوسق ليوسف بن تاشفين بسماعه أمر الجهاد ، وراقه حُسنُ ما  
 بالأندلس من البلاد ، وأغري بملوك الطوائف ، وقهررت لَدَيْهِ مساوئهم ،  
 أَرَمَعَ عَلَى خَلْعِهِمْ ؛ فَبَدَأَ بِصَاحِبِ عَرْنَاطَةِ حَنْبِيدِ بَادِيْسَ ؛ ثُمَّ ثَنَّى  
 بِالْمُعْتَمِدِ عَلَى اللَّهِ ؛ فَانْزَلَتْهُ قُوَّادُهُ بِإِشْبِيلِيَّةِ ، وَانْزَلَتْ وَلَدَهُ الْمَأْمُونُ  
 بِقَرْطَبَةِ ، وَوَلَدَهُ الرَّاضِي بِرُنْدَةِ . وَلَمَّا ضَاقَ بِهِ الْأَمْرُ ، جَدَّدَ مُرَاسَلَةَ  
 سُلْطَانِ النَّصَارَى ، يَسْتَصْرِخُ بِهِ ، وَيَطْمَعُهُ ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا أَوْقَعَ  
 بِالْمُرَاطِينِ الْمُحَاصِرِينَ لِأَهْلِ جَبْيَانَ وَقِيعَةَ اسْتَأْصَلَتْهُمْ ؛ وَلَأَجْلِهَا ذَهَبُوا إِلَى  
 الْإِقْطَارِ بِدَمِهِ عِنْدَ خَلْعِهِ لَوْ اتَّخَذَتْ النِّتْيَا بِذَلِكَ . ثُمَّ وَصَلَ النَّصَارَى إِلَى  
 بَلَنَّةٍ مِنْ أَحْوَازِ إِشْبِيلِيَّةِ ؛ فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جِيُوشِ الْمُرَاطِينِ وَقِيعَةُ  
 تَنَاصَفَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ . وَعِنْدَ ذَلِكَ يَسَّى ابْنُ عِبَادَ ، وَأَيَّقَنَ بِالْغَلْبَةِ .  
 وَتَرَامَى النَّاسُ مِنْ فَوْقِ أَسْوَارِ إِشْبِيلِيَّةِ ، وَاسْتَدْعَى أَهْلُهَا أُمَرَاءَ الْمُرَاطِينِ .  
 وَرَكِبَ الْمُعْتَمِدُ ، وَقَدْ اقْتَحَمَ الْبَلَدَ يَوْمَ الثَّلَاثَةِ مُنْتَصِفَ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ  
 ٤٨٤ ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَشْفُ عَنْ بَدَنِهِ ، وَقَدْ اعْتَزَلَ السِّلَاحَ ، وَالسِّيفَ  
 مُنْتَضِي يَدَيْهِ ؛ وَحَمَلَ عَلَى الدَّاخِلِينَ ؛ فَزَدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ  
 فَارِسًا ؛ وَانْزَعَجَ النَّاسُ أَمَامَهُ ، وَخَلَفُوا الْبَابَ ؛ فَأَمَرَ بِدَعْوِهِ ، وَعَادَ إِلَى  
 الْقَصْرِ . وَإِلَى تِلْكَ الْحَالِ يَشِيرُ بِقَوْلِهِ :

[مجزوء الكامل]

كَمْ رُمْتُ يَوْمَ نَزَالِهِمْ أَنْ لَا تُخْصِئَنِي الدَّرُوعُ  
 وَبَرَزْتُ لَيْسَ سِوَى الْقَمِيصِ صِرَ عَلَى الْحَشَى دِرْعُ دَفُوعِ  
 أَجَلِي تَأَخَّرَ لَمْ يَكُنْ يَهْوَايَ ذُلِّي وَالْحُشُوعِ  
 مَا مِيرَتْ قَطُّ إِلَى الْقِتَا لَوْ كَانَ مِنْ أَمَلِي الرَّجُوعِ  
 شَيْئٌ الْأَلَى أَنَا مِنْهُمْ وَالْأَصْلُ تَبَعُهُ الْفُرُوعِ

وفي يوم الأحد لعشر بقين من رجب ، فُتِحَت المدينة ؛ فوقع النهب ؛ وفرَّ أهلها إلى المحلة . وخرج ابن عباد وابنه مالك ؛ فقتل مالك بين يديه . وكُوثر المعتد ؛ فأغمد سيفه ، وانصرف إلى القصر ملقياً بيده . ووقع البرج بكف الأيدي . ثم أخرج المعتد ؛ فغرب مكبولاً ، مُدال العز ، مسلوب الملك ، بعد أن جرَّت عليه أهوال . وتلفت بنثه يوم الخروج ، ثم جبرَّت عليه بعد ذلك . واستقرَّ بأغصان ، واقتات من عزَل بناته . وجرَّت عليه خطوب شهيرة ، جَوْن ساعها مصائب الزمان ، وحوادث الحداث . وبأغصان ماتت حظيته قبله ؛ وله في التفجع عليها ، ورثاء نفسه ، وإنذاره بسرعة لحاقه بها ، وذِكْر مَعَهديه وأيامه وتقلب الأحوال به ، أقوال مُفَتِّتة للقلوب ، مَفْجَرَة للقروب ، مُسَلِّية عن متاع الدنيا المسلوب .

وكانت وفاته بأغصان في ذي الحجة من عام ٤٨٨ . ولما أحس بالنبية توهفه ، وجائلها تعلقه ، أمر أن يكتب على قبره : [البسيط]

قَبْرُ الغريبِ سَقَاكَ الرَّاحُ الغادي حَقًّا ظفرت بأشلاء ابن عباد بالطاعين الضارب الرامي إذا اقتتلوا بالحِصْبِ ان أجذبوا بالري للصادي نعم هو الحق وَاَقَانِي به قَدَرُ من السماء ووَاقَانِي لِمِعَادِي ولم أَكُنْ قَبْلَ ذاك النعش أعلمه أن الجبال تهادى فوق أطواد فلا تزل صلوات الله دائمة على دفينك لا تُحْصَى بَتَعْدَادِ

قلت : ووقفت على قَبْرِ الْمُعْتَمِدِ على الله بمدينة آغصان في حَرَكة راحية أَعْمَلْتُهَا إلى الجبال المَرَاكِشِيَّة ، بَاعِثُهَا لِقَاءَ الصَّالِحِينَ ومُشَاهِدَةً الآثار ، عام ٧٦١ ؛ وهو بِقَبْرِ آغصان في نَشْرِ من الأرض ، قد حَفَّت به سِدْرَة ؛ وإلى جانبه قبرُ اعْتِمَادِ حَظِيَّتِهِ ، مَوْلَاةِ رُمَيْك ؛ وعليها وحشة التغرُّب ومعاناة الحمول من بعد الملك ؛ فلا تملك العين دمعها

عند رؤيتهما . فَأَنْشَدَتْ في الحال :

قد زُرْتُ قَبْرَكَ عن طوعِ بِأَغصان رأيتُ ذلك من أولَى المُهْمَاتِ لم لا أُرُوكَ يا أُنْدَى الملوِكِ يَدَا وبأ ضياء الليالي المُدْهَمَاتِ وأنت من لَوْنِ خَطِي الدهرِ مصرعه إلى حَيَاتِي لِحَادَاتِ فيه أيباني أنافَ قَبْرِكَ في هَضْبِ بُمَيْرِ فَتَنْجِيهِ حَقِيَّاتِ التَّحِيَّاتِ كَرَمَتْ حَيًّا وَمَيِّتًا وَاسْتَهْرَتْ عَلَيَّ فَأَنْتَ سُلْطَانُ أَحْيَاءِ وَأَمْوَاتِ مَا رِيءَ مِثْلُكَ في ماضٍ وَمَعْتَقَدِي أَن لا يُرَى الدهرُ في حالٍ ولا آتِ [البسيط]

وقال ابن الصنوبري : لما انفصل الناس من مُصَلَّى العبد الذي توفي المعتد في شهره ، حفَّ بِقَبْرِهِ مَلَأَ من الناس ، يتوجعون له ، ويترحمون عليه . وأقبلَ شاعره ابن عبد الصمد في جُمْلَتِهِمْ ؛ وقد اتفق حضوره يومئذٍ لبعض شأنه ؛ فوقف على قبره ، وأنشدا : [الكامل]

مَلِكُ الملوِكِ أَسَامِعُ فَأُنَادِي أُمَ قد عدتكَ عن السماعِ عَوَادِ لما خَلَّتْ منك القصورُ فلم تكن فيها كما قد كنت في الأعيادِ أَقْبَلْتُ في هذا الترى لك خاضِعًا وَتَخَذْتُ قَبْرَكَ مَوْضِعَ الإِنْشَادِ

ثم خرَّ يبكي ويعفر وجهه في تراب قبره . قال : فبكى ذلك المَلَأُ حتى أخضلوا ملابسهم ، وارتفع نحيبهم وعويلهم ، ومنع النهار . فله كَرُّ ابن عبد الصمد ، ومَلَأَ ذلك البلد . قلت : وقام رثائه :

قد كنت أرجو أن تَبْرُدَ أذمعي نيرانَ حَزْنٍ أَضْرَمْتُ بِفَوَادِي فَإِذَا بدمعي كلُّما أَجْرَيْتُهُ زَادَتْ عَلَيَّ حَرَارَةَ الأَكْبَادِ يَا أَيُّهَا القَمَرُ المُنِيرُ أَهَكَذَا يُنْحَى ضِيَاءُ النِيرِ الوَقَادِ

١ اورد النتج أول هذه القصيدة في « قلائد الغيان » ( م ٣١ ) .

أفقدت عيني منذ فقدت إنارة ما كان ظنّي قبل موتك أن أرى الهضبة الشّماء تحت ضريحه عهدي بملكك وهو طلق ضاحك والمال ذو شمل مذار والندي أيام تخفق حولك الرايات فو والأمر أمرك والزمان مبشر والحيل ترحم والفوارس تنحني إذ تحسب الهجاء روضاً يانعاً وتخال غنبرها دخان الندى قد وكأنّ بيض المرهفات على الطلي ولكم هزّت الغصن من طرب لها وسقيت ربحك ثم من ماء الطلي وكأنّما في الدرع منك ربيعة حتى إذا ما الدهر أظهر حقه ألقت بأيديها معاقبك التي وتهدّمت أركان كل سياسة قالوا أضاع الخرم وهي بواطيل وإذا انقضت أيام ملك فالعنا حازت بنو العباس ملك أمية ورأى معاوية علينا هالكاً والدهر أذهب تبعاً وجنوده وأزال ملك الأرض عن شداد

منها :

لاني لأعجب بعد فقدك كيف لا تستنكر الأساف في الأغناد أو يخضب الخطي بعدك نغره أو يلتقي الشجعان تحت عجاجه قد كانت الأمداح يجعل درها من يفتح الأمصار بعد محمد من يظعن النجلاء في المراق أو من يترك الأسطار في الأوراق من يفهم المعنى الخفي ومن له من يلبس الحصداء وهي حصينة ويقلد الصمصام وهو مئق من ذا يمد على العفاه ظلاله من يبذل الآلاف للزوار والاهيات مات الجود بعد محمد ودجا الزمان وأفطحت أيامه مسخ الزمان بأهله فتعوضوا يا ساكن القبر الذي فقدانه كنّا نؤمل أن نرى لك عودة وتبيت خيلك في مرابطها على وتمهد السلطان في الأقطار فإذا المنايا قاطعات بالمئسى قد كان هزّ الرمح عطفني قدّه

وتصاهلت بهم الجياد إلى الوغى  
إذ حان حين العز أذركك الردى  
لو كنت إذ ساروا بنعشك حاضراً  
لاني لأعجب من ضجعتك التي  
جاورتها في قبرها فكأنما  
راحت وأنتقلك النوى من بعدها  
جَمَعْتَكُمَا آغَمَاتُ فِي التُّرْبِ الَّذِي  
أُمُّ الْمُلُوكِ أَمَا عَلِمْتَ بِزَائِرِهِ  
أَبْكَى الْعُلَى وَالْمَجْدَ فَقَدْ كُفِيَ الَّذِي  
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ السَّجَايَا إِنَّهَا  
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْعَطَايَا وَاللَّهِ  
كَمْ نِعْمَةٍ خَضَرَاءُ قَدْ أَلْبَسْتَنِي  
نَادَيْتُ كَفْكَ طَامِئاً مُسْتَنْظِراً  
أَخْجَلْتُ فِي الْجُودِ الَّذِي دَفَقْتُ حَا  
قَدْ كُنْتُ لَا أَرْضَى الْبَحَارَ مَنَاهِلِي  
فِي دَوْلَةِ غُرَاءِ عِبَادِيَّةِ  
وَرِيَاةِ نَحْمِي الْبِلَادَ رَبِّسُهَا  
وَالْبَدْرُ تَرْنَمِي وَالثَّرْيَا مَعْقِلِي  
أَغْرَقْتَنِي فِي بَحْرِكَ الطَّامِي الَّذِي  
وَسَكَلْتُ فِي نَضْرِي سِوْفَ مَكَارِمِ  
عَادَتْ بِجَاراً إِذْ سَقَيْتُ ضَحَاضِحِي  
وَمَدَدْتُ كَفِّي لِلْكَوَاكِبِ قَاعِداً

نَفَقْتَنِي وَالْدَهْرُ يَبْخُسُ قِيَمَتِي  
وَأَقَمْتَنِي لِمَا رَأَيْتَ حَوَا  
فَالْجَفْنُ بَعْدَكَ لَيْسَ بِدِرِي مَا الْكَرَى  
وَكَأَنَّ قَلْبِي فِي مَخَالِبِ طَائِرِ  
إِنْ لَمْ تَطْبُ فَيْكَ الْمَرَاتِي وَالتَّنَا  
أَوْ فُزْتُ مِنْ ذَاكَ الْجَمَالَ بِنَظَرِهِ  
إِنَّ السَّيَادَاتِ الَّتِي قَدْ حَزَنَتْهَا  
وَلَنْ مَضِيَتْ فَإِنَّ ذِكْرَكَ خَالِدٌ  
بِأَصْحَابِ الْفَقْرِ الَّتِي قَدْ أَصْبَحَتْ  
رَاقَتْ وَجُوهُ الْكُتُبِ بِالنَّكَتِ الَّتِي  
لَمَّا فَدَدْتَ الْمَثَلَ أَتْرَكَ الرَّدَى  
سَقُوا الثَّيَابَ وَجَدُوا أَحْزَانَكُمْ  
كَمْ رَدَّ رِيحَ الْخَطْبِ عَنْكُمْ ظِلُّهُ  
لَوْلَا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ وَفَضْلُهُ  
وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لَكُمْ لِيَصُونَكُمْ  
أَبْقَى عَلَيْكُمْ سِتْرَهُ وَأَقَالَكُمْ  
كَانَ ابْنُ عَبَّادٍ صَبَاحاً مَسْفِراً  
كَمْ بَاتَ مِنْهُ الْبَحْرُ تَحْتَ سَكِينَةٍ  
مَا كَانَ إِلَّا الرُّوضُ مَوْشِي الْحِلْيِ  
يَهْتَزُّ عِنْدَ الْحَدِّ مَعْطَفُهُ كَمَا  
بِأَمُوتٍ لَمْ تَتْرَكَ حَتِيفاً مُسْلِماً  
قَدْ كَانَ مِنْ أَعْلَى الْمُلُوكِ رِيَاةً



بموت لم تشفق لعربيه ولم تر ما تخلفه من الأولاد  
ما ورث الأبناء إلا مجده إن العلى ميراث كل جواد  
كأن نفدي موته بنفوسنا لو كان يقبل فيه منا الفادي  
باموت كئيف رأيت صبر محمد قبل احتلالك كان في استعداد  
كهم رام في رجب لقاءك جاهداً والحظ ليس ينال دون جهاد  
أهوى الشهور سواه فهو أذلني وأحب أياي سوى الأحاد  
صبراً جميلاً يا بنيه فرأيت نال المني قوم بلا ميعاد  
إني نظمت لكم لآليء قوله عرضت على الأيام صفو وداد  
ولقد تمارج حبكم بجوانيحي كتازج الأرواح بالأجساد  
فسر السكاب العيث قنبر أياكم من رائج متدفق أو غاد  
ولقد رثيت وما قضيت حقوقكم والله يعلم ما يكن فؤادي

### ذكر أيام بني هود بسرقسطة وما اليها

كان مبدأ نباهة هذا البيت سليمان بن محمد بن هود الجذامي ،  
الملقب بالمستعين . وكان ، في مدة الجماعة بالأندلس ، من كبار الجند  
بالثغر الأعلى إلى حين الفتن الشاملة ؛ فتغلب على مدينة لاردة ، وقتل  
قائدها أبا المطرف التحيي في خبر طويل . واستولى على مدينتي لاردة  
ومشون وأنظارهما ، في غرة محرم من سنة ٤٣١ .

### أيام سليمان بن هود

ولما ثار أهل سرقسطة بيحيى بن منذر بن يحيى ، صرفوا طاعتها إلى

سليمان بن هود . فضخم أمره ، واشهر ذكره ، وبعده صيته ، إلى أن  
توفي سنة ٤٣٨ . وتخلّف خمسة أولاد ، قد كان قسم عليهم أقطار ملكه ؛  
فولّى أحمد منهم مدينة سرقسطة المدينة البيضاء ؛ وولّى يوسف  
مدينة لاردة ؛ وولّى محمداً مدينة قلعة أيوب ؛ وولّى لباً وشقة ؛  
وولّى المنذر تطيلة . واستبدوا بعد موته . وكان أحمد منهم مصنوعاً  
له ؛ وضايقهم ؛ فظهر عليهم ، إلى أن ابتزهم ما كان بأيديهم ، واستأصلهم  
إلى أن ذهب اسمهم ومستمهم في حديث طويل . وتلقب أحمد  
بالمقتدر بالله .

### أيام المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود

واستولت للمقتدر أحمد بن سليمان الطاعة بالثغر الجوفي . واستضاف  
مدينة طرطوشة إلى عمّله ، وكانت تحت يد لبيب من الفتيان  
العمريّة ، ثم في يد مقاتل بعده ؛ فاستحوذ عليها بعد مهلكها .  
وكانت بينه وبين الروم حروب عظيمة ، ودخلت مدينة بربشتر من  
عمّله عنوة ، فاستولت من سبيلها على ما يقارب مائة ألف نفس ،  
وعبروا المدينة . فسمّر المقتدر أحمد بن سليمان بن هود إلى استرجاعها ،  
واستغفر المسلمين من جميع بلادهم ، ونازل المدينة ؛ وكان في جيشه الذي  
احتشده من الرماة بالقسي العقارة أزيد من ستة آلاف ؛ ففتح الله  
المدينة على يده عنوة . فشاع له بذلك ذكر جميل وصيت شهير . ثم  
زاحم إقبال الدولة علي بن مجاهد ؛ فاستنزل على مدينة دانية ، واستضاف  
عمّلكا إلى ما بيده ؛ فاتسعت خطته ، وانفسحت عمّالته ، وتعدّد جيشه .  
ثم هلك سنة ٤٧٥ م من المنيّة من كلب أصابه كان بعض له أعضاء ،  
وذلك لقتله رجلاً صالحاً دخل عليه يعظه . وقد ضرب على رعيته ضريبة

مالٍ للروم ؛ فلم يُنهِك الله أن أخذه أخذاً وبيلاً . وولي الأمر بعده ابنه المؤمن ؛ فلم تطل مدته أن هلك .

### أيام المؤمن محمد بن المقتدر أحمد

ابن سليمان بن هود

تصير له ملك أبيه بالتغر كنه ، واستمرت فيه أيامه إلى أن هلك سنة ٤٧٨ ؛ وولي بعده المستعين . وكان بينه وبين المعتز بن عباد ما يكون بين الفحول في الهجمات ، والبيوت في الأجبات . وبه تلاحق ابن عمار لما خالف على المعتز ، حسب تقدم ذلك في جملة من الكتاب .

### دولة المستعين أحمد بن محمد

ابن سليمان بن هود

وقام بأمر الثغور إلى هذا العهد المستعين بالله أحمد بن هود . وفي سنة ٤٨٩ ، نازل العدو مدينة وشقة من عمالة المستعين ، وضيّقوا بها . وحشد المستعين جيوشاً من المسلمين ، وحمل إليها الميرة . والتقى الفريقان ، ووقعت الحروب من لدن طلوع الشمس إلى غروبها ، حتى كادت تأتي على الفريقين . وترك ابن هود المصاف على حاله ، وقصد مضربه لِمَا ساء ظنه بيوم الكربة ؛ فرفع ما كان به من المال ؛ ثم كثر إلى مقامه ، وأبلى إلى أن كانت الهزيمة على المسلمين في أخريات ذي القعدة من العام . فقُتِلَ من الناس ما يُناهزُ اثني عشر ألفاً . والتمس أهل وشقة الأمان لثلاثة أيام من يوم الهزيمة .

ثم سما طبع العدو إلى مرقسطة حاضرة المستعين ؛ فنارلتها في جموع لا تحصى . وأجاز الأمير يوسف بن تاشفين البحر ، ووجه جيشاً لِنَظَرِ قائده علي بن الحاج يفحص عن أحوال ملك الروم بسرقسطة ، ويخبر أحوال جيشه . فشاع لما أطل على محلة الطاغية أنه يوسف بن تاشفين ؛ فأوقع الله الرعب في قلب العدو ، وانهمز جمعه ؛ فأعمل المسلمون فيهم السيوف بما هو معروف . ونجا الطاغية في أفذاذ قليلة بعد مشارفته العطب .

والمستعين هذا ممن لم يُهَجِّه أمير لسنونة ، ولا نازعه ما في يده ، ولا تطرق لحلقه ، قبولاً منه للعفو ، وإقراراً فيما بينه وبين العدو لما تجده مضايقة من تصيير ما بيده إلى الروم ؛ فكان بلاطفه . ووجه إليه ابن هود ولده عبد الملك ؛ فقام بحقه ، وصرف مكرماً ، وأصحبه كتابه بما نصه :

« من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، إلى المستعين بالله أحمد بن هود — أدام الله تأييده . كتبناه إليك ، والله عز وجل ، بولي أيام سعدك ، ويعالي أعلام مجدك ، وبطيل في طاعته وعلى أحسن ما غناه عُمرك ، ويشد بتقواه أزرّك ، ويجري على كل لسان صدق ذكرك ؛ من حضرة مراكش ، حيث تلتى آيات شرفك ، ومآثر السادة القادة سلفك . ونسبح نحمد الله بجميع المحامد ، ونستهديه أيمن المسالك وأبين المقاصد ، ونسأله أتم الفوائد ، وأعم العوائد ؛ ونصلّي على سيدنا محمد صفوة أوليائه ، وخاتم رسله وأنبيائه ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً . وأما الذي عندنا — أيّده الله — لجانيك الكريم ، ومجدك العيم ، وحللك المعلوم المفهوم ، فؤاد صريح ، وعقد في ذات الله تعالى صحيح . ووردنا — أدام إقبالك ، وأجرى إلى غاية الإفضال آمالك نشأة السيادة والفضل ، والنباهة والنبل ، أبو مروان عبد الملك ابنك ولادة وتنشأ ، وابننا ودادة وتقرُّبا ، زاد الله به عينك قوّة ، ونفسك

دارُ مُلكِهِمْ سَرَ قُسْطَ إِلَى النَّصَارَى ، مُتَعَلِّقًا بِأَذْيَالِ ابْنِ رُدْمِيرٍ ، إِلَى أَنْ عَاوَضَهُ مِنْ رُوطَةٍ بِحِظِّهِ مِنْ مَدِينَةِ تَطْلِيَّةَ فَاثْقَلَ إِلَيْهِ بِأَهْلِهِ . وَلَمَّا ثَارَ ابْنُ قَسِيٍّ فِي صَفَرٍ مِنْ عَامِ ٥٣٩ ، خَضَ إِلَى قَرْطَبَةِ عِنْدَ ثَوْرَةِ ابْنِ حَمْدَانَ ، فَدَخَلَهَا ؛ ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَرَّ مِنْهَا وَقَصَدَ جَيْتَانَ ، وَقَدْ ثَارَتْ لَابْنِ جُرَيْيَ قَلْعَةُ جَيْتَانَ ؛ فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ ، وَعَاجَلَ عَرْنَاطَةَ ؛ وَقَدْ ثَارَ بِهَا ابْنُ أَضْحَى قَاضِيهَا ، وَاسْتَدْعَى ابْنَ حَمْدَانَ ؛ فَتَمَلَّكَ ابْنُ هُودِ الْمَدِينَةَ ، وَشَدَّ حِصَارَ مِنْ بَقَصَاتِهَا مِنَ الْمُرَابِطِينَ شَهْرًا . وَجَيْشُ قَاضِي مُرْسِيَّةِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْجَيْشَ إِلَيْهَا ؛ وَسَبَقَ الْمَلِكُونَ ؛ فَأَوْقَعُوا بِهِ الْوَقِيعَةَ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ . وَظَهَرَ الْمَلِكُونَ إِلَى أَنْ عَجَزَ ابْنُ هُودٍ عَنْ مَرَامِ عَرْنَاطَةَ ، وَفَرَّ إِلَى جَيْتَانَ . وَفَرَّ ابْنُ أَضْحَى إِلَى الْمُنْكَبِّ ، وَاسْتَوْلَى الْمَلِكُونَ عَلَى الْبَلَدِ . ثُمَّ إِنَّ ابْنَ هُودٍ اتَّصَلَتْ بِهِ ثَوْرَةُ ابْنِ عِيَّاضِ بِمُرْسِيَّةَ ؛ فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا ، وَدَخَلَهَا فِي الْحَادِي عَشَرَ لِحَمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ٥٤٠ . ثُمَّ إِنَّ الرُّومَ أَغَارَتْ عَلَى مُرْسِيَّةَ وَجِهَاتِ الشَّرْقِ ؛ وَكَانَ اللَّقَاءُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَوْفِي عَشْرِينَ لَشَعْبَانَ ؛ فَهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ هَزِيمَةً شَنِيعَةً قُتِلَ فِيهَا ابْنُ هُودٍ . وَانْقَرَضَ أَمْرُهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، إِلَى أَنْ ظَهَرَ الْمُتَوَكِّلُ بْنُ هُودٍ ، يَفْخَرُ بِأَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَةِ الْمُسْتَعِينَ بْنِ هُودٍ ؛ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ بَعْضُ شُعَرَاءِ الْأَدْبَاءِ بِوَمَثَلٍ :

يقولُ المستعينُ : أَيْ وَجَدَيْ حَلِيفُ الْبَاسِ وَالْجُودِ الْمَعِينُ  
فَقُلْتُ : الْفَضْلُ فِي التَّقْوَى فَدَعْنَا بِفَخْرِ التَّرَبِّ وَالْمَاءِ الْمُهِينِ  
وَهَلْ فِي الْمُسْتَعِينَ رَأْيَتَ خَيْرًا فَكَيْفَ الْمُدَّعِي فِي الْمُسْتَعِينَ

### دولة بني دنون بطليطلة وما إليها

وذكر المؤرخون أن بني دنون هؤلاء الملوك برابرة من قبيل

البربر الذين كانوا يخدمون في الدولة العباسية ، وأن أمهم جدتهم الذي ينسبون إليه هو دنون ؛ فغلب بالدال لطول المدّة . وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ رِيَاسَةٌ وَلَا نِبَاهَةٌ إِلَّا فِي دَوْلَةِ الْمَنْصُورِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ؛ فَفِيهَا تَقَدَّمُوا ، وَاشْتَهَرُوا ، وَقَادُوا الْجِيُوشَ ، وَاسْتَقَرُّوا بِكُورَةِ سَنْتَبَرِيَّةَ . وَلَمَّا ضَبَطَ أَمْرَ تَطْلِيَّةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَتِيَّوَهُ ، تَمَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَتِيَّوَهُ بَعْدَهُ ، وَأَسَاءَ السَّيْرَةَ فِي أَهْلِهَا ، خَلَعُوهُ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يُرْسِلُوا إِلَى ابْنِ دَنْوْنٍ ؛ فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ مِنْ سَنْتَبَرِيَّةَ ابْنَتَهُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ دَنْوْنٍ .

### أيام إسماعيل بن دنون بطليطلة

#### وما إليها

قالوا : فَاسْتَوْلَى هَذَا الْفَتَى عَلَى مُلْكِ تَطْلِيَّةَ وَمَا إِلَيْهَا ، وَسَاسَ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ سِيَاسَةً اسْتَقَامُوا عَلَيْهَا . وَاسْتَنَامَ فِي أُمُورِهِ إِلَى شَيْخِ الْبَلَدَةِ أَبِي بَكْرِ ابْنِ الْحَدِيدِيِّ ؛ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْدِّهَانِ ؛ فَكَانَ إِسْمَاعِيلُ لَا يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُ ، إِلَى أَنْ حَسَدَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ تَطْلِيَّةَ عَلَى مَنْزِلَتِهِ لَدَيْهِ . ثُمَّ تَوَفَّيَ إِسْمَاعِيلُ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ يَحْيَى الْمَأْمُونُ .

### أيام يحيى بن إسماعيل بن دنون بطليطلة

#### وما إليها

فلما ملك يحيى بن إسماعيل تطلّطلة ، جرى على سبيل أبيه في استعمال قاتل العادل ، وأجرى أُمُورَهُ مَعَ ابْنِ الْحَدِيدِيِّ عَلَى سُنَنِ أَبِيهِ ؛

١ غير أن مؤرخي ملوك الطوائف ، كإبن حيان وإبن بسام وإبن عذاري ، يسمونهم « بني ذي النون » ؛ وهو تعريب اسم جدتهم دنون البربري .

مُسْرَةً ؛ ومعه وَرِيَاك أَبُو الْأَصْبَغِ وَأَبُو عَامِرٍ أَكْثَرُ مَهْمَا اللَّهُ يَتَقَوَاهُ ؛  
وَكَلًّا وَفَيْتَاهُ حَقَّ نَصَائِهِ ، وَآتَيْنَاهُ بِرَّهَ مِنْ أَبِيهِ ، وَتَلَقَّيْنَاهُ تَكْرِمَةً  
بِمَقْتَضَى دَوَاعِيهِ وَأَسْبَابِهِ . وَأَذَيْنَا إِلَيْنَا كِتَابَكَ الْخَطِيرَ ، الْمَقْبُولَ الْمَبْرُورَ ؛  
فَوْقَنَا بِهِ عَلَى وَجْهِ شَخْوصِهَا ، وَأَضْعَيْنَا فِي تَفْصِيلِ جُمْلَتِهِ إِلَى تَلْخِصِهَا ؛  
فَأَلْقَيْنَا إِلَيْهَا مُرَاجَعَةً عَنْ ذَلِكَ مَا لَقَّيْنَاهُ ، وَسَفَرْنَا لَهَا عَنْ وَجْهِ مَقْصَدِنَا  
فِيهِ حَتَّى يَسْتَبِينَا ، مِنْ جُمْلَةِ الْوَفَاقِ ، وَجَمَاعِ الْإِنْتَظَامِ فِي سِلْكِ مَا يَرْضَى  
اللَّهُ تَعَالَى وَالْإِنْسَاقِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَلَمَّا احْتَلَّ يَوْسُفُ بْنُ تَاشُفِينَ بَقَرطِيبَةَ سَنَةَ ٤٩٦ ، أَعَادَ إِلَيْهِ تَوَجُّيَةً  
وَلَدَهُ عَبْدَ الْمَلِكِ الْمَلْقَبَ بِعِمَادِ الدَّوْلَةِ ، الْكَائِنَ بِحِصْنِ رُوطَةَ ، بِهَدِيَّةٍ  
جَلِيلَةٍ : كَانَ مِنْ جُمْلَتِهَا أَرْبَعَةُ عَشَرَ رُبْعًا مِنْ آيَةِ الْفِضَّةِ مُطَرَّرَةً بِاسْمِ  
الْمُقْتَدِرِ بْنِ هُودٍ جَدِّهِمْ ؛ فَأَمَرَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشُفِينَ بِضَرْبِهَا قَرَارِيضَ  
مُرَابِطِيَّةٍ ، وَفَرَّقَهَا فِي طَبَاقِ الْمُرَابِطِينَ لَيْلَةَ النُّخْرِ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ . وَفِي  
ذَلِكَ الْوَقْتُ ، عَقَدَ الْبَيْعَةَ لَوَلَدِهِ عَلِيِّ بْنِ يَوْسُفَ ، وَحَضَرَ الْعَهْدَ عَبْدُ الْمَلِكِ  
ابْنُ الْمُسْتَعِينَ .

وَاتَّصَلَتْ أَبْيَامُ الْمُسْتَعِينَ بْنِ هُودٍ إِلَى سَنَةِ ٥٠١ ؛ فَفِيهَا ، جَدَّدَ الْبَيْعَةَ  
لِنَفْسِهِ وَلَوَلَدِهِ ، وَتَحَرَّكَ إِلَى الْجِهَادِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْهَا . فَدَخَلَ عَلَى  
تُطَيْلَةَ إِلَى أَرْنَيْطَ ، وَفَازَلَهَا ، وَدَخَلَ أَرْضَاضَهَا ؛ وَاعْتَصَمَ أَهْلُهَا مِنْهُ فِي  
كَنِيسَةٍ عَتِيقَةٍ ، فَرَجَلَ عَنْهَا بَعْدَ مُصَالَحَتِهِمْ عَلَى مَالٍ يَدُودُونَهُ ، أَخَذَ بِهِ  
رَهَائِثَهُمْ . ثُمَّ انْصَرَفَ ، وَقَدْ شُنَّ الْغَارَاتُ عَلَى تِلْكَ الْأَقْطَارِ ؛ فَعَمَّهَا إِحْرَاقًا  
وَنَهَبًا وَتَدْمِيرًا . فَلَمَّا شَارَفَ بِلَادَ الْإِسْلَامِ ، تَلَاَحَقَ بِهِ النَّصَارَى ؛ فَاجْتَلَدَ  
الْفَرِيقَانِ أَحَرَّ جَلَادٍ ، إِلَى أَنْ اسْتَشْهِدَ الْمُسْتَعِينَ بْنُ هُودٍ وَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ ؛  
فَأَتَى الْقَتْلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُمْ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - وَذَلِكَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ مِنْ  
السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ . وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ .

## أَيَّامُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُسْتَعِينَ بْنِ هُودٍ

### عِمَادُ الدَّوْلَةِ

بَايَعَ النَّاسُ عَبْدَ الْمَلِكِ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَشْهِدَ أَبُوهُ ، بِسَرَ قُسْطَةَ ،  
وَاسْتَوَطُوا عَلَيْهِ أَنْ لَا يَنْتَلِسَ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الرُّومِ . وَطَمَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
فَاطِمَةَ ، قَائِدُ الْمُتَشَتَّةِ فِي سَرَ قُسْطَةَ عِنْدَ مَوْتِ الْمُسْتَعِينَ ؛ فَتَحَرَّكَ إِلَيْهَا  
عَلَى سَهْرَرٍ مِنَ الْوَقِيعَةِ ؛ فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْهَا - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَشَارَ عَلَيْهِ أَهْلُهَا أَنْ  
يَنْصَرِفَ عَنْهُمْ ، وَلَا يَبْدَأَ بِالْفِتْنَةِ ، وَيُخَيِّمَ عَلَيْهِمْ اسْتِعَانَةَ أَمِيرِهِمُ بِالرُّومِ ؛  
فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ . ثُمَّ إِنْ عَبْدَ الْمَلِكِ تَلَبَّسَ بِمَلِكٍ قَشْتَنَالَةَ ؛ وَأَنْكَرَ النَّاسُ  
ذَلِكَ ؛ فَاسْتَدْعَوْا قَائِدَ عَلِيِّ بْنِ يَوْسُفَ مِنْ بَلَنْتَسِيَّةٍ . فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ ، وَفُتِحَتْ لَهُ  
الْمَدِينَةُ . وَاسْتَدْعَى عَبْدُ الْمَلِكِ النَّصَارَى ؛ فَتَحَرَّكَ إِلَيْهِ ابْنُ رُدْمِيرٍ . وَبَادَرَ  
ابْنُ الْحَاجِّ قَائِدُ عَسْكَرِ اللَّيْثُونِيِّينَ إِلَى قِتَالِهِ ؛ فَخَذَلَ النَّاسَ ، وَوَقَعَتْ  
الْهَزِيمَةُ ؛ فَاسْتَشْهِدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ؛ وَأُتَتْ الْهَزِيمَةُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،  
عَشِيَّ يَوْمِ الْأَحَدِ مُنْتَصَفِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٥٠٣ ، إِلَى أَنْ أُخْرِجَ أَهْلُ  
سَرَ قُسْطَةَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُؤْتَمِنِ بْنِ الْمُقْتَدِرِ بْنِ الْمُسْتَعِينَ مِنْ  
الْحَضْرَةِ ، وَاسْتَدْعَوْا عَامِلَ عَلِيِّ بْنِ يَوْسُفَ ؛ فَدَخَلَهَا يَوْمَ السَّبْتِ الْعَاشِرِ الَّذِي  
قَعْدَةُ سَنَةِ ٥٠٣ ، وَلَمْ يَقُمْ لَهُ وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ عَقِبِهِ بَعْدُ قَائِمَةٌ . وَانْحَازَ إِلَى  
قَيْتَةِ الرُّومِ .

## أَيَّامُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

### بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ هُودٍ

كَانَ هَذَا الرَّجُلُ بَقِيَّةَ بَنِي هُودٍ ، أَبَقَتْهُ الْفِتْنَةُ بِتَغَرُّ رُوطَةَ ، لَمَّا نَصَبَتْ

فاستقامت طاعته ، وانتسق مملكته ، إلى أن وقعت المنازعة بينه وبين جاريه سليمان بن هود ؛ فوجه إليه جيشاً كثيفاً لنظر ولديه أحمد بن سليمان ، ونازل مدينة وادي الحجارة . وبرز المأمون لمدافعته . وأتيح لابن هود عليه ظهور حاصره لأجله بمدينة طلبيرة ، ثم رحل عنه ؛ فألجأته ضيقته وما أسفه به ابن هود إلى الاستعانة بملك النصارى ، وبذل له مالا ، وأخرجه إلى قطر سليمان بن هود ؛ فجال العدو في أحوازه شهرين من زمن الصيف ؛ فلم يدع ما يقتاته الطائر ، وخرّب البلاد ، وأهلك العباد ، وفتح عدة من الحصون والمعاقيل . وحالف ابن عبّاد ، ووافقته على ما دعا إليه من الدعوة الهشامية ، وأعلن بها على متابعيه ، وقدّر أن الخرق بذلك يرفع ، أو أن العمل به ينفع .

وفي السنة الآتية ، استعان ابن هود بالنصارى ، وخرج إلى أرض ابن دنثون ، واسترجع ما ظهر عليه ابن دنثون من حصونه ؛ وناغاه ابن دنثون ؛ فأخرج للعام بعده النصارى إلى بلد ابن هود ؛ ففتح قلعة قلهره التي كان فتحها ابن أبي عامر ، وفازت بها أيدي الروم ؛ وذلك صدر عام ٤٣٧ . وخرج الطاغية المظاهر لسليمان بن هود من ملوك جليقية إلى تغر طليطلة . ودامت الفتنة بين هذين الأميرين المؤمنين على المسلمين من سنة ٤٣٥ إلى سنة ٤٣٨ ، وفورقت بؤس سليمان بن هود منهما . فلما فتر خنق يحيى بن دنثون من سليمان بن هود ، رجع إلى مطالبة جاره ابن الأفتس . ثم شغلته الشواغل عنه ابن عبّاد ، وساء ما بينهما . وتحرّك إلى قرطبة بما دعا ابن عبّاد إلى نصره صاحبها ، ثم إلى غدوره والاستيلاء عليه . ثم تصيرت إلى يحيى بن دنثون على يد ابن عكاشة كما ذكرت قبل . ثم توفي بها يحيى بن دنثون لإحدى عشرة ليلة من ذي قعدة سنة ٤٦٧ ، وولي بعده حفيده وسميه يحيى بن دنثون .

### أيام القادر بالله يحيى حفيد المأمون بن دنون

وبويع ليحيى هذا بطليطلة إثر بلوغ الخبر بؤس جدّه . ثم وصل تابوته إلى مدقته بها ؛ فجدد رسوم الجد . وكان قبل وفاته قد قسم وظائف الملك ؛ فجعل الأجناد إلى وزيره ابن الفرج ، وأمور الرعايا والمسنورة والرأي إلى ابن الحديدي ، وأخذ الموائيق على ابن الحديدي ليلفن كل مبلّغ في شدّ أزره ، وثبتت أمره ، علماً باستقلاله ، ويمن مناقبه وخلاله . وكان هذا الحفيد يحيى مضعفاً ، كثير الحيلة ، خيبت الفكرة ، يصاحبه مرض دؤن قلماً ينعش به . وأغرته الطائفة الغالبة على أمره بابن الحديدي ؛ فعبّث على مكروهه . وكان جدّه قد سكن مملكته ، وقرّر أسبابه بسجن طائفة من أهل طليطلة ، حثاث الشرور وأسباب الفتن ، بإشارة ابن الحديدي ؛ فتوسّسوا بالمطيق ، واطرد الخبر بفقدهم . فلم يتمكن لابن دنثون الفتك بابن الحديدي لأصلته في المدينة إلا بعد الاستظهار عليه بأعدائهم منهم ؛ فأخرجهم سراً . ولما دخل ابن الحديدي المجلس ، وقعت عليهم عينه ، أيقن بالهلكة . وقام ابن دنثون ، وهو يتعلّق بأذياله ويستجيره ، فلم يغنه ذلك ؛ فتسكّطوا منه وقتلوه . وهاجت العامة ؛ فشغلت بنهب دوره وإطلاق أيديها على ماله .

وظنّ ابن دنثون أن الجو قد خلا له من ابن الحديدي ؛ وإذا به قد بحث عن حثفه بظلفه . وإذا بتلك الجماعة ، لما فرغوا من ابن الحديدي ، رجعت على حفيد ابن دنثون بحسائف جدّه . وانتبذ ابن عبد العزيز كبير بلنسية بها ، وخلع يده عن الطاعة ووقف أمره على مهادة ، إلى أن ثار بحفيد ابن دنثون تلك الطائفة التي أخرجها من الاعتقال ، وصاحوا به ،

وسَعَوْا في هلاكه ؛ فَأَفْلَتَ من بعض الأبواب المَعْدَّة للضرائر ، لا يملك شيئاً إلا نَفْسَهُ .

وزعموا أَنَّ زَوْجَهُ بِنْتَ الْمُظَفَّر وابنته منها تَبِعَتَاهُ يومئذٍ راجِلَتَيْنِ أَزِيدَ من فَرَسَخَيْنِ ، إلى أن رَكِبَتَا ؛ ولحق ببعض حصونه . وأقام أهلُ طَلَيْطَلَة بعده أياماً كَالسَّائِمَةِ المِهْلَةِ ، ليس عليهم أمير ، ولا فيهم بالصواب مُشِير ، إلى أن جنحوا إلى الْمُظَفَّر بن الأَفْطَس من ملوك الطوائف ، على بُعْدِ دارِهِ ، وانتزاع أقطارِهِ ؛ فجاءهم متناقلاً ، كما قال المؤرخ : كَوْدَنًا سَامُوهُ خَصَلَ سَبَاقٍ ؛ فدخل طَلَيْطَلَة سنة ٤٧٢ .

### أيام المتوكل على الله عمر

#### ابن المظفر بن الأفتس بطليطلة

قالوا : وأقام المتوكلُ بطليطلة بُسَدَدَ أمورها أَضَلَّ من يَدٍ في رَجِيم ، وأَذَلَّ من لَحْمٍ على وَضَم . وقد كان ابنُ دثون بعد فرارِهِ تَهَيَّأَ له دخولُ مدينةِ قُونُكَة ؛ فتابَسَكَ أمرُهُ بها إلى أن فرَّ عنها بعد تمام عشرة أشهر أمامَ إلحاح العدوِّ وقلَّةِ المال . وعاد عُمر بن المظفر إلى بلده ، وقد حصل من ذخيرةِ ابنِ دثون وماله وما عثر عليه من أسباب قصره على حظٍّ رَغِيْبٍ .

### عودة يحيى بن دنون إلى طليطلة

#### أعادها الله

ولما استقرَّ حَفِيدُ ابنِ دثون بِأَمْنِهِ بعد الخروج من طَلَيْطَلَة ، راسَلَ إِذْفُونَشْ مَلِكَ قَشْتَالَة ، يذكره سَالِفَ عَهْدِهِ ، إِذْ كان قد اضطرَّ إلى اللحاق بابنِ دثون جدِّه ، ولجأ إليه لما غلبه أَخَوَاهُ على المُلْكِ ؛ فَأَجَارَهُ إلى أن عاد إليه أمرُهُ . فَلَبَّى دَعَوَاهُ ، وسَمِعَ شِكْوَاهُ ، وأقبل معه إلى طَلَيْطَلَة ، وقد عاقدهُ على أن يَخْلِي بينه وبين المدينة إِذَا أَبْلَغَهُ أَمَلُهُ من دخولها . فَنَازَلَهَا ، وشَدَّ حصارَهَا ، إلى أن بلغ الجهد من أهلها مَبْلَغَهُ ، وعجزوا عن الصبر ، وتَبَرَّأُوا من المسكة ، وأَعذَرُوا في الدفاع ، إلى أن أُعِيدَ حَفِيدُ ابنِ دثون إلى طَلَيْطَلَة على شروط للنصارى لا يطاق حَمْلُهَا ؛ فدخلها ، والطاغيةُ بين يَدَيْهِ يَتَبَحَّجُ بيده عنده . واستقرَّ بها شرُّ استقرار . واقتضاه الطاغيةُ الوَعْدُ ، وسلبه الله النصر والسَّعْدَ ، وهلكت الدَّمَمُ ، واستؤصِلت الرَّمَمُ ، ونُفِذَ عقابُ الله في أهلها جاحِدي الحقوق ، ومُتَعَوِّدي العقوق ، ومُقِيمِي أسواق الشقاق والنفاق ، والمُثَلِّ السائر في الآفاق . ولم تَطُلْ مدَّتُهُ سَطْرُ السَّنة حتى ملك الطاغيةُ طَلَيْطَلَة .

ذكروا أَنَّ أهلَ العَقْدِ والحَلِّ من أهلها ، لما بلغ الصبر بهم مداهُ ، خرجوا إلى محلَّته ؛ فَأَدْخَلُوا إلى المضرب الذي كان له ، بعد حِجَابٍ غليظٍ وإِذْلالٍ كثير ؛ فَأَلْفَوْهُ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ من النوم ؛ فقال لهم : « إلى متى تتخادعون ، وماذا تصنعون ؟ » فقالوا : « نحن نرى ثلثان وفلان أمنيَّة ! » وسَمُّوا له جملةً من ملوك الأندلس ؛ فَتَهَاقَتْ ، وسخر بهم ، ودعا بِإِرسالِ مَنْ سَمَّوهُ ؛ فحَضَرُوا ، وكلُّهُمْ يُوَدِّي خضوعَ مُرْسِلِهِ ، وينوب في لَمِّ يَدِهِ ، ويتوسَّلُ بهديته ؛ فخرجوا من عنده وقد سُقِطَ في

أيديهم . وثلاثة أيام من ذلك المجلس ، تخلّوا بينه وبين البلد . ولا حول ولا قوة إلا بالله !

وانتقل حفيد ابن دنون إلى بِلَنْسِيَّة بِشَايعة مَلِك قَشْتَالَة ، ووجهه معه جيشاً حتى دخلها ؛ واستقر بها إلى شهر رمضان من سنة ٤٨٥ ؛ وقد تمكّن ابن عائشة قائد يوسف بن تاشفين مُرْسِيَّة ؛ فاستدعاه أهل بِلَنْسِيَّة ، وعرضوا عليه مدينتهم ؛ فأقبل إليها نائبه بجيش من اللّهُونِيَّة . وخرج القاضي ابن جَعْفَر والفُقهاء لتلقّيه وإدخاله البلد . ففرّ ابن دنون من القصر ، ولم يكنه الخروج من المدينة ؛ فاخفى ببعض الدّور الحاليّة ؛ فظهر عليه ليلة الجمعة لسبع بقين من رمضان من السنة ، وسيق إلى القاضي ابن جَعْفَر ؛ فأمرَ بقتله . تولّى ذلك فتى من بني الحديديّ القتييل بطليطلة ؛ وطيف برأسه . واحتوى ابن جَعْفَر على ما كان له ؛ وطرحه في سِجّة ؛ فواراه رجلٌ احتساباً وصدقةً ، ودُفِن دون كفن . فانقطعت مدّته على هذه السبيل .

### ذكر مدة بني مسلمة

#### المعروفين بني الأَفْطَس

وهؤلاء من جُبلَة ملوك الطوائف . وكان جدّهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن مَسْلَمَة المعروف بابن الأَفْطَس أصله من قبائل مِكنَاسَة ؛ ونزل بفحص البَلُوط من جوفي قُرطبة .

قال ابن حيّان : ومن النادر الغريب انجاؤه في تُجيب ؛ وبهذه النسبة مدحتّه الشعراء آخر وقته ، إذ يقول ابن شَرَف القَيْرَوانيّ : [السريع]

يا مَلِكاً أَمَسَتْ تُجيبُ به نَحْسُ قَحْطَانٍ عليه نِزارُ

لولاك لم تشرف معدّها بها جلّ أبو ذَرٍّ فجلبت غفارُ  
وكان من قومٍ لا نباهة لهم ، إلا أنّه كان من أهل المعرفة التلمّة والعقل والسياسة والدهاء . ولما تفرّق شمل الجماعة ، وانتزى كلٌّ على ما بيده ، استبدّ بالضعف الغرّبيّ بِيَطْلِينُوس وشَتَتَرِين وجميع الثغر الجوفيّ فتّى من عبيد الحكم اسمه سابور ؛ وكان غفلاً ، من المعرفة عطلاً ، إلا من خلّة الشجاعة ؛ فكان عبد الله بن محمد بن مَسْلَمَة من صنائه يدبّر له أمره ، ويخدم دولته ، إلى أن هلك سابور وترك ولدَيْن لم يبلغا الحلم ؛ فضبط له عبد الله الأمر ، وأمسكه على ولدَيْه .

### دولة عبد الله بن محمد بن مسلمة بن الأَفْطَس

خلف هذا الرجل سابور ، وقام بأمرٍ ولده في صقع كبير ، هو الذي تسمّى اليوم بأرض بُوتُنْقال ، ودبّر أمره ، وأقام مَلِكاً ؛ وهو ومنّ ناب عنه من شرط كتابينا في ذكر من يبيع قبل الاحتلام ، من ملوك الإسلام . وحسبك بذلك الوطن جلاله ، وبأهله وفوراً ؛ فاشتغل عبد الله على ذلك الأمر ، واستأثر به ، وحصل على مَلِكٍ غَرَب الأندلس . واستقام له مدّة إلى أن هلك لإحدى عشرة ليلة بقيت من جُمادى الأولى سنة ٤٣٧ ؛ وولي بعده ولده المظفر .

### دولة المظفر محمد بن عبد الله

#### ابن محمد بن مَسْلَمَة بن الأَفْطَس

ولي المظفر بعد أبيه على ما كان بيده ؛ فاستقامت أموره . وكان فاضلاً عالماً وشجاعاً فارساً . وله التّأليف الكبير المسمّى بـ « المظفري » ، في نحو خمسين مجلداً . وأقام بذلك الثغر مَلِكاً عظيماً . وكان يُنكر

الشُّعْرَ عَلَى قَائِلِهِ فِي زَمَانِهِ ، وَيُقِيلُ رَأْيَ مَنْ ارْتَسَمَ فِي دِيْوَانِهِ ،  
ويَقُولُ : « مَنْ لَمْ يَكُنْ شِعْرُهُ مِثْلَ شِعْرِ الْمُتَنَبِّيِّ أَوْ الْمُعَرِّيِّ ،  
فَلَيْسَتْ لَهُ حُرُوبٌ أَذْهَبَتِ الرُّسُومَ ، وَأَتَلَفَتِ الْأَرْوَاحَ وَالْجُسُومَ ، وَاللَّهُ يُنْصِفُ  
الْخُصُومَ ، إِلَى مَعْبَدِهِ لِدَلَالَةِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ .

وَفِي مُدَّةِهِ ، أَخَذَ الْعَدُوُّ مَدِينَةَ قُلُومَرِيَّةَ مِنَ الْفُتُوحِ الْعَامِرِيَّةِ ، بَعْدَ مُحَاصَرَةٍ  
طَوِيلَةٍ . وَكَانَ قَائِدُهُ عَلَيْهِا يَمْلُوكًا لَهُ اسْتَأْذِنَ الْعَدُوُّ فِي التَّرَسُّ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ  
بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ . وَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ بِهَا ، وَقَدْ أَخَذُوا أَهْلَةَ الْقِتَالِ ؛ فَقَالَ لَهُمُ  
الْعَدُوُّ : « كَيْفَ الْقِتَالُ وَقَائِدُكُمْ عِنْدَنَا مُنْذُ الْبَارِحَةِ ؟ » فَضَبَرُوا إِلَى  
أَنْ نَقَدَتْ أَقْوَانُهُمْ ، وَدَخِلَتْ عَلَيْهِمْ عَنُودٌ ؛ فَقَتَلَ الرِّجَالُ ، وَسَبَّيَ الذَّرِّيَّةَ  
وَالْحَرِيمَ ، فِي سَنَةِ ٤٥٦ ؛ فَكَانَ الْفَجْعُ بِهَا أَكْثَرَ . وَكَانَتْ مُدَّةُ الْإِسْلَامِ  
بِهَا بَعْضًا وَسَبْعِينَ سَنَةً . وَأَقْبَلَ الْمَمْلُوكُ قَائِدُهَا إِلَى ابْنِ الْأَفْطَسِ ، وَكَانَ  
لَهُ مَحَلٌّ مِنْ قَبِيلِهِ ؛ فَأَمَرَ بِهِ ؛ فَضَرَبَتْ عُنُقُهُ . وَكَلَبَ الطَّاعِيَةُ عَلَى هَذِهِ  
الشُّعُورِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَضَرَبَ عَلَى أَهْلِهَا الْإِتَّاعَ حَتَّى ضَعُفَتْ ، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ  
أَهْلَكَهُ سَنَةَ ٤٥٨ ؛ وَقَامَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ إِذْفُونَشُ ؛ فَشَغَلَ بَابَ عِبَادٍ إِلَى أَنْ  
شَغَلَهُ اللَّهُ بِالْمُرَابِطِينَ .

وَلَمَّا تَوَفَّى الْمُظَفَّرُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَلِيَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ وَلَدَاهُ مُعَمَّرٌ  
وَيَحْيَى . وَفِي سَنَةِ ٤٦١ ، عَظُمَ بَيْنَهُمَا الْخِلَافُ وَالْتِزَاعُ ؛ وَحَصَلَ الطَّاعِيَةُ  
بِسَبَبِ ذَلِكَ عَلَى مَا أَرَادَهُ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَّهُمُ وَذَخِيرَتُهُمْ ، فَسَبَّلَ  
التَّضَرُّبَ مِنْ مُنَاسَرِحِهِمْ . فَثَبَّتَ نَارُ الْفِتْنَةِ بَيْنَهُمَا ، وَتَعَلَّقَ مِنْهُمَا بِحَبْلِ  
بُولَايَةِ ابْنِ دَنْثُونَ ؛ وَمَالَ أَخُوهُ مُعَمَّرٌ إِلَى تَوَلَّى الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ . وَمَا  
زَالَتِ السَّعَايَاتُ تَقْدَحُ بَيْنَهُمَا حَتَّى اصْطَلَمَتِ الْبِلَادُ ، وَاجْتَاكَتِ الرَّعِيَّةُ . وَأَزَاحَ  
اللَّهُ مِنْهُمَا بِمَوْتِ أَحَدِ الْأَخَوَيْنِ بِحَبْلِ . وَاسْتَوْسَقَ الْأَمْرُ لِأَخِيهِ مُعَمَّرٍ ؛  
فَاسْتَحَقَّ الْإِنْفِرَادَ بِالذِّكْرِ .

## دولة المتوكل على الله عمر

### ابن المظفر بن الأفطس

وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ مَلِكًا عَالِي الْقَدْرِ ، مَشْهُورَ الْفَضْلِ ، مَثَلًا فِي الْجَلَالَةِ  
وَالسُّرُورِ ، مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْحُزْمِ وَالْبَلَاغَةِ . وَكَانَتْ مَدِينَةُ بَطْلَانِيَّوسَ فِي  
مُدَّةِ دَارِ أَذَبٍ وَشِعْرِ وَنَحْوٍ وَعِلْمٍ .

وَقَالَ الْفَتْنُجُ عِنْدَ ذِكْرِهِ فِي « قَلَانْدَه » : مَلَكَ مُجَنَّدَ الْكُتَابِ  
وَالْجُنُودِ ، وَعَقْدَ الْأَثَرِيَّةِ وَالْبُنُودِ ، وَأَمَرَ الْأَيَّامَ فَاتَّصَرَّتْ ، وَطَافَتْ  
الْأَمَالُ بِكَعْبَتِهِ وَاعْتَصَرَّتْ ، إِلَى لِسَنِ وَفَصَاحَةِ ، وَرَحَّبَ جَنَابُ الْوَفَادِ  
وَسَاحَةُ ، وَتَنَظَّمُ يَزْدِي بِالْدَرْجِ النِّظَامِ ، وَتَنْتَرِبُ بِسَرِي فِي رَقَّةِ النَّسِيمِ ، وَأَيَّامُ  
كَأَنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا مُجْمَعٌ ، وَلِيَالٍ كَانَتْ فِيهَا عَلَى الْإِنْسِ حُضُورٌ وَمُجْتَمَعٌ .  
وَقَالَ أَبُو طَالِبِ بْنِ غَانِمٍ : كَتَبَ إِلَيَّ الْمُتَوَكِّلُ بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي  
وَرَقَةٍ كُرْتُبٍ مِنْ بَعْضِ الْبَسَاتِينِ : [مَخْلَعُ الْبَسِيطِ]

انْهَضْ أَبَا طَالِبٍ إِلَيْنَا وَأَسْقُطْ سَقُوطَ النَّدَى عَلَيْنَا  
فَنَحْنُ عِقْدٌ بَغِيرُ نُوسَطَى مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْنَا

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ دُخُولِ طَلَيْطَلَةَ فِي أَمْرِهِ ، وَانْتِقَالِهِ إِلَيْهَا ، وَمَقَامِهِ  
بِهَا الْمُدَّةَ الْمَذْكُورَةَ . وَاسْتَمَرَّتْ أَيَّامُهُ إِلَى أَنْ تَغْلَبَ اللَّسْتَوْنِيُونَ  
الْمُتَسَمُّونَ بِالْمُرَابِطِينَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ ؛ فَضَيَّقَ الْأَمِيرُ سِيرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ  
بِبَطْلَانِيَّوسَ بِالسَّرَايَا وَالْعَارَاتِ ، وَالْمُتَوَكِّلُ يَطْمَعُ بِالتَّمَسُّكِ بِهَا لِقُرْبِهِ  
مِنْ مُحَدُودِ النَّصَارَى . فَلَمَّا عِيلَ صَبْرُهُ ، وَعَجَزَ عَنْ مَقَاوِمَتِهِمْ ، رَاسَلَ إِذْفُونَشَ  
مَلِكَ قَشْتَلَاةَ ، وَأَطْمَعَهُ - زَعَبُوا - فِي الْمَدِينَةِ ، وَخَرَجَ لَهُ عَنْ مَدِينَةِ

١ رَاجِعُ « قَلَانْدِ الْعَيَانِ » ص ٤٦ .



سَنَتَرِينَ ، فحَصَّنَهَا العدوُّ وضبطَهَا . وعندما مُكِّنَ العدوُّ من سَنَتَرِينَ ، انخرفت عنه الرعيَّة ، وانصل عليه الحملُ ، وضاحت الصدورُ ؛ وراسلَ أَهْلُ بَطْلَيْوَسَ المُرَاطِبِينَ ، فوصلَتْهَا الجيوشُ ، وفتحَ الناسُ الأبوابَ ؛ فدخلَ القومُ عنوةً ، وقُبِضَ على المُنَوَكِّلِ وعلى بَنِيهِ وعبيده ، واستُخْرِجَ ما كانَ له من مالٍ وذخيرةٍ ؛ وأُزْعِجَ مع ابْنَيْنِ له إلى إِسْبِيلِيَّةَ . وفي أثناء الطريقِ ، لما بَعُدَ من بَطْلَيْوَسَ ، أنزَلَ وأَمَرَ بالتأهبِّ للموتِ ؛ فسألَ أن يُقَدِّمَ ابنَاهُ قَبْلَهُ لِيَحْتَسِبَهُمَا ؛ فكانَ كذلك . وقتلَ الجميعُ صَبْرًا ؛ وذلك في أخرياتِ سنة ٤٨٨ . وكان قد اشْتَخَصَ وَلَدَهُ الملقَّبَ بالمنصورِ إلى حصنٍ شَانِجَشَ لينحَصِنَ به ؛ وجعلَ عنده ذخيرته .

## أيام المنصور بن المتوكل عمر

### ابن الأفتس بمجن شانجش

ولما انصل به ما جرى القَدَرُ به في والدِه وأخَوَيْهِ الفضلَ وسعدَ أبي عَمَرٍ ، وجَّهَ إلى إِذْفُونَشَ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، ودخلَ - زَعَمُوا - في دينه ، وصدرَ معه إلى بلاده ، بعد أن ثَقَّفَ الحصنَ برجاله . وانتهى أمرُ بني الأفتس .

وقد رثاهم الوزيرُ أبو محمد بن عبدون عظيمُ مُلْكِهِمْ ، وناظِمُ سِلْكِهِمْ ، بقصيدة اشتملت على كلِّ ملكٍ قُتِلَ ، وأشارت إلى مَنْ غدرَ منهم وخَلَّ ،

تُكْبِرُهَا المَسَامِيحُ ، وَيَعْتَبِرُهَا السَامِعُ ؛ وهي ١ : [ البسيط ]

تسرُّ بالشيءِ لكن كَيِّ تَغَرُّ به كالأيمِ ثارٍ إلى الجاني من الزهرِ

١ ليست القصيدة موروثة هنا بتمامها ، إذ نقص منها الآيات السبع الأولى . راجع نصّها في « قلائد العقيان » ( ص ٣٨ - ٤٠ ) ، وفي « المعجب » لعبد الواحد المراكشي ( ص ٥٣ ) ، إلخ .

كم دولة وليت بالنصر خدمتها  
هوت بدارا وفلتت غرب قاتله  
واسترجعت من بني ساسان ما وهبت  
وأنبعت أختها طسما وعاد على  
وما أقلت ذوي الهيئات من يمين  
ومزقت سبأ في كل قاصية  
وأنفذت في كلليب حكمها ورمت  
ولم ترد على الضليل صحته  
ودوخت آل ذبيان وجيوتهم  
وألقت بعدي بالعراق على  
وبلغت يزديجرّد الصين واختزلت  
ومزقت جعفرًا بالبيض واختلست  
وأشرقت بجيب فوق فارعة  
وخاضبت شيب عثمان دماً وخطت  
وأجزرت سيف أسفاها أبا حسن  
وليتها إذ فدت عمراً بخارجة  
وما رعت لأبي اليقظان صحبه  
وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن  
فبعضنا قاتل ما اغتاله أحد  
وعثمت بالطبي فودى أبي أنس  
وأزلت مضغباً من رأس شاهقة  
ولم تراقب مكان ابن الزبير ولا

لم تبق منها وسل ذكرارك من خبر  
وكان عضباً على الأملاك ذا أثر  
ولم تدع لبني يونان من أثر  
عاد وجزهم منها ناقص المرر  
ولا أجارت ذوي الغايات من مضر  
فما التقى رائح منهم بمبكر  
مهلهل بين سمع الأرض والبصر  
ولا ننت أسداً عن ربها حجير  
لتخماً وغطت بني بدر على النهر  
يد ابنه أحمر العينين والشعر  
عنه سوى الفرس جمع الترك والحزر  
من غيلة حمزة الظلام للجزر  
وألصقت طلحة الفياض للعفر  
إلى الزبير ولم تستحي من عمر  
وأمكنك من حسين راحتي شمر  
فدت علياً بمن شأت من البشر  
ولم تروده الا الضيح في الغمر  
أنت بمعضلة الألباب والفكر  
وبعضنا ساكت لم يوت من حصر  
ولم ترد الردى عنه قنا زفر  
كانت له مهجة المختار في وزر  
راعت عيادته باليت والحجر

ولم تدع لأبي الذببان قاضيه ليس اللطيم لها عمرو مبتصر  
وأظفرت بالوليد بن اليزيد ولم تُبقِ الخلافة بين الكاس والوتر  
ولم تعد قصب السفاح نابذة عن راس مروان أو أشياعه الفجر  
وأسبلت دمة الروح الأمين على دمٍ بفتح لآلِ المصطفى هدر  
وأشرقت جعفرًا والفضل ينظره والشيخ يحيى يريق الصارم الذكر  
ولا وقت بعهد المستعين ولا بما تأكد للمعتز من مرر  
وأوتقت في عراها كل معتمد وأشرفت بقذاها كل مقتدر  
وروعت كل مأمون ومؤتمن وصمت كل منصور ومُنْتَصِر  
بني المظفر والأيام ما برحت مراحل والورى منها على سفر  
سحقاً ليومكم يوماً ولا حملت بثله ليلة في سالف العمر  
من للأميرة أو من للأعنة أو من للأسنة يهدى إلى النفر  
من للبراعة أو من للبراعة أو من للساحة أو للنفع والضرر  
أو دفع كارثة أو ردع آفة أو وقع حادثة تُعي على القدر  
ويح السباح وويح البأس لوسلما وحسرة الدين والدنيا على عمر  
سقت ترى الفضل والعباس هامية تعزى إليهم سباحاً لا إلى المطر  
ثلاثة ما رأى السعدان مثلهم فاخبر ولو عزّزا في الحوت بالقمر  
ثلاثة ما ارتقى النسران حيث رقوا وكل ما طار من سر ولم يطير  
ومر من كل شيء فيه أطيبه حتى التمتع في الآصال والبكر  
من للجلال الذي عمّت مهابته قلوبنا وعيون الأنجم الزهر  
أين الإباء الذي أرسوا قواعده على دعائم من عز ومن ظفر  
أين الوفاء الذي أصفوا مشارعه فلم يرد أحد منها على كدر  
كانوا رواسي أرض الله منذ ناوا عنها استطارت بن فيها ولم تقر

من لي ولا من لهم ان عطّلت سنن وأخفت السن والآثار والسير  
من لي ولا من لهم إن أغضلت محن ولم يكن وردها يدعو الى صدر  
على الفضائل إلا الصبر بعدهم سلام مرتقب للأجر منتظر  
يرجو عسى وله في أختها أمل والدهر ذو عقب شتى وذو غير  
أنبتنا هذه القصيدة لمناسبتها لغرض التاريخ .

### ذكر مدة بني صمادح الامراء بالمرية

قالوا : كان جدّهم محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن  
صمادح بنت عبد الرحمن بن عبد الله بن المهاجر بن عبيدة بن شريح بن  
حرمة بن تميم بن المخضب بن شبيب بن الدعان بن سعد بن أشرس  
الواقع والده على نجيب ؛ عرفوا بأمتهم . كذا أثبت نسبهم ابن  
الصيرفي . وثبت في « كتاب المغرب » اسم جدّهم أبا يحيى بن أحمد بن  
صمادح ؛ فيظهر أن هذه الاسماء الثلاثة متأخرة عن عبد الرحمن هذا الذي  
ذكر ابن الصيرفي ومُتَّصِلَةٌ به .

وكان جدّهم ، حسباً ذكر ابن حيّان إذ قال : أبو يحيى بن أحمد صاحب  
مدينة وشقة وأعمالها ؛ وطلعت نبأته في أيام المؤيد هشام ؛ ثم أكّد له  
ذلك سليمان بن الحكم ؛ فنشئ له الوزارة ، وأمضاه على عمله . وكان  
أول أمره مماتلاً لابن عمه منذر بن يحيى ، يظهر موافقته ، ويكاتبه  
حسده بما لا شيء فوقه ؛ ثم تكاسفاً بعد مضي سليمان ، ونجاراً على ملك  
وشقة ؛ فعجز ابن صمادح عن منذر لكثرة جنيته ، وسلم له البلد ،  
وفر بنفسه . وأما ابنه معن ، فنحن نذكره .

## أيام معن بن صمادح

قالوا : لما قُتِلَ زُهَيْرُ الْفَتَى بظَاهِرِ غَرْثَاظَةَ عَلَى يَدَيْ بَادِيسَ بْنِ حَبُوسٍ أَمِيرِ صَنْهَاجَةَ ، حَسِبَا بِأَيِّ ذِكْرِهِ ، وَصَارَتِ الْمَرْيَةُ دَارُ مُلْكِهِ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي عَمْرِو صَاحِبِ بَلَنْتَسِيَّةَ ، حَسَدَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَنَاقَسَهُ فِيهَا صَارَ إِلَيْهِ مُجَاهِدٌ مَوْلَى سَلَفِهِ ؛ فَتَحَرَّكَ إِلَى بِلَادِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ مَشْغُولٌ بِمَا نَفَلَ الدَّهْرُ مِنْ تَرَكَةِ زُهَيْرِ الْفَتِيلِ ؛ فَخَرَجَ مُبَادِرًا إِلَى اسْتِصْلَاحِ مُجَاهِدٍ ؛ وَاسْتَخْلَفَ بِالْمَرْيَةِ صَهْرَهُ وَوَزِيرَهُ مَعْنَانَ بْنَ صَمَادِحٍ هَذَا ؛ فَكَانَ شَرًّا مُسْتَخْلَفَ بَدَارِ مُلْكِهِ ؛ فَلَمْ يَكُنْ يُوَارِي عَبْدِ الْعَزِيزِ وَجْهَهُ حَتَّى خَانَهُ الْأَمَانَةَ ، وَطَرَدَهُ عَنِ الْإِمَارَةِ ، وَنَصَبَ لَهُ الْحَرْبَ ؛ وَفَازَتْ بِهَا قِدَاحُهُ وَاسْتَقَرَّ فِيهَا مُلْكُهُ ، وَخَلَفَهَا مِيرَاثًا لِبَنِيهِ بَعْدَهُ . ثُمَّ هَلَكَ . وَأَقَامَ بِأَثَرِهِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ أَبُو يَحْيَى .

## أيام محمد بن معن بن صمادح المعتصم بالله

قال المؤرخ : فارتقى ذروة الخلافة ، وتلقب من ألقاب الخلفاء بالمعتصم بالله وبالرشيد .

قال ابن بسام : ولم يكن أبو يحيى هذا من ملوك الفتن في شيء فإت أخذ إلى الدعة ، واكتفى بالضيق من السعة ، واقتصر على قصر يبنيه ، وعلق يفتنيه ، وميدان من اللذة استوى عليه ، وبرز فيه ، غير أنه كان رحب الفناء ، جزل العطاء ، حليماً عن الدماء والدهاء ، طافت به الآمال ، واتسع في مدحه المآل ، وأغلبت إلى حضرة الرحال ، ولزمه فجول من الشعراء كآبي عبد الله بن الحداد ، وابن عبادة ، وابن الشهيد ،

وغيرهم . وكانت بينه وبين ملوك الطوائف فتون مغيرة ، غلبوه عليها ، وأخرجوه من سجنه إليها مكرهاً ، لم يكن مكانه منها بكنين ، ولا فتحه بكنين .

ولما ملك يوسف بن تاشفين أرض الأندلس ، وعزم على خلع رؤسائها ، ونازلت المحلات غرناطة ، أمر الأمير يحيى بن واسنو منهم بمحاصرة المريّة ، والنضيق على المعتصم ؛ فطال به الحصار ، وتسلكت حصونها وجهاتها ؛ فلم يبق بيد المعتصم غيرها . وضاعت بها الأحوال ، وشرع أهلها في الفرار . واعتل المعتصم ، ونزل به الموت أثناء محاصرتها ؛ فذكروا أنه نظر إلى جارية عند رأسه تبكي عليه ؛ فقال لها : [ المتقارب ]

توفّق بدمعك لا تفنه فين يدّيك بكاء طويل

وأوصى ولده ولياً عنده معز الدولة أن يتسلّك بقصبة المريّة ما أقام ابن عبّاد متمسكاً بإشبيلية ؛ فإذا أفضى أمره إلى خلعته ، فليعبر البحر بأهله وولده إلى الجزائر جزائر بني مزغنة ؛ وقد كان راسل صاحب الجزائر ، ووجه إليه أحمد بن عبد العزيز بن عيشون من أهل بلده ؛ فوصل إلى المنصور بن الناصر بن علّاس ، وهو يومئذ بالقلعة ، يحطّط إليه جواره والتحوّل إليه ؛ فتلقاه بالرحب والسعة ، وخبره في أقطار بلاده . ثم توفّي المعتصم بن صمادح في ربيع الآخر من سنة ٤٨٤ . ولما اتصل موته بالمعتصم ابن عبّاد ، قال : « رجل استصحب حال سعده من قصره إلى قبره ! كان الموت كاساً بيده ؛ فحين استطابها ، تجرّعتها ! »

وذكر الفتح المعتصم ببعض ما يوجب الانصاف لشأنه ؛ فذكر أحياناً كتبها إليه ابن عمار ، وقد طال مقامه ضيفاً لدينه ، ومجوباً بسحاب يدينه ، وهي :

١ راجع « الفلاحة » ( ص ٤٩ ) .

٢ أورد الفتح هذه القطعة والتي تليها في « فلاح العيان » ( ص ٥٠ ) .

[ مجزوء الكامل ]

بـ واضحاً فضح السحابة بـ يجود في معنى السراح  
ومطابقاً يأتي وجوه الجدة من طرق المزاج  
أسرفت في برّ الضياء ف فجّد قليلاً في السراح  
فوقّع له نجيباً ، ومن فراقه إيّاه كئيباً :

بـ فاضلاً في شكره أصل المساء مع الصباح  
هلاً رفقتَ بيهجتي عند التكلم في السراح  
إنّ السراح ببعدهم والله ليس من السراح

أيام معز الدولة بن المعتصم بالله

أبي يحيى بن صمادح

ولما توفّي المعتصم ، أقام معز الدولة يصبّ ويصعد ، ويعمل النظر  
في امتثال وصية أبيه ؛ فجعل يبدى عرّضه في نقل زوجه بنت مجاهد إلى  
دانية ، وينزل أسبابها إلى المدينة ، ليكون أقرب إلى الإيساق في البحر .  
فلما كمل ما أرادته من ذلك ، وافتاه اليقين بتغلب المرابطين على ابن  
عبّاد وخروجه عن ملكه ؛ فأمر رجاله بنقّب السور خارج باب مومى  
إلى دار الصنعة ، وركب بن اختص به في قطعة ، وحمل المال والمتاع  
في ثنتين ، وأحرق باقي الأجناف خشية الانتباغ ؛ فأمن عاديتهما ، ونزل  
بالجزائر على البخت وطائر اليسن ، إلى أن هلك بها . وانقضت أيام بني  
صمادح .

ذكر أيام بني المنصور محمد بن أبي عامر

وكان هؤلاء البقايّا العامريّون ولدوا المظفر والمنصور من تخطّام  
الهلك عند ثورة عبد الجبار ؛ وسلّمت لبعضهم دنيا عريضة . ولما استقر  
الأمر لسلطان بن الحكم مدّته الأولى ، تقرب منهم ، واجتلب صنائعهم ،  
وأذن في مواراة شلّو عبد الرحمن بن أبي عامر ؛ فبُولغ في التنويه به  
أقصى المبالغ ، وأعلن النوح لها ، وأقامت العامريّة لها المآتم الملوكية .  
وبرز الطفّلان ابننا العمّ محمد بن المظفر وعبد العزيز بن المنصور ،  
وأستقهما لا يجاوز سبع سنين ؛ فكنا تحت رعيّ ، إلى أن اختل أمر  
سلطان بن الحكم بعودة عدوّهما وقاتل أبيهما محمد بن عبد الجبار إلى  
قرطبة ؛ فخرج عبد العزيز عنها ، وتآذّن الله سبحانه بتجدّد ملك كبير  
لعبد العزيز منهما بشرق الأندلس ، دام سنين عديدة .

دولة محمد بن المظفر عبد الملك بن محمد

المنصور أبي عامر بن أبي عامر الملقب بالمعتصم

قال ابن أبي الفياض وعيوره : كان محمد جميلاً سخياً . وكان يوم وقعت  
الآزفة بدولتهم صبيّاً صغيراً من نحو سبع سنين . واستقرّ بالشعر في كنف  
مُنذر بن يحيى ؛ ثمّ انصرف إلى كورة جيان ؛ فظهر ببعض أحوازهم ،  
وضمّ إلى نفسه الرجال ، مستعيناً على ذلك بأموال عضية خلصت لأمه ، كانت  
تسمّدها بها ، إلى أن ظهر أمره . فلما استقلّ خيرّان القتيّ العمريّ  
بقلعة أربولة ومروسيّة ، ونازعته الموفق مجاهد العامريّ صاحب دانية ،  
وأنيحت مجاهد عليه الهزيمة ، عجز عن مقاومة مجاهد ؛ فخاطب محمد

ابن المظفر يدعوه إلى ملك ما بيده ؛ فأسرع إليه ، وملكه من أريولة ومُرسية ، وخرج له عن الأمر ، وصار في جملة من بين يديه . ثم فسد ما بينه وبين خيران ، وتغير له حتى حذره خيران على نفسه ؛ ففر عنه ، وقصد المرسية ؛ فاحتل بها ليلة الرابع عشر لربيع الآخر من سنة ٤١٢ . ثم تحرك منها إلى مرسية ، محارباً لمحمد المعتصم ؛ فألح عليه حتى أخرجه عنها في السادس لربيع الأول من سنة ٤١٣ ؛ بعد ذلك أن محمداً أضع الحزم ؛ فخرج عن المدينة ، وقد داخل خيران من أهل مرسية رجلاً يعرف بعَميرة بن الفضل ؛ فسد الباب دونه ، وضبط المدينة باسم خيران . ولما علم محمد أنه لا طاقة له بخيران ، فرأى عنها ، ولحق بمجاهد ؛ فكان عنده مدة . ثم توجه إلى البلاد العربية من جهة الأندلس ؛ فاستقر بحصن دارة ، وبها توفي من جدري أصابه ، في ليلة الجمعة من ليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٤٢١ .

وأخبر الإمام أبو محمد بن حزم أنه ، لما أيقن بالموت ، دق جوهراً عظيماً كانت قيمته ما لا نهاية له ، لئلا يتمتع به أحد بعده . فانقض أمره على هذه السبيل . وهو من شرط كتابنا ، إذ كان ممن يبيع قبل الاحتلام ، من ملوك الإسلام ؛ وكذلك ابن عمه الآتي ذكره .

## أيام المنصور عبد العزيز بن الناصر

عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر

قال أصحاب التاريخ : كان الموالي العامريون عند ذهاب مجاهد كبيرهم عنهم ، قد أسندوا أمرهم إلى مشيخة منهم ، وتشاوروا في ارتقاء أمير من أنفسهم ، يعترفون له ؛ فاتفقوا على ابن مولا محمد بن عبد العزيز هذا ،

لميثاراً له على ابن عمه محمد بن عبد الملك ؛ وكان محمد مقيماً بقرطبة ، وعبد العزيز بسر قسطة ؛ فلحق بيلكنسية ، واستقبله الموالي أفواجاً ، ينخعون له بالطاعة ، وقلدوه رياستهم سنة ٤١٧ .

وكان عبد العزيز هذا من أولادهم لرحمه ، وأحفظهم لقربته ، قد ابتغى الله رحمة للمستحقين من أهل بيته ؛ فأواهم ، وجبر كسبهم ، ونعش فقيرهم طول مدته ، إلى أن بلغ من ذلك مبلغاً أعيا ملوك زمانه . وخطب لأول حينه الخليفة القائم بن حمود بقرطبة ، ولطفه بهديته حسنة ، وذكره بدمام سلفه ؛ فتقبله ، وسماه ذا السيفتين ، ولقبه المؤمنين . فتوطد سلطانه . واشتغل على خدمته أربعة من الكتاب كانوا يُسمون الطبايع الأربعة ، وهم : ابن طائوت ، وابن عباس ، وابن عبد العزيز ، وابن التاكروني كاتب رسائله ؛ ولم تزل حاله تسوء حتى اتصل بوزارته ؛ فنال جسيماً من دنياه . وكان له من جهة سلفه للأئمة ملوك النصارى حظ انتفع به ، عند ما نازعه الأمر مجاهد جاره بدانية ، وضيق عليه ؛ واستظهر بجيوش النصرانية في أخبار يطول شرحها .

وفي أيام عبد العزيز هذا ، كانت الواقعة على المسلمين ببطرنجة ، حسباً هو مشهور . وطالت مدة عبد العزيز إلى سنة ٤٥٢ ، وتوفي في ذي الحجة منها . وعهد بالأمر إلى ولده عبد الملك .

## أيام عبد الملك بن عبد العزيز

ابن عبد الرحمن بن أبي عامر

ولما هلك عبد العزيز ، اجتمع أهل دولته على ابنه عبد الملك ، وهو صبي لم يبلغ الحلم ؛ فهو من شرط كتابنا فيمن يبيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام . وقام له بالأمر كله كاتب والد المدبر لدولته

بن عبد العزیز مشہور مع معروفیتہ بین کربش القراصبی ؛  
وكان موصوفاً بالرجاحة ؛ فأحسن معونته ، وتولّى تهديد سلطانه ؛  
واستقرّ أمره ؛ ورعى هذا الكاتبُ الشَّهْرَ المدبّرُ الدولة في عبد الملك  
مكانَ شهره وظهره ابن دنون المأمون ، إذ كان شهرَ عبد الملك أب  
شراة المساهم له في مصاب أبيه ، المعين له على سدّ ثلثه ، الدائد عنه كل  
من طمع فيه .

## ذكر أيام الدولة المنذرية

**قال ابن حيّان :** كان منذر بن يحيى رجلاً من عراض الجُند ؛ وتوقى  
إلى القيادة آخر دولة ابن أبي عامر ؛ وتناهى أمره في الفتن إلى الإمارة .  
وكان أبوه يحيى من الفرسان عتير الشَّهَاء ؛ فأما ابنه هذا فكان فارساً  
لبيق الفروسيّة ، خرجاً عن حدّ الجهل ، يتمسك بطرف من الكتابة  
الساجية ؛ وأما عُدْرُه ، فالنار برأس اليفاق ؛ من أفحش عُدْرُه بيشام  
المؤيد مؤنّى نِعَمَتِه ؛ ولم يقتصر على عُدْرُه حتى غزاه في عقر داره ،  
وأنزله عن مريزه ، وأسلبه لحفّه ، وباع دماء أهل قرطبة عشرين . وعاد  
بثبته لمحمد بن سليمان أثيره ، عندما استجار به في تكبته ؛ فقتلته ،  
وعو ضيفه ؛ فحده به كحلعة مشهورة ، لم تغسلها معذرة ، إلا أنه كان  
كريمًا ؛ وهب القصد مالا عظيماً ؛ فوفدوا عليه ، وعمرت بذلك حضرته  
كبراً عظيماً ، فحسنت أبلهه ، وهتف المدائح بذكره . وكان لأهل  
والأبنه قد كسرت عكسه الفرائجة ؛ فحفظت أضرأله إلى أن مضى  
بسيه .

وفي سنة ٤٣١ هـ قتل منذر بن يحيى . قتلته رجل من بني عمه  
يعرف بعبد الله بن حكيم ، دخل عليه ، وهو عقال في غلالة ، وليس عنده

إلا بعثر حقايقهم ، وقد أكتب الخالع كتب ؛ فقرأ حصيان من بين  
يديه إلا خادماً منهم قتلته عبد الله مع منذر مولاه ؛ وفضع رأس  
منذر ، وأخرج له الوقت ، وفعد في موضعه ؛ وقد ركب من لخطه  
التغري مركباً لم يجسر عليه عتسنا قتلته ؛ أسقطت فتكته كل  
فتك في الإسلام ، لونه على منك جوفاً قصيره وبين يديه أريد من  
مائة رجل سوى لسانه ؛ قام بين الجميع كالأسد الوراء ؛ فلبسوا وبتوا ؛  
فلم يكن من أحد منهم مدافعة . وأرسل من حينه عن القاضي والمشيخة ؛  
فدخلوا عليه ، وهو قاعد على فراش منذر ، وهو زمّل في دمايه إلى  
جانبه ؛ فوصف أنه لما جرى في سبيل الإصلاح والشدّ لسلطانهم ، وأظهر  
الدعاء أولاً لابن هود ، فأرواه قبول ما وعده ، وتفرقوا عنه . وكلمتهم  
متألفة عليه ، إلى أن ثاروا به وقتلوه ؛ فخرج من باب بظهر القصر ،  
ونجا بفاجر ما اشتمل عليه من ذخائر آل منذر ؛ وحق بحصن روطه  
أحد معاقل سرقسطة المنيع ، وقد كان أعدّه لنفسه ؛ فأقام به يرصد  
الفتنة جهده ؛ وحمل معه أخوين من منذر قتيبه . وأب المنيرة بن  
نحزم وزير منذر ، وغيرهم مقيدين ؛ فحبسهم عنده بظانهم بالأموال .  
ونهب القوم قصر سرقسطة إثر خروجه حتى قلعوا مبره . وطمسوا  
أثره . وبادر ابن هود ؛ فتملك سرقسطة سنة ٤٣١ هـ .

**وقال ابن حيّان فيه :** كان قد كسرت عظمة الفرائجة ؛ فحفظت  
أطرافه ، إلى أن مضى بسيله ، ولعنه مدود لا تعرفه فيه ؛ وبلغ  
من استأنته الطوائف النصرانية أن جرى على يديه وحضرته عقدا  
مضاهرة بعضهم ؛ فقرضته الأتساق أن ألوات ؛ لنية ؛ فاعترف  
الناس برأيه . ولم يأت بعده من اسم مسده . واشتد منذر على  
قواد تلك الثغور ؛ فاستسقت له الأمور . واستكتب عداة من كتاب  
الشَّهَاء ، وقصده أكابر الشعراء . ربه يقول أو عمرو بن ذرّاج

قتصيده، لما صرف إليه وجهه، وقدم عليه سنة ٤٢٨، وهي: [الكامل]

بشراك من طول الترحل والسرى  
من حاجب الشمس الذي حجب الدجى  
فجرى بأنوار التدى متفجراً  
ناديت حي على التدى ثم اعتلى  
سبل العفاة مهلاً ومكبراً  
نوء الكواكب مخوياً أو منطراً  
لبيك أسمعنا نداءك ودوتنا

منها:

فسريت في حرَم الأهلّة مظلماً  
ورفلت في خلع السوم مهجراً  
وشعبت أفلاذ الفؤاد ولم أكد  
فحدوت من حذو الثريا منظرأ  
ست تسداها الجلاء مغرباً  
وحدا بها حادي النواء مشيراً  
ظعن ألفن القفر في غول الدجى  
وتركن مألوف المعاهد مقفراً  
يطلبن لج البحر حيث تقاذفت  
أماجه والبر حيث تنكراً  
هيم وما بينعين دونك موردأ  
أبدأ ولا عن بحر جودك مصدراً  
من كل نضو الآل محبوبك المنى  
يؤجيه نحوك كل محبوبك القراً  
بدن قدت من دماء نحوورها  
بيقاتها في كل أفق منحرأ  
نحرت بنا صدر الدبور فأنبطت  
قلق المضاجع تحت جوء أكندراً  
وصبت إلى نحر الصبا فاستخلصت  
سكن الليالي والنهار المبصرأ  
خوص تفغن بنا البرى حتى انتنت  
أشلاؤهن كمثل أنصاف البرأ  
تذرت لنا أن لا تلاقى راحة  
بما تلاقى أو تلاقى منذراً  
وتقاسمت أن لا تسيع حياتها  
دون ابن يحيى أو تموت فتعدراً  
له أي أهلة بلغت بنا  
يؤناك يا بدر الساء المقفراً  
بل أي غصن في ذواك هصرت  
فجري فأورق في يدك وأثمرأ

١ راجع بعض هذه القصيدة في « الذخيرة » لابن بسام ( ج ١/١، ص ٥٦ - ٥٨ ) .

فلئن صفا ماء الحياة لدبك لي  
فبما شرفت إليك بالماء الصرى  
ولئن خلعت علي برداً أخضرأ  
فلقد لبست إليك عيشاً أغبرأ  
ولئن مددت علي ظلاً باردا  
فلكم صليت إليك حرأ مسعراً  
وكفى لمن جعل الحياة بضاعة  
ورأى رضاك بها رخيصاً فاستترأ  
لهفان لا يرتد في أجفانه  
إلا تذكر عبرتي فاستعبرأ  
أبني لا تذهب بنفسك حشرة  
عن غول رحلي منجداً أو مغورأ  
فلئن تركت الليل فوقي داجياً  
فلقد وردت مياه مأرب حقلأ  
ونظمت للغيد الحسان قلائداً  
واسمت خيلي وسط جنة عبقراً  
وحللت أرضاً بدلت حصباؤها  
من تاج كسرى ذي البهاء وقيصراً  
ولتعلّم الأملاك أنني بعدهم  
ذهباً يروق لناظري وجوهراً  
ورمى علي رداءه من دونهم  
ألفت كل الصيد في جوف القرا  
ضربوا قداحهم علي ففاز في  
ملك تخير للعلى فتخيراً  
من كان بالقدرح الملعلى أجندراً  
وأكار من طرفي تباريح الشرى  
وكدت في لجم الأسمى متضللاً  
وتذممي بمن تجمل معذراً  
من فك طرفي من تكاليف الفلا  
ومسائل عني الرفاق وودء  
وكتفى عتاي من ألام معذراً  
لو تنبذ الساحات رحلي بالعرأ  
وبقيت في لجم الأسمى متضللاً  
وعدلت عن سبل الهدى متحيراً  
كلاً وقد آتست من هودى هدى  
والحارث الجفني ممنوع الحمى  
ولقيت زبد الحيل تحت عجاجة  
واعتدت في يمن مواتق ذمة  
بالحيل والآساد مبذول القرى  
أيام يقري موميراً أو معسراً  
تكنسو غلائلها الجياد الضراً  
مشدودة الأسباب موثقة العرى

القنافة من الثغاف ، جنح إلى الاستقرار ببِلَنْسِيَّة ، إلى أن لحقته بها الحادثة . فأُسِرَ وبقي عند العدو مدة . ثم سنى الله خلاصه بقلعة الطمع فيه لذهاب ذات يده ؛ فلقى بشاطيئة ؛ ثم عاد إلى بِلَنْسِيَّة ؛ فأقام بها إلى أن توفي سنة ٥٠٧ هـ ؛ وقد تئف على التسعين سنة . وكان - رحمه الله - فصيحا قلما ، ظريفاً التوقيع ، خفيف الروح ، عذب النادرة والفكاهة ، حسباً يظهر ذلك من كتابي « القلائد » و « المطمح » .

### ذكر شيء من حديث ابن عبد العزيز

وكان الوزير أبو بكر بن عبد العزيز أحد رجال الكمال بالأندلس ، وعين بِلَنْسِيَّة التي بها تنصير ، ولسانها الذي تسهب به وتختصر . وكان طاغية الروم ، الممارس لرؤساء أهل الأندلس بكثرة مداخلتهم إيَّاه في أمر بلادهم ، يقول إذا جرى ذكره : « رجال الأندلس ثلاثة ! » ، فبعد فيهم ابن عبد العزيز . ولما فر المتوكل بن المقتدر بن دنشون عن طليطلة ، وسوغها لصاحب قشتالة ، لجأ إليه ببِلَنْسِيَّة ؛ وقد كان بها وزيراً لأبيه ؛ فكفنه وقام بأمره . وكانت آثار ابن عبد العزيز على الجملة جميلة ؛ وكان ثانياً لأبي الحزم بن جهور وشيهاً له في الجهة الشرقية ؛ حمل جهته على سداد ، وقام بها بحال الاستبداد ؛ فطاوَلَ الجبال والآكام ، وفلَّ السيف بالأقلام . وكانت وفاته ببِلَنْسِيَّة في العشر الأواخر من جمادى الآخرة سنة ٤٥٦ هـ . وأخبار ابن عبد العزيز شهيرة ، وآدابه في الشهرة الشمس في الظهيرة .

### أيام القاضي أبي أحمد بن حفاف

#### رئيس بِلَنْسِيَّة

وهو ثالث القوم : ابن عبد العزيز وابن طاهر ، وفي نطمهم . وكان قاضي حضرة بِلَنْسِيَّة ؛ وله فيها الأصالة المأجدة ، الناطقة بالقدم الشاهدة . وكان قد سئم إضافة عدو الله الكنيطور ببِلَنْسِيَّة وسوءه أهلها خطة الحسف وسئم الذل . وضاق صدره بحفيد ابن دنشون المنتقل إليه بعد تمكين النصارى من طليطلة ؛ فقوي بمكان دولة اللسثونيين ، وانتل على أيديهم كشف المحنة والخروج من ذل الكنيطور متعبداً أهل بِلَنْسِيَّة وحالب ضروع جبايلها بصرامته . فاستدعى محمد بن عائشة قائد يوسف بن تاشفين ؛ فوجه إليه جمعاً من المرابطين ، وبرز الناس إلى لقائه .

وفر عند ذلك حفيد ابن دنشون من قصره ، وثار البلد به ؛ وعثر عليه ؛ فقتل بأمر القاضي ابن جحاف ، كما تقدم . وتمت بمقتله الرئاسة في البلد لابن جحاف ؛ فرتب الأجناد والخدمة ، واستشعر أهله الملك ، وعين الألقاب ، وحذا حذو ابن عبَّاد بإشبيلية ؛ فلم تساعده الأيام .

وخاطبه عدو الله الكنيطور ، يُنيه على ما نهيأ له ، وفي قلبه من استظهاره بسُلطان لمتونة النار المضرمة ؛ وأخذ يعرض له بالحسنة التي اكتسبها في شهر صومه من قتل سُلطانها ، ويطلبه بالأطعمة التي كانت له بحصون بِلَنْسِيَّة ، انتهبا رجاله في حال الحادثة . فراجعته أن البلد لأمر المسلمين يوسف بن تاشفين ، والأطعمة قد انتهبت . فكتب إليه الكنيطور ، يقسم بخرجت أيمان دينه ألا يبرح عن بِلَنْسِيَّة حتى يظفر به ، ويأخذ ثار ابن دنشون . وخاطب من يجاوره من أهل



وخططت بين جفانها وجفونها حرماً أبته حرمانه أن تخفراً  
تلك الدور تتابعته وخلقتها سعياً فكننت الجوهر المتخيراً  
ولقد سموك ولادة وسيادة وكسوك عزاً وابتنوا لك مفخراً  
أهدى إلى شغف القلوب من الهوى وألذ في الأجفان من سنة الكرى  
ومشاهد لك لم تكن أيامها ظناً يريب ولا حديثاً يفترى  
لاقت فيها الموت أسوداً أدهماً فذعرته بالسيف أبيضاً أحمر  
ولو اجتلى في زبي قونك معلماً لتركته تحت العجاج معقراً  
يا من تكرم بالتكبر قدوره حتى تكرم أن يرى متكبراً  
والمُنذرُ الأعداء بالبشرى لنا صدقت صفاتك مُنذراً ومبشراً  
ما صور الإيمان في قلب امرئ حتى يراك الله فيه مصوراً

وعلى ما تقرر من قتل مُنذرٍ أكثر الحكايات ؛ إلا أن صاحب « المغرب » ذكر في كتابه في سنة ٤٣٨ حديث آل المُنذر ؛ فقال ما نصه : وذلك أن أمر سرقسطة كان إلى رجل من التَّجِيبِيِّين يُسَمَّى مُنذر ابن يحيى ؛ فكان من قواد الدولة العَامِرِيَّة ، ومات في أمد الفتنة ؛ فودت ملكه ابنه يحيى بن مُنذر ؛ وكانت سيته فيما ذكر تسع عشرة سنة ؛ فقتلها بالحاجب مُعز الدولة ؛ فاحتقره بنو عمه ، وتواطأوا على قتله مع كبير منهم دَخَلَ يوماً للسلام عليه ؛ فضربه بسكين في صدره ، كان سبب مَنيته . وخرج هذا القاتل ؛ فاجتمع عليه بنو عمه ، وولَّوه أمرهم ؛ وكان عاهر الفَرَج : ذَكَرَ أَنَّهُ كان يدخل على النساء الحَمَامَ ؛ فانكروا فعله . وقام عليه أها سرقسطة وهما قتله ؛ فخرج فارداً بنفسه ، وأقام أهل سرقسطة دون أمير ؛ فبعثوا إلى سنجان بن هود ؛ فولَّوه على أنفسهم ؛ فبقي أميرهم إلى أن مات .

فإن كان ما ذكره صحيحاً ، فيظهر أن مُنذر بن يحيى ولي بعده ولداً

له أو أخ سمي لأبيه . فجرت عليه الحادثة الشبيهة بالحادثة عليه ؛ ولألا ، فهو وَهْمٌ من المؤرخ . والمشهور في ثوار الأندلس وملوك الطوائف إنما هو مُنذر بن يحيى .

### ذكر شيء من حديث بني طاهر بمرسية

وكان هذا البيت بُرْسِيَّةً بَيْتَ أعلام ، وحيلة سيف وأقلام . فلما تفرقت الجماعة بقرطبة ، وجرت الحادثة على الدولة العَامِرِيَّة ، ولجأ فتيانها إلى شرق الأندلس ، واستقر منهم خيران العَامِرِيُّ بُرْسِيَّةً ، ثم انزعج عنها حسبا يتبين في موضعه ، تغلب عليها الرئيس أبو عبد الرحمن بن طاهر ؛ وكان صدر زمانه ، والمثل السائر في بلاغته وبيانه ؛ فأجرى أمور بلبده ، وذهب فيها من العز إلى أمدّه ، مُستغنياً بواقر نشيه ، وسائراً من الحزم فيها على مذهبه ، إلى أن فسدت بها حاله مع جيرانه ؛ ففسدوه ، ومورد الردى أوردوه ، وخاطبوا المُعْتَمِدَ على الله محمد ابن عباد . فوجه إليهم وزيره ابن عمار ، وابن رشيق قائداً عسكريه . وثار البلد على ابن طاهر ، وثقبض عليه ؛ واستولى ابن عمار على مُرْسِيَّة . وسوّلت له نفسه القيام بها على المُعْتَمِد ؛ وجه إليه الجيش ، وخاطب ابن رشيق في شأن الوثوب به . فتوصد غرته ، وقد خرج عن مُرْسِيَّة ؛ فملكها ، ثم استأثر بها إلى نفسه ، حسبا تقدمت الإشارة إليه . وتأتى في هذه التقلبات الخروج من الاعتقال لابن طاهر ؛ فلحق بابن عبد العزيز جاره بيلكسيّة ، وهو أيضاً كبير ذلك القطر ، وعين الأعيان ، والمشار إليه بالبنان .

قال الفتح في « القلائد » : وعندما خلص من ذلك الشقاء ، خلوصاً

١ راجع « القلائد » ( ص ٥٧ ) .

الخصون ، الذي لا طاقة له ، إستئبد الأقوات لمجملته .

تم كد الكنيسطور عدو الله ابن جعاف ، وخدمه ، ودانسته في إقامة أواده وتروطيد مملكه : إذا صرف اللثوثيين وأزعجه ، إنه يسوع استبداده بالملك ، ويقيم مقام ابن دنثون ، ويقايل عنه من يريده ؛ وكان استنقل القوم وضاق بمؤتمهم ؛ ففعل . وعند ذلك استبصر في التضيق عليه ؛ فعظم الغلاء ، وتضاعف البلاء ؛ واستصرخ بأمير المسلمين يوسف ابن تاشفين ؛ فبعث إليهم جيشاً عظيماً ، أتيح للكنيسطور عليه الظهور . فأيقن الناس بالهلكة .

واشتد عليه كلب العدو إلى أن استأمنوه لأنفسهم . وخرج إليه ابن جعاف ، وأحكم معه العقد ؛ ودخل العدو المدينة في جمادى الأولى من سنة ٤٨٧ . وتجهزت إليه جيوش المسلمين ثانية ؛ فما أغثت وفازت بها قدامه . ولما تمكنت فيها ، سام أهلها سوء العذاب ، واستخلص أموالهم ، وأذاقتهم وبال أمرهم بما هو معروف . واعتقل القاضي أبو المطرف جعفر ابن جعاف ، وعم بالنكبة جميع قرابته وأهله ، وطلبه بطل حفيد ابن دنثون . فلما استصفي جميع ماله من ظاهر وباطن ، أمر بإضرام النار . وسبق القاضي أبو المطرف يرسف في قيوده بين أهله وولده ؛ وقد حشر الناس من أهل الملتئين . وقال الكنيسطور للملأ : « ما جزاء من قتل أميره عندكم في شرعكم ؟ » فصمتوا ؛ فقال : « أمّا نحن ، فجزاؤه عندنا الإحراق ! » وأمر به وبجملته إلى تلك النار ؛ وقد نحت الوجوه على المسافة البعيدة . فضح المسلمون والنصارى ، وتضرعوا إليه في تزيك الأطفال والعيال ، إذا لا ذنب لهم ؛ فأسمعك الرغبة بعد جهنم ومسددة . واحتفر للقاضي أبي المطرف حفرة ، وأدس فيها إلى حجبته وسواي التراب نحوته وضمت إليه النار . قلب نحت وجهه فل . سم الله الرحمن الرحيم ! ، ثم ضمتها إلى جسده ؛ فاحترق . رحمه الله . ولم يكن

غضبه عليه إلا لأجتهاده في طلب النصر ، ودفعه يده المطاوعة ، رجاء في استسك البدة للإسلام ، واستبقاء الكلمة فيها .

وبعد بعد إحراقه إلى الجلثة من أهل بلنسية ؛ فتفقهم بحال تفرقة بين سجون الرجال منهم والنساء ، يتجاوب حراخيم أمام المجنة ، حتى استأصل جميع ما عندهم . وجعل الناس في الضغط أسرة على طبقاتهم . وهلك في الثفاف خلق كثير منهم . رحمهم الله في آخرات السنة .

## ذكر شيء من أخبار بني رزين

قال ابن حبان : وقد ذكر أبو مروان بن رزين الملقب بحسام الدولة : كان جدّه هذيل بن خلف بن لب بن رزين صاحب السهلة ، موصلة ما بين الثغر بين الأعلى والأدنى من قرطبة . وكان من أكابر براب الثغر ، ورث ذلك عن سلفه . ثم سما لأول الفيتنة إلى اقتطاع عمله ، والإمارة بجماعته ، والتشبه بإجاده إسماعيل بن دنثون في الشroud عن سلطان قرطبة . فاستوى له من ذلك ما أراد هو وغيره ، إلا أنه كان مع تعززه على هشام ، لم يخرج عن طاعته ، ولا وافق منذراً وأصحابه على التآمر عليه ، إلى أن ظفر سليمان هشام المؤيد المخلوع آخر القوم بقرطبة ؛ فسلط مستكهم . ورضي منه بذلك سليمان ، وعقد له على ما في يده لعجزه عنه . وترا من منه منذر بن يحيى ، ورضع فيه ؛ فأجاده منه منعة معقله ، وسر من معرة الفيتنة أكسب وقتيه . وتخطت الحواشي بقوة أعينده ؛ واقهر مع ذلك على خليط أبده المرسوم ولاية والبر ، وترك التجاوز حده . والامتداد إلى شيء من أعمال غيره . فاستقام أمره ، وعشر بده وانظر بعد الجمهور الثوار بالاندلس لمدة الحياة .

وليس في بلد الثغر أخصب بقعة من سهلته المنسوبة إلى بني رزّين  
سلفه ، لاتصال عمارتها . فكثرت ماله إذ ناغى جاره وشبيهه إسماعيل بن  
دثون في جمع المال ، وناقسه في خلال البخل وفترط القسوة . وكان  
شاباً جميل الوجه ، حامي الأنف ، غليظ العقاب . صار إليه أمر والده  
منبعت الفتنه ، وهو فتى ما اجتمع وجهه ؛ فأنجده الصبا على  
الجهالة ، وقواه الشباب على البطالة ؛ فبعد في الشرود شأوه ؛ ولم يحالف  
أحداً من الأمراء على أداء الإتاوة ، ولا حظي أمراء الفتنه منه بسوى إقامة  
الدعوة فقط ، إلى أن مضى بسيله . والأخبار متتابعة بجهله وفظاظته ،  
حتى زعموا أنه سطا بوالديه وتولى قتلها بيده . وكان بارع الجمال ،  
حسن الخلق ، أرفع الملوك همة في اكتساب الآلات ؛ وهو أول من  
بالغ في الأندلس في شراء القينات المشهورات ؛ فكانت سيارته أرفع  
سيارات الملوك بالأندلس .

وتصير أمره إلى الحاجب ذي الرياستين أبي مروان عبد الملك بن رزّين  
ابن هذيل حسام الدولة ؛ وعندئذ احتفل مجدهم ، وبلغ النهاية في  
الإشراف نجدتهم .

ذكره الفتح في « القلائد » فقال : ورث الرياسة من ملوك عضدوا  
مؤازرهم ، وشدوا دون النساء مأزيرهم ، لم يتوشحوا إلا بالحمائل ، ولا  
جنبوا للبأس إلا في أعنة الصبا والشمائل ، وركبوا الصعاب فذلّوها ،  
وابتغوا سبباً للنجوم حتى انتعلوها ؛ فملكوا الملك بأيديهم ، وعقلوه من  
النجدة بقيد . وكان ذو الرياستين منتهى فخارهم ، وقطب مدارهم .  
وأما شعره ، فأخبر الكاتب أبو جعفر بن سعدون أنه أصبح يوماً  
بحضرته وللرذاذ رش ، وللربيع على وجه الأرض فرش ، وقد صقل الغمام  
الأزهار حتى أذهب غشها ، وسقاها فأروى عطشها ؛ فكتب إليه :

١ راجع « القلائد » ( ص ٥١ - ٥٢ ) .

[الطويل]

فقد ينالك لا يستطيعك النظم والنثر  
مرينا نذاك الغمر فانهل صيباً  
وجاء الربيع الطلق يندى غضارة  
وما منهم إلا إليك انتماؤه  
خلا منك دهر قد مضى بعبوسه  
فبشرت آمالي بملك هو الورى  
فأجابه :

إليك فلولا أنت لم ينظم الدر  
إذا قلت لم ينطق فصيح مدرّب  
لك السبق كم روضت من عاطل الربى  
ولما ملكت القول قسراً وغنوة  
فلا نقل إلا ما تقول بدية  
وكبا به فرسه يوماً ، وقد ركب متصيداً ؛ فسقط سقطة أو هنت  
قواه ، ودعته إلى ملازمة مثنواه ؛ وبلغه أن أحد حساده شت بوقعته ،  
وسر بصرعته ، فقال :

[البيط]

لاني سقطت ولا جبن ولا خور  
لا يشمت حسودي إن سقطت فقد  
هذا الكسوف يرى تأثيره أبداً  
ولا يعاب به شمس ولا قمر

١ راجع « القلائد » ( ص ٥٤ ) .

## ذكر بني قاسم أصحاب مدينة البنت

منهم نظام الدولة عبد الله بن قاسم الفهري . ولم تول في أيديهم من أول الفتن . وكان أول من تأكل بها ، وبني الرياسة لقومه بسببها ، عبد الله هذا المذكور ، إلى أن هلك سنة ٤٢١ . ثم ولي بعده محمد ابنه الملقب بيمين الدولة ؛ واستمرت أيامه فيها في جملة ثوار الأندلس وأولي طوائفها إلى سنة ٤٣٤ . ثم ولي بعده ولده أحمد بن محمد بن عبد الله ، الملقب بعز الدولة .

قال أبو مروان بن حبان عند ذكره : وألقاب سلفه قاسم مهولة لمن حفظه من الدنيا عدة حربه ، تحيط عينه بها من فوق رقبته ؛ فهلك هذا الفتى بمرقبته الشاهقة ولم يمل له بعد أبيه . وكان موته في رجب من هذه السنة . فنصب أصحابه بعده ابنه صبيحاً ابن سبع سنين أو نحوها ، يسمى محمداً ، وسموه بالإمارة مكانه ، وتخطوا بها عيونه ، إذ آثره بها شيخ دولتهم المسمى بقاسم ، جد هذا الغلام أبو أمه ؛ ودبر الأمر باسمه شهوراً ليبتقي النعمة على ابن ابنته المؤثر ، إلى أن يدرك ؛ فأنف عنه ابن محمد من ذلك ، وواطأ في السر جماعة من أصحاب أخيه على الوثوب بقاسم هذا ، وإزالة أمر ابن ابنته ، والكون مكانه ، خوفاً على ما في أيديهم . فتهيأ له ذلك ، فيما بلغتني ، آخر هذه السنة . ووثب بقاسم ؛ فقيده وحبسه . وصرف الصبي ابن أخيه إلى حجر أمه ، ونكحها . فاستصلح إلى والدها المحبوس في يده ، وخلص عنه ، وأعادته إلى حاله مع أخيه شهره الأول . وقوم بالإمارة مقام أبيه ؛ فانتظمت له سريعاً . واستصلح إلى الملوك حولته ، وتسمى بنظام الدولة ؛ فارتفعت ولايته .

وقلت : هؤلاء الرؤساء أشهر ممن كان على إثر القراض الدولة الأموية من رؤساء الطوائف بالأندلس ، ما بين متناهي الخلافة ، مجاري كبار الملوك في اتساع الحطة ، وكثرة الجباية ، وتوفر الجش ، وانتشار الشهرة ، واحتفال المباني والآثار ، واستخدام الكتاب والشعراء ، ومحاور العلماء ، واختيار القضاة الفضلاء ، كبنّي عبّاد ، وبني هود ، وبني دنون ، وبني الأفطس ، وبني منذر ، وبني جهور ، من أخذان السداد والعافية ، ومن أمثالهم بني أبي عامر .

وكان على عهد هؤلاء جملة لم تبلغ هذا المدى في الشهرة ، ولا برزت في مئيدان الذكر . منهم : ابن أبي الججاج الشنيطي ، القائم بمدينة لاردة .

ومنهم : أبو الأصبع بن مزين ، وموسى أخوه ؛ وكان أبوهما قاضي شلب وحصون الغرب ، تسمى أحدهما بالمظفر ، وانفرد بالأمر دون أخيه ، إلى أن غلب عليه المعتضد سنة ٤٤٣ ؛ فكانت مدتهم تسعاً وثلاثين سنة .

ومنهم : أبو عيسى بن الجون ، صاحب قلعة عبّاد السلام من الثغر قرب وادي الحجارة .

ومنهم : سعيد بن أحمد بن زنتقل الجسائي ، المنتزعي بقلعة سقورة المنية من أطراف جيان .

ومنهم : عبد الحميد بن منشور الدائري . ومنهم : يحيى بن غرّان الدائري المنتزعي بصخرة ابن الشراف المسماة بقرايش ، على باب قرطبة . والدائري والدواير عبد أهل الأندلس هم الصغار الذين يثورون في الحصون ، فيقطعون الطرقات ولا يعطون طاعة .

ومنهم : ابن بطل ، صاحب حصن آشوط من مؤسسة كنوك الغرب .

ومنهم : المعروف ' باین أخي حصّاد ، صاحب القلعة المنسوبة إليه  
وسط كورة شدونة ؛ إلى عدد كثير شق علينا ذكرهم مع عدم  
الشهرة ، وضؤولة الشأن .

ومنهم : عبد العزيز البكري أبو مصعب ، صاحب شلطيّش ؛  
استمرت حاله في رفاعه من العيش لرضى أهل بلده به ، إلى أن تحرك إليه  
ابن عبّاد ؛ فرأى أبو مصعب أن ليس له قدرة على مدافعتيه ؛ فخرج عنها ،  
وانتقل إلى قرطبة بأهله ووَلَدَه .

ومنهم : أبو نصر بن يحيى ، المتسمى بالحاجب ، ولي بعد أخيه بنواحي  
لبلة وولبة وجبل العيون ؛ وكان رخي البال ، صالح الأحوال ، إلى  
أن أخرجه عنها ابن عبّاد . وكانت مدة بني يحيى خمسا وأربعين سنة .  
وقد مرّ ذكر ابن عبّاد وابن رشيّق . ونحن نذكر بعد هؤلاء من  
أمكن ذكره من موالى الملوك العامريين .

ذكر من تيسر

## من ملوك الموالى الامويين والعامريين

### أيام الفتى خيران العامري

نقول : انتهت الشهرة في هؤلاء الممالك العامريين إلى الأمير خيران  
بعد انقراض الدولة العامرية . وكان ممن تخطئه المتألف عند خلع هشام ،  
واستيلاء سليمان بن الحَكَم على قرطبة ، وقتل من قبض عليه منهم .  
وأنتجاه الفرار له عن الحضرة . وكان قد نال بباب هشام الرئاسة والقيادة  
على الصقلب ، والمشاركة في جماعة الفحول النابيين عن الدولة ؛ فخلص من  
الحضرة مقلتا ، بعد أن تضمر بها وخفي مكانه ؛ وقد اتصل به انتزاع

أصحابه بشرق الأندلس ؛ فذهب إليهم عن توديع . وأبت له هيئته  
الانقياد لأحد من رؤسائهم ، إذ كان ، منذ صباه وفي دار سلطانه ، أشبههم  
أبناء جنسه نفسا ، وأغلاهم همة . فاستقر مصحبا بمن أخرجه من  
طرف كورة ثدمير ، وكتب إلى جماعتهم من تحلة ، يخبرهم بمذهبيه في  
الزول بكانه بينهم وبين عدوهم من البرابرة ، سادّا لغرهم ، ويسألهم  
الإعانة على ذلك ، حتى يدودهم عن كورة ثدمير . ففعلوا . واستقر خيران  
بذروة أريولة ، وهي مثل في الحصانة والمنعة ؛ وأقبل إليه ثوابت الفتنه  
من الدابرة والصعاليكة ، أقدم بهم على الكثير ، وزاول جسام الأمور ؛  
فاعتلى قدحه ، واشتهر أمره إلى أن استولى على الجهة .

ووجه إليه صاحب قرطبة موسى بن مروان بن حدير ، وكان في  
الصرامة والجرأة آية . وكانت بينه وبين خيران وأصحابه وقعة أجلت  
عن أمر موسى بن حدير ، وقتل أصحابه ، ونصر خيران نصرًا عزيزًا  
اعتلى به . ثم تغلب على مرسية ؛ فكشف جمعه . ثم صرف وجهه إلى  
طلب المريّة معقل الأندلس ؛ وكان بها أفلح الصقلبي من هؤلاء  
رجل جلف شديد العتو والجهالة ، مفترط النخوة ، لا يحسن التفرد  
والاستقلال بنفسه ، قد ذهب به العجب كل مذهب ، ورأى لنفسه  
الفضل على سائر جنسه بالشيخوخة وقديم الملكة . فاستهان الناس ؛  
فتعبأ له خيران في جيشه من مرسية غرة المحرم سنة ٤٠٥ ؛ فنازله ،  
ودخل المدينة ، وتغلب على القصة ؛ فقتل أفلح ووَلَدَه ، وحاز ما  
وجد فيها من مال وعدة ؛ وهتف في رعيثها بالأمان ، واتخذ المدينة  
وطنًا نزله برجاله وماله ، واستخلف على ما انصرف عنه ، وعول على  
المريّة ؛ فأحسن ضبطها ، وحصن قصبتها ، وسد عورتها ، إلى أن  
صيرها في الحد الذي هي اليوم فيه ؛ فلا يرام التعلق بها . واتخذها  
قاعدة لسلطانه ، وحمل إليها أموال عمله ، وعدل في سيرته ، ورفق

برعيته ، واستوسع فيما يليها من الأعمال ، وضبطها مع عمله الأول بجيشه ورجاله . واستعان على تدبيره بوزيره الشهير الدَّهَّاء والرجاحة أبو جعفر أحمد ابن عباس بن أبي زكرياء ، إلى أن قال بصحبته فتوق ما قاله 'مجيل' قلم من صحبة ملك ، حسباً هو مشهور .

وجرت بين خيران وبين من 'يجاوره من أمراء صنهاجة بكورة النيرة حروب' ؛ فلم يقللوا من صرمة .

وله بالمرية الآثار الخالدة ، والحنات الشهيرة . فهو الذي أوصل إليها الماء ، وبنى الحمة العجيبة . وفي أيامه بلغت من العمارة والقوة وفشو الصنائع ما هو مشهور . وكان مذهبه في الجود قصداً ، لم يشتر بكرم ، ولا وسم بلوم . وكان أغلب خلال الخير عليه كهيته وشجاعته وحصافته ؛ اجتمع له إلى شجاعة النفس جودة الرأي وحسن التدبير ؛ فكان يجري أكثر عمله في محروبه على المكث والتدبير والمخادعة ؛ وهو رأي أولي المعرفة بها من ملوك الحزمة . وكان مذهبه مع جلالة شأنه الحفص من حاله ، والقصد في أسماؤه ؛ فما كان يتسنى في شيء مما يتنافس فيه أملاك زمانه من ملوك الفتن ، إلا ما كان من وصفه بالخليفة وبالفتى الكبير .

وإياه مدح شاعر الأندلس أبو عمرو أحمد بن كراج القسطلي صدر سنة ٤٠٧ ، يصف مخلصه في ركوبه البحر إليه ببنييه ؛ وهي :

[الطويل]

لك الخير قد أوفى بعهدك خيران وبشيمتك قد آواك عز وسلطان  
هو النجم لا يدعى إلى الصبح شاعداً هو النور لا يمتنع على الشمس برهان  
إليك سحناً فلنك تهوي كأنها وقد دعوت من مغرب الشمس غربان

١. أوردها ابن بناء في «الدخيرة» (ج ١) ص ٧٤ - ٧٥ .

على الجحجح الخطير إذا هبت الصبا  
مواثيل ترعى في ذراها مواثيل  
وفي طي أسال الغريب غرائب  
يودون في الأحشاء حر مصائب  
إذا غيض ماء البحر منها مددته  
وإن سكنت عنها الرياح جرى بها  
يقلن وموج البحر والهمل والدجى  
ألا هل إلى الدنيا معاد وهل لنا  
وهبنا رأينا معلّم الأرض هل لنا  
وصرف الردى من دون أدنى منازل  
تقسمن السيف والحيف واليلى  
كما اقتسمت أخذائهن يد النوى  
طعان ، عمران المعاهد متغير  
فإن غربت أرض المغارب موطني  
فكم رحبت أرض العراق بمقدمي  
فإن بلاداً أخرجتني تعطّل  
سلام على الإخوان تسليم آيس  
ولا عرفت خلأت دار خليله  
ويا رب يوم بان صدع سلامه  
تودعهم شوقاً شجوا كيش ما  
ويصدع ما ضمّ الدواع تفرق  
إذا شرق الحادي بهم غربت بنا

ترامى بنا فيها خير ونهلان  
كما عيّدت في الجاهلية أوثان  
سكن شغاف القلب شب وولدان  
تريد ظلاماً ليلاً وهي نيران  
بدمع عيون تكتريهن أشجان  
زفير إلى ذكر الأجنة حثان  
تسوج بنا فيها عيون وآذان  
سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان  
من الأرض مأوى أو من الإنس عرفان  
تباهى إلينا بالسرور وتردان  
وشطت بنا عنها عصور وأزمان  
فهم للردى والبر والبحر إخوان  
لهن وقعر الأرض منهن عمران  
وأنكرني فيها خليط وخلان  
وأجزلت البشرية علي خراسان  
وإن زماناً خان عهدي لخوان  
وسقياً لدهر كان لي فيه إخوان  
عفا رسمها منها عفا ونسيان  
بصدع النوى أفلاك فلي إذا كانوا  
أجابت خفيف السهم فوجاء مرغان  
كما انشعبت تحت العواصف أغصان  
نوى يومها يومان والحين أحيان

فلا مؤنس إلا شهيق وزفرة  
فيا عجباً للصبر منّا كأننا  
قضى عيشهم بعدي وعيشي بعدهم  
وجوه تناءت في البلاد قبورها  
وما بليت في التراب إلا تجددت  
ومنها :

هم استخلفوا الأحباب أمواج لجة  
أقول لهم صبراً لكم أو عليكم  
فلا قنط والعسر للشر غالب  
ولا بأس من روح وفي الله مطمع  
ستسون أهوال العذاب ومالكاً  
متى تلاحظوا قصر المريعة تنزلوا  
وتستبدلوا من موج بحر سجاكم  
تقلد سيف الله عتاً بحقه  
وحلّى بناجر العز مفروق مخبت  
وبالحير فتاح وبالحير عائد  
له الكرة الغراء عن كل شارد  
بكل كسي عامري يقوده  
حليهم بيض الصوارم والقنا  
ترآك حزب الغي فيهم فأقبلوا  
فأي صقور قلبت أي أعين  
عيونها كادوا العلى بعمائها

ومنها :

فلو نشر الأملاك يومك فيهم  
ولو رد في المنصور روح حيانه  
وناديت للهيجاء أبناء ملكه  
جبال إذا أرستها حومة الوعى  
يقودهم داع إلى الحق مجلب  
كتاب بل كتب بنصر كططرت  
هو السيف لا يرتاب أنك سيفه  
حيالك قد أحييت منّا شائلاً  
وناجاك أسراراً وناداك معلماً  
ألا هكذا فليحفظ العهد حافظ  
قليله ماذا أنجبت منك عامر  
ولله منّا أهل بيت رمتهم  
وكلهم يؤهى على الشمس في الضحى  
وقد راد أبناء السبيل وسيلة  
فما قصرت بي عن علاك شفاعه

واعتل تحيران بالمريعة أشهراً يقيم رسته للناس ابن عباس بن أبي  
زكرياء ، إلى أن توفي بها ليلة الجمعة ثلاث خلون من جمادى الأولى  
سنة ٤١٩ . وكانت مدة ولايته بها أربع عشرة سنة . وصار الأمر إلى  
زهير الفتى .

## أيام الفتى زهير العامري

ولما توفي خيران، اجتمع أحمد بن أبي زكرياء بأهل العقد والخل، وعرفهم بموت خيران، وبأنه قدّم أخاه زهيراً. قال: فرضي الناس. وكان زهير فاضلاً، شهماً، داهيةً، سديد المذهب، مؤثراً للأناة، عالي الهمة. وكان خيران قد استقدمه، وهو أمير بمرسية من قبيله، ورشحه لمكانه؛ فقام بالأمر أحمد قيام يوم الجمعة لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة ٤١٩. ودامت مدته عشرة أعوام ونصفاً.

وله بالمريّة آكار جميلة: هو الذي بنى المسجد الجامع بها، وزاد فيه الزيادات من جهاته الثلاث ما سوى القبلة. وكان يشاور الفقهاء، ويعمل بقولهم. وامتدت أطناب مملكته من المريّة إلى قرطبة ونواحيها، وإلى شاطبة وما يليها إلى بيّاسة إلى الفج من أوّل طليطلة.

ودبر أمر قرطبة منفرداً به أيام الفتن والاستغناء عن الخلافة؛ وسكن قصرها يوم الأحد لحس بقين من شعبان سنة ٤٢٥. ودام سلطانه عليها خمسة عشر شهراً ونصف شهر، إلى أن فسد ما بينه وبين باديس بن حبّوس من الحلف القديم؛ ورأسه معاتباً ومستدعياً تجديد المحالفة؛ فسارع زهير نحوه؛ قد ضيع الحزم، واغترّ بالعجب، ووثق بالكثرة، أشبه شيء بمجيء الأمير الضخّم إلى عامل من عماله، قد ترك رسم الالتقاء بالنظرأء، وأعرض عن ذلك كله. وأقبل؛ فتجاوز الحد بين العمليّين من غير إذن باديس؛ وصير الأوعار والمضايق خلفه. ولما وصل إلى غرناطة، خرج باديس في جمعه، وقد أنكر اقتحامه عليه، وعدّه حاصلاً في قبضته؛ وبدأه بالجيل والتكريم، وأوسع عليه وعلى رجاله في القري والقصيم، بما يمكن اغترارهم؛

ووقعت المناظرة بين زهير وباديس؛ فنشأ عارض الخلاف لأوّل وهلة، وحمل زهير أمره على التشطّط. فعزم باديس على لقائه؛ فتهبّأ، والخاص لا يشعر، وقطع في الطريق خلفه قنطرة لا يحيد له عنها، وغاداه عن تعبئة محكمة. فدهش زهير وأصحابه؛ لكنّه أحسن تدبير الثبات، وقام. فنصب الحرب وثبت في قلب العسكر؛ وقدّم خليفته هذيل بوجوه أصحابه الموالي العامريّة، وعرف صنهاجة أنهم الحماة والشوكة، ومتى خضدوا، لم يثبت من وراءهم؛ فاختلفوا بهم، واشتد القتال. فحكم الله لأقل الطائفتين من صنهاجة، ليبري قدرته. فانهمز زهير وأصحابه، وتقطّعوا؛ وعمل السيف فيهم؛ فمزقوا، وقُتِل زهير، وجُهِل مضرعه. وغنم رجال باديس من المال والخزائن والأسلحة والعدّة والحلية والعلمان والحيام ما لا يحاط بوصفه.

وكانت وفاة زهير يوم الجمعة عقب شوال من سنة ٤٢٩ بقرية الفت من خارج غرناطة. واتصل خبر هذه الواقعة بأهل المريّة؛ فضبطوا بلدهم، وأسندوا أمرهم إلى شيخهم أبي بكر الرميبي؛ فضبط المدينة إلى أن كاتبوا عبد العزيز بن أبي عامر المتقدم الذكر؛ فجاءها من بكنسية، حسباً ذكر في أسبه.

## أيام أبي الجيش مجاهد العامري

ومجاهد العامري هذا، صاحب دانية والجزائر الشرقيّة، ذو الأخبار الفخمة والوقائع الشهيرة.

قال أبو مروان: كان أبو الجيش مجاهد يباين سائر الملوك في زمانه بجلال من الفضل، من أسقها العلم والمعرفة، اللذان لم يكن في



الأحرار ولا في الموالي أثبتت قديماً منه فيها ، يكاد يوبي على متقلديها من أكابر العلماء في وقته ، لاسيما علم العربية ؛ فإنه تحقق به ، إلى ما يتصرف من علم القرآن قراءته ومعانيه وغريبه وتفسيره ، قد عني بطلب ذلك من صباه إلى اكتتاله ؛ فكان في النهاية من البصر به . وجع من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه . وأتت إليه العلماء من كل صقع ؛ فاجتمع بفناء جملة من مشيختهم ومشهور طبقاتهم ، كأبي عمرو المقرئ ، وابن عبد البر ، وابن معمر اللغوي ، وابن سيده ؛ فشاع العلم في حضرته حتى فشا في جواريه وغلمانها ؛ فكان له من المصنفين عدة يقومون على قراءة القرآن ، ويشاركون في فنون من العلم ، يميلون بها ويشرفون دولته . ومنها التقدم في الفروسيّة والحدق بمعانيها ؛ فلم يك في ملوك الزمان فارس يعدله سكتلاً ولباقة ورؤاء وهيبة ، وحسن عمل في السلاح ، وتقليباً له ، إلى حدق أبواب الثقافة والرماية ، وتدقيق لمعانيها .

وتسمى ، أول انتزائه بالجزائر ، بذي الوزارتين خطته التي رقاها إليها بعض ملوكهم . وكان شديد الوطأة على رعيته ؛ سام أهل الجزائر الحسنة ؛ فسقطا بوجوههم ورؤسائهم ، وألزم قلوبهم الرهب ، لما خافهم على دولته ، بغريب من التعبد والسياسة ، حتى لقد حظرت عليهم رماكهم السامية ، وكانت عمدة أموالهم ؛ فكتبها منعوتة ؛ فلا تكاد الرمكة تنج مهرأ حتى يكتب على ربه بنعته ويلزمه تربيته والقيام عليه إلى أن يصلح للرياسة ؛ فيقبض منه عند ذلك ، ويعطى منه خمسة دنانير ذراهم ، لا يزداد عليها في وقت ، ولا يبرأ منه إن تفق إلا ببراءة من ثبته . ولقد قطع أذن رجل لقطعه أذن مهر ، طلب التشوية بخلفه .

وأكثر التخليط في ذات أمره ؛ فطوراً ناسك مخيت ، متبرأ

من الباطل كله ، منقطع إلى الجدة وأهله ، لا يستريح إلا إلى جزء ، يقرأه ودقتر يطالعه ، أو عالم يذاكره ؛ وتارة لا يأنس بشيء من الجدة ، ولا يعرف غير البطالة واللهم . وكان مذهبه في الجود قصداً ، لم ينهيك فيه ، فيعزى إليه ، ولا كره عنه ، فيوصف بضده ؛ فأعطى وحرّم وجاد وبخل ، ووضع الأشياء مواضعها ؛ فكانت نجا من عهدة الذم . وكان مع أدبه وعلمه أزهة الأمراء في الشعر ، وأنكرهم على منشده ، لا يزال يتعقبه بنقده ، كاشفاً عن لفظه أو شبهة أو سرقة أو إحالة ؛ فأقصر الشعراء لذلك .

وغزاً - رحمه الله - إلى سرذانية جزيرة الرّوم ، وهي عظيمة ، مسيرتها ثمانية أيام ، وفيها ملوك أربعة من قبل صاحب الأرض الكبيرة ؛ اقتحمها في مائه وعشرين مركباً حمل فيها ألف فارس ؛ ففتح أرضاً جليلاً ، وضرب على بعض ملوكها جزية ، وتجاوز حده ؛ فاخبط مدينة واسعة شرع في بنائها ، وانتقل إليها بأهله وولده ، بعد أن غنم وسبى ما لا يأخذه الحضر ، إلى أن كسد في زمانه السبي ، وخست فيه الأثمان . وتداعى عليه ملوك الأرض الكبيرة واستجاشوا . وبلغه من أمرهم ما لا يطيقه ؛ فعزم على التحوّل إلى محلّه ، والقول إلى دار ملكه بدانية وميورة ؛ فأعجله العدو عن ذلك ، وقطع به . فكانت عليه وقعة شنيعة ، وظهر ما سيع بميله ؛ فقتل من أصحابه وجنوده عالم لا يحصى ، وملكوا أسطوله ، واستنقذوه ، واستولوا على حريمه ، وفيهن نساؤه وبناته وعلي ولدته وجود أمه النصرانية ، افتدي بعضهن سريعاً ؛ وتأخر البعض كولدته علي ؛ فإنه وقع في سهن صاحب الألمانين ، وهم أمّة من الفرنجة تلي الصقالبة ، يُسمّع أن دارعة مقاتلتهم ثمانون ألفاً . فاحتبس به للمباهاة ، وأعيّا على والده فداؤه ؛ وقد بذل فيه عشرة آلاف ، إلى أن خلاص بعد زمن طويل . ولم يخلص

من أسطوله أجمعه إلا خمسة مراكب وأربعة قوارب ؛ وكان شحنة الأسطول المفلول من سبني سرذانية يوم ظهور العدو عليه ثمانية آلاف فارس .

وكان مجاهد قد نصب بجبل ملكه خليفة دعا الناس إليه ؛ وهو الفقيه أبو عبد الله بن محمد بن الوليد المعيطي المدني ، أحد ممن أزعجته الفتن من رجال الأشراف بقرطبة . وكان في عدد الفقهاء المشاورين بها ؛ فنصبه خليفة ، وأخذ له على الناس البيعة في جميع عمله بدانية وميورة وغيرها ، وسماه المنتصر بالله ، وأثبت أسسه في سكتته وفي أعلامه ؛ وذلك في أول سنة ٤٠٥ ، وخلقه بدار ملكه . فلما عاد منكوباً من غزوته بسرذانية ، ألفاه قد استبد ، وداخل الناس ، وعمل على إبادته ؛ فبادر المعيطي عند وصوله إلى الساحل ، وهو ذاهل عنه ، وهجم عليه ، وأقامه عن تجلسه ، وقبض عليه وعلى من شايعه من أصحابه ، وتسلم منه سلطانه ، وعاتبه في سوء ما كفاه به ، وعدد عليه يده ؛ فاعترف له بهومه به ، وقال : « بكتني ما أخذتته بعدي من العبت بالناس ، والاستئثار بالقيء ، والمجاهرة بالمعاصي ؛ فلم يسعني انتظارك ، وأردت قبض يدك عن ظلم العباد ؛ وعلى ذلك بايعتني ، ولا هوادة لك عندي ! » أو كلاماً هذا معناه . فاحتمله ، وصيره في البحر إلى أرض العدو ؛ فأنزله ببجاية ؛ واستقر عند البرابرة بها معلماً لصبيانهم ، لا يرفع رأساً إلى الدنيا . وطاولته هنالك الحياة إلى أن هلك بعد مدة . وأصبح خبره للناس عبرة .

ولما هلك مجاهد الموفق ، قام بالأمر بعده ولده علي بن مجاهد المسمى بإقبال الدولة .

### أيام علي بن مجاهد إقبال الدولة

وكان مجاهد - رحمه الله - قد تم له افتكاك من أمير له من بناته ونسائه وأخوانه في مدة قريبة ، إلا والدته ، وكانت نصرانية ؛ فاختارت أهل ملتها ؛ وتبعها أخوها ؛ فأعرض عنها ، وأقام على ولده ؛ وكان يومئذ واحدة وسنه سبع سنين ، إلى أن تهيأ فكاكه سنة ٤٢٣ ؛ ووصل إلى جزيرة ميورة ، ثم إلى دانية ، وهو فتى كهل ، يتكلم بلسان الرثوم الذين ربي فيهم ، ويتزيياً بزيهم ، ويقول بقولهم . فعرض عليه والده الإسلام ؛ فقبله ، وحسن إسلامه ؛ وحثه ؛ فأصابه من ذلك مرض شديد . وبدت لمجاهد فيه مخايل الشجاعة ؛ فتوكل بإرهاقه وتأديبه ، وألحقه بمرتبة أخيه الأصغر المرشح لأمره ، وعول عليه دونه في قود جيشه ؛ ثم قلده الأمر من بعده ، صارفاً إياه عن ولده حسن فكان لهذا من الموجهة على أخيه ، ما ظهر أثره قبل انصرام حول . وقد داخل حسن ابن عبّاد في أمر الوثوب عليه ، وجه غلاماً من غلّسانه شجاعاً على سبيل الزيارة . ووقع اتفاقهم على الفتك بعلي عند خروجه من صلاة الجمعة ؛ فلما أمضى عزمه ، دهش ؛ فلم يجهز عليه ، وأصابته المديّة يده ؛ فقبض على يده ؛ وأراد الغلام العبادي أن يطعنه ؛ فنشب الرمح في الخائط لضيق المكان . وثاب لعلي بن مجاهد رجاله ؛ فقتل الغلام ، وفر حسن بن مجاهد راكضاً . واستبل الجريح بعد أيام ، واستقر نأماً أنه . وطالت أيامه . وصاهر أمراً وقتته على بنات له كن آية في الجمال .

وكان ناجح الشعب في أبواب الجباية والاكْتساب ؛ فلقد ذكروا أنه وجه إلى مضر مركباً ضخماً مملوئاً طعاماً عام المجاعة المضروب بها المتك

في البلاد عام ٤٤٦ ؛ فعاد إليه تملؤاً مالا وذخيرة . وجرى بينه وبين جاره وصهره ابن هود ما يطول شرحه ، حتى استولى على بلاد دانية . ثم حاصره بها إلى أن سأل أن يسلمه في نفسه وولده ، وينزل له عن القصر ، تاركاً لبيته بفرشه وزينته . فكان ذلك في سنة ٤٦٨ . ونقله إلى سرقسطة ، وأقطعته إقطاعاً يموّنه ويقيم أوّده . فكان آخر العهد به .

## أيام الاميرين مبارك ومظفر العامريين

### وخبّر خيرة الصيقل العامري

كان هاذان الفتيان قد ترقيا من وكالة الساقية ببلنسية إلى ملك الحضرة ، وإقامة رسوم السلطان بها لأنفسهما على أفخم الوجوه . وظهر من سياستهما وتعارفهما صحة الألفة طول حياتهما ما فاتا به في معنهما أشقاء الأخوة وعشاق الأحبة ، إذ نزلا معاً بقصر دار الإمارة ، مختلطين تجتمعهما مائدة واحدة من غير تمييز في شيء إلا الحرّم خاصة . وكان التقدم لمبارك في مخاطبة رسوم الإمارة ، لفضل صرامة ونكراء كانتا فيه ، قصر عنها مظفر بدماثة خلقه ، وانخطاطه لصاحبه في سائر أمره ، على تحليته بكتابة سادجة وفروسيّة . فبلغا الغاية من اقتناء الأسلحة ، والآلات الملوكيّة ، والحيل المغربات ، ونفيس الحلي والحلل ، وإسادة البناء للقصور . واشتمل هذا الرأي على جميع أصحابهما ومن تعلق بهما من وزراءهما وكُتّابهما . ولم يعرض لهما عارض انتفاق ، بتلك الآفاق ؛ فانغمسا في النعم على قمر رؤوسهما ، حتى انقضى أمرهما .

ومن الذي يدل على ما ذكر من اشتراكهما في السلطان الاشتراك الذي لا مزية فيه لأحدهما ولا انفراد دون صاحبه ، وهو من غرائب

ما اتفق لهما ، فتولّى أبي عمرو بن دراج ، يمدحهما : [الطويل]

أنورك أم أوقدت بالليل ناركا لباغ قراك أم لباغ جواركا  
وربك أم عرف المجامر أشعلت بعود الكباء والألوة ناركا  
ومبسك الوضاح أم ضوء بارق حداة دعاءي أن يجود دياركا  
وطرّة صبح أم جبينك سافراً أعرت الصباح نوره أم أعاركا  
وأنت أجرت الليل ، إذ هزم الضحى كئابه ، والصبح لما استجاركا  
فللصبح فيما بين قرطيك مطلع وقد سكن الليل البهيم خماركا  
فيا لنهار لا يغيظ ظلامه ويا لظلام لا يغيظ نهاركا  
ونجم الثريا أم لآلٍ تقسمت بينك إذ ضمتها أم يساركا  
بسلطان حسن في بديع محاسن يصيد القلوب النافرات نفاركا  
وجند غرام في ضلوع صباية تفلدن أقدار الهوى واقتداركا  
هو الملك لا بلبس أدرك شأوها مداك ولا الزباء شقت غباركا  
وقادمة الجوزاء راعيت موهناً بحر هواك أم توسست داركا  
وطيفك أسرى فاستثار تشوّقي إلى العهد أم شوّقي إليك استناركا  
ومرند أنفاسي إليك استطارها أم الروح لما ردّ في استطاركا  
إذا الحظّ من علم الكتاب حداك لي أم الفلك الدوار يحمي اذكراكا  
وكيف كتمت الليل وجهك مظلماً أشعرك أغشيت السنى أم شعاركا  
وكيف عفت البيد لا في طعائ ولا شجر الخطي حفّ شجاركا  
ولا أذن الحيّ الجميع برحلة أراح لها راعي المخاض عشاركا  
ولا أزحت خوص المهارى مجيبة صهيل جياذ يكتنفن قطاركا  
ولا أذكت الركبان عنك عيونها حذار عيون لا ينمن حذاركا  
وكيف رضيت الليل ملبس طارق وما ذرّ قرن الشمس إلا استناركا

وكم دون رحلي من بروج مشيدة تحرم من قرب المزار مزاركا  
وقد زارت حولي أسود نهامت لها الأسد أن كفي عن السمع زاركا  
وأرضي سول من خيول مظفر وليل نجوم من سيوف مباركا  
بجيت وجدت الأمن ينف بالمنا هلمني إلى غيثين جادا سراركا  
هلمني إلى سيفين والحد واحد يجيران من صرف الحوادث جاركا  
هلمني إلى طرفي رهان تقدما إلى الأمد الجالي عليك اختياركا  
هلمني إلى قطبي نجوم كتائب تنادي نجوم التعس غوري مفاركا  
وحي على دوحين مد ناهما ظلالك واستدي إليك ثماركا  
وبشراك قد فازت قداحك بالمنا وأعطيت من هذا الأنام خياركا  
شريكان في صدق المنا وكلاهما إذا بارزا الأقران غير مشاركا  
هما سبعا دعواك يا دعوة الهدى وقد أوتق الدهر الخؤون اساركا  
وسلا سيوفاً لم تزل تلتطي أذى فتارك حتى أدراك فتارك  
ومنها بعد مدح كثير :

ولست بيدع حين قلت هلمني أقلني لإعتاب الزمان انتظاركا  
فلله صدق العزم آية غرة إذا لم تطيعي في لعل اغتراركا  
ويا تخلّة التسويف قومي فأغدني قناعك من دوني وشدي إزاركا  
فقد آن إعطاء النوى صفقة الهوى وقولك للأيام جوري مجاركا  
ويا ستر البيض النواعم اعلمي إلى العملات والرجال بداركا  
ودونك أفلاذ الفؤاد فشيري ودونك يا عين اللبيب اعتباركا  
صرفت الكرى عنها بمغتب السرى وقلت أديري والنجوم عقاركا  
فإن وجبت للمغربين وجوبها فداوي برقاق الشراب خماركا  
وإن خلع الليل الأصائل فاخلعي إلى الملكين الأكرمين عذاركا

بلنسية مثنى الأمان فاطلي كنوزك في أعطانها واذناركا  
سيفيك زجري عن بلائ نسيته إذا أصبحت تلك القصور قصاركا  
وأظفر سعي بالرضى من مظفر وبورك لي في حسن رأي مباركا  
وحمداً يميني قد تمألت بالمنا وشكراً يساري قد حويت يساركا  
وقل لساء المزن إن شئت اقلعي ويا أرضها إن شئت غيضي مجاركا  
ولا توحشي يا دولة البأس والتدى مساءك من نوربها وابكاركا

واختص بهذين الرئيسين من كتاب الحضرة ، الذين ضاقت عنهم  
بسبب الفتن ، طائفة من الفضلاء البلغاء ، لو كيد الذمام المستحكم  
في دولتهم ، كآبن التاكروني وابن مهلب وابن طالتوت : رتبهم في  
دولتهم مرتبة مشيخة الوزراء بقرطبة ؛ فكانا يرجعان إليهم في الرأي  
والمشورة والتدبير . ومضت أمورها ومن معها خارجة عن طاعة  
صاحب قرطبة وغيره ، رادة لدعوته . وآثروا ما آثره الناس من  
التفرّد بقطعتهم ، وجروا مجرى من حولهم من ملوك الأطراف في  
استكفاف أمراء الفتن إلى آخر أيامها .

قال المؤرخ : وكان موت مبارك منها بانه ركب يوماً من قصر  
بلنسية ، وقد تعرض له أهلها مستغيثين من مال افترضة ؛ فقال :  
« اللهم ! إن كنت لأريد إنفاقه فيما يعم المسلمين نفعه ، فلا تؤخر عقوبي  
يومي هذا ! » وركب إثر ذلك ؛ فلما أتى القنطرة ، وكانت من  
خشب ، خرجت رجل فركسه من حداثها فرمى به أسفلها ، واعترضته  
خشبة ثانية شذخت وجهه ، وسقط الفرس عليه ؛ ففاضت نفسه ، وكفاهم  
الله أمره . وثارت العامة بهم ؛ فانتهبوا القصر ، وقتل مظفر .  
وانقضت أيامها .

وأما غيره الصيقل ، فتأمر بشاطية ، وهي المعقل المنيع ؛ فدبر

'مبارك' الخيفة عليه ، كما ينفرد بإمارة الجماعة دونه . وكان خيرة' السخاء أغلب الخلال عليه ؛ فأحبته الرجال وأملوه ؛ واستقر عند انقراض الدولة العامرية بشاطبة ؛ فامتنع بها ، ودبر أمره . واتفق أن اجتاز بيننسية بمبارك أحد المذكورين ؛ فتلقاه مبارك ، وبالغ في إكرامه . ودعا إلى طعامه ؛ فأجابه مطمئناً ، وأكل عنده ؛ فذكروا أنه درس له سراً في بعض ما أكله ؛ فانصرف إلى شاطبة قد أنكر نفسه ، واستعز به وجهه ، وهلك إلى أيام قليلة .

وتفرّد نائبه عبد العزيز بن أفلح السلطاني بضبط القلعة وتديبر أمر من فيها من الجنود . وكان له المخطاط إلى مبارك ؛ فلم يهجه ، وقع منه بذلك ، وخلاه على حاله ، إلى أن تصير أمرها بعد ذلك إلى يد مجاهد العامري . واشتد سلطان مبارك بتلك الجهة ، واستظم الرجال . ولأذ به لبيب الصقلبي العامري ، صاحب طرطوشة ، وقد طمع فيه منذر بن يحيى ، وواصل استخراجه ؛ فخرج إليه بنفسه في نحو خمسمائة فارس من نقابة الجندين ؛ فظهروا على منذر وهزموه هزيمة شنيعة ؛ وقتل ابن عمه وصفيّه محارب بن عيسى التجيبي . وانصرف مبارك على إثر ذلك إلى بلنسية ، وقد استفضل أمره ، وملك جماعة الموالي ، ودنوا له ، إلى أن كان من هلاكه ما ذكر .

وهؤلاء نهباء مقتسمي الملك من بعد الجماعة بالأندلس ، وكبار الممالك العامرية . ونحن نذكر بعدهم من أمكن من مشاهير الرؤساء من الطائفة المغربيّة المسماة عند مؤرخي الأندلس بالطائفة البربريّة .

### ذكر المشاهير من رؤساء الطائفة البربرية

وقد تقدم ما كان من اختصاص كل واحد من رؤساء القبائل الغربيّة

بالأندلس بوطن من أوطانها عند مظاهرة سليمان بن الحكم وتعلّثهم على الجماعة . ونحن الآن نذكر منهم كلاً على انفراد ، ونبدأ بكبيرهم زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي .

### دولة بني زيري بن مناد الصنهاجي

قد تقدمت الإشارة إلى ما كان من قدوم زاوي بن زيري بن مناد على باب بني أمية ، وما كان من حرص الحكم بن عبد الرحمن على لحاق أصناف المغاربة وفتح باب القبول عليهم في ذلك ، وما كان من اعتدال ابن أبي عامر في هذا الغرض وعمّله بالاحتياط فيه ، وتخلّي ابنه المظفر عبد الملك بعده فيه ، لأمر فرغ عنه مسبب الأسباب سبحانه . فكان ممن ورد على الأندلس على عبد الملك بن المنصور من رؤساء الصنهاجة وأبناء ملوكها بالتخوم الإفريقية والحدود القبليّة زاوي بن زيري وقومه ، جالياً أمام صولة باديس بن المنصور ببلقين بن زيري ، لأسباب تذكر عند ذكر ملوك صنهاجة إن شاء الله .

وخبر تلقّيه وقدمه وإيجاب حقه شهر . فلما انشقت العصا بانقراض الدولة العامرية ، ونالت البرابرة والقبائل المغربيّة بدولة ابن عبد الجبار الإخافة والحلّ للنقرة الطبيعية بين الأندلسيين والمغاربة ، اضطروا إلى الانجماع والانحياز والذيادة عن أنفسهم ، والتفؤا على سليمان بن الحكم ، وزحفوا به إلى قرطبة ، وكشفوا الوجوه في مناصبة جميع أهل الأندلس ، وهم منهم بمنزلة نصف المعشار أو أقل ، شأن المعول على الموت ، الباني على تفويت الحياة . ولم تزل الوحشة تعظم ، والنقرة تغلظ ، والعداوة تتأكد ، حتى لم تبق بقية ترجى ، ولا مهادنة تبغى . وخربوا الأندلس تحريباً لم يقتصر على المال دون البلاد دون الأنفس ؛ فتركوها كأنما

أُطْلِقَتْ بِمِغَانِيهَا النَّارُ ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ صَاحِبُهُمْ بِمَقَرِّ الْحِلَافَةِ ، وَفِي أَيْدِيهِمْ زِمَامُهُ ، وَلَحُكْمُهُمْ يَرْجِعُ نَقْضُهُ وَإِبْرَامُهُ ، طَلَبُوهُ بِالْبِلَادِ الَّتِي يَحْرُزُونَ بِهَا أَوْلَادَهُمْ وَحَرَمَاتِهِمْ ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى فَوَائِدِهَا فِي حَاجَاتِ أَقْوَانِهِمْ ، إِذْ لَا يَأْمَنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ تَالُوَ الْبَلَدَيْنِ فِي زَمَنٍ مِنَ الْأَزْمَانِ . فَكَانَ زَاوِي ابْنُ زِيرِي مَنَ اسْتَأْثَرَ بِكُورَةِ الْبَيْرَةِ وَجِيَّانَ .

### أَيَّامُ زَاوِي بْنِ زِيرِي بْنِ مَنَادِ الصَّنَهَاجِيِّ

يُكْنَى أَبُو مُثَنَّى . وَكَانَ لَيْثَ الْحُرُوبِ ، وَفَلَ الْوَقَائِعِ ، وَرَجَلَ الْقَبِيلِ قَاطِبَةً دَهَاءً وَحَزَمًا وَصَافَةً وَنَكْرَاءً وَصَبْرًا وَإِقْدَامًا وَرَأْيًا . وَكَانَ لَهُ فِي حُرُوبِ أَبِي يَزِيدَ مَخْلَدُ بْنُ كَيْدَادِ الْحَارِجِ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ بِإِفْرِيقِيَّةٍ غَنَاءٌ كَبِيرٌ ، إِذْ كَانَتْ قِبَائِلُ صَنْهَاجَةٍ مُتَقَلِّدَةً آرَاءَ الشَّيْعَةِ ، مُخَالِفَةً لِقِبَائِلِ زَنَاتَةَ فِي انْحِيَاظِهِمْ إِلَى الطَّائِفَةِ الْأُمَوِيَّةِ لِتَحْقِيقِ جُلْ مَلُوكِهِمْ يَوْمئِذٍ مِنْ آلِ خَزَرٍ بَوْلَاءَ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - . وَكَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ الصَّنَهَاجَةِ وَقِبَائِلِ زَنَاتَةَ مُتَّصِلَةً بَيْنَ غِلَالٍ وَسَجَالٍ ، إِلَى أَنْ انْتَقَلَ مُلْكُ الشَّيْعَةِ إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَأُسْنَدَ الْمُعِزُّ مِنْهُمْ أَمْرَ الْمَغْرِبِ إِلَى بُلُثْقَيْنَ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ زِيرِي بْنِ مَنَادِ الصَّنَهَاجِيِّ ، إِذْ لَمْ يَرْجِعْهُ فِيهِ غَيْرُهُ عِنْدَهُ ؛ وَوَصَّاهُ بِمَا يَقَعُ فِي أُمُورِهِ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ أَلَّا يَرْفَعَ السِّيفَ عَنْ قِبَائِلِ الْبَرْبَرِ ، وَلَا الْمَغْرَمَ عَنْ الرِّعْيَةِ ، وَأَنْ لَا يُولِّيَ الْأَمْرَ أَحَدًا مِنْ بَنِي عَمِّهِ ، إِذْ يَرَوْنَ أَنَّهُ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ ؛ فَامْتَلَأَ بُلُثْقَيْنُ أَمْرَهُ ، وَوَضَى بِهِ وَلَدَهُ . فَلَمَّا قَصُرَ الْأَمْرُ إِلَى بَادِيَسَ بْنِ الْمَنْصُورِ بْنِ بُلُثْقَيْنِ الْمَذْكُورِ ، ضَايَقَهُ أَعْنَامُهُ وَأَعْنَامُ أَبِيهِ ؛ فَلَمْ يُعْطِهِمْ مِنْ نَفْسِهِ الضَّيْقَةَ . وَوَقَعَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ قَتَلَ فِيهَا عَمُّ أَبِيهِ مَآكِسَنَ بْنَ زِيرِي بْنِ مَنَادٍ . فَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ لِاتِّصَابِهِمْ بَيْنَ عُدُوِّ زَنَاتَةَ وَسُلْطَانِ قَوْمِهِمْ .

فَجَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ زَاوِي ، وَجَازَ صُحْبَتَهُ إِلَيْهَا ابْنَتَا أَخِيهِ مَآكِسَنَ : حُبَاسَةَ وَحَبُّوسَ . وَتَلَقَّاهُمُ الْمَنْصُورُ بِكُلِّ بَيْرٍ ، وَتَرْحِيبٍ وَفِرٍّ جَزِيلٍ . وَكَانَ ذَرْعُهُ يَتَّسِعُ لَهُمْ فِي جَمِيعِ مَا يَتَبَسَّطُونَ عَلَيْهِ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْحَقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَكُونُوا بِلَادَهُمْ يَعْرِفُونَهَا ؛ فَكَانُوا بِذَلِكَ تَحْتَ مَوْجِدَةٍ وَأَحْقَادٍ كَامِنَةٍ عَلَى الدَّوْلَةِ وَأَهْلِهَا . فَلَمَّا انْشَقَّتِ الْعَصَا ، ذَهَبُوا مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَى غَيْرِهَا . وَكَانَ مَا تَقَدَّمَ بِهِ الْإِلْمَاعُ مِنْ إِيقَاعِ زَاوِي بْنِ زِيرِي بِجَيْشِ الْخَلِيفَةِ الْمُرتَضَى بِظَاهِرِ بَلَدِهِ غَرْنَاطَةَ ، وَاسْتِيلَانِهِ عَلَى مَحَلَّاتِهِ ، وَعَزْمِهِ عَلَى الْانْصِرَافِ إِلَى بَلَدِهِ . وَكَانَ وَقُوعُ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيَسَ ، بَعْدَ إِذْنٍ مِنْهُ لَزَاوِي ؛ وَقَدَّمَ بَلَدَهُ عَلَى رَغْبِي وَبِيرٍ فِي قَوْمِهِ إِلَى أَنْ هَلَكَ هُنَاكَ . فَكَانَ خُرُوجُ زَاوِي مِنَ الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٤٢٠ .

وَتَمَسَّكَ بِمَجْلُ سُلْطَانِهِ مِنْ كُورَةِ الْبَيْرَةِ ابْنُ أَخِيهِ حَبُّوسُ بْنُ مَآكِسَنَ ، يَسْعَى مِنْ كَبِيرِ قَطْرِ الْبَيْرَةِ وَفَقِيهِهِ ، ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ ، إِذْ قَصِدَ بَعْدَ تَوَدُّعِ زَاوِي بْنِ زِيرِي بَرْمَسَى الْمُتَنَكِّبِ إِلَى حِصْنِ آثَرٍ . وَقَدْ كَانَ حُبَاسَةُ أَخُوهُ قَتَلَ فِي الْفِتْنَةِ بِقَرْطَبَةِ .

### دَوْلَةُ حَبُّوسَ بْنِ مَآكِسَنَ بْنِ زِيرِي بْنِ مَنَادٍ

وَلَمَّا ثَبَتَ قَدَمُ حَبُّوسَ بْنِ مَآكِسَنَ بِغَرْنَاطَةَ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ٤١٤ ، اسْتَظْهَرَ عَلَيْهَا بِجَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَجَمَّةً وَافِرَةً مِنْ قَبِيلِهِ ؛ فَبَنَى مُلْكًا شَامِخًا ، وَغَلَبَ نَظَرَاهُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى كُورَتَيْ جِيَّانَ وَقَبْرَةَ وَمَا دُونَ ذَلِكَ ، وَحَسَى رَعِيَّتَهُ مِنْ سَائِرِ الْمُتَسَرِّينَ بِحُوزِهِ . وَاتَّصَلَتْ أَيَّامُهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ٤٢٩ . وَوَلَّى بَعْدَهُ الْأَمْرَ ابْنُهُ بَادِيَسَ .

## دولة باديس بن حبوس بغرناطة وما إليها

وكان تَصِيرُ الملك إلى باديس بن حبوس بنسليم له من أخيه بلقين ابن حبوس شقيقه . ولقب باديس : أبو مناد . وتسمى المظفر بالله ، الناصر لدين الله . وتناهى أمره في الجلالة ؛ وأدعنت له الأعداء ، وانضافت إلى إبالته البلاد ، إلى أن ملك كورة ربه وقنسرين . وعظمت جبايته ، وضخم أمره ، وتعددت جيوشه . وأُتيح له الظهور على زهير الفتى أمير الميرية ، حسباً مر في ذكر زهير ؛ فحصل من ذلك ما لا كفاة له .

ومن كلام ابن حيّان قوله : وأما أرفع أملاك البرابرة في هذا الوقت شأنًا ، وأسندهم سلطانًا ، وأكثرهم رجالًا ، وأوسعهم أعمالًا ، فباديس بن حبوس من سلطان صنهاجة ومستخدم الكثير من قبائل زناتة ، المتمدن سلطانة اليوم على ما بين أطراف كورتي بسطة وجيان ، إلى بابي مالقة وإسنيجة ، وما تحت ذلك من إقليم قرطبة ؛ أملى النصر العزيز على الأعداء إملاء واختيارًا ؛ فلبسه بغياً واستكبارًا ؛ وأساء الانتقام ، ولم يقل العثرة ؛ وأخذ بالظنة ، وأسرف في العقوبة ، وسدّ بدأ بالعصية ، وتقلد الحمية الجاهلية ، واستأثر بالقسوة والجبرية ؛ فأسلف في ذلك كله أخباراً مأثورة .

واستولى على دولة باديس كاتبه الإسرائيلي ابن نغزالة ، ثم ولده يوسف بعده ؛ فكانت بيده أمواله ، وبعين لحظه أحواله ، وجرأى ومستمع منه أفعاله الحقة وأقواله . وكان قد نشأ لباديس ولده المسى بلقين ؛ فرسحه لولاية عنده ، ولقبه سيف الدولة ؛ وكان منحرفاً عن اليهودي المذكور ، منكراً استيلاءه على الملك ، وتنويهه باليهود من قومه ، وانطلاق يده على المسلمين . ولا يزال يبعث فيه إلى أبيه بما تنهيه

إلى اليهودي وثبادر به إليه عُيُونُهُ في القصر وجواسيسه ؛ فأعمل الحيلة على بلقين باستدعائه إلى تجلس شراب احتفله له ، وسقاه كأس سُمّ قضى منه نجه .

ولما بحث باديس عن أمره ، صرف الإسرائيلي النهمة إلى طائفة من فتيان ولده وجواريه وقرايته ، عاث فيهم باديس قتلاً وإبادة ؛ ففرّوا عنه ، وفستدت له قلوبهم ، وخبت ضائرهم . وعظم استيلاء اليهودي وزير باديس ، إلى أن طرق جاهه الاعتلال ، وأسرع إلى حاله الاختلال ، وكثرت فيه الأقوال . ورعى بمداخلة ابن صدادح صاحب المريعة في تصيير ملك باديس إليه .

وحفظت القصيدة المنسوبة إلى المولى العابد أبي إسحاق الإلبيري - رضي الله عنه - التي يقول فيها مخاطباً باديس ، ومُحَرِّضاً على اليهودي : [ المتقارب ]

ألا قل لصنهاجة أجمعين      بدور الزمان وأسند العرين  
مقالة ذي مقة مشفق      يعدد النصيحة زلفى ودين  
لقد زل سيدكم زلة      تقر بها أعين الشامتين  
تخير كاتبه كافراً      ولو شاء كان من المؤمنين  
فغزى اليهود به وانتخوا      وناهوا وكانوا من الأرذلين  
ونالوا مناهم وجازوا المدى      وقد جاز ذاك وما يشعرون  
فكم مسلم راهب راغب      لأرذل فرد من المشركين  
وما كان ذلك من سعيهم      ولكن منّا يقوم المعين  
فهلأ أقتدى فيهم بالأولى      من القادة الحيرة المثقين  
وأزلمهم حيث يستاهلون      وردّهم أسفل السافلين  
وطافوا لكدنا بأفواجهم      عليهم صغار وذلل وهون

ولم يستخفوا بأعلامنا ولم يستطيعوا على الصالحين  
أباديس أنت امرؤ حاذق تُصيبُ بظنك مرمى اليقين  
فكيف تحبُّ فراخ الزنا وقد بغضوك إلى العالمين  
وكيف استنمت إلى فاسقٍ وقارنته وهو بئس القرين  
وقد أنزل الله في وحيه يحذّر من صحبة الفاسقين  
فلا تتخذ منهمُ خادماً وذُرهم إلى لعنة اللاعنين  
فقد ضجّت الأرض من فسقهم وكادت تميد بنا أجمعين  
وكيف انفردت بتقريبهم وهم في البلاد من المُتبعدين  
على أنك الملكُ المرتضى سليلُ الملوك من الماجدين  
وأن لك السبق بين الروى كما أنت من جلّة السابقين  
وإني احتلتُ بغرناطة فكنتُ أراهم بها عابثين  
وقد قسوها وأعمالها فمنهم بكلِّ مكانٍ لعين  
وهم يقبضون جباياتها وهم يخلصون وهم يقبضون  
وهم يلبسون وبيع الكسا وأنتم لأوضاعها لابسون  
وهم أمناكم على سرّكم وكيف يكون أميناً خؤون  
ويأكل غيرهمُ درهماً فيقصي ويدنون إذ يأكلون  
وقد ناهضوكم إلى ربكم فما يُمتنعون وما يُنكرون  
وقد لابسوكم بأسنارهم فما تسمعون ولا تبصرون  
وهم يذبحون بأسواقنا وأنتم لإطريفيهم آكلون  
ورخم قردهمُ داره وأجرى إليها غير العيون  
وصارت حوائجنا عنده ونحن على بابه قائمون  
ويضحك منا ومن ديننا فلما إلى ربنا راجعون

ولو قلتُ في ماله أنه كالك كنتُ من الصادقين  
فبادرُ إلى ذبحه قربةً وضحَّ به فهو كبشٌ سمين  
ولا ترفع الضغط عن رهطه فقد كنزوا كلَّ علق ثمين  
وفرقَّ عُرَّاهم وخدَّ مالهم فأنتم أحقُّ بما يجمعون  
ولا تحسبن قتلهم غدره بل العدر في تركهم يعثون  
فقد نكثوا عهدنا عندهم فكيف تلام على الناكثين  
وكيف تكون لنا همّةً ونحن خمولٌ وهم ظاهرون  
ونحن الأذلة من بينهم كأننا أسانا وهم يحسنون  
فلا ترضَ فينا بأفعالهم فأنت رهين بما يفعلون  
وراقبْ إلهك في حزبه فحزبُ الإله هم المُفلحون

فثار بهم صنهاجة؛ وقد تيقنوا إغراضه عنه وعمله على نكته؛  
وزحفوا على داره . وقد تبعنهم العامة؛ فاقتحموها ، وانتهبوها . وأخفى  
اليهودي نفسه في بيتٍ ملثانٍ فحماً ، وسودَّ به وجهه وتكرَّر ؛  
فأخرجوه ، وقتلوه ، وصلبوه على باب المدينة . وقُتل في هذا اليوم آلاف  
من اليهود ؛ وذلك في سنة ٤٦٩ ؛ وقيل سنة ٤٦٥ .  
وولي بعده حفيده عبد الله ، ابن ابنه بلقين الذي اتهم اليهودي  
بقتله بالسُّم .

#### دولة عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس

ولما توفي باديس بن حبوس ، اتفق خدام دولته وأشياخ قبيله على  
تقديم عبد الله بن بلقين ؛ فأخذوا له البيعة على الناس ، ولتَّبوه المُطَفَّرَ  
بالله ، الناصرَ لدين الله ، وعدلوا إليه عن عمه ولد باديس ، الكائن بولاية



من أبيه بمسيرة جيتان ، وذلك لما رأى به من سوء سجيته وانهاكه واجترأته على سفك الدماء .

وكان عبد الله هذا منذ ولادته الأمر صبيّاً صغيراً ، لم يقارب الحلم ؛ فهو لذاك ممن يشتمل عليه شمر طُ كتابينا ممن يبيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام . وغرناطة إذ ذاك حافلة بالأعلام ، وصدور الإسلام ، وحملة السيوف والأفلام . وانفرد بتربية عبد الله وتدريب ملئكه الوزير سِماجة الصنهاجي ؛ فاستقلّ سياسته . وكان باديس قد جعل أخا عبد الله تميم بن بلقين بالقة ؛ فجرت أمورها على سبيل من السداد وحسن السيرة . وطمع ابن عبّاد فيما بأيديهم حين بلغه مهلك باديس ؛ فحشد واستكثر ، ووصل إلى غرناطة ، وابتنى على سثة فراسخ منها حصناً لتجميد رابطته فيه ، مضيقاً على من بالحضرة ؛ فلم يجلّ بطالع لاضطلاع سِماجة بالأمور وضّته لأطراف الملك . وكان سِماجة حازماً ، شديدة السطوة ، مرهوب العقاب ، جواداً ، شجاعاً ، فاضلاً ؛ ذكرّ عنه العرناطيون أنه اشتدّ في منع اتخاذ الخمر ، وجعل بإزاء ذلك القتل غرامة لم يجلّ عقدها ولا نسخ حكمها ؛ فبينما طائفة من أبناء الأعيان وصدور الطلبة أولي الوجوه الحسان على راحة لهم بحجة المصلّى القديم خارج القصبّة ، إذ أظلمهم سِماجة فجأة ؛ فسقط في أيديهم ، وأيقنوا بالهلكة ؛ فابتدره قبل الوصول إليهم فتسّى منهم ؛ فأنشده :

بَيْنَمَا نَحْنُ بِالْمُصَلَّى نَسْقَى وَجَنَاحَ الْعَشِيِّ فِيهِ جَنُوحُ  
إِذْ أَنَا سِماجَةَ يَتَلَّأَلَا رُدَّ فِي الشَّرْقِ مِنْ تَجَلِّيهِ نُوحُ  
فَطَفِقْنَا نَقُولُ بَعْضُ لِبَعْضٍ أَغْبُوقُ شَرَابِنَا أَمْ صَبُوحُ

قال : فنجعل سِماجة ، وأنس الصبي ، ووعدته بالإحسان ، وانصرف من طريقه ، إغضاءً وتغافلًا . ولم يزل سِماجة يدبّر أمر عبد الله والسعود

تساعده ، والأمر ينوء به ساعده ، إلى أن بلغ عبد الله ، وأراد الاستبداد بحاله ؛ وضاقت سِماجة ؛ فرحل عنه إلى كنف جاريهم صاحب المريّة ، وقد مهد لنفسه عنده فاستقرّ لديه بحال ثروة وغناء . وأقام عنده إلى آخر عمره .

وكان عبد الله بن بلقين جباناً ، معتمد السيف ، متكسلاً عن الحيل ، زاهداً في النساء ، موصوفاً بالضعف ؛ لكنّه يكتب ويشعر ويتحدث فيما تحدث فيه الطلبة . وقت على ديوان بخطه ألفه بعد خلعهم بمدينة آغمات ، وقرّر فيه أحواله والحادثة عليه بما يستظرف من مثله : أتُحَفِّي به خطيب المسجد بأغمات - رحمه الله .

ولما اجتاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس من بعد الوقعة بملك النصارى يوم الزلاقة ، شارِعاً في خلع رؤساء الأندلس ، وبادياً منهم بعبد الله حفيد باديس ، وقد حرّكه إليه إغراء طائفة من خدامه لحقت به ، واتصلت به عنه الاستعداد واتخاذ البلاد وتجديد الأسوار ومراسلة صاحب قشتالة ( ونجس عليه تجنّي الذنب على المعزى ، حسباً يتمثل به الناس ) ، إذ قال لها متسبباً لأكلها : « سَمَرِي ذَنْبَكَ ؛ فَإِنَّكَ تُحَرِّكِي عَلَيَّ بِهِ ! » فقالت : « وَأَيُّ ذَنْبٍ لِي يَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ » فقال لها : « أَوْ تَكْذِبِيَنِي يَا فَعَّالَةَ ! » ووثب عليها ، فأكلها ؛ فوجه الجيش إلى منازلته ثم وقصده بنفسه ، وتبادر إليه الرعايا معلّنين بطاعته .

ولما رأى اختلال حاله ، ونكول أهل بلده عن الدفاع عنه ، استشار صنائعه ؛ فأشاروا له بالخروج إلى الأمير يوسف ، والإلقاء باليد إليه ؛ فكان ذلك ؛ فتلقاه هو وأمه على فرسَحين من المدينة ؛ فترجل عبد الله ، وسأله العفو ؛ فعفا عنه ، وأمره بالركوب ، فركب ، والتفت به الحيل ؛ فأنزل في مضرب عَيْنَ له . وأمر بثقاف القصر ، وخاطب أهل البلد بما أرضاهم من ضمان العدل والرفق وإفاضة الخير والذب عن الحوزة . وكان

خَلَعَ عبد الله بن بُلَيْقَيْن حَفِيدِ بَادِيسَ يَوْمَ الْأَحَدِ عَشْرَةَ لَيْلَةَ خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ ٤٨٣ .

### أَيَّامُ تَمِيمِ بْنِ بَلْقَيْنِ بْنِ بَادِيسَ بْنِ حَبُوسَ

وكان باديس قد جعل تَمِيمًا هذا بِمَالَقَةٍ مِنْ عَمَلِهِ لِنَظَرِ رَجُلٍ مِنْ شِيُوخِ صِنْهَاجَةٍ لَصِغْرِهِ ، إِلَى أَنْ بَلَغَ ، وَاسْتَبَدَّ ، وَتَسَمَّى بِالْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ . وَكَانَ سَهْمًا ، شَدِيدَ الْجَرَأَةِ ، بَعِيدَ الْاِعْتِدَالِ ، سَيِّئَ الْمَلَكَةِ فِي الرِّعْيَةِ . وَهُوَ الَّذِي صَنَعَ ثَرْيَا الْفِضَّةِ بِمَسْجِدِهَا ؛ وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى الْيَوْمِ . إِلَى أَنْ تَمَلَّكَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشُقَيْنَ غِرْنَاطَةَ ، وَاتَّصَلَتْ بِهِ الشُّكُوى بِتَمِيمٍ مِنْ أَهْلِ مَالَقَةٍ . وَوَرَدَ فِي شَأْنِهِ عَلَى الْأَمِيرِ أَبُو الْمُطَرِّفِ الشُّعْبِيُّ وَغَيْرُهُ ؛ فَرَفَعَ حُكْمَهُ وَأَكْبَلَهُ بِسَبَبِ الشَّكَايَاتِ . وَنُصِيَ عَنْهُ أَنَّهُ أَطْلَقَ لِسَانَهُ عِنْدَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ فِي جِهَةِ السُّلْطَانِ ؛ فَضَصَّهُ بِالْجَلَاءِ إِلَى السُّوسِ ، وَأَسْكَنَ أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بِمَدِينَةِ آغَمَكَاتِ ، إِلَى أَنْ عَفَا عَنْ تَمِيمٍ ؛ فَسَكَنَ بَمَرَاكُشَ حَتَّى مَاتَ بِهَا سَنَةَ ٤٨٨ . فَانْقَضَى أَمْرُ بَادِيسَ وَعَقِبَهُ عَلَى هَذِهِ السَّبِيلِ . وَالْبَقَاءُ لِلَّهِ وَحْدَهُ !

### أَيَّامُ شَيْخِ زَنْنَاةَ

### مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْوَرْدَسَنِيُّ الْبَرْزَالِيُّ

وكان هذا الرئيس يَلِي بَادِيسَ مِنْ مُلُوكِ الْبَرْبَرَةِ فِي جَلَالَةِ الشَّأْنِ وَقُوَّةِ السُّلْطَانِ ، بَقِيَّةُ أُمَرَاءِ الْبَرْبَرَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ وَأَعْظَمُهُمْ شَأْنًا فِي الدَّهَاءِ وَالرَّجُولَةِ ، وَأَبْصَرُهُمْ بِتَدْيِيرِ الْعَسَاكِرِ ، وَأَرْبَطُهُمْ جَأَشًا عَلَى الْخُطُوبِ الْمُفْلِقَةِ . وَكَانَ مَشْهُورًا بِذَخِيرَةِ عَتِيدِهِ مِنْ صَامَتِ الْمَالِ ، لَمْ يَزَلْ يَجْمَعُهَا حَانِطًا

لَهَا بِالْبُخْلِ الشَّدِيدِ ، وَاسْتَظْهَرَهَا بِهَا عَلَى الْخُطْبِ الْعَتِيدِ .

وَكَانَ قَدُومُ هَذَا الْبَيْتِ مِنْ زَنْنَاةِ الْقَاطِنِينَ بِأَرْضِ الْمَرْيَلَةِ وَالزَّوَابِ الْأَسْفَلِ لَعَهْدِ لِحَاقِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الزَّوَابِ بِيَابِ بَنِي أُمَيَّةَ ، إِذْ كَانَ هَذَا الْبَيْتُ صَدِيقًا لَهُ وَظَهِيرًا ؛ فَبَنَى بِهِمُ الْمَكَانُ مِنْ بَعْدِهِ . وَلَمَّا هَلَكَ جَعْفَرُ ، أَقَامُوا جُنْدًا عَلَى عَادَتِهِمْ إِلَى حِينَ وَقَعَ الْفِتْنَةُ الْمَعْرُوفَةُ ؛ فَكَشَفُوا فِي الْحَرْبِ عَنْ أَعْضَادِهِمْ ، وَاسْتَقَرَّ قَرَارُهُمْ بِمَدِينَةِ قَرْمُونَةَ وَإِسْجَةَ وَالْمُدُورَ ، وَغَلَبُوا عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ . وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جِيرَانِهِمْ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ حُرُوبٌ وَخُطُوبٌ يَطُولُ الْكَلَامُ إِنْ اسْتَقْصَيْنَاهَا . وَتَوَفَّى رَئِيسُهُمْ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ جَمْعٍ ضَخْمٍ مِنْ قَبِيلِ نَجِيبٍ ، وَخَزِينٍ مِنَ الطَّعَامِ ، لَمْ يَجْمَعْهُ أَمِيرٌ قَبْلَهُ فِي الْفِتْنَةِ . وَصَارَ أَمْرُهُ إِلَى وَلَدِهِ إِسْحَقَ .

### أَيَّامُ إِسْحَقَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِقَرْمُونَةَ

وَرَأْسُ إِسْحَقَ بَعْدَ مَهْلِكِ أَبِيهِ ، وَهُوَ فِي حَدِّ الْكَهُولَةِ . كَانَ مَشْهُورًا بِالْحَزْمِ وَالْكَفَايَةِ وَالْبَأْسِ وَالْفُرُوسِيَّةِ ، يَتَحَلَّى بِشَعْبَةٍ مِنْ شُعْبِ الْكِتَابَةِ ، وَيَضْبِطُ شَيْئًا مِنَ الْحِسَابِ ، وَيَقْرَأُ الدِّفَاتِرَ الْقَرِيبَةَ . وَهُوَ دُونَ أَبِيهِ مُحَمَّدَ فِي الْقِسْوَةِ وَالْفِظَازَةِ ، وَأَذْهَبُ مِنْهُ فِي قَرُطِ الْعَصَبِيَّةِ . وَكَلَاهُمَا عَلَى ذَلِكَ مَوْصُوفٌ بِالْعِفَّةِ وَالزَّهَادَةِ وَالْبُعْدِ عَنْ آفَاتِ الْمُلُوكِ الشَّائِنَةِ ، مَعَ اسْتِشَارِهِمَا بِالنَّكُوبِ عَنِ الْجَمَاعَةِ وَاعْتِقَادِهِمَا بِمَذْهَبِ النَّاكِرِينَ مِنْ فِرَاقِ الْإِبَاضِيَّةِ الْخَوَارِجِ ، يَسْتَأْثِرَانِ بِذَلِكَ هُمَا وَقَوْمُهُمَا مِنْ بَنِي بَرْزَالٍ ؛ أَعْمَالُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ . هَذَا كَلَامُ ابْنِ حَيَّانَ .

وَلَمْ تَزَلِ الْحُرُوبُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جِيرَانِهِمْ مِنْ قِبَائِلِ بَنِي دَمَرٍ وَكُورَةَ مَمُورُورَ وَالْمُعْتَصِدِينَ عِبَادَ إِلَى أَنْ ضَاقَتْ أَحْوَالُهُمْ بِقَرْمُونَةَ ، وَاضْطَرُّوا ؛ فَكَتَبَ رَئِيسُهُمُ الْعَزِيزُ بْنُ إِسْحَقَ بَعْدَ هَلَاكِ إِسْحَقَ ، فِي خَبَرٍ طَوِيلٍ ، إِلَى

ابن دنثون أن يعطيه قَرْمُونَة وأنظارها ليتكئن من سكاية عدوه ابن عباد منها ، على أن يعطيه المأمون بن دنثون عيوضاً في بلاده الجوفية . فاتفقاً على ذلك ، وخرج العزيز بن إسحق من قَرْمُونَة إلى الحصن المدور ، وقبض رجال ابن دنثون [ ما في المدينة . وبعد ذلك خاطب المعتضد بن عباد بن دنثون ] في السر يقول له : « إن قَرْمُونَة قريبة من بلدي وبعيدة من نظرك وبلادك . فاصرفها إلي ، وأجعل يدي مع يدك على تلك قرطبة حتى أصيرها لك . » وكانت قرطبة أمينة ابن دنثون عمره ، فأجاب إلى ذلك ، وتوثق منه ، وأخلى له قَرْمُونَة ، فشحنها ابن عباد بالأطعمة والرجال ، ولم يف لابن دنثون بشيء مما ارتبط إليه . وجرت بينهما من الأحاديث في أمر قرطبة ما تقدم ذكره في اسم ابن جهور . ولم يستقل العزيز بن إسحق بالمدور لضعفه وضيقه ؛ فتلاشى وانقرض أمره .

### خبر سائر رؤساء الطائفة البربرية

وهذان البيتان من هذه الطوائف المغربية كانا أشبه بالملوك والأمراء . ويستوي من بعدهما من أمراء البرابرة في الحال منهم بئس أبي ثور بن أبي قرّة بن دوناس اليفرني ، أمير الفريق من بني يفرن المتغلبين على كورة تاكرنتاً لأول الفتن . وكان جسوراً ، جشعاً ، مقداماً ، عطشاً من كل خلق تدل على فضيلة ، عزيز الجانب ببأس رجاله ووعورة رجاله وحصانة قلاع ، سارعاً في لذاته ، لا ينفق درهماً أحداً ، على دأبيه في الباطل ، فتوق طوقه .

ومنهم : عبدةون بن خنزوزون الرنداجي أمير بني إرنينان ؛ وبطونهم

١ هنا وقع إسقاط جلة في جميع الأصول لتكرار عبارة « ابن دنون » ؛ وقد سدّذا الحثل سيقاً للمعنى .

من القبائل الزناتية المتغلبين على كورة شدونة لأول الفتن ، النازلين بقصبة قلشانة ؛ قام بسلطانه وراثة من والده أحد أكبر البرابرة المتأثرين لما خرجوا عن الجماعة ؛ وهو فتى كميث أنيث ماكر ، عطل من الفضائل ، لا تضاف إليه منها خلّة صالحة ، إلا أنه رفق بقومه وأخذ عفوهم ؛ فاستقاموا له .

ومنهم : محمد بن نوح بن أبي تزييري الدمري ، صاحب كورة مورور وراثة عن أبيه وجده ، فتى غر ، حديث عهد بالإمارة ، جاهل ، جندي ، خلوا من الفضائل ، موصوف بكيس وليانة .

قلت : وجميع من ذكرنا زاحمهم المعتضد بن عباد بمنكب العز والصبر والسلطة ؛ فأرداهم نارة بالقهر والغلبة ، ونارة بالحيلة . وكان في آخر أيامه قد صرف وجه السياسة إلى استألتهم بالصلوات والمودة ، إلى أن وجه إليهم في الزيادة ليتجمل بهم في إغدار ؛ فأتوه في أحسن زي وأفخم أبهة . وقد كانت تكررت زيارتهم له أفذاذاً قبل ذلك ؛ فجأؤوا إليه مباهين في نحو مائتي فارس من رؤساء قبائلهم ؛ فأكرمهم ، وأمر بتطيب الحمام لهم ، وحملهم إليه عبيده ؛ وهم الثلاثة الأمراء المذكورون : أبو ثور ، وابن نوح ، وابن خنزوزون . فلما دخلوا الحمام ، وقعدوا بإزاء حوضه ، أمر ؛ فبني عليهم خلف دفة الحمام ؛ ولما فرغ من البناء ، أمر موقد النار بالزيادة والإحراق ؛ فالتهب الحمام ، ولم يجدوا مخرجاً منه . فكان آخر العهد بهم . وأقام ذلك الحمام عطشاً إلى آخر أيام العباديين . ووجه العساكر إلى بلادهم ؛ فاحتوى عليها . ونزل باقيهم إلى إشبيلية ؛ فصاروا من رجاله .

ولم يبق له معانيد إلا ما كان ممن بشدونة وأركش ؛ فإن أميرهم محمد بن خنزوزون كان قد تخلّف عن دعوة ابن عباد ؛ فزادهم في استئصالهم ، وبنى عليهم حصناً شدة بالحيل والرجال ؛ وضاق عليهم أمرهم ؛ فتطارحوا

على باديس بن حبوس ، وانتفقوا على أن يعطوه قلعة أركش وجميع ما بأيديهم من بلاد سُدونة ، ويبيع منهم طعامهم المختزن بسوم معروف ، على أن يعطيهم باديس بلدًا يسكنونه تحت كنفه . فتم ذلك ، وبعث معهم عسكرياً ضخماً . وخرج بنو إرنيان بأموالهم وحرهم ، فكانت جيلة دوابهم نحو خمسمائة بغل . وكان بنو إرنيان قطعة كبيرة ؛ فلما أبعدوا عن القلعة التي خرجوا منها نحو عشرين ميلاً ، عارضهم ابن عبّاد بفحص شلب ؛ ف وقعت الحرب ؛ فليجأوا إلى ربوة كانت قريباً منهم ، وحطّوا أثقالهم إلى الصباح . وكان ابن عبّاد قد أكن لهم كميناً ؛ فلما حيت الحرب ، خرج عليهم الكمين ، وطبّوه هادرة ، وأعلامه خافقة ، وخيله متناسقة ؛ فلما رأوا ذلك ، سقط في أيديهم ، وضعت قلوبهم ؛ وثاب الظفر لابن عبّاد ؛ فهزمهم ، ولم يبق في اتباعهم .

وهلك في هذه الحرب أكثرهم ، إذ قاتلوا على أموالهم وحرهم حتى أبيدوا . وقتل أميرهم محمد بن خزرون بعد أن أمر غلامه بقتل امرأته لأنها كانت لطيفة المحل من قلبه ؛ ف قطعها بالرمح ، وهي راكبة ؛ فسقطت ؛ وفعل ذلك بأخيه . وقتل قائد باديس الذي كان معهم ، وركب السيف أعناق من معه . ودخل ابن عبّاد قلعة أركش وسائر بلاد سُدونة ، واتصل نظره إلى آخر بلاد غرب الأندلس ، وقتل ، واستأصل شافة القوم ؛ فلم يبق بالأندلس منهم باقية . فسبحان الحي الذي لا ينقض شأنه ، ولا يبید سلطانه !

قلت : وهذه جبهة من رؤساء الطوائف وثوار البلاد بالأندلس من بعد انقراض الدولة الأموية ؛ وعلى حين استقرار الدولة المرابطية ، وتغلب سلطانها الأمير يوسف بن تاشفين ، خلا الجو من جميعهم . وكان فيهم الفاضل ، والمعلوم ، والمجهول ، كما يكون فيمن كثر عدده ،

واختلف في السير مقصده . ولا شيء أشبه بالدول كلها ضعفت ، وتفرقت كلمتها واختلقت ؛ وفي أول أمرها قبل أن تكون وقفت ، بالأرض المتخذة بالمقاني والحضر ؛ والثوار فيها بمنزلة العشب الناجم ، والبقل الناجم ، الذي يُعَدَم عند قوة الفلاح ، واضطلاحه ، وقيامه على الأرض ، واتصال مباشرته ، وإزالة ما يشوش المزروع من العشب الغاصب ، ومن الحشيش الناصب ؛ فإذا اشتغل عنه لضعف ، أو مرض ، أو قلّة ذات يد ، ألقي غالباً على الأرض ، مهلكاً للقلع ، مُبيداً للمال ؛ فلم تدع الدولة ذات القبيل والدين الأصيل منها شيئاً مذكوراً ، بعد أن سقيت الدنيا بهم دهوراً ، ولقي الإسلام بهم وبالأوثبور . ولا حول ولا قوة إلا بالله !

## ذكر تصيير أمر الأندلس إلى ملوك لمتونة

المدعوين بالمُرابطين ، على سبيل الإشارة والإلماع

لورود الكلام فيهم بحجته من دار ملكهم بالمغرب إن شاء الله تعالى ؛ وذكر ما آلت إليه الحال بالفتنة ، واقتسام أمراء الطوائف أقطار الأندلس .

ومن لدن تفرق شمل الإسلام ، وانثقت عصاه ، وتبددت كلماته ، لم يكن همّ عدو الإسلام إلا استرجاع البلاد والأقطار ، واستضافة العمالات ، وافتتاح القلاع ، والاستيلاء على الثغور ، تارة في سبيل المشاركة والاستجارة ، وتارة في سبيل المسالمة والمنازكة ، وتارة بالغلابة والمنازلة . وقد وقع من ملوكهم التكالب والتنافس ؛ فصاحب قشتالة وليون يضم ما جاوره ويطويه طي السجيل ؛ وصاحب برجلونة كذا في الأصول ، وفيه تصحيف ظاهر .

يسري فيما يليه سري النار في الهشيم . وحسبك أن هشام بن الحَكَم ، وهو  
سلالة الأسيّة وبقية الدين والحشمة ، والبعيد المرمى من الدنية ، خرج  
في أيام فتنته ومجنته بآب عبد الجبار تسليمًا على مائتي موضع ، وحازها  
العدو ؛ وحينئذ موّه بالحرّكة إلى نصره ؛ ولم يفعل ؛ ثم سالك من بعده  
سبيله إلى أن استولى على طليطلة وما إليها سنة ٤٧٨ . وحسبك بها فجعة  
وأعظم بها مصيبة ! وملوك الأندلس في غمرتهم ساهون ، وعن عواقب  
الإسلام لاهون ، حسبًا قال أبو الحسن بن الجندب يمدح الأمير يوسف :

[ البسيط ]

في كل يوم غريب فيه مُعْتَبَرٌ نلقاه أو يتلقانا به خَبَرٌ  
أرى الملوك أصابتهم بأنْدَلُسٍ دوائرُ السوء لا تبقي ولا تَذَرُ  
قد كنت أنظرها والشمس طالعة أو صبحٌ للقوم في أمثالها التَّظَرُ  
ناموا وأمرى لهم تحت الدُّجى قَدَرٌ هوى بأنجمهم خسفًا وما سَعَرُوا  
وكيف يشعر من في كنفه قَدَحٌ يحدو به ملهيهاء الناي والوترُ  
صمتٌ مسامعه من غير نغمته بما قرأ به الآيات والسورُ  
تلقاه كالفضل معبوداً بجلسه له خوار ولكن حشوه خورُ  
من حوله كل مغترٍ وما علموا ان الذي زخرقت دنياهم غررُ  
فقل لمن نام : أصبحت انتبّه فلقد مضى بك الليل نجباً وانقضى السحرُ  
وانظر إلى الصبح سيفاً في يدي ملك في الله من جنده التأيد والظفرُ  
يرعى الرعايا بطرف ساهرٍ يَظُرُ كما رعاها بطرف ساهرٍ عَمَرُ  
ردوا موارد قد أوردتهم حَقَقاً بها الأنام ولكن ما لكم صدرُ  
كأنني بكم قد صرتم سراً وما لكم في الورى عين ولا أثرُ  
أماكم قبل موت سوء فعلكم وكيف بالذكر أن لم تحسن السيرُ  
وإلى هذا العهد ، لم يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خافِتٌ ، وعُدِمَ النصير بالمعرب

لتبسط الكلبة واققسام أيدي الثوار إياه ، من ملوك الحزريين ،  
والزّنايين ، والبرغواطيين ، والأزداجيين ، والمدراريين ، إلى أن  
شاع في المدينة خروج السّمتونيين من الصّحراء ، واستيلائهم على المغرب ،  
وأنها دعوة مبنية على دين متين وتأسيس بقيقه ، وأنه إسلام جديد ؛  
فجدّت إلى سمته العيون ، وصرفت إليه الوجوه ؛ ثم ارتفع إليه الصراخ ؛  
ثم أعملت الإشارات ؛ ثم مدّت الأيدي ، إلى أن كان من تنفس المخلق  
بجأورة ملك لمتونة ما كان ؛ فانتعشت برهة ، وأقامت مدّة .  
فسبحان من يقول : إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا  
يَرْجِعُونَ .

قلت : ولما استولى ملك قشتالة إدفونش بن فرذلند على  
مدينة طليطلة ، دار ملك الروم ، وعلى الثغر الجوفي ، وانتظمت له  
البلاد ، وقد كان أخوه سانشجه وأبوه فرذلند قبله ، راض له ذلك  
بما ألقى بكلّ كلكه على صاحبها يحيى بن دنثون الملقب بالمأمون سنة ٤٤٥ ،  
ونازله ، وألح عليه ، وضعف أمر المسلمين حتى لم يقدروا إلا على التحصن  
والاحتجار ؛ وكان من شأن الطاغية أن يترك المسلمين بأحوال الموضع  
الذي قد قصده ، ويخليهم وما يريدونه من معاشهم ؛ فإذا كثرت  
الغلات ، استكثر من الاحتشاد ، وفرض على رعيته أمماً من الفلاحين لضم  
الأقوات ؛ فيحاول منها ما كان المسلمون يستفيدونه لأنفسهم ، وينقل  
ذلك على ظهور محلاته ورعيته إلى ثغوره المجاورة لبلاد المسلمين ليعير بها  
محلاته عند الحاجة لذلك ؛ وضرب الجزية عليهم بما شاء . فلما هلك فرذلند ،  
وولي ابنه سانشجه ، ذهب الناس في إجراء عادته من المال ؛ فقال : « إنما  
كان ذلك المال لفرذلند ؛ وهو ثابت أبداً حسنة ؛ لا يزول ؛ وإنما

١ في الاصل : « إدفونش بن سانشجه بن فرذلند » ؛ وهو خطأ من المؤلف ، لأن إدفونش  
السادس كان ولد فرذلند ، وسانجه كان أخاه شقيقه ؛ فصححنا النص الأصلي للضرورة .

نصالحكم على ما يختص بي ! « فأضعف العدو . ثم هلك شأنه ، وولي بعده إذفونش أخوه هذا ؛ فسار بسيرة أخيه ، وأضعف العدو . فكانت الرعايا تتحمل هذه الأموال زيادةً إلى أموال الجباية المستقضاة بالعنف ، التي يُقيم منها ملوكهم ما يختص بهم . فضعف الاعمار ، وخلت الديار .

وجعل الله بين أولئك الأمراء ملوك الطوائف من التماسد والتنافس والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المترفات ، والعشائر المتغايرات . فلم تتصل لهم في الله يد ، ولا نشأ على التعااضد عزم ، ولا توجه ، إلى الاستكثار قصد ؛ إنما كان وكدهم في الناس المحل من وده ، وإبراز الفضل من حظوته ، والتنفق عنده ، والترافع إليه ، والاستظهار به ؛ وقد قعد للضرب بينهم والمفاسدة ، وأطل بذروة التغلب والتحكم ، مفتوح اليد ، مقبول المزايدة واجتلاب الفائدة ، إلى أن استولى على طليطلة كما قلنا . فأفرط في التعاطف ؛ وحق له ذلك بما استرّ وحه من استرجاع ما حازه الفتح الأول . وعرض عليه شيعته يومئذ أن يلبس التاج ، ويُعيد عادة من سلف من ملوكهم في القديم ؛ فأرجاهم بذلك إلى أن يستولي على دار ملك المسلمين بقرطبة ؛ وقد حسب ذلك حاصلاً في يده ، وواقعاً في مدته .

ثم مال على جهة ابن عبّاد كبيرهم ، يحصل شوكته ، ويخطب بملكته ، ويطلق حماءه ، مُتَناهياً في الوعيد ، متوامياً إلى المرمى البعيد . ووصله رسول اليهودي المعين لقبض الضرائب ، وتجريع المسلمين كؤوس المصائب ؛ فنزل بظاهر إشبيلية في موكب من فرسان سلطانه ، وكتاب ديوانه ؛ وأبرز له المسال ، فلم يرض عيانه ، وأقدم أن مولاه لا يقنع في السنة المقتبلة إلا بالبلاد ؛ وجمع بلسان الصولة ما ساء ابن عبّاد . ولما نُقِلَ إليه كلامه ، لم يملك زمام نفسه ، وأمر بالقبض عليه وعلى من

معه ، وأنفذ الأمر بقتل اليهودي وأسر من معه . وبذل في نفسه أموالاً خطيرة ؛ فلم يُصغِر إليه ، وشفى منه نفسه . ثم خاطب ملك النصارى يشرح له عذره ، وقد آسف به لا يقبل العلاج ، ولا يعرف الصلاح . وقام له الإذفونش في ركائبه ، وصرف عزمه إليه .

وقد كانت الأخبار اتصلت بخروج الأمير يوسف بن تاشفين من الصحراء في أمة جديدة الإسلام ، شديدة الاعتزام ، مظهرية للقيام بالحق ومجاهدة من زاغ عن الشريعة ، وأنه قد طوع المغرب ، ورد الكلمة في أكثره واحدة ، كما قلنا . فترجّح لديه استدعاؤه والاستصراخ به والتطرح عليه ، وعرض ضرورة الإسلام على دينه وامتعاظه . واستشار أوليائه في ذلك ؛ فقال له ولده الرشيد ما معناه : « حاول الأمر بجهدك مع النصارى ، ولا تستعجل بإدخال من يسلبنا الملك وبشتت الشمل . فالناس من علمت ! » فقال المعتمد : « يا ولدي لأن أموت راعياً بالمغرب خيرٌ عندي من أن أُرْدَ الأندلس دار كفر ؛ فتكون اللعنة علي من المسلمين أبداً الدهر ! » فقال : « يا أبتِ افعل ما أراك الله ! » فخطب المعتمد يوسف بن تاشفين غرة جمادى الأولى من سنة ٤٧٨ ، يستأذنه في القدوم عليه لتقرير أحوال الأندلس .

ولما ورد عليه الخطاب ، جمع عليه قومه وأخوته ؛ فقال لهم : « ما ترون في هذا الأمر ؟ » فقالوا : « هذا الرجل قد استنصر بنا على عدو الدين ؛ ووجب علينا وعلى كل مسلم نصره ! » وقد كان اتصل به من فضلاء الأندلس عبد الرحمن بن أسباط ، وخدمته ونصحته في أحوال أهل الأندلس ؛ فاستشاره ؛ فقال له ابن أسباط : « الأمر لله ولكم ، غير أن عندي ما نلقيه إليكم : وهو أن الأندلس منقطعٌ يعمر منه المسلمون ، ويعمر باقيه الروم . فإن جُزّت إليها وحصلت في حكم أهلها ، لم يكن لك شيء في نفسك . وهذا الرجل الذي انتصرك لم يتقدم بينك وبينه

ما بوجب الحجل منه . فاكْتَنَبَ إليه بأن الجواز لا يمكنك إلا أن يتخلّى لك عن الجزيرة الخضراء ؛ تجعل بها رجالك وأجنادك وعدّتك ، ويكون منها الرجوع إلى وطنك بيدك متى شئت ! » فشكره على ذلك ، وأجاب المعتمد يأذن له في الوصول إليه ويعلق إجابته بما ذكر . فجاز إليه المعتمد سنة ٤٧٨ ، بأسطول الأندلس جوازاً فخماً ، اختار لمصاحبه في سفره الخواص والأعيان ؛ واستخلف ولده الرشيد بإشبيلية ؛ وشيعة الناس إلى محل ركوبه البحر .

وفي ذلك يقول شاعره ، بل بعض شعرائه ، عبد الجليل بن وهبون في قصيدته التي أولها :

عزمٌ تجدّد فيه النصر والظفر وفكرةٌ خمدت من دونها الفكر  
عساك خلّت حباب الماء من زرد تعود الحوض فيه طيرفك الأشير  
أو قلت في المدح خُرخان مَفوّقة تحارب الجيش أو مصقولة بتر  
هي البسالة إلا أنها شرف تنفي الحذار وبما يؤثّر الحذر  
لا تحمل الدين والدنيا على غرر فليس بحمد في أمثالها الغرر  
إن كان ثوبك مختصاً بلبسه فقد تعلق من أذيالك البشر

فلما قضى غرضه مشدود اليد بعهدّه ، معلق الآمال بإنجاز وعده ، وقفل إلى بلده ، تخلّى عن الجزيرة الخضراء بما فيها من بهيمة وأنعام ، وعلوفة وطعام ؛ وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٤٧٩ .

### دولة الأمير يوسف بن تاشفين بالاندلس

ولما اجتاز الأمير يوسف بن تاشفين إلى الأندلس ، لقي طاغية الروم ، وأوقع به وقعة الزلاقة ، منسوبة إلى موضع اللقاء من أحواز بطليوس . ثم أعاد بعدها إلى المغرب . ثم أجاز ثانية ، ونازل حصن

ليسط من كثورة تدمير ؛ وتعدّر عليه فتّحه ؛ فقفل إلى بلاده المرّاكشيّة ، وقد وجد على ملوك الأندلس ، واتّهمهم بالإغماض في أمره . وداخله الناس في شأنهم ، ودسّت إليه السعايات بهم ؛ فأعاد الجواز ثلثة سنة ٤٨٣ ، وشرع في خلّعهم . فتمّ له ذلك ؛ فتوفي سنة ٥٠٠ ؛ وولي بعده الأشر ولدّه عليّ .

### دولة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين

#### بالأندلس

فتجددت له بيعة أهل الأندلس . وشرع في الجواز إليها أخريات تلك السنة ؛ فباشر أمورها ، ورتّب أحوالها ، وهلك الطاغية في السنة الثانية لولايته ؛ فتمهّدت البلاد . ثم أجاز البحر ثانية ؛ ففتح مدينة طلبيرة ؛ ثم أجاز ثلثة ، ونازل قلنبرية ؛ ثم قفل عنها وأجاز رابعة لإصلاح الأمور بقرطبة ؛ وولّى ولده تاشفين غرناطة ؛ وضع الله له في الجهاد الصنائع الجميلة والآثار الكريمة . ثم استدعاه في سنة ٥٣٣ ؛ فولاه عهدّه . وتوفي الأمير عليّ لسبع خلون من رجب سنة ٥٣٣ .

### دولة الأمير تاشفين بن علي بن يوسف

#### بالأندلس

واستقل الأمير تاشفين أمر الأندلس بعد موت أبيه ، بما دهمه من حروب المهدي واستيلائه على المغرب ؛ فلم يلتق إلى الأندلس رأساً . وجاء القدر ، من إتيان الهزائم عليه وتنكّب السداد إيّاه ، بخلاف ما جرى به الأمر أيام إمارته وجهاده بالأندلس ، ليضي الله أمره ، إلى

أن هلك في السابع والعشرين لرمضان سنة ٥٣٩ . وعادت هيف إلى أديانها، وتفرقت الكلمة إلى شأها، ولتفتحت جدر الثوار، وأصبحت الأندلس دار البوار . والله در القائل :

إذا غاب الهزبر الوردة يوماً أخذ الفسكات والنفس البيسة  
ولم يحمر القريسة مستطيلة تراحمت الذباب على القريسة

## ذكر من كان في أخريات دولة المرابطين

### الشمثونيين من الملوك والرؤساء والثوار

وتعددت الثوار والمنتمون في أعقاب هذه الدولة ، مثل ابن وزير ، شيخ أهل غرب الأندلس، وأبي محمد سدر آي ، ويوسف البيطرونجي ، النائر بلبله ، وليد بن عبد الله صاحب سننرين ، وأبي القمير بن عزوز صاحب شريش ، وابن عياض الأمير بشرقي الأندلس ، وعلي بن عيسى بن ميمون صاحب قادس ، والوهبي النائر بلبله ، ومحمد بن علي بن الحجام صاحب بطليوس ، وأحمد بن حجر ، والشكياتي ، وميرين الداير ، ومحمد بن المنذر . وكل واحد من هؤلاء له خبر ودولة على قدره وقدر عمله وما مد الله له فيه من عمل غيه أو رثده . وإن جئنا نتبع هذه الأشياء ، خرجنا عما أردنا . فلتقتصر على طائفة فوق هؤلاء في الشهرة ، مثل حديث ابن قسي باختصار .

### أيام أبي القاسم بن قسي مدعي الهداية

كان ثورة هذا الرجل أول ثورة بالأندلس في أعقاب الدولة الشمثونية ، وتسمى بثورة المريرين ، إذ كان هذا الرجل شيخاً من مشايخ الصوفية ،

المسمى أتباعهم بغرب الأندلس بالمريرين . وقدره في تلك الطريقة معروف ؛ وله كتاب « خلع الثقلين » وغيره . وكانت هذه الطائفة قد كثرت يومئذ بغرب الأندلس ، لاسيما بمدينة شلب ؛ وكثر خوضهم في الكتب التصوفية وموضوعات الغلاة من الباطنية ، والكلف برسائل إخوان الصفاء وأمثال ذلك . وانتشر هذا الرأي بشلب ولبله ونظر مرثلة ، وهي بلد أبي القاسم أحمد بن الحسين بن قسي ؛ وكثر جمعهم ، ووقع الحديث بهم ؛ وحذروا صاحب الدولة ؛ ففرقوا . واستقر جد نخلتهم بالمرية ؛ وكان بها رئيس هذا الشأن ودخلته ، والمشهور فيه الشيخ أبو العباس بن العريف . فأعلم علي بن يوسف بذلك ؛ فوجه عن ابن العريف وأبي الحكم بن برجان نظيره في الحلة وغيرهما من أمثالهما ؛ ففرقهم . وكانت وفاة الشيخين براكش سنة ٥٣٧ .

وكان أبو القاسم بن قسي هذا في زمان فتاه وشيخته مشرفاً بشلب من عمل إشبيلية ، إلى أن أظهر ، وتصدق بجميع ماله ، وتطوف على الأندلس ، وابتنى رابطة بقرية جللة من قرى شلب ، كان يجمع بها دائرته التي دارت بها على الأندلس دائرة سوء ؛ وادعى الولاية ، وتسمى بالمهندي ؛ وكثرت محاربه . واشتهر عنه أنه حج من ليلته ويناجي بما شاء ، وينفق من الكون . وتتابع الناس إليه بالرحيل ؛ واتصل به أقوام من أهل البيوتات والأجناد ، منهم ابن وزير الذي ذكرنا ، وابن عتار فارس جهة يابرة ، ومحمد بن المنذر من أهل شلب ، ومحمد بن عمر ، وعبد الله ابن أبي حبيب ، وأمثالهم من أعيان ذلك الصقع الغربي . والشمثيون في أثناء هذه الحال قد انقطعت عنهم مواد الغرب بما دهمه من فتنة المهدي ، وأجحفوا بالناس بسبب اجتياح جندهم بالأندلس . وتحملت عليهم الناس ، وتوفرت دواعي الشتات بفترة الخوف ، واستهدفوا الخلع ، وكثر التعدي في الطرقي والدواير في السبل ، والفتك بالرفاق . وأوعز أبو



القاسم بن قسيبي إلى أحد من طائفته أن ينتهر الفرصة في حصن مُشَقُّوط ؛ فاهتبل الفرصة فيه ، وتغلَّب عليه في شوال من عام ٥٣٨ . وبأذرة المرابطون بجيَّته قبل أن يسعده ؛ فأُتزلوه منه وقتلوه .

وكان ابن قسيبي 'بغالط' أصحابه ، ويقول : « إنَّما مثله كالنجر الكاذب ؛ وبعده يطلع النجر الصادق ويصبح النهار ! » ثمَّ خاف ابن قسيبي عند القبض على المذكور ؛ فخرج إلى جهة مرثلة من حصون الغرب بكورة شدونة ؛ فاستقرَّ عند قوم يعرفون ببني السنة ؛ وكان من أصحابه رجل يسمى محمد بن يحيى ويعرف بابن القابلية ؛ وكان فريداً كدهره صرامةً ودهاءً وشجاعةً وبلاغةً ، رسائله مشهورة وفصاحته مذكورة ، رمى به عرَضه وجعله سيف ثورته وعَضَدَ دولته وتغلَّبه ، وعيَّنه لغدر مرثلة ؛ فخرج إليها من المكان الذي اختفى فيه ابن قسيبي بقرية الجوزة من قطر مرثلة في سبعين رجلاً من المُرَّيدين . وكان قائدُ حصن مرثلة قد واعدَ رجلاً من أهلها على الإتيان إليه في الليل برشوة على حال استتار من أهل الحصن ، وقدم الوصاية بذلك إلى بوابه ؛ ونمى إليهم الجوب ؛ فأوهموا باتخاذ رفقة صعد بها بعضهم إلى الحصن ، ولم يشك صاحبه أنَّها رفقة ميعاده الخبيث ؛ ففتح الباب . واقتحم القومُ الحصن ؛ فملكوه . وبأذرة محمد بن القابلية إلى تسكين الناس وضبط الحصن . وزحف إليه المرابطون بتلك الجهة ؛ فلم يغنوا شيئاً ، وارتحلوا بعد تخريب قطر مرثلة . وتداعت عامة ما يجاورها إلى الثورة ؛ فقام أهل يابرة ملتقيين على ابن وزير عميدهم . وتوجَّه ابن قسيبي إلى مرثلة ؛ فاحتلَّ بقصبتها المنيعه غرة ربيع الأول عام ٥٣٩ ، وبثَّ للحين عقيدته ، ونسَمَّى إماماً ، وكتب إلى البلاد يندب الناس إلى الثورة على المرابطين . واتَّصل به الأشهار ، وأجزلَ العطاء من غير عمل ولا خراج . وكان ، إذا أعطى ، يحثو بيده من غير عدد ؛ وكان أصحابه يقولون للناس إنَّ المال يتكوَّن عنده إذا فرغ .

ومن النوادر في ذلك أنَّ رجلاً من البادية قال لبعض أصحابه ، وقد أعطاه : « عجباً هذا المال الذي يصل الإمام من السماء كيف عليه طابع المرابطين ؟ » ولم يكن عليه طابع غير ذلك . ونُقِلَ له هذا الحديث ؛ فكان آخر العهد بذلك الرجل .

ثمَّ إنَّ بعض أصحاب ابن قسيبي اختلفوا عليه ، وفَسَّدَ ما بينهم وبينه ؛ فنازعه ابن وزير بشلب ، وأخوه بياجة ، وصرفوا الدعوة إلى ابن حمدين بقرطبة ، وقد دعا إلى نفسه ، وتسمَّى بالقاضي الخليفة ، حسباً يُذكر . فعزم ابن قسيبي على اللحاق بأمير المؤمنين ؛ فخطب الأمير عبد المؤمن ابن علي ؛ فلم يجدْ عنده قبولاً لتعاليه في الخطاب عليه ؛ وجعل الخطأ لنفسه بوصف الهداية بضاعة القوم ؛ فأعاد واعتذر ؛ وتحرَّك في عقبها . فكان لقاؤه إياه في ربيع الآخر من عام ٥٤٠ . وتحفَّى عبد المؤمن به ، وأكثرَ وفادته . ثمَّ انصرف إلى الأندلس بعسكر الموحدين ، وهو أوَّلُ عساكرهم وباكورة تغلبهم ، حسباً يأتي ذكره .

ثمَّ إنَّه ، لما اضطربت الأحوال بالدولة المؤمَّنية بالماسي مدعي الهداية في دولتهم ، وانتقض عليهم كثير من البلاد ، رجع عن دعوتهم ؛ ولم يكن إلا أن تاب أمرهم وقُتِلَ الداعي القائمُ عليهم باسمه . فتورط بما كُتِبَ من القطيع ، واضطُرَّ إلى مداخلته صاحب قلمريَّة من النصارى المعروف بابن الرنق ، وألطفَ مهاداته ، ووصل التعلُّق بمجبه على كيدن أمثاله من الثوار ؛ فقبل صاغيته ، وبعث له بفرس من مراكبه وترس ورمح .

وتوقَّع أهل شلب عائدة هذه المداخلته ؛ فنظروا لأنفسهم في الإراحة منهم ؛ فشغلوا ولده الحسين بن أحمد بن قسيبي بنزْهة أعدوها له ؛ فألقى بعضهم برجل مكتوف كأنه قبيض عليه من الدائرة والأشجار ، واستأذنوا على مقدَّم الحرَّس ؛ فعندما دخل إلى البلد يستأذن في أمره ،

اقتحمت الطائفة الحِصْنَ ؛ فقتلوا أحمد بن قسيّ ، ورفعوا رأسه على الرمح المِهْدَى من قبَل الروم . واستلَّ ابنُ المُنْذِرِ بِشَلْبٍ إلى أن صيَّرها إلى مُلْكِ الموحِّدين ، في خبرٍ بطولٍ مَرَّحَةٍ .

وكان قَتْلُ المذكور في جُمادى الأولى من سنة ٥٤٦ . وخَبَرُهُ يقتضي طولاً . وما صدر عنه من الرسائل في مُخاطبة أهل الأندلس ، وما تَضَيَّعت من المخارق والدعوى مذكور . ومن شِعْرِهِ في غَرَضٍ ما كان بسبيله :

[الطويل]

إذا صفر الاصفار جافى فإنما يجيءُ بهولٍ ما يمرُّ وما يحلي  
وشهراً ربيعٍ فيهما كلُّ آيةٍ وعند جُمادى ينقضي أمدُ الحيلِ

ومن شعره وكان يقول : « أنشدني رَبِّي في المنام ! » : [الكامل]

ارْدُدْ على قوس العلى أوتارَه وارْمِ العدا بسهامها العقارَه  
وأنفضْ يدَيْكَ بِشَلْبٍ مِفْتَاحَ البلا د المنجيات وأمَّها المختارَه  
ويكون ذاك إذا تكاثرت العدا وتخلَّأت قننُ الجبال نصارَه

ولما نَقِدَ عليه قوله في نصارى « نصارَه » ، غضب ، وقال : « كذا قال لي : قُلْ نصارَه ! » فمضى على هذه السبيل .

### أيام أحمد بن حمدين الأمير القاضي بقرطبة

وهو أحمد بن محمد بن أحمد التَّغْلِبِيُّ . دخل الأندلس جَدُّهم في طالِعَةِ بُلُجٍ ؛ فنزل بَاغَهُ ، وبها تناسلهم . ولي القضاء بعد أخيه بقرطبة سنة ٥٢٩ ؛ وعزله الأميرُ عليُّ بن يوسف . فلما ثارت العامَّة بقرطبة ، واستطالت الأيدي لضعف قاضيها إذ ذاك أحمد بن رُشد ، اضطرَّ أبو جعفر بن حمدين إلى الخروج للناس لردِّ العامَّة وتسكينِ الثائرة . وكان سَهْماً ، يجيش في صدره

الأمر الذي برز فيه ؛ فظهر يومئذٍ ، وفرَّ ابنُ رُشد مُسْتَعْفِياً عن القضاء . وتعطَّلت الأحكام بقرطبة أزيدَ من سنة ، سُخْطاً من الأمير على أهلها . ثمَّ أذن لهم في اختيار قاضٍ ؛ فاتفقوا على ابنِ حمدين هذا سنة ٥٣٦ ؛ فاستمرَّ على القضاء إلى سنة ٥٣٩ . وثارت العامَّة بوالي البَلَدِ الرئيس أبي عمر اللِّمْتُوني ، وخلعوا دعوة المَلَّتَمِينَ ، واتفقوا على مُبايعة القاضي أبي جعفر ابنِ حمدين ؛ فبايَعَه الخاصَّة والعامَّة بالمسجد الجامع من قرطبة خامِسَ رمضان من سنة ٥٣٩ المذكورة ؛ وسكن قَصْرَ الخلافة ، وتسمَّى بأمير المسلمين وناصر الدين . وزحف إليه أحمد بن عبد الملك بن هود ، المستقرُّ عند صاحب قَشْتَالَةِ حسبا وقع ذِكْرُهُ في دولة بني هود ؛ وكان قد أسنَّ ، وبلغ زمن الشيخوخة عند العدو ؛ فأقبل إلى قرطبة بمُدَاخلة العامَّة ؛ وفرَّ عنها بعد اثني عشر يوماً . وعاد إليها ابنِ حمدين من مستقرِّه ببعض الحصون ؛ فاستقام له الأمرُ ودَوَّنَ الدواوين ، وجنَّدَ الأجناد ، ورسم الخُطَطَ ، ومخاطبَ العُصاة بالأندلس ؛ فاستقلُّوا ببلادهم ، واعترفوا ببيعتِهِ . واستمرت أيامه أحد عشر شهراً . ثمَّ دبَّرَ مُحْسَاده المكيدةَ عليه ؛ فكتبوا إلى يحيى بن غانية عميدِ العصابة اللِّمْتُونيَّة ، وهو بدار مُلْكِهِم إشبيلية ؛ فتحرَّك إليهم في جُمادى الآخرة من عام ٥٤٠ . وبرز ابنُ حمدين إلى لقائه ؛ فالتقيا بأحوالٍ مُسْتَجِجَةٍ ؛ فكانت على ابنِ حمدين الهزيمة ؛ اتَّبَعَهُ ابنُ غانية ؛ فدخل قرطبة في الثاني عشر لشعبان من السنة . وفرَّ ابنُ حمدين إلى بَطْلَيْوُس ؛ فأجاره صاحبها . ثمَّ تدرَّج إلى أن لحق بِحِصْنِ أُنْدُوجَرِ المجاور لقرطبة . وتحرَّك ابنُ غانية إليه ؛ فنازَلَه ، وواصل حصاره نحواً من شهر ، إلى أن استصرخ ابنُ حمدين طاغية الروم ، ووعدَه بِأَطْمَعَةٍ ؛ فحثَّ إليه السيرَ وتخلَّصه ؛ وقتل ابنُ غانية إلى قرطبة . وأخذ ابنُ حمدين أثرَه بالنصارى ؛ فدخلها عاشرَ ذي الحِجَّة من عام ٥٤٠ . واعتصم ابنُ غانية بالمدينة بعد أن عاثَ الروم في شَرْقِيَّهَا بما هو معلوم ؛ فذكروا أنه في

مدة حيرة الطاغية لابن غانية بقرطبة انضمت الأخبار بصاحب قشتالة بما كان من جواز جيش الموحدين إلى الأندلس، وظهور دعوتهم بإشبيلية؛ فافتضى رأييه ورأي أرباب الشورى من قومه أن يستبقي ابن غانية، ويهبه سداً في وجه القوم؛ فترددت بينه وبين ابن غانية المحاورة، ونتم له العرض على شروط من مالٍ وبلادٍ التزمها له ابن غانية؛ وأفلح عنه.

وانصرف ابن حمدين خائباً في ظل صاحب قشتالة؛ فأقام بحصن فرتجلوش، وقصد عبد المؤمن بن علي؛ فأقبل عليه، وأحسن وعده، واستعجل الرجوع من عنده؛ فاستقر بمالقة، وقد ثار بها حليفه وصنيعه أبو الحكم بن حسون قاضياً، واستجمع بها، والتفت بصبابته. ونهض إلى قرطبة؛ فبان وهنه، وأخفق مسعاه؛ فعاد إلى مالقة إدراجة. وساعد ابن حسون بها على مخالفة الموحدين؛ فدعا إلى نفسه.

وتوفي ابن حمدين بمالقة في التاسع عشر لرجب سنة ٥٤٦؛ وذفين بقبلي مسجدها. ولما استولى الموحدون على مالقة، نبشوا لجده وصلبوه، وهو بحاله لم يتغير بعد عشرين شهراً. وزعم بعض المؤرخين أن المنجيين في زمانه حكموا على مولده بأنه يصلب؛ وكان الحديث بذلك فاشياً بين أعدائه بقرطبة؛ فصداقته الأيام، لكن بعد وفاته - تجاوز الله عنه!

### أيام أبي الحكم بن حسون الأمير القاضي بمالقة

وهو الحسين بن الحسين بن عبد الله بن الحسين الكلبي بن حسون؛ اشتهر بكُنْيته.

قال ابن خيمس في تاريخه: كان أبو الحكم قد نشأ على مبيع سلفه

من الوجهة والنباهة، وعلو المكانة، وشرف الذات، وبُعْد الصيت، وطلب العلم. وولي القضاء بمالقة عند عمى قاضيهما أبي محمد الوحيد سنة ٥٣٨. ثم دعا إلى نفسه لما تكاثبت القضاة؛ واستبد، وحصر الممتنئين بالقصبة، إلى أن أنزلهم منها بعد ستة أشهر. وتلك القصبة، وانتقل إليها، وتسمى بالأمير، وأقام سالكاً طريقة القضاء مع الإمارة؛ وقلد أخاه أبا الحسن جيشه، ولأه بلد قرطمة وما إليها. وله بخارج مالقة من الآثار ما يشهد بجلالة قدره.

وألح عليه من مجاوره من المرابطين بأنشقة وغيرها؛ فواصلوا الغارات عليه حتى ألجأه ذلك لاستدعاء جيوش الرُوم؛ ولزمه المال؛ فأضاق الرعية بما كرهوه لأجله، وشرعوا في التديب عليه؛ فداخلوا رجلاً سهماً من خدائمه، كان قائد الرجال ببابه، يُعرف باللوشي، وتواعدوا معه على يومٍ معلوم ثاروا فيه؛ وتغلب المذكور على الأبواب، وملك القصبة. وسد ابن حسون على نفسه في القصر، وقاتل عنه؛ فلما أيقن بالهلكة، وقد قتل أهل البلد أخاه عند الهيج والثورة، ذهب إلى قتل من بداره من بناته، غيرةً عليهن؛ فامتنعن منه في العرف والبيوت؛ واشتد الأمر؛ فأطلق النار في كتبه وذخيرة؛ فأحرقها؛ ثم شرب سماً؛ فلم يفعل فيه؛ فدلّق رُمحاً وتحامل على سيناه إلى أن خرج من ظهره؛ ولم يجهز عليه. ودخل القصر؛ فوجد مشحطاً في دمه، يجود بنفسه؛ ثم مات ليومين. وكان ذلك في يوم السبت الحادي عشر من ربيع الأول عام ٥٤٧. وصليت جثته، وحمل رأسه إلى مراكش.

واستولى الموحدون على مالقة بعده؛ فبيع بناته وأهلته؛ وتسرى بعضهن جيلة من أهل الدولة. كتب الله لنا حسن العاقبة!

## أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز بيلنسية

ولما استقل ابن حمدين بقرطبة ، ثار الناس بيلنسية ، وخلعوا اللعنونيين ، واجتمعوا إلى القاضي ابن عبد العزيز بها ؛ فالتزم بيعتهم بعد نفاذ وتوقفت لم يسعه إلا القيام بالأمر . وقد كان اللعنونيون لجأوا إلى معقل شاطبة ؛ فاحتشد ابن عبد العزيز ، وتأهب لنزولها ؛ فكان ذلك يوم الجمعة الثامن عشر من شوال سنة ٥٣٩ . ولما ضاق بأهل شاطبة الحصار ، وأغورزهم الغوث ، اهتبل الغيرة عبد الله بن حمو بن غانية ؛ فخرج في طائفة قليلة من أنجاد قومه ، وتعرف بذلك ، واتسيع أثره ؛ فنجحاً وحده ، وقصد الساحل . فذكروا أنه صانع صياداً للحوت ببعض آلتيه ، وركب جفنه ؛ فأوصله إلى أحواز المريّة ؛ فقصدها القائد محمد بن ميمون صاحب الأسطول وصيعة الملثمين ؛ وقد كان وفى لهم ، وامتسك بدعوتهم ؛ فجهزه إلى مدينة ميورقة ؛ فألحقه بأبيه حمو بن غانية . ومن هنالك تأثلت بميورقة العصابة الميورقية التي تعب فيها عبد المؤمن .

وتملك ابن عبد العزيز شاطبة ، وانضاف إليه لقيت وما إليها ؛ فضخمت جملته ، واتسعت طاعته ، إلى أن ضاقت جبايته ، وكرهته رعيته ؛ فثار له الخوارج في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ٥٤٠ ؛ فصابروهم إلى الليل ، وترامى من السور ؛ فذهب لوجهه . وتلاعبت به الأيام إلى أن توفي مشرفاً بمرأكش سنة ٥٧٨ .

## أيام عبد الرحمن بن رشيق بمرسية وما إليها

قد تقدم ذكره من حديث ابن رشيق وابن عمّار ؛ وهو أن المعتد ابن عبّاد ، لما وجه إلى مرسية وزيره محمد عمّار ، عندما دخلت في طاعته ، فتملكها وتقبض على ابن عبد الرحمن بن طاهر أميرها ، تخالف المعتد ، واستقل بنفسه ، وفر ابن عمّار إلى ابن دنون . فلما شرع ابن عبّاد في مطالبة ، وشكا أمره إلى الأمير يوسف بن تاشفين ، وقد جاز إلى الأندلس المرة الأولى ، بادر ابن رشيق بتصوير المدينة إلى طاعة الأمير يوسف ، وخطب له بمنابرهما ؛ فلم يسع ابن عبّاد المراجعة ، ولا فصل يوسف بن تاشفين الخطّة ؛ فلما قفل إلى مرأكش ، انتهز ابن عبّاد استكانة الطاغية ، ونحرك طبعه فيما بيد ابن رشيق . فحشد من بعماله ، واستكثر ، واحتفل ، واستضاف من بقرطبة من جيش ولده ، وأعمل السير مورياً بعزرو حصن لييط من حصون النصارى المجاورة لمرسية ، ونزل بساحة ابن رشيق ؛ فاحتفل ابن رشيق في برّه وضيافته ، وجاهره بالاستبداد ؛ ولم يلقه ؛ فتلوّم المعتد أياماً . ولما يئس منه ، رحل عنه ، بعد أن قنع منه بضريبة يؤدّيها إليه مسانحة ، وخيل يجهزها إليه عند الحاجة . وأقام ابن رشيق بمرسية . فلما جاز يوسف بن تاشفين في المرة الثانية ، ونزل حصن لييط من حصون الروم بجهة مرسية ، وحضر عنده أمراء الأندلس ، شكوا ابن عبّاد بن رشيق . وحضر ؛ فاحتج عن نفسه . ووجب الحكم الشرعي عليه ؛ فامر بإرساله إلى ابن عبّاد ؛ فأقذه في حكم الثقافة إلى لوزقة . وانتزى قرابته وأهله بحصون مرسية ؛ فانقطعت الميرة ، وساءت حال المحلة ؛ فأقلعت . ونقل ابن رشيق إلى الإعتقال بإشبيلية ؛ فبقي بها إلى أن دخلها الملثمون على ابن عبّاد . فخرج من ثقافه .

## أيام الأمير القاضي أبي عبد الله بن أبي جعفر

بُيُوتِيَّة

وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن موسى الحشاشي . وكان من أهل البيوت الكبيرة بُيُوتِيَّة ، استقضي بها ؛ ثم تقلد رياستها عندما أقام ابنُ حمدين بقرطبة في أواخر سنة ٥٣٩ ؛ ف ضبط الأمور بُيُوتِيَّة ، مشاركاً فيها لقائدها المعروف بالثغري . وتغلب على أربوطة وجهاتها . فلما تمكنت من أمره ، قبض على الثغري ، وقد ضاق وسعه عن مداراته ؛ فكمل استبداده وظهر على أموال للمتونيين ، استعان بها . ولما ثار ابنُ أضحى بغرناطة ، واستعصى عليه أمرُ الملتئمين بقصبتها ، استصرخ بابن أبي جعفر هذا ، ووعدّه بما أطمعه ؛ فتجرك نحوه في عسكرٍ وأفرج ينف على ألفي فارس ، فيهم أعلامُ فقهاء الشرق وكتّابهم وشعراهم . وكانت بينه وبين جيوش اللتونيّين المصيرين إليه وقعة عظيمة بظاهر المدينة ، صدقت فيها عليه الهزيمة يوم الجمعة ثلاث خلون من شهر ربيع الأول عام ٥٤٠ . وذكر بعضهم أنه كان لا يثبت على الظّهر ، فيسقط عند الركض ؛ وسمعه بعضُ الجند يخاطبُ طبّالاً ، يقول له : « اضرِبِ الطبل ؛ فإنّ فيه مهابة ! » فكان الجندُ بعد ذلك يعبتون بقوله . وحزّ رأسه وأدخل المدينة . وانقضت حاله هذه .

## أيام أبي أمية أحمد بن عاصم الأمير القاضي

بَارِيُوتِيَّة

وهو أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن سعيد بن عاصم ،

أحدُ الرؤساء الحُسياء ، أولي السُلَف والنباهة ، المتداولُ للقضاء ثم الإمارة ؛ قام برياسة بَلَدَه للعهد المذكور ، وقصده الناس ، وامتدحوه وأشادوا بذكره ، حسبما يظهر من شعر أبي بكر بن حُبَيْس في مدحه في القصيدة الشهيرة التي يصف فيها الصيد والجوارح ، التي أولّها : [ الطويل ]

يعزُّ بك الإسلامُ والدين والفخرُ وتخدمك الأقلام والبيضُ والسرُ  
وهي شهيرة . واتصلت الرياسة في عقبه ، إلى أن تغلب الروم على بَلَدَه في الدولة النُصْرِيَّة . ودخل غرناطة من ولده الرئيس أبو الحسن خيجل ؛ وكان مجالساً للسلطان بغرناطة ، غريب الزيّ والوقار ، حسنَ الخطّ ، جميل الرّواء . وكانت وفاته بغرناطة مُسَيِّئاً سنة ٧٠٦ .

أيّام القاضي

## المتأمر يوسف بن عبد الرحمن بن جزى

رأس في الفتنة بجيآن ؛ وهو المدعوُّ بالرئيس أبي الحَكَم ؛ وكان عنده حظٌّ من الطُّبِّ وخطٌّ حسنٌ . توفي سنة ٥٨٩ . وعندي أن القاضي المتأمر بها غيره .

## أيام الأمير أبي عبد الله محمد بن سعد الجذامي

ابن مودنيش ، أمير شرق الأندلس

كان أبوه سعدٌ إميرَ إفراغة وما والاها من ثغور شرق الأندلس . وكان ما تقدّم به التعريف من منازلة ابن رُدْمِير إِيّاه بإفراغة ؛ وأحان الله الطاغية في مناخه بظاهرها على يد يحيى بن غانية ، بعد أن

أشقى عليها؛ فظهر من سعد - رحمه الله - في ذلك اليوم وقبلة من الصبر وحسن البلاء ما اشتهر به ذكره وعلاصيته .

ثم إن محمداً ولدته هذا أخب في هذه الفتنة ، وأوضع بما كان من مصاهرتة ابن عياض ؛ فأعد السير إلى محل كورته مرسيه وما إليها ؛ فملكها في العشر الوسط من جمادى الأولى سنة ٥٤٢ . فثبت قدمه في الرياسة ، وخلصت له ضائر الجند للملازمة الطبيعية . وصاهر إبراهيم بن هاشمك ، أول ثورته ، على بنت إبراهيم . فاستقام الأمر ، وتمت المعاضدة . وبادر بتوجيهه إلى الطاغية ؛ فعقد سلفاً على ما بيده من البلاد ؛ حسن مناب صهره ابن هاشمك فيه ، ونجحت ساطته . فأمن الشرق ، ورغب أهل الحصون والقلاع في طاعة ابن سعد ؛ فعظم أمره ، واشتهر ذكره . وخطب مسالمة عدو الله بمرجلونه ؛ فتمت كذلك الأربعة الأعوام على ضريبة مائة ألف مثقال حشيشية .

فلما صفا له الشرق ، ثار عليه من أصحابه بني هلال يوسف بن هلال بحصن مطرنش ؛ فأقام سوق الفتنة على بلنسية ، وأخذ حصن الصخيرة ، وتلك مورثة ، وأوقع ابن مردنش وقعة انهزم ابن مردنش بها . ثم استرجع ؛ وساعده الجند في جريدة جهزها ببعض الأطراف للضرب على مورثة ، موضع يوسف المذكور ، وافقت البأس متوجهاً في خويصته إلى بعض الحصون ؛ فتملكته أسيراً . وأسرع به إلى مورثة ، وأمر بمخاطبة زوجه في التخلي عن الحصن وإلا نزعته عنه ؛ فلم يصدق الوعيد ؛ ففقت عنه بعود من الأرض ، بعد أن تملكاً .

فكان محمد بن سعد غريب السيرة في الثوار ، وكان عظيم القوة في نفسه ، شديد الأمر في تركيب بانيته ، أصيل الشهامة والفروسيه ، ينادم كبار الأبطال ومشاهير الفرسان ومساعير الحروب ؛ فيعاقبهم الحمر ،

ويعاطيهم الكأس ؛ ورُبما هزه الارتياح ؛ فأفضل حتى بآية شرايه وفرش مجلسه ، وانهمك ؛ فكان يراقب أزيد من مائتي جارية تحت لحاف واحد . ومال إلى اتخاذ زي الروم ، من اللباس الضيق ، وركوب البراذن المساليج ، واتخاذ السروج الضخمة القرايس . واستعان بهم على تدبيره ، ورتب منهم أعواناً وجنداً ، أفرز لهم برسيه منازل فيها الحانات والبيع . واضطر إلى المال ؛ فتحيف الرعية بكل وجه من وجوه الجور ، واستكثر من القبالات ، ورسم بدائع من المكوس ، وقرر في المواشي عدداً يلزم المئين ، وفرض على الأدم والبقول والحبوب معاون ثقيلة تقارب أصول الأثمان .

وتحرك محمد بن مردنش إلى بلاد الموحدن ؛ فتغلب على جيان وأبدته ، وطاعت له يئاسة ؛ ونازل قرطبة ؛ ثم إشبيلية عام ٥٥٤ . وألح بالضرب على قرطبة حتى لجأ لمحاول الفلاحة إلى حرث منزله بداخل الحضرة . وتملك مدينة إشبيلية ؛ وحاول له دابر يعرف باب مراحيل غدو قرمونة ؛ فتملكها . وجهز إليه الموحدون الجيش ؛ ففر من الحصن لقصبتها ؛ فخيم بإزائها ، واستنزل الموحدن من قصبتها على حكمه .

وفي جمادى الأولى من عام ٥٥٧ ، وجهه صهره القائد أبا الحسن بن هاشمك إلى محاصرة غرناطة ؛ فدخلها ليلاً . وامتنع الموحدون بقصبتها ؛ فعرض عليه ضروب الحرب ، وتحرك إليها السيد أبو سعيد ابن الخليفة بجيش من الموحدن ، ومعه والي إشبيلية أبو محمد بن أبي حفص ؛ فكان اللقاء بظاهر غرناطة بالموضع المعروف بمرج الرقاد ؛ فانهزم الموحدون أقبح بظاهرة ؛ وتمادى الحصار من في قصبة غرناطة . وتجدد العزم على تجهيز جيش الموحدن لإصرار من بها ؛ فكان كذلك ؛ فتوفرت العساكر بمالقة . وتسامع بذلك ابن مردنش ؛ فأمد صهره بنفسه . ووصلت الجيوش الموحدية ؛ فاضطربت . فدأر من بظاهر غرناطة ، وبقيت جيش ابن

مَرْدَنِيَش ؛ فانهمزم مع الفجر من تلك الليلة ؛ فلم يَشْنِ عَنَانًا ؛ وكان المَوَحَّدُونَ أَمْلَكَ بِالْحَضْرَةِ . ثُمَّ أَخَذَ أَمْرُ ابْنِ مَرْدَنِيَش فِي الْإِدْبَارِ ؛ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِلْمَوَحَّدِينَ هَزِيمَةٌ بِفَتْحِ الْيَنْدُونِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ السَّابِعِ مِنْ ذِي حِجَّةِ عَامِ ٥٦٠ ، وَنَازَلُوا مُرْسِيَّةً ؛ ثُمَّ أَقْلَعُوا عَنْهَا .

وَفَسَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ هَمُشْكَ بِسَبَبِ ابْنَتِهِ الْكَائِنَةِ تَحْتَهُ ؛ فَاخْتَلَى أَمْرُهُ . وَمَالَ ابْنُ هَمُشْكَ إِلَى الْمُوَحَّدِينَ . وَتَوَالَى عَلَيْهِ الْحِصَارُ ، وَأَذْرَكَ الْجَهْدُ ، وَلَزِمَتْهُ الشَّكَايَةُ . فَقَضَى عَلَيْهِ عَقَبَ انْصِرَافِهِ مِنْ مُنَازَلَةِ جَزِيرَةِ سُفَرٍ ، بَادَرَ إِلَيْهَا بَعْدَ إِقْلَاعِ السَّيْدِ عَنْهَا ، وَعَجَزَ عَنْ قِتَالِهَا ؛ فَفَكَرَ إِلَى مُرْسِيَّةٍ ؛ فَتَوَفَّيَ عَاشِرَ رَجَبٍ مِنْ عَامِ ٥٦٧ . وَاسْتَوْسَقَتْ طَاعَةُ الْمُوَحَّدِينَ بِالشَّرْقِ ، وَشَمَلَتْهُ دَعْوَتُهُمْ .

### أَيَّامُ يَوْسُفَ بْنِ هَلَالٍ صَهْرِ ابْنِ مَرْدَنِيَش

كَانَ يَوْسُفُ بْنُ هَلَالٍ صَهْرُ الْأَمِيرِ شَجَاعًا حَازِمًا ، أَحْظَاهُ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ ، وَصَاهَرَهُ ، وَجَعَلَ لِنَظَرِهِ حِصْنَ مَطَرِيْشَةَ وَمَوَاضِعَ كَثِيرَةً . وَفَسَدَتْ طَاعَتُهُ ؛ فَقَبِضَ عَلَيْهِ ، وَنَكَبَهُ ، وَعَنَفَ بِهِ ، وَاسْتَخْلَصَ مَا كَانَ لِنَظَرِهِ ، وَتَرَكَهُ . فَأَعْمَلَ الْحِيلَةَ ، وَلَحِقَ بِمُورَتَلَّةَ ، وَثَارَ بِهَا ؛ وَعَاقَدَ صَاحِبَ بَرْجِلُونَةَ عَلَى تَصْيِيرِ مَا يَمْلِكُهُ إِلَيْهِ ؛ فَأَعَانَهُ بِخَيْلٍ مِنَ النَّصَارَى ، لَمْ يَزَلْ يَضْرِبُ بِهَا وَيُؤَالِي الضَّرْبَ عَلَى بَلَنْسِيَّةَ ، وَيَشْجِي أَهْلَهَا . وَتَمَلَّكَ الصَّخْرَةَ وَالصَّخِيرَةَ وَغَيْرَهُمَا ، وَأَوْقَعَ بَابَ مَرْدَنِيَشِ وَقِيعَةً أَنْهَزَمَ ابْنُ مَرْدَنِيَشِ فِيهَا . ثُمَّ اسْتَرْجَعَ ابْنُ مَرْدَنِيَشِ ، وَسَاعَدَهُ الْجِدُّ فِي جَرِيدَةِ خَيْلٍ وَجَبَّهَا بِبَعْضِ الْأَطْرَافِ لِلضَّرْبِ عَلَى مُورَتَلَّةَ الْمَوْضِعِ الْمَذْكُورِ ؛ فَلَقِيَتْ الْبَائِسَ ابْنَ هَلَالٍ مُتَوَجِّهًا فِي مُخَوِيَّتِهِ إِلَى سَنْطَبِيْطُورٍ ؛ فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَسَيَّقَ إِلَى ابْنِ مَرْدَنِيَشِ ؛ فَأَسْرَعَ بِهِ إِلَى مُورَتَلَّةَ ، وَطَلَبَهُ بِإِخْلَافِهَا ، وَإِلَّا تُزِرَعَتْ

عَيْنُهُ ؛ فَأَبَى ذَلِكَ . فَأَمَرَ ابْنُ مَرْدَنِيَشِ ؛ فَأُخْرِجَتْ عَيْشَةُ الْيَمْنَى بَعُودَ . ثُمَّ قَرَّبَ مِنْ مُورَتَلَّةَ وَطَلَبَ بِإِخْلَاءِ الْحِصْنِ ؛ فَدَعَا بِزَوْجِهِ وَطَلَبَهَا بِإِخْلَاءِ الْحِصْنِ أَوْ تُخْرَجَ عَيْنُهُ الْأُخْرَى ؛ فَحَمَلَ عَلَى التَّكْذِيبِ ، وَلَمْ يُجِِبْهُ أَحَدٌ ؛ فَأُخْرِجَتْ لِلْحَبَنِ عَيْنُهُ الْأُخْرَى . وَسَيَّقَ إِلَى شَاطِئِهِ ؛ فَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٦٤٣ . وَقَدْ تَكَرَّرَ بَعْضُ حَدِيثِهِ .

### أَيَّامُ الْمُتَأَمِّرِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَفْرَجَ بْنِ هَمُشْكَ

وَكَانَ جَدُّ إِبْرَاهِيمَ مُفَرَّجٌ أَوْ هَمُشْكَ نَصْرَانِيًّا مَقْطُوعَ أَحَدِ الْأُذُنَيْنِ ، أَسْلَمَ . وَكَانَ مَعْرُوفَ الشَّجَاعَةِ ؛ إِذَا رَأَى النَّصَارَى فِي الْحَرْبِ ، قَالُوا : « هَمُشْكَ ! » وَمَعْنَاهُ : هَذَا مَقْطُوعُ الْأُذُنِ . وَكَانَ إِبْرَاهِيمَ دَلِيلًا بِالْأَرْضِ وَفَارِسًا نَجْدًا ، خَدَمَ مَعَ النَّصَارَى ، وَتَقَرَّبَ إِلَى ابْنِ غَانِيَةَ بِقَرْطَبَةِ ؛ وَسَافَرَ رَسُولًا بَيْنَ ابْنِ حَمْدَانَ وَبَيْنَ مَلِكِ قَسْتَلَتَةَ ، إِلَى أَنْ تَمَكَّنَ مِنَ الْإِنتِزَاعِ بِحِصْنِ سَقُوشِ ؛ ثُمَّ تَغَلَّبَ عَلَى سَقُورَةَ ، وَتَمَلَّكَهَا . فَغَلِظَ أَمْرُهُ ، وَسَاوَى مُحَمَّدُ بْنُ مَرْدَنِيَشِ ، وَدَاخَلَكَ حَتَّى عَقَدَ مَعَهُ صِهْرًا عَلَى ابْنَتِهِ ؛ فَاتَّصَلَتْ لَهُ الرِّيَاسَةُ وَالْإِمَارَةُ . وَكَانَ سَيْفًا لِيَصْهَرِهِ ، مُسَلَّطًا عَلَى مَنْ عَصَاهُ ، إِلَى أَنْ فَسَدَ مَا بَيْنَهُمَا . وَخَدَمَ الْمُوَحَّدِينَ آخِرَ أَيَّامِهِ ؛ فَكَانَ أَدْعَى الْأَسْبَابِ إِلَى خُرُوجِ الْأَمْرِ عَنْ ابْنِ مَرْدَنِيَشِ . وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَمُشْكَ جَبَّارًا ، قَاسِيًا ، فَظًّا ، غَلِيظًا ، عَظِيمَ الْجُرْأَةِ وَالْعَبَثِ بِالْحَلْقِ ، يُحْرِقُهُمُ بِالنَّارِ ، وَيَطْرَحُهُمُ مِنَ الشَّوَاهِقِ ، وَيَفْصِلُ أَعْضَاءَهُمْ بِحَالِ الْحَيَاةِ . رَأَى بَعْضُ الصَّالِحِينَ فِي النَّوْمِ وَسْأَلَهُ عَمَّا فَعَلَ اللَّهُ بِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ :

[ البسيط ]

مَنْ ضَرَّهَ الْعَيْثُ فِي الدُّنْيَا بِخَلْقَةٍ مَنْ يَصُورُ الْخَلْقَ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ  
فَلْيَصْبِرِ الْيَوْمَ صَبْرِي تَحْتَ بَطْشَتِهِ مَغْلَبًا يَمْتَطِي جَبْرَ الْغَضَا فَرُشًا

وكان قدومه على مراكش أوائل عام ٥٧١ هـ ؛ وأسكن مكناسة ؛  
ثم هلك بها عن قريب من هذا التاريخ .

## أيام أحمد بن ملحان

بوادري آش

وكان أحمد بن محمد بن ملحان الطائي الوادي شي معروف الكفاية ،  
مُضطلعاً بالعِمل . فلما دعا ابن حمدين إلى نفسه ، واقتدى به غيره ، ثار  
بوادري آش ، وتلقب بالمتأيد بالله ، وحصن القصبية ، وأخذ بالحزم ؛ ولم  
يكل أمره إلى غيره . وخاض به الفتنة خوض الجرأة ؛ فأقَى على كثير من  
الأنفس والأموال ، واقتنى كثيراً من المال والذخيرة ، واستعان على غناه  
بالفلاحة وإثارة الحرث . فكان أغنى أهل زمانه . وظهر على كثير مما  
يجاور ببلده كمدينة بسطة ؛ وبها اليوم له عقبة . واستخدم جملة من  
مشاهير أهل العلم والأدب ، كآبي بكر بن طفيل ، وآبي الحكم  
هرودس . ودخل في طاعة الموحدين لما ضيق به ابن سعد وطمع فيما بيده ؛  
وكان خروجه إليهم عنها سنة ٥٤٦ . واستعمل بمراكش في اشتغال  
البحيرة وبينائها وإجراء مائها . ونكّب ؛ وجرت عليه محنة استهلك  
ما بيده . وتوفي بمراكش على هذه السبيل .

فهذا ما حضر من مشاهير الثوار بأعقاب دولة اللمّتونيين على الاختصار .

## ذكر تصيير أمر الاندلس

إلى ملوك آل عبد المؤمن المدعوين بالموحدين ، على  
سبيل الإلماع والإحالة ، إذ الكلام فيهم يستوفى  
عند ذكر دولتهم بالمغرب إن شاء الله

قلت : ولما اضطرب أمر المرابطين من لئونة بالاندلس ، وضعفوا ،  
وكثرت الفتن والثوار ، واغتم العدو ذلك ، فاستولى على البلاد ، واشتهر  
ظهور الدولة المؤمنية والطائفة المهدية بالمغرب ، وافتتحوا دار الملك  
مراكش ، واستأصلوا أرباب الأمر ، تعلقت آمال المسلمين بهم ،  
واستصرخهم الناس ، وثاروا من بلادهم من المرابطين ، سوء جوارٍ وحباً  
في الإدالة وتبدل الملوك ؛ وقل أن رأوا أيلة أنفع أو أجرى في قتال  
العدو من لئونة . فأجابهم صاحب الدعوة الأمير عبد المؤمن بن علي ،  
وبعث إليهم جيشه لتظفر إبراهيم بن براز المسوفي في شعبان من سنة ٥٤١ .

## دولة الامير أبي محمد عبد المؤمن بن علي بالاندلس

ولما أطاع عبد المؤمن بن علي الكثير من البلاد الأندلسية بجهة الغرب :  
إشبيلية ، ومرشيش ، ولبللة ، فحرك إلى الأندلس في ذي القعدة من عام  
٥٥٥ . واحتل بجبل الفتح في الشهر المذكور . ووفد عليه أهل الأندلس ،  
وأشدته الشعراء . وفي ذلك يقول أبو عبد الله بن صاحب الصلاة :

[الطويل]

تلاً من نور الخلافة بارق أضاءت به الأفاق والليل غاسق



وأشرفت الديار به فكأنما من البشر في كل الجهات مشارق  
وفي ذلك يقول أبو عبد الله الرضائي، شاعر الأندلس في وقته، قصيدته  
الشهيرة التي وصف فيها جبل الفتح، وهي:

لوجئت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ومن نور  
من كل زعراء لم ترفع ذوابتها ليلاً لساو ولم تثبت لغرور  
فيضته القدح من نور النبوة أو نور الكرامة تجلو ظلمة الزور  
ما زال يفضيها التقوى بموقدها صوام هاجرة قوام ديجور  
حتى أضاءت من الإيمان عن قبس قد كان تحت رماد الكفر مكفور  
نور طوى الله زند الكون منه على سقط إلى زمن المهدي مذخور  
وآية كإيالة الشمس بين يدي غزو على الملك القيسي مذخور  
يا دار دار أمير المؤمنين بسفح الطود طود العلى بركت في الدور  
ذات العماديين من عز وملكة على الأساسين من قدس وتطهير  
ما كان بانك بالواني الكرامة قصر على مجمع البحرين مقصور  
مواطن من نبي طالما وصلت فيها الخطا بين تسيح وتكبير  
حيث استقلت به نعلاه بوركتا فطيت كل موطوء ومعبور  
وحيث قامت قناة الدين ترفل في لواء نصر على البرئين منشور  
في كف منشور البردين ذي ورع على التقى وصفاء النفس مفطور  
يلقاك في حال غيب من سريره بعالم القدس مشهود ومحطور  
تسم الفلك من شط المجاز وقد نودين: يا خير أفلاك العلا سيري  
فيسرن يحملن أمر الله من مليك بالله منتصر في الله منصور  
تومي له بسجود كل تحركة منها ويوليه حمداً كل تصدير  
لما تسابقن في بحر الزقاق به تركن شطيه في شك وتحير

أهز من عطفه اثناء مسرور أم خاض من لجه أحشاء مذخور  
كأنه سالك منه على وشل في الأرض من مهب الأسياف متطور  
من السيوف التي دانت بسطوته وقد رما نار هيجاه بتسغير  
ذي المنشآت الجواري في أجرتها شكل الغدائر من سدل وتضفير  
أغرى المياه وأنفاس الرياح بها ما في سجاياه من لين وتعطير  
من كل عذراء حبلى في ترائبها ردعان من عنبر ورد وكافور  
تخالها بين أيد من مجادفها يعرفن في مثل ماء الورد مبخور  
وربما خاضت التيار طائفة بشل أجنيحة الفتح الكواسير  
كأنما عبرت تحتال عائمة في زاخر من ندا يناه معصور  
حتى رمت جبل الفتحين من كتب بساطع من سناه غير مهور  
له ما جبل الفتحين من جبل معظم القدر في الأجيال مذكور  
من شامخ القدر في سحابه طلّس له من الغيم جيب غير مزور  
معبراً من ذراه عن ذرا ملك مستطر الكف والأكناف مطور  
تسمي النجوم على تكليل مفرقه في الجو حائمة مثل الدنانير  
وربما مسحته من ذوابها بكل فضل على فوده مجدور  
وأرد من ثناياه بما أخذت منه معاجم أعواد الدهاير  
محك حلب الأيام اشطرها وساقها سوق حادي العير للعير  
مقيد الخطو جوال الحواطر في عجب أثره من ماض ومنظور  
قد واصل الصمت والإطراق مفتكراً بادي السكينة مغبر الأساير  
كأنه مكن مما تعبّره خوف الوعدين من ذلك وتسيير  
أخلق به وجبال الأرض واجفة أن يطمئن غداً من كل مخدور  
كفاه فضلاً أن انتابت مواطئه نعلا مليك كريم السعي مشكور

مستنشقاً بهما ريح الشفاعة من ثرى إمام بأقصى الغرب مقبور  
ما انفك أملٌ أمرٍ منه بين يدي يوم القيامة محترم ومقدور  
حتى تصدئ من الدنيا على رمق يستنجز الوعد قبل النفخ في الصور  
مستقبل الجانب الغربي مرتقباً كأنه بائث في جوٍّ أسير  
لبارق من حسام سله قدراً بالغرب من أفق البيض المشاهير  
إذا تآلق قيسياً أهاب به إلى شفى من مضاع الدين موتور  
ومنها

ما عن في الدين والدنيا له أرب ألا تآلى له من غير تعذير  
ولا رمى من أمانيه إلى غرض إلا هدى سهمه نجح المقادير  
حتى كأن له في كل آونة سلطان رق على الدنيا وتسخير  
بميزر الجيش ملتقى مواكبه من كل مثلول عرش الملك مقهور  
من الأولى خضعوا قسراً له وصفوا لأمره بين منهيٍّ ومأمور  
من بعد ما عندوا دهرأ فما تركوا إذ أمكن العفو ميسوراً لمصور  
بقية الحرب فاتوها وما بهم في الطعن والضرب سباء لتقصير  
ومنها

إذا صدعت بأمر الله مجتهداً ضربت وحدك أعناق الجاهير  
لا يوهلن لتقليل أخو سبب من الأمور ولا يركن لتكثير  
فالبجر قد عاد من ضرب العدا يبرأ والأرض قد غرقت من فور تنور  
وإنما هو سيف الله قلده فموضع الجدة منه جد مشهور  
والشمس إن ذكرت موسى فما نسيت فتاه يوشع قماع الجباير

ولما قضى وطره من إصلاح أحوال الأندلس والنظر في مهماتها  
وحسبم علانها ، وقدم أولاده بقواعد الأندلس ، قفل عنها إلى مراكش

لتوطيد ملكه ؛ وقد اتصل به ما أوجب ذلك . فتوفي - رحمه الله  
ليلة الخميس عاشر جمادى الآخرة سنة ٥٥٨ . وعهد إلى ولده يوسف

### دولة الأمير يوسف بن عبد المؤمن بن علي بالاندلس

وكان ملكاً كبيراً ؛ جاز إلى الأندلس ، واستخلص بلاد سغد بن  
مردينش ، وفتح حصن بلنج من حصون الرُوم . وانصرف إلى المغرب  
بعد أن قرّر أمور الأندلس . ثم جاز في سنة ٥٨٠ ، ونازل مدينة  
سنترين ؛ فأصيب بجراحة من قبل حامية النصارى لم تخطه ؛ فكانت  
منها وفاته بحلة عزائه ، ليلة الثامن والعشرين لربيع الآخر سنة ٥٨٠ .  
وقام بأمره ولده يعقوب .

### دولة يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن

#### بالأندلس

وكان ملكاً جليلاً فاضلاً ورعاً . فتح البلاد الإفريقية ، واستخلص  
ميورقة ، وأوقع بطاغية الرُوم الواقعة العظمى المنسوبة إلى الأرك : بلغ  
عدد القتلى بها ثلاثين ألفاً . وواصل العدو وعقد السلم . واستأن الله  
به في ربيع الأول سنة ٥٩٥ . وولي بعده ولده الناصر .

### دولة محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف

#### بن عبد المؤمن بالأندلس

وكان ملكاً كبيراً . فتح ميورقة ثانية من يد الميوريقي . ونحر

بن إفريقيا ؛ فدوَّخها ومهَّدها . ثم قفل إلى الأندلس . وعظمت نكايته العدو . والتقى بذلك النصارى مغلوب أبيه يوم الأرك ؛ فكانت على المسلمين الهزيمة الكبرى المنسوبة إلى العقاب . ولم تستقل الأندلس بعدها عشرة ؛ وكانت يوم الإثنين الثامن لصفر من سنة ٦٠٩ . وجاز إلى المغرب ، واحتشد ، واستكبر ، ولم يُسَقِ غايةً ، وعزم عزماً لم يتقدَّم للملك قبَّله ، إلا أن الدهر قطع عليه أمله . فتوفي في شعبان من سنة ٦١٠ . ولم يعد بعدهم إلى الأندلس أحد من ملوك الموحدين ، إلى أن انقرضت أيامهم . فينبغي أن نقف عنده ، ونستوفي من بقي من أملاكهم بوضع ذلك من الكلام في ملوك المغرب . فليُنظَره هنالك من أراد .

## ذكر الثوار والطوائف والمتملكين

### من بعد دولة الملوك آل عبد المؤمن بالأندلس

قلتُ : وقد كانت أيدي هذه الدولة المؤمنية أنقَت الأرض من عُشب الثوار ؛ فلم تترك منها عيناً إلا صيرته أثراً ، ولا حبراً إلا ردَّته خبراً . واتَّفت الأمة على دعوةٍ واحدةٍ . ثم إنهم ضعفوا واختلَفوا ؛ ولو شاء الله ، ما اختلَفوا . فنارت الثوار ، وكثرت الغوَّار ، واشتعلت للفتن النار ، وضوت البلاد طيَّ برود الكفار . فكان على آخر هذه الدولة منهم من يُذكر .

### بقية اخبار بني مردنيش بشرق الاندلس

ولما أفرط الأمر بظهور محمد بن سعد بن مردنيش ، وقعت بينه وبين الموحدين الحروب المشهورة ، أجاز البحر الأمير أبو يعقوب يوسف بن عبد

المؤمن إليه سنة ٥٦٧ ؛ وكان قد قسَّد ما بين ابن سعد وبين خدامه وكثير من قرابته ؛ فاضطرب أمره . وكان قد أرَّكب النصارى ، واجتاح لهم مالا ضاقت عنه جبايته . وفرَّ عنه أخوه الرئيس أبو الحجاج بن سعد ؛ ففسد فكره وساء ظنه ، وأوقع بوزرائه . فهلك برض الذبول في رجب هذا العام .

وتولَّى الأمر بعده ولده أبو القمَر هلال بن محمد بن سعد ، وبادر بالتخلُّص عن مُرسية ، والإذعان للأمير أبي يعقوب بالطاعة . فوجه الأمير أبو يعقوب إلى مُرسية السيد أبا حفص أخاه . وقدم هلال بن محمد إشبيلية مُستَهيل رمضان من السنة . فذكروا أن الأمير محمد بن سعد لما يئس من نفسه ، وعلم بتصير ملكه إلى الموحدين ، أشهد على نفسه بإيضاء يوسف بن عبد المؤمن عدوه على ولده وأهله ، ورغب منه في قبول ذلك . وجلب إليه ولده بعد موته ؛ فرق لهذا القصد الأمير أبو يعقوب ، واهتز لرغي هذه الوسيلة ؛ فتزوَّج ابنة أبي عبد الله بن سعد ، وخلط أهله بنفسه . وأورثهم ذلك ملك البلاد الشرقية زمناً غير يسير . وكان لإعراسه بينت ابن سعد ليلة السبت الخامس لربيع الأول من سنة ٥٧٠ ؛ وولع بها ، وتعلَّبت عليه حتى كان الناس يَضربون المثل بحُب الخليفة للزَّرقاء المرَدَنيشية . واتَّفَق لقومها من البخت بسبها ما لم يتفق لثائر فلا يُخالِف ملك من إعادته إلى ملكه . فأنفذ تقديم الأمير أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش على بلنسية وجهاتها ، وقدَّم غانم بن محمد ، ابن أخيه ، على أساطيل العدو بسبته . وأمسك هلالاً بحضرته أثير الرتبة لديه .

## أيام الأمير

### أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش وبنيه

واستقرت ولاية الرئيس أبي الحجاج بالبلاذ الشرقية مدة حياته إلى أن هلك في سنة ٥٨٢ . وتخلّف جُملةً من الولد الرؤساء . فمنهم : أبو الحَمَلات مُدافِع ، وأبو الظُّفَر غَالِب ، وأبو الحَارِث سَبْع ، وأبو سُلْطَان عَزِيز ، وأبو سَاكِن عَامِر ، وأبو مُحَمَّد طَلْحَة . هؤلاء رأَسوا وشهروا بالبلاذ الشرقية في أخريات دولة الموحّدين . فلما انشقت العصا من لدن وفاة المُسْتَنْصِر ، خاضوا في الفتن مع الحاضرين ، واستقرت الرئاسة في أبي جَمِيل زَبَّان بن أبي الحَمَلات مُدافِع بن الرئيس يُوسُف بن سَعْد . وكان مُدافِع قد استشهد سابغاً ، وفي حياة أخيه أبي السُّلْطَان عَزِيز بن سَعْد صاحب جزيرة سُفُر . فلما أزمع السُّدُّ أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب الخروج عن بِلَنْسِيَة ، والاعتصام ببعض معاقليها ، ليكون أقدَر على ضبط أمره ، وامتنعت عليه ، وأجّاه الاضطراب إلى اللحاق بصاحب أرغون ، بادر الرئيس أبو جَمِيل ببِلَنْسِيَة من مستقرّه يومئذ بمدينة أبادّة ؛ فدخلها يوم الإثنين السادس والعشرين لصفر سنة ٦٢٦ ؛ وسكن القصر ؛ وأخذ البيعة لنفسه أوّل ربيع الأوّل من السنة ، داعياً للعباسي بيغداد . ثم دخلت دانيّة في بيعته ؛ فاتسع عمّله ، ورجبت ساحته ؛ وتخلّك في رجب من هذه السنة حصن قُربُثِيّة ، ودخلت جنجالّة في بيعته . فضخم مُلكه ، واشتهر جهاده ، إلى أن كانت عليه الواقعة بأنيسة من ظاهر بِلَنْسِيَة ، هلك فيها من المسلمين ما لا يحصى إلا الله ؛ وكلب عليهم عدوُّ الشرّ ، ويئسوا من نصره أهل الأندلس وأهل المغرب ؛ فتعلّقوا ببيعة الأمير أبي زكرياء بتونس ، واستصرخوه ، وأطمعوه بفتح

الشرّ . وصدر من الاستنصار المنظوم في ذلك القصيدة الشهيرة من نظم الكاتب أبي عبد الله بن الأَبَّار التي أوّلها :

أدركُ بحيلِك خيلَ الله أنْدَلُسًا إنَّ السبيلَ إلى منجّاتها كرسًا حسباً يأتي في اسم الأمير أبي زكرياء بحلّه إن شاء الله . ولم يصل جوابه وإمداده إلا والطاغية قد نازل بِلَنْسِيَة ، وذلك يوم الخميس خامس رمضان من سنة ٦٣٥ . وواصل عدوُّ الله جاقمهُ مَلِكُ أرغون مُنازلة بِلَنْسِيَة ورميها بالمجانق وشدة القتال ؛ وما زال المسلمون تنقص أعدادهم ، والنصارى تتوارد أمدادهم ، إلى أن نفذت الأقوات ، واستولى الجوع ، وضعفت القوى ، وأكملت الجلود والرؤوق . وبلغ الكتاب أجله ؛ فكانت المروضة على إسلام البلد ، والخروج عنه في الرابع عشر لصفر من السنة ، بعد سنة المنازلة . وخرج الأمير أبو جَمِيل والشهود ؛ وعقد الصلح بعدها على دانيّة وقليبيّة . وكان الرزّة على المسلمين في أخذ بِلَنْسِيَة عظيماً ، والخطب فيها ألياً . وفي ذلك يقول القاضي أبو المطرّف بن عبيدة :

ما بال دمعك لا يني مداره أم ما لقلبك لا يقرّ قراره  
أللوّة بين الضلوع لظاعن سارت ركائبه وشطّت داره  
أم للشباب تقادفت أوطانه بعد الدنو وأخلفت أوطاره  
أم للزمان أتى بخطب فادح من مثل حادثة خلت أعصاره  
بحر من الأشجان عبّ عابه وارنج ما بين الحشى زخارّه  
في كلّ قلب منه وجدّ عنده أسف طويل ليس تحبو نارّه  
أما بِلَنْسِيَة فمشوى كافرٍ حفت به في عقرها كفارّه  
زوع من المكروه حلّ حصاده بين العدى وغداة لجّ حصاره  
وعزيمة للشرّك جعّجّع بالهدى أنصارها إذ خانه أنصاره

قُلْ كَيْفَ تَلْبَثُ بَعْدَ غَزْوِ الْعَدَى آثَرُهُ أَوْ كَيْفَ يُدْرِكُ ثَارُهُ  
مَا كَانَ ذَلِكَ الْمِصْرُ إِلَّا جَنَّةٌ لِلْحُسَيْنِ تَجْرِي نَحْتَهُ أَنْهَارُهُ  
طَابَتْ بِطَيْبِ نَهَارِهِ آصَالُهُ وَتَعَطَّرَتْ بِنَسِيمِهِ أَشْجَارُهُ  
وَتَأَلَّفَتْ أَوْقَاتُهُ وَتَفَسَّحَتْ أَرْجَاؤُهُ وَتَفَتَّحَتْ أَنْوَارُهُ  
أَمَّا السَّرَارُ فَقَدْ عَدَاهُ وَهَلَ سَوَى قَصَرِ السَّمَاءِ يَزُولُ عَنْهُ سَرَارُهُ  
قَدْ كَانَ يَشْرُقُ بِالْهَدَايَةِ لَيْلُهُ فَالآنَ أَظْلَمَ بِالظَّلَامِ نَهَارُهُ  
وَدَجَا بِهِ لَيْلُ الْخُطُوبِ فَصَبَحَهُ أَعْيَا عَلَى أَبْصَارِنَا إِسْفَارُهُ  
إِيَّاهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَإِنَّهُ نَبَأٌ يَرْجِعُ لَوُعْيِ تَذْكَارُهُ  
عَاطِيَتِي ذَكَرَ الْجَلَاءِ وَإِنَّهُ جَلَاءُ أَنْسِيٍّ إِذْ أَنْتَ أَخْبَارُهُ  
وَقَدَحْتَ زَنْدَ أَمْسٍ لَهُ بَيْنَ الْحَشَى عَمَلٌ تَلَاقَى مَرْخُهُ وَغَارُهُ  
وَلَقَدْ نَطَقْتَ بِمُقْنَضِ الرَّدِّ الَّذِي رَاقَتْ نَضَارَتُهُ وَطَابَ نَضَارُهُ

ولم يطل الزمان بالشَّرْقِ أَنْ انْهَارَ ، وَأَجَابَ الْكَفَّارَ . فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ  
بِابْنِ مَرْدَنِشَ . فَهَمَّ بَيْنَ قَتِيلِ شَهِيدٍ ، وَمُنْتَقِلٍ مِنْ ثَوْنَسٍ إِلَى إِيَالَةِ  
الشَّوْجِيدِ .

## ايام ابي بكر عزيز بن ابي مروان بن خطاب

### بمُوسِيَّة

وكان هذا الرجلُ صَدْرَ الْبَلَدَةِ ، وَالْمَرْجُوعَ إِلَيْهِ بِهَا فِي أُمُورِ الْعَقْدِ  
وَالْحُلِّ . وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالنَّسْكِ ، وَأَوَّلِي التَّقْوَى وَالْبِرِّ ، كَثِيرَ  
الْحُشُوعِ ، مَعْرُوفَ الْخَيْرِ ، كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ ، مُشْتَغِلًا بِالْعِبَادَةِ ، مُلَازِمًا  
بَيْتَ اللَّهِ . ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ الْمُسْلِمَ عَلَى مَنْ لَمْ يُضِفْهُ اللَّهُ إِلَى عِبُودِيَّتِهِ مِنْ  
بَنِي آدَمَ اسْتَنْزَلَهُ ، لِقَبُولِ الْإِمْرَةِ بِمُوسِيَّةَ وَمَا إِلَيْهَا ، مَعَ قَطْعِ صَبِيِّ الْمَهْدِ

وَرَضِيَ عَنِ النَّدْيِ بِسُوءِ عَقْبِي مِنْ يَنْحُمِلُ ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ . فَقَامَ بِالْأَمْرِ ، وَهَجَرَ  
الْمَسْجِدَ ، وَنَشَبَهُ بِالْمُلُوكِ ، وَسَبَحَ فِي بَحْرِ الْخَوْضِ عَلَى كَثْرَةِ الْمَنَازِعِ ،  
وَعَدَمِ الْمَالِ ، وَكَلَبِ الْجُنْدِ ، وَقَلَقِ الرِّعْيَةِ . فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ فِي الْمَحْرَمِ  
مِنْ سَنَةِ ٦٣٦ ؛ وَبَيَعَتْهُ مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْمُطَرِّفِ بْنِ عَمِيرَةَ سَهْمِيَّةً .

وَلَمْ يَقُمْ بِالْأَمْرِ حَتَّى قَعَدَ . وَكَانَتْ عَلَيْهِ لِلنَّصَارَى وَقِيعَةٌ لَمْ يُحْكَمْ فِيهَا  
الْمُصَافَ ، وَلَا عَرَفَ الْقِتَالَ ، فَهَلَكَ فِيهَا جَمَلَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْهَنْتِ  
الْبَلَدَ ، وَكَرِهَتْهُ إِلَى أَهْلِهِ . وَفِي السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ ٦٣٦ ،  
اسْتَدْعَى أَهْلُ مُوسِيَّةِ الْأَمِيرَ أَبَا جَمِيلَ بْنَ مَرْدَنِشَ ؛ فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ  
طَوْعًا . وَهَاجَتِ الْعَامَّةُ ؛ فَدَخَلَتْ قَصْرَ ابْنِ خَطَّابٍ ، وَانْتَهَبَتْ مَا فِيهِ عَلَى  
اخْتِلَافِهِ مِنْ فَرَشٍ وَثِيَابٍ وَآتِيَةٍ وَمَالٍ . وَقُبِضَ عَلَيْهِ ؛ وَبَقِيَ مُعْتَقَلًا إِلَى  
أَنْ قُتِلَ بِيَعُضِ زَوَايَا الْقَصْرِ لَيْلَةَ الثَّلَاثَةِ الْمُوفِي عَشْرِينَ لِرَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٣٦ .  
وَأُخِذَتْ بِهَا الْبَيْعَةُ لِلْأَمِيرِ أَبِي زَكْرِيَّا صَاحِبِ ثَوْنَسٍ ؛ وَانْتَضَمَتْ لَهُ الْبِلَادُ  
الشَّرْقِيَّةُ . فَمَضَى عَلَى هَذَا السَّبِيلِ .

## ايام الرئيس ابي عثمان سعيد بن حكم الاموي

### بمُورَقَّة

كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ طَبِيعَةِ غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ . وَتَلَوَّنَ بِهِ الدَّهْرُ ،  
وَجَالَ الْأَنْدَلُسَ وَإِفْرِيقِيَّةَ بَرْهَةً . ثُمَّ دَخَلَ جَزِيرَةَ مَمُورَقَّةَ مُشْرِفًا بِهَا .  
ثُمَّ نَالَ بِهَا الرِّيَاسَةَ لَمَّا افترقتِ الْكَلِمَةُ وَاخْتَلَّ أَمْرُ الْمُوَحِّدِينَ . وَحَسَّنَ بِهَا  
تَدْبِيرُهُ ، وَعَلَا قَدْرُهُ ، وَأَعْظَمَتْهُ الْمُلُوكُ . وَكَانَ بَعِيدَ الْمَهْمَةِ ، اجْتِلَابًا لِأَهْلِ  
الْعِلْمِ ، وَاصْطِنَاعًا لَهُمْ ، وَافْتِكَارًا لِمَنْ تَحْصُلُ مِنْهُمْ بِيَدِ الْعَدُوِّ . وَلَدَيْهِ  
حَظٌّ جَزِيلٌ مِنْ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ وَقَرَضَ الشَّعْرَ وَحَسَّنَ الْخَطَّ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ  
شَدِيدَ الْقَسْوَةِ وَالْعَقَابِ ، مُسْتَهِينًا بِالدِّمَاءِ .

حدثني الشيخ السري أبو الحسين التلمساني ، وكان عمه أبو عبد الله البرقي كاتباً لابن حكيم بمنورقة ، قال : كان من سيرته أن يقتل الناس عقاباً على شرب الخمر . وكان قد اجتمع المحدث ابن مفلح للرواية عنه وسامع كتاب البخاري عليه ؛ اغتم ذلك لئيه . قال : فبينما الكتاب يُقرأ إذا أتى إليه برجل قد شرب الخمر ؛ فأمر به ؛ فضربت عنقه . قال : فطوى ابن مفلح الكتاب ، وحلف أن لا يُسمع عليه منه حديث ؛ وقال : « حفظك الله ! تطلب رواية السنة وتصحيحها ، وتعدى حدود الله هكذا ! والله ! لا سمعت مني حرقاً أبداً ! » فقال : « يا فقيه ! هذه الجزيرة كثيرة العنب ، والناس يشربون الخمر بها ويسكرون ؛ فيضيعون الاحتباس ؛ فيظهر علينا العدو ! » فقال له : « هذا شيء لا يخلص عند الله ! لم تشرك الشريعة شيئاً من موازين صلاح الدنيا والآخرة إلا أعطته حقاً ! » وانصرف عنه . ودامت ولايته بمنورقة ، مقصوداً من الفضلاء والأدباء ، حسبما يظهر من ترسيل أبي المطرف وابن الجئان وغيرهما ، نحواً من خمسين سنة ، إلى أن توفي في حدود عام ٦٨٠ . وورث رياسته بعده ولده أبو عمر .

## ايام ابي عمر حكم بن سعيد بن حكم الاموي

### بمنورقة

وكان أبو عمر أفضل من أبيه في دماثة الخلق ، والعفة عن الدماء والأبشار ، والاجتناب للعظائم ، مع حسن الخط ، ورواية الحديث ، وقرض الشعر ، إلا أنه لم يستقل استقلال أبيه ، ولا نهض نهضته . فانصرفت أطماع العدو البرجيلوني المجاور لثغره إلى تلكه ؛ فم له ذلك ، ونفذ قدر الله فيه ، سنة ٦٨٦ . فاستولى على الجزيرة ، وأجلى عنها

المسلمين . ولحق أبو عمر بسبته ، وقد رفع إليها رمة أبيه ، بعد أن كان نزل بالمريّة . ووصل إلى غرناطة ، وأقام بها أياماً تحت جراية أميرها .

وحدثني من رآه ورأى عنه من شيوخنا أنه كان رجلاً قويم السمات والمهدي ، جميل الرواء ، عظيم الوقار والتودد . وله أولاد كالنجوم جمالاً ووسامة . وكان نساؤه وخدمته يلبسن عقائر حمراء منسدة عليهم في زي غريب . وركب البحر هو ، وبنوه ذكورهم وإناثهم ، وحاشيتهم ، قاصداً تونس ؛ وقد بذر بها والده ذماماً وأثّل له خطوة . فعدا عليهم البحر بأحواز الجزائر جزائر بني مزغنا . فزعموا أن صاحب المركب عزم عليه في ركوب الثاني الذي يتبع المركب ، وقد انتقى فيه الأعزّة عليه ؛ فقال له أبو عمر : « ومن معي ؟ » فقال : « لا سبيل إلى ذلك فلننقن بنفسك ! فهو الذي نقدر عليه لك ! » فرجع إلى الطارمة حيث بنائه وكرامته ، وسدّ عنقه عليهم وعلى نفسه ؛ فلم ينج منهم أحدٌ - نفعهم الله بالشهادة ! - وكان ذلك في أخريات العام المذكور أو في العام بعده .

وليس الكلام في منورقة من شرط الأخبار الأندلسية ؛ ولكنها أنسب إليها منها إلى غيرها ، إذ لم تزل راجعة إليها ، وتابعة لأحكامها ؛ فهذا وجه المساحة ، كما أضيف صقلية إلى إفريقية .

## دولة السلطان محمد بن يوسف بن هود الجذامي

وهذا الرجل هو الذي تعين صاحب الأندلس من بعد انقراض دولة الموحدين ، وملك مرسية وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة والمريّة وما إلى ذلك ، بحال اجتماع واقتراح ، وانتزاع من أهلها عليه وشقاق . وكان يدعى بأمير المسلمين ، ويلقب من الألقاب السلطانية

بالمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ . وكان يَنْتَسِبُ إِلَى الْمُسْتَعِينِ بْنِ هُودٍ الَّذِي تَقَدَّمَ  
الحديث في دولته . ولأجل ذلك ، يقولُ أبو عبد الله بن مُرْج الكُحْلُ من  
قصيدة يمدحه بها :

فَتَحَتْ بِلَادَ اللَّهِ دُونَ مَشَقَّةٍ وَمَا عَرَفَتْ أَرْبَابُهَا حَادِثًا نَكِيرًا  
وَلَا بُدَّ مِنْ فَتْحِ الْبَقِيَّةِ عَاجِلًا وَيَعْجَلُ لِلْأَشْيَاءِ خَالِقُهَا قَدْرًا  
وَكَمْ زَهْرَةٍ فَتَحَتْ وَهِيَ كَامَةٌ وَلَمْ تَجْنِرْ غَيْرَ الْبَيْضِ مِنْ فَتْحِهَا زَهْرًا  
أَمَلِ ابْنُ هُودٍ أَخَذًا بِتَرَاهِ وَمَنْ كَانَ مَوْتُورًا فَلَا يَدْعُ الْوَتْرًا  
وإِنْ كَانَ مَغْضُوبًا فَإِنْ مَحَمَّدًا بِصَارِمِهِ الْهِنْدِيَّ قَدْ رَدَّه قَهْرًا  
وَنَادَى عَلَى مُلْكٍ تَقَهَّرَ مَدَّةً وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ فِي مَدَّةٍ أُخْرًا  
فِيوْشَعُ رَدَّ الشَّمْسَ فِي جُرْبَانِهَا وَمَا بَعْدَتْ نَوْرًا وَلَا نَقَصَتْ قَدْرًا  
قَضَى رَبُّهُ أَنْ يَمْلِكَ الْأَرْضَ آخِرًا فَقَدَّمَهُ فَضْلًا وَآخِرَهُ عَصْرًا  
وَكَمْ آخِرٍ قَدْ جَاءَ بِالْفُضْلِ أَوَّلًا وَهَلْ تُجْعَلُ الدُّنْيَا سِوَاءَ مَعَ الْآخِرِ  
فِي رَمَضَانَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ كَوْنَهَا وَمَا صَحَّحَتْ إِلَّا أَوَاخِرَ الْعَشْرِ

وكان شجاعاً ، كريماً حَيِّياً وَفِيّاً ، متوكِّلاً عليه ، سليمَ الصدر ،  
قليلَ المبالاة بالأُمُور ، محدوداً ، لم ينصر به جيشٌ ، ولا وفق له رأيٌ ،  
لغلبة الحقِّ عليه واستعجاله الحركات ونشاطه إلى لقاء الأعداء من غير كمال  
استعداد . وكان خروجه من مُرْسِيَّة تاسِعَ رَجَبِ سنة ٦٢٥ ، وظهوره  
بالصُّخُور من جبهاتها في نفرٍ يسيرٍ من الأجناد . وكان الناسُ يستشعرون  
ذلك ، ويرتقبون ظهورَ طالِبٍ للأمر اسمُه محمد ، واسمُ أبيه يُوْسُفُ ؛  
وهي العِلَّةُ المحرِّكةُ بعده لمحمد بن يُوْسُفُ بن نصر بن الأحمر . وجرى  
على الناسِ بسبب ذلك في زمنِ الموحِّدين امتحانٌ شقي به قومٌ مِمَّنْ وافقَ  
هذا الاسمَ أَسَاؤُهُمْ أَوْ أَسَاءَ آبَائِهِمْ . وقُتِلَ بسبب ذلك شُخْصَانِ من  
أهل جِيَّان .

ويُقال إنَّ شُخْصاً مِمَّنْ يَنْتَحِلُ علومَ الحَدَثَانِ لقي ابن هُودَ ؛ فامعن  
النظر إليه ، وسأله ، وقال له : « أَنْتَ سُلْطَانُ الْأَنْدَلُسِ ! فَاَنْظُرْ لِنَفْسِكَ ،  
وَاطْلُبْ كَامِينَ سَعْدِكَ ! وَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِكَ . فَاَنْهَضْ إِلَى  
الْمُقَدَّمِ الْعُشْتِيِّ ! » وكان العُشْتِيُّ رَجُلًا صُعْلُوكًا ذَاعِرًا يَقْطَعُ الطَّرِيقَ ،  
وتحت يده جماعةٌ من أنجاد الرجال وسباع البراز ، قد اشتهر أمرهم . فنهض  
إلى المُقَدَّمِ الْعُشْتِيِّ ، وعرض عليه الأمر ؛ فارتبط معه على أن يُوَلِّيَه قيادةَ  
الْأُسْطُولِ بِالْأَنْدَلُسِ ، إِذَا تَمَّ لَهُ الْأَمْرُ ؛ وقال : « نَسْتَفْتِحُ الْأَمْرَ بِمُغَاوَرَةٍ  
إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ بِاسْمِكَ وَعَلَى سَعْدِكَ ! » ففعلوا ، وجلبوا كثيراً من  
الغَنَمِ وَالْأَسْرِ . وَاِنْضَافَ إِلَى ابْنِ هُودٍ طَوَائِفُ مِنْ مِثْلِ هَؤُلَاءِ ، وَبَايَعُوهُ  
بِالصُّخَيْرَاتِ ، كَمَا ذَكَرَ ، مِنْ ظَاهِرِ مُرْسِيَّةِ .

وأوقع به جيشُ الموحِّدين وشرَّده . ثمَّ ثابَّ إليه ناسُه ، وعدل إلى الدُّعَاءِ  
لِلْعَبَّاسِيِّينَ ؛ فقبَّعه اللِّيفُ . ووصله تقليدُ المُسْتَصْرِحِ الْخَلِيفَةِ بِبَغْدَادَ .  
فاستبصر الناسُ في دَعْوَتِهِ ، وشاع ذِكْرُهُ ، وملك القواعد . ووفى للعُشْتِيِّ  
بِعَهْدِهِ ؛ فوَلَّاهُ أُسْطُولَ إِسْبِيلِيَّةَ ، ثم أُسْطُولَ سَبْتَةِ مُضَافًا إِلَى  
إِمْرَتِهَا وَمَا يَرْجِعُ إِلَيْهَا ؛ وَثَارَ بِهِ أَهْلُهَا بَعْدَهَا وَخَلَعُوهُ ، وَفَرَّ أَمَامَهُمْ فِي  
الْبَحْرِ وَخَفِيَ أَثَرُهُ ، إِلَى أَنْ تَحَقَّقَ اسْتِقْرَارُهُ أَسِيرًا فِي الْبَحْرِ بِغَرْبِ  
الْأَنْدَلُسِ ؛ وَدَامَ أَثَرُهُ زَمَانًا ؛ ثُمَّ تَخَلَّصَ فِي سَنَةِ الشَّيْخُوخَةِ ، وَمَاتَ  
بِرِبَاطِ آسْفِيَّي .

وَجَرَّتْ عَلَى ابْنِ هُودٍ هَزَانُ شِهْرَةٍ وَوَقَائِعُ مَذْكُورَةٍ ؛ أَوْقَعَ بِهِ  
السُّلْطَانُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَصْرٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ آخِرُهُنَّ سَنَةَ ٦٣٣ أَوْ ٦٣٤ . وَكَانَ  
اللقاءُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَأْمُونِ إِدْرِيسَ أَمِيرِ الْمُوَحِّدِينَ بِشَرْقِ الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٦٣٥ ؛  
فَهَزَمَهُ الْمَأْمُونُ هَزِيمَةً كَبِيرَةً ، وَلَازَمَتْهُ بِمُرْسِيَّةِ ، وَامْتَنَعَ بِهَا ، إِلَّا أَنْ  
الْمَأْمُونُ شَغَلَهُ أَمْرُ الْفِتْنَةِ الْوَاقِعَةِ بِمَرَاكُشَ ؛ فَصَرَفَ وَجْهَهُ إِلَيْهَا ، وَثَابَ  
الْأَمْرُ لِابْنِ هُودٍ ؛ فَدَخَلَتْ فِي طَاعَتِهِ الْمَرْيَّةُ ، ثُمَّ غَرَّ نَاطِقَةٌ ، ثُمَّ مَالِقَةٌ .

رجل الإيمان حتى يجيبكم الله ورسوله ! » وجاء في الحديث أن العباس دخل على النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم - فخفض النبي صلى الله عليه وسلم - صوته ؛ فقيل له : « يا رسول الله ، رأيناك خفضت صوتك لما دخل العباس ! » فقال : « إن جبريل أمرني أن أخفض صوتي عنده ، كما أمركم أن تخفضوا أصواتكم عني . » وفي الحديث : إن جبريل - عليه السلام - هبط على النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم - وعليه قباء وعمامة أسودان ؛ فقال له : « يا أخي ! ما هذه الصورة التي ما أراك هبطت علي في مثلها ؟ » فقال له : « شعار ولدي عمك العباس . وليأتين على أمك زمان يُعزُّ الله فيه الإسلام هذا السواد ؛ وسيلكون الأبيض والأحمر ، والأصفر والأخضر ، والحجر والمدر ، والصف والمخمر ، والسرير والمنبر ، والدنيا إلى المحشر ، والخلافة إلى المنشر ! وعليهم تقوم الساعة ! »

والحمد لله الذي اجتنى من هذه الذوئحة العباسية الشفاء ، والشجرة الطيبة الهاشمية التي أصلها ثابت وفروعها في السماء ، إماماً ألقى ولاءه في القلوب والأرواح ، واسترعاه ، فوجدته لأمنه خير راع ، وأوضح للناس من اعتقاده ووجوب طاعته سنناً قويمًا ، وجعله كما قال عز وجل : « وكان بالمؤمنين رَجِيماً » ، سيِّدنا ومولانا إمام المرسلين ، وخليفة الله في الأرضين ، ووارث الأنبياء والمرسلين ، والمفترض الطاعة على الخلق أجمعين ، الممنون بإياله المقدسة على العالمين ، مولانا أبا جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين - ، إمام تحلَّت أجياد المنابر بجواهر شريف دعوته ، وترصعت تيجان المآثر بلائي معدلتبه وحسن سيرته ، ونزلت السكينة على العباد والبلاد بالسكون تحت وارِفِ ظلال رَأْفَتِهِ المقدسة ورحمته ؛ فالناس وادِّعون في كنف عِمير مكارمِهِ وعواطفِهِ ، والخلائق راتِعون في رياض جسيم مواهبِهِ وعوارِفِهِ . فأدام الله أيامه الزاهرة دواماً يخلق أثواب الأعوام وهو جديد ، وجعل

دَعْوَتَهُ القاهرة مقرونةً بالدوام والتخليد ، إلى يوم الوعيد . ولما انتهى إلى علومه الشريفة - زادها الله شرفاً وقُدساً - ما عليه 'مجاهد' الدين ، محمد بن يوسف بن هود ، من سلوك سنن الطاعة المؤسس بنيانها على تقوى من الله ورضوان ، والتزام شروط الولاء الذي هو علامة متانة الدين وكال الإيمان ، والتصدي لمقارعة الناكبين عن محبة الحق والهدى ، والتجريد لمُرابطة من حاد عن السنة والإجماع اللذين هما يُستَرشدُ ويُهتَدَى ، اقتضت آراؤه الشريفة المقدسة النبوية الإمامية الظاهرة الزاكية المجيدة المعظمة المكرمة المستنصرية - زادها الله جلالاً متألِّق الأنوار ، وشرفاً رفيع المنار ، واقتداراً تجوب جياده جنوب الآفاق والأقطار - أن يقلِّده أمرَ جزيرة الأندلس وما يجري معها من الولايات والبلاد ، ويُسوِّغه ما يفتتحه من ممالك أهل الشرك والعناد ، تقليداً صحيحاً شرعياً ، وتسويغاً صريحاً إمامياً ، وإنعاماً يصفو عليه لباس فخاره الفضفاض ، وتصفو لِدَيْهِ موارد مواهبه النيرة الحياض .

وقد أمره - صلوات الله عليه - بأوامر تهديه إلى سبيل الرشاد ، وتحطيه برضى الله الذي هو أنفع الذخائر في الدنيا ويوم يقوم الإِشهاد ، وما توفيق أمير المؤمنين إلَّا بالله : عليه يتوكل وإليه ينيب !

أمره بأن يتدرَّع شعار تقوى الله الذي هو خير لباس ، ويستشعر خيفته التي تجعل له كما قال عز وجل : « نُوراً يمشي به في الناس » ؛ فإن تقوى الله تعالى هي المنجاة بمن تورد مهاوي الآثام والعصيان ، والسبب الذي يعصم به من كان من العناية الأزليَّة بكان ؛ قال الله تعالى : « وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَاب . » وأمره أن يجعل كتاب الله تعالى مناراً يرجع إليه في حل المشكلات ، ومضباحاً يستضيء بمراشده في الأحكام المشتبهات ، فإنه الفرقان الفارق بين الحلال والحرام ، والنور الساطع الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه



وفي سنة ٦٢٧ ، تحرك بفَضْل شهامته في جيوش عظيمة من المسلمين لإِصْرَاحِ مَارِدَّةَ ، وقد نازَلَهَا العدوُّ وحاصَرَهَا ؛ ولقي جيش العدوُّ بظَاهِرِهَا وطَاغِيَّتَهُ ؛ فلم يَتَأَنَّ - زَعَبُوا - حتى دفع بنفسه العدوُّ ، ودخل في مَصَافَتِهِ ؛ وفقده الناسُ لِمَا غَاب عنهم ؛ فلم يرجع إلَّا وقد انهزموا مُدْبِرِينَ . وكانت هزيمةً شنيعةً . واستولى العدوُّ على مدينة مَارِدَّةَ يومئذٍ .

وفي سنة ٦٢٩ ، تَلَّكَ إِشْبِيلِيَّةَ ، وولَّى عليها أخاه الأمير أبا النُّجَاجَةِ سَالِمًا الملقَّبَ بعماد الدولة . وتَلَّكَ مَالِيقَةَ وَعَرْنَاطَةَ عام ٦٢٥ . وفي شَوَّالٍ من هذه السنة ، جنح إلى طَاعَتِهِ الرَّئِيسَانِ أَبُو زَكْرِيَاءَ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنَا الرَّئِيسِ أَبِي سُلْطَانَ عَزْرِيَّ بْنِ أَبِي الْحِجَّاجِ بْنِ سَعْدٍ ، وخرجا عن طاعة ابن عمِّهما الأميرِ أَبِي جَمِيلٍ ؛ وأخذَا له البَيْعَةَ على ما بأيديهما .

وفي سنة ٦٢٩ ، فتح الجزيرة الخضراء عنوةً ؛ وقد كان انضمَّ إليها بَقَايَا المَغْرِبِيِّينَ ؛ فَأَجَازَهُمْ إِلَى المَغْرِبِ ، وصَحَّ له تَمَلُّكُ الأَنْدَلُسِ ، وأطاعته سَبَنَةُ ؛ وملك رِبَاطَ الفَتْحِ بَسْلًا أَيَّامًا .

وفي أوائل العشر الوسط من شَوَّالٍ ، ورد عليه الخبرُ لِيَلَّا يَقْصُدَ العدوُّ جِهَةَ وادي آسٍ ؛ فَأَسْرَى لَيْلَهُ ، ولحق العدوُّ على ثَمَانِينَ مِيلًا ؛ فاستأصله السيفُ ، ولم يفلت منه أَحَدٌ . وفي سنة ٦٣١ ، وردت عليه الهديةُ والتقليدُ من المُسْتَنْصِرِ العَبَّاسِيِّ بِيَعْدَادٍ . وقُرِئَ على الناسِ كِتَابُهُ بِمُصَلَّى العيدِ من غَرْنَاطَةِ بموافقةِ اجْتِمَاعِ من الناسِ لَطَلَبِ العَيْثِ واستِسْقَائِهِ . وكان الأميرُ ابْنُ هُوْدٍ يَوْمَئِذٍ لَا يَسُودُ السُّودَ ، والرَايَةُ السُّودَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَنَزَلَ المَطَرُ يَوْمَئِذٍ ، واستبشر الناسُ . وكان يومًا مشهودًا وصنعًا غريبًا . وأمرَ بعد انصرافه أَنْ يُكْتَبَ عنه بِتِلْكَ الأَلْقَابِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا الكِتَابُ المَذْكُورُ إِلَى البلادِ .

ونصَّ الكِتَابُ ، وكانت العلامةُ فيه بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَسْطَارٍ أَوْ نَحْوِهَا :

« تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ! الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْإِنْسَانِ مِنْ صَلَاحٍ

كَالْفَخَارِ ؛ وَمَالِكِ أَرْمَةِ الْأَقْضِيَّةِ وَالْإِقْدَارِ ، وَمَكُورِ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ وَمَكُورِ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ ، الْمُتَعَالِي بِوَحْدَانِيَّتِهِ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَنْظَارِ ، الْمُتَنَزِّهَ بِكِبْرِيَاءِهِ عَنِ تَمَثُّلِ الْأَوْهَامِ وَتَكْنِيسِ الْأَفْكَارِ ، لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ، وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ ! سُبْحَانَهُ ! هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ !

والحمدُ لله الذي اختار مُحَمَّدًا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ أَطْنَبِ قُرَيْشٍ عَصْرًا وَأَرْوَمَةً ، وَأَزَلَّ كَاهَا أَصْلًا وَجَرَتْوَمَةً ، وَأَكْبَرَهَا خَوْلَةً وَعُجُومَةً ، ابْتَعَثَهُ وَالْكَفْرَ قَدْ ظَهَرَ فَنِيقُهُ وَالشِّرْكَ قَدْ قَامَتْ سَوَاقِطُهُ ، وَالضَّلَالُ قَدْ اسْتَطَارَتْ بِرُوقِهِ ، وَالشَّيْطَانُ قَدْ اسْتَظْهَرَ حِزْبُهُ وَفَرِيقُهُ ؛ فَصَدَعَ بِالْحَقِّ وَأَظْهَرَ ، وَدَحَضَ الضَّلَالِ وَدَمَّرَهُ ، وَرَفَعَ لِرِوَاءِ الْإِيمَانِ وَنَشَرَهُ ، وَأَمَاتَ الْبَاطِلَ وَأَقْبَرَهُ ، وَأَحْيَا الدِّينَ الْحَقَّيَّ وَأَنْشَرَهُ . فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ ، وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ رَفَعُوا مَنَارَ أَوَامِرِهِ الْمُتَّبَعَةِ ؛ وَعَلَى صَحْبِهِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ، صَلَاةً دَائِمَةً مُتَّصِلَةً غَيْرَ مُنْقَطِعَةٍ ، مَا وَخَدَتْ قُلُوبُ بَرَاكِبٍ ، وَأَضْحَكَ الرُّوْضُ بَكَاءَ السَّحَابِ ؛ وَعَلَى عَمِّهِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَيْرِ الْأَعْمَامِ ، وَكَافِلِ الْأَيَامِ وَالْأَيَّامِ ، وَصَاحِبِ رَمَزِمٍ وَالْمَقَامِ ، وَالْمَخْصُوصِ بِسِقَايَةِ الْحَاجِّ وَعِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، الْمُسْتَنْزِلِ بِبَرَكَتِهِ أَنْوَاءَ الْغَمَامِ ، عَنْ جَدِّ الْعَامِ ، وَمَنْ قَالَ فِي حَقِّهِ سَيِّدُ الْأَنَامِ ، مُحَمَّدٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ : « يَا عَمُّ فَيْكُمُ النَّبِوءَةُ وَالْخِلَافَةُ لَا يُنَازِعُكُمْ فِيهَا مُنَازِعٌ إِلَّا أَكْبَهُ اللَّهُ لَوَجْهِهِ . وَلَا يَزَالُ الْأَمْرُ فِي وَلَدِكَ حَتَّى يُسَلِّمُوهُ إِلَى عِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ . » وَقَالَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا . فَمَنْزِلِي وَمَنْزِلُهُ فِي الْجَنَّةِ تَجَاهَيْنِ ، وَعَمِّي الْعَبَّاسُ بَيْنَنَا مُؤْمِنٌ بَيْنَ خَلِيلَيْنِ ! اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَلِلدَّيْنِ الْعَبَّاسِ وَمُحِبِّيهِ وَلِلدَّيْنِ الْعَبَّاسِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لَا تَغَادِرُ لَهُمْ ! اللَّهُمَّ احْفَظْهُ فِي وَلَدِهِ وَأَخْلِفْهُ فِيهِمْ وَاحْفَظْ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَاعِزَّهُمْ بِعَوْنِكَ وَنَصْرِكَ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ بَاقٍ ! » وَقَالَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « يَا عَمُّ لَا يَدْخُلُ قَلْبُكَ

سبل السلام . قال الله تعالى : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ » .

وأمره أن يعمل بسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - في مصادر أموره وموارده ، وبإجماع المسلمين في جميع مناحيه ومقاصده ، فإن اتباع السنة يرسده إلى منهج الحق وسبيله ، والإجماع يوضح له معاني كتاب الله وأحكام رسوله . قال الله تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » .

وأمره أن يكثر من مجالسة الفقهاء والعلماء ، وأرباب الديانة الصلحاء ، ومشاورة العقلاء الألباء ؛ فإن مجالسة العلماء لفتح الخواطر ، ومعاشرة الصالحين فيها رادع عن اتباع الأهواء وزاجر ، ومشاورة الألباء تفتح بها زناد التوفيق في النواهي والأوامر . قال الله تعالى : « وَسْأَوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ » .

وأمره بأن يحسن السيرة في رعيته ، ويسكنهم أرحب كنف من حنوه وشقيقته ، ويساوي بينهم في مجالس نظره وحكومتيه ، ولا يفرق في التفتاته بين القوي والضعيف ، ولا يميز بما يقتضيه العدل والإنصاف بين المشروف والشريف ، ويقوي الحكماء على ما يوجبهم الشرع ويقتضيه ، ويأمرهم بإقامة القسطاس الذي يحبه الله ويرضيه . قال الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » .

وأمره أن يقتدى ، في جميع أموره ، بتصفاته ، بحسناته وسكنته ، بما أمره الله تعالى في كتابه المكنون ، الذي لا يسفه إلا المطهرون ، من قوله عز وجل : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

وأمره أن يعتمد في مجاهدة الكفار الملاحين ، وأحزاب الشيطان المشركين ، ما أمر الله تعالى به في قوله عز وجل : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ » ، وقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ » ، وقوله تعالى : « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » .

فليكن مجاهد الدين بهذه المراسد مقتديا ، ولناهج أوامرها المطاوعة مقتفيا ؛ فإنه إذا اتبع هداها ، وامتل سراسيمها واحتذاهها ، وتمسك بعصم طاعة من أوجب الله عليه وعلى الخلائق اعتقاد مفروض طاعته ، وطوق أعناقهم بالتزام شروط موالاته وعبوديته ، سيدنا ومولانا خليفة الله في أرضه ، والقائم بسنة دينه وفرضه ، أبي جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين - فازت قداحه ، وتضاعفت من أقسام السعادة الراهنة متاجرته وأرباحه ؛ فإن ذلك عند ذوي البيانات المتينة أحكم الأوامر وأوثق العرى ، والذخر الذي يجده كل مؤفق مسعود يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، إن شاء الله . وكتب في العشر الوسط من ذي القعدة سنة ٦٢٩ .

ووصله عن الديوان العزيز ، وهو المعبر به عن رتبة النائب عن العباسي من الأعجام في ذلك التاريخ : « عن الديوان العزيز النبوي أرفع منازل السعداء الفائزين منزلاً ، وأحمد مقامات الأبرار المتقين تمهيداً وتأثلاً ، وأسسى هضبات السعادة الراهنة بقاعاً وقللاً ، وأضفى جلايب المواهب الأزلية مدارع وحللاً ، وأرحب مواطن الغنايات الإلهية التي لا يبغى ذو البيانات المتينة عنها حولاً ، وأعظم حيازة فضيلة قوله عز وجل : « فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى » ، هو ما أضفى الأمير ، الإصفهلا الكبير ، الأجل المربط المتأخر الغاري مجاهد الدين مجد

الإسلام . جعل الأنام ، تحم الدولة ، عز الملة ، معين الأمة ، فخير الملوك ، قاميع المستعركين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، زعيم الجيوش ، شرف الأمراء ، قاضي الخواص أطال الله بقاءه ، وأدام علوه ونعمته باعتقاد وجوبه موارد خنوص معتقده ، وأوضح بسلوك مشهجه آثاراً صدق يقينه ومحض تعبده ، واحتوى على قصبات رهان التوفيق بلزوم لاجب محبته وقوى جده ، ونور الله تعالى أرجاء عقيدته الصالحة بأنواره التي هي علامة كمال نوبته ووفور رشده ، من طاعة من لا يقبل تعالى إلا بطاعته الأعمال ، وموالاة من موالاته عنوان استمرار السعادة والإقبال . وتباعته من تباعته ذخراً نافع يستظهر به كل ذي حظ عظيم في الحال والمآل ، ومخالصة من

.....

[ هنا وقع بياض في جميع النسخ الموجودة من هذا التأليف ]

.....

وماله إلى مدينة تونس ، ثم إنه استواب بمن لديه من فرسان النصارى وحذر منهم التغلب على ما بيده ؛ فدرس - زعموا - إلى الأمير الغالب بالله يشير عليه بمطالبة حصاره ؛ ففعل وبأدر إليه ونازلته أياماً عدة . وتردد بينهما أبو عبد الله بن مهيب حتى أحكم الشروط ، ونازل إليه ابن الرميمي ؛ ولحق بثونس بعد ذلك . وعرفني بعض الشيوخ من أهل المريّة أن السلطان ، لما دخل المريّة ، جاز ابن الرميمي البحر في جفن أعده لذلك ؛ فلم يشعر به إلا وقد أنفذ في البحر ، بعد أن أحرق ما يخاف اتباعه به من الأجفان ، والقصد أن ابن الرميمي استقر بثونس وتأمل بها ؛ وبها حمّام ينسب إليه اليوم . وتغلب الغالب بالله على المريّة بعده ؛ وذلك في وسط سنة ٦٣٥ .

## ذكر الخلاف بين ابن نصر وبين بني اشقيلولة

وقد ذكروا أن الغالب بالله كان له صهر من أهل بلدته ، مماثل له ، يعرف بابن أشقيلولة : ظاهره على أمره ، ووقع بينهم اتفاق على قسمة ما يتحصل لهما من الملك . فلما استقر بغرناطة ، زعموا أنه عرض على صهره الأمر ؛ فقال له : « أنا أني » ، لا أكتب ! وعزك عزتي وملكك ملكي ! « فأسكنه بالتصبة ، وقدمه على الجيش ، إلى أن توفي الرئيس أبو الحسن ؛ وخلف ولدين : إبراهيم أكبرهما ، والرئيس أبا محمد يتلوه ؛ فصاهرهما السلطان على ابنتيه : مؤمنة وشمس ؛ وهما إذ ذاك بحضرته ، والرئيس أبو إسحاق أكبر الولدين قد استحق رتبة والده . ثم أولد الرئيس أبو إسحاق من بنت السلطان ولدين : علياً وعبد الله ؛ فولاهم السلطان مدينة وادي آس وما إليها . وولد للرئيس أبي محمد ( بعد أن كان السلطان ولأه مالة لوفاة أخيه السلطان بها ، وهو إسماعيل بن يوسف بن نصر أبي الرئيس أبي سعيد ، إذ لم يكن له في الوقت ولد يسد مسده ؛ وكان ولده الرئيس أبو سعيد صغيراً ) أولاد أربعة : علي ، ومحمد ، ويوسف ، وفرج .

واستمرت الأحوال وطاعتهم مستقيمة ، وأمورهم تحت نعمة جدتهم جارية ، إلى أن كبر ولد السلطان وولي عهده ؛ فنافس المذكورين ، وقلق بهم ؛ وحذروه وأنفوا من غصه واهتمامه ؛ فأظهروا الامتناع بوادي آس ومالقة على عهد جدتهم السلطان ، وما عدلوا عن تمويله ، ولا استبدوا بنقش سكة ولا تقديم قاض ، إلى أن هلك السلطان الجد ، وصار أمره إلى ولده الذي نفروا عنه . فعظمت الفتنة ، واشتدت المحنة ، وكثر الخلاف ؛ ونازلهم ؛ واستعانوا عليه بالنصارى ، وكشفوا الوجوه في

مَعِيَّتِهِ . وَكَثُرَ بِسَبَبِهِمُ الثَّوَارُ بِقِمَارِشٍ وَأَنْتَقِيرَةٍ وَلَوْشَةٍ ، إِلَّا أَنَّ السُّلْطَانَ ، لَسَعَةَ ذُرْعَهُ وَوَفُورِ دِهَانِهِ وَكَثْرَةِ مَالِهِ ، اضْطَلَعَ بِذَلِكَ كُلَّهُ .

وَكَانَ مَا تَقَدَّمَ الْإِمَامُ بِهِ مِنْ إِجَازَةِ السُّلْطَانِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي يَوْسُفَ إِلَى الْجِهَادِ ؛ فَاسْتَجَنَّ بِهِ هَؤُلَاءِ الرُّؤَسَاءُ ، وَتَعَلَّقُوا بِحُرْمَتِهِ ، وَبَادَرُوا بِفُرْسَانِهِمْ وَرِجَالِهِمْ إِلَى خِدْمَتِهِ وَجَمْعِهِمْ ؛ وَالسُّلْطَانُ عَدُوَّهُمْ كَجَلِيسِهِ بِالْجَزِيرَةِ ؛ فَجَبَّهَوْهُ . وَلَمَّا عَظُمَ عَلَيْهِمْ ، وَطَلَبُوهُ لِلْمُبَارَاةِ ، كَانَ الرُّومُ فِي الْحَقُوقِ الْمَجْهُودَةِ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ دَاعِيَةً بَيْنَ السُّلْطَانَيْنِ إِلَى الْوَحْشَةِ فِي الْحَالِ .

وَلَمَّا تَكَرَّرَ التَّلَاقُ فِي حَرَكَاتِ الْجِهَادِ ، وَأَمَكَّنَ السُّلْطَانُ ابْنَ نَصْرٍ الْخُرُوجَ عَنِ الشُّكُوفِ فِيهِمْ ، وَفَرَّرَ لِأَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ مَا يَتَوَقَّعُ الْوَطَنُ مِنْ أَجْلِهِمْ ، فَتَنَكَّرَ عَلَيْهِمْ تَنَكُّرَ رَاسِمٍ ، وَأَشِيرَ عَلَيْهِمْ بِرَدِّ مَالِقَةٍ إِلَى دَعْوَتِهِ وَالتَّمَسُّكِ بِخِدْمَتِهِ ؛ وَكَانَتْ وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ خَالِيَهُمْ حُرُوبٌ أَجَلَّتْ عَنْ قَتْلِ فَرَجٍ مِنَ الْأَخْوَةِ الْأَرْبَعَةِ ؛ فَانْحَرَفَتْ أُمُّهُ أُخْتُ السُّلْطَانِ عَنْ أَخِيهَا بِسَبَبِهِ انْحِرَافاً لَمْ يَسْتَصْلِحْهَا بَعْدَهُ ؛ فَفَرَضُوا بِالْخُرُوجِ عَنْ مَالِقَةٍ لَغَيْرِهِ لِعِلْمِهِمْ بِوُقُوعِ ذَلِكَ مِنْ نِكَايَتِهِ ؛ وَانْتَقَلُوا إِلَى سَكْنَى مَعْقِلِ قَرْطَمَةٍ بِجُمْلَتِهِمْ . وَنَصِيرَتِ الْمَدِينَةُ إِلَى السُّلْطَانِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي يَوْسُفَ ؛ وَقَصَدَ إِلَيْهَا ، وَأَعْجَبَ بِهَا ، إِذْ لَا نَظِيرَ لَهَا فِي الدُّنْيَا ظَرْفًا وَحَضَارَةً ؛ وَأَقَامَ بِهَا عِيدَ التَّجَرُّ : أَجْمَلَ مَا سَمِعَ بِمِثْلِهِ مِنْ عَامٍ ٦٧٥ .

وَكَانَ وَصُولُهُ إِلَيْهَا سَادِسَ شَوَّالٍ مِنَ الْعَامِ ؛ ثُمَّ رَحَلَ عَنْهَا ، وَقَدْ اسْتَحْفَظَ عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ كَحْلِيِّ الْبَطْنُوهِ ؛ وَكَانَ أَخُوهُ طَلْحَةَ مُسْتَقِرّاً فِي خِدْمَةِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ ، أَثِيرًا لَدَيْهِ ؛ فَدَاخَلَ أَخَاهُ عُمَرَ فِي صَرْفِهَا عَلَى السُّلْطَانِ ، وَتَعَوُّضِهِ لَهَا مِنْهَا بِالْمُنْكَرِ . وَتَمَّ ذَلِكَ . وَبَادَرَ عُمَرُ بِالْقَبْضِ عَلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ ؛ وَمِنْ جَمَلَتِهِمُ الرَّئِيسُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ أَشْقِيلُولَةَ ، كَانَ قَدْ احْتَالَ عَلَيْهِ عُمَرُ قَبْلَ ذَلِكَ وَاعْتَقَلَهُ ؛ وَصَرَفَ الدَّعْوَةَ إِلَى صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ لِرَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٧٧ ؛

وَبَادَرَهَا فَأَحْكَمَ ضَبْطَهَا ؛ وَانْتَقَلَ عُمَرُ إِلَى الْمُنْكَبِّ ؛ وَمَا زَالَ السُّلْطَانُ يُحَاوِلُ بِهَا أَمْرَهُ وَيُسَالِمُهُ حِينًا ، وَيُجَارِبُهُ حِينًا . وَنَازَلَ حِصْنَ شَاوْبَانِيَّةَ ، وَرَمَاهُ بِالْمِجَانِيْقِ ، إِلَى أَنْ اشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى عُمَرَ ؛ فَأَظْهَرَ الْإِنَابَةَ ، وَطَلَبَ مِنْ يَقْبُضَ الْحِصْنَ ؛ فَوَجَّهَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ أَحَدَ بَنِي عَمَّتِهِ وَبَنَدًا يُرْفَعُ فِي ذُرْوَتِهِ ؛ فَقَبِضَ عُمَرُ عَلَيْهِ ، وَأَقْسَمَ أَنَّهُ ، إِنْ رَمَى عَلَيْهِ حَجَرًا ، لِيُطْرَحَنَّ الرَّئِيسَ مِنَ السُّورِ ؛ وَاسْتَفَاتَهُ ؛ فَرَقَّ عَلَيْهِ وَأَقْلَعَ عَنْهُ ؛ وَقَدْ ضَاقَ بِهِ ذُرْعُهُ . وَوَالَّتِي بَعْدَ ذَلِكَ مُلَاطَفَتُهُ ، وَأَكَّدَ طَمَعَهُ ، وَعَقَدَ لَهُ عَلَى بَيْتِهِ ، وَاسْتَدْعَاهُ إِلَى الدَّخُولِ بِهَا . فَلَمَّا قَارَبَ الْحَضْرَةَ ، أَغْرَى بِهِ أَعْدَاءَهُ نُخُودَتِهِ مِنْ بَنِي رَحُو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؛ فَتَلَقَّوْهُ ، وَقَتَلُوهُ . وَأَرَاخَهُ اللَّهُ مِنْهُ . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ كَحْلِيِّ أَحَدَ أَفْرَادِ الرِّجَالِ وَحَزَمَتِهِمْ ؛ أَخْبَارُهُ مَشْهُورَةٌ ، وَنَوَادِرُهُ مَأْثُورَةٌ .

وَمَرَعَ السُّلْطَانُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي اسْتِدْعَاءِ النَّصَارَى لِسَدِّ بَحْرِ الزُّفَاقِ وَنُزُولِ الْحَضَرَاءِ ؛ فَتَزَلَّهَا الْعَدُوُّ ثَامِنَ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ ؛ وَكَانَتْ بِهِمُ الْوَقِيعَةُ الْبَحْرِيَّةُ عَلَى أَيْدِي الْأَسْطُولِ الْغَرَبِيِّ وَالسَّبْتِيِّ . وَأَقْلَعَ الْعَدُوُّ عَنْهَا بَعْدَ الشَّهْرِ خَائِبَ السَّعْيِ . وَأَجَازَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ الْبَحْرَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَنَشَّاتِ الْوَحْشَةُ الْعُظْمَى ؛ فَجَهَّزَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ وَلَدَهُ إِلَى الضَّرْبِ عَلَى بِلَادِ ابْنِ نَصْرٍ ؛ وَنَازَلَ مَرْبَلَّةَ وَحَاصَرَهَا ، وَرَمَاهَا بِالْمِجَانِيْقِ ؛ وَجَازَ بِنَفْسِهِ ؛ فَتَازَلَ مَالِقَةَ ، وَقَدْ صَارَ أَمْرُهَا إِلَى الرَّئِيسِ أَبِي سَعِيدٍ ، وَهُوَ غُلَامٌ . وَكَانَتْ عَلَيْهَا حَرْبٌ عَظِيمَةٌ بَلَغَتْ فِيهَا كَحْمَلَاتُ الْجَيْشِ الْمَرِينِيِّ إِلَى أَنْ صَادَمَتِ الْأَسْوَارُ رُؤُوسَ الْحَيْلِ ، وَأَعْذَرُوا بِاعْتِرَاضِهَا دُونَهُمْ . ثُمَّ رَاحَ سَهْلًا بَعْدَ الْإِثْلَاقِ بِهَا زَيْدًا . يَوْمًا إِلَى الْحَضَرَاءِ . وَتَمَادَّتِ الْأَيَّامُ بَيْنَ حَرْبٍ وَسِلْمٍ وَحِيلَةٍ وَإِذْعَانٍ .

وَصَرَفَ السُّلْطَانُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ نَصْرٍ وَجْهَهُ إِلَى اخْتِثَاتِ الرُّؤَسَاءِ الْأَشْقِيلُولِيِّينَ ، وَالْإِزَاحَةِ بَيْنَ بَقِيَّةِ بِيْلَادِهِ مِنْهُمْ . وَقَدْ كَانَ الرَّئِيسُ أَبُو

إسحاق شيخ بيتهم خلق بين ثلاثة منهم ؛ فخرجوا له عن حصن قيساريش ، وأفردوه فيه ؛ وهو معقل الأندلس الذي لا يُرام ؛ وكان الملوك من بني حشود وغيرهم قد قدروا قدره واتخذوا به مساكين تناسب الملوك . ولم يزل الرئيس أبو إسحاق إلى أن هلك ، وانتقلت طاعة قيساريش إلى ولديته بوادي آش ، يضبطه لهم ثقة من خواصهم يُعرف بابن الرامي ؛ فاحتال السلطان عليه بَدْخلة رجالٍ من حرسه خمسين ، بذل لكل واحدٍ منهم خمسين ديناراً من الذهب ؛ فثاروا به ، وبأدركهم الجيش ؛ فكان أملاك به ؛ وبعد ذلك حصنه بما هو عليه إلى اليوم .

وصرف السياسة إلى من بقي منهم بوادي آش ؛ فالآن لهم جانيبه ، وسوَّعهم سلَّته ، ووالى عليهم إحسانه وبره ، حتى غرَّهم بذلك ، وظنوا سلامة صدره ، وركنوا إلى جميل اعتقاده ؛ وعند ذلك جدَّد السِّلْم مع صاحب قشتالة ؛ وهم مع السلطان خالٍهم بأحسن أحوالهم من الرضى والألفة . فمقد على بلادهم الصلح ، وأدخلهم في جملة ، وهم يعتبِطون بذلك ، ولا يستريحون به ، حتى إذا كمل ، بعث إليهم ، وأخبرهم بعقد البيعة لولده ، وطلبهم بالانتقال عن مدينتهم إلى حضرته ، وفسح لهم الوعد في مجال كرامته ورعايته ؛ فبادرُوا بالركون إلى ملك قشتالة ، وطلبوا الرجوع لجهته ؛ فأجابهم بتعذر ذلك وعدم إمكانه ، إذ بلادهم قد انتظمتها معاهدة السلطان ، وأن إيواءهم نكثٌ للسِّلْم والعهد . فسقط في أيديهم ، وعجزوا عن المال والطعام الذي يُصادرون به عدوهم ، ووجهوا رسوْلهم إلى ملك أرغون ؛ فصرفهم ، واعتذر ببعْد الشقة وتوسُّط بلاد قشتالة دونهم .

وحشد السلطان أهل البلاد لمنازلتهم ؛ فلجأوا إلى القيام بدعوة ملك المغرب ، وكتبوا له البيعة ، ووجهوا إليه رسوْلهم ، وهو إذ ذاك بمراكش ؛ وجرت في ذلك بين السلطان أمير المسلمين وبين صاحب

الأندلس محاورة أجلت عن تعويضهم من وادي آش بقصر كتامة . وانتقلوا إليه بأموالهم ورجالهم وأهلهم في أوائل عام ٦٨٧ . ولما استقرت وادي آش بيد أمير المسلمين بالمغرب ، جعل فيها ثقته . ولم يمر زمن غير كبير حتى خدع عنها ذلك الثقة وانصرف إلى سلطانه ؛ فتطرقته الظنة ؛ فضربت عنقه .

ولما استقر هؤلاء الرؤساء بالمغرب ، حذرهم السلطان ابن نصر على ملكه ، وتوقع إغراءهم به من صاحب المغرب وعودتهم إليه ؛ فاستدعى حينئذ الطاغية إلى سدّ فُرْضة المجاز بطريف . فكان زول الطاغية بها في أوائل شهر جمادى الأولى من عام ٦٩١ ؛ وتملكها العدو حسبما هو معروف . وشق الخطب على المسلمين ؛ وساءت النفوس ؛ وندبت الشغراء . ولولا خوف الإطالة ، لأطنبنا في هذه الأمور . وهذا المقدار من التعريف بخلاف هؤلاء القوم كافٍ إن شاء الله .

### حديث امتسك بني الحكيم برندة

ولما حدث ما وقعت إليه الإشارة في أمر طريف ، وعبر السلطان صاحب الأندلس البحر مستقيلاً من ذنبه ، وعاد إلى الأندلس لتجديد الجهاد ، ومنازلة طريف ، واجتماع الأيدي على استرجاعها ، وجاز السلطان أمير المسلمين أبو يعقوب البحر عام ٦٩٣ ، تخلف السلطان عن مباشرة طريف ، مُعْتَرِضاً بمرض أصابه ؛ ووجهه بالجيش ولده ؛ فتلوّم بالاقة ؛ وطال على الجيش المربنيّ الأمد في محاصرة طريف ، وظهر عدم المساعدة والكسل عن الإعانة ، وأظلم الأفق ؛ وأقبلت أجفان العدو لسدّ بحر الزقاق . فأجلت الحال عن انصراف أمير المسلمين الملك المربنيّ عن الأندلس ورفضها ؛ فجعل أمر رندة إذ ذاك إلى الوزيرين الأخوين أبي زكرياء

وأبي إسحاق ابني أبي القاسم بن الحكيم، وسُوِّغَتْ لهما . ولما طالبَ السلطانُ ابنُ نُصْرٍ بصرهما ، أبوا ذلك ، واستمسكوا بها ؛ فأمر جيشَ مالتة بالضرب عليها . ووقعت بها الفِئنة في البلاد الغُرْبِيَّة ، وتماذت الحالُ إلى أوائل عام ٦٩٥ . فلما أَعُوْزَتِ السلطانُ الحيلةُ ، داخلَ أخاهما الوزيرَ القائمَ بأمرٍ وَلَدَهُ بَعْدَهُ ؛ وكان يومئذٍ متولِّيَ كِتَابَتِهِ ؛ فأخذوا لأنفسهم شروطاً عامَّةً لمصلحة القطر ، وشاملةً للكافة من أهله : منها أن لا يلي بلدهم أحدٌ من قرابة السلطان ، وأن لا ينزلَ غازٍ من المغاربة بدار من دُور المدينة ، وإسقاطُ التبعات . وتمكَّن منها السلطانُ مُنْتَصَفَ جمادى الثانية من سنة ٦٩٥ .

## خبر انتزاع الرئيس أبي الحجاج بن نصر

### بوادي آش

وفي عام ٧٠٢ ، اقتضى النظرُ تأخيرَ الرئيس أبي الحجاج ، صهر السلطان أبي عبد الله ثالثِ الأمراءِ النصرانيين وزوجِ أُخْتِهِ ، عن مدينة وادي آش لأمرٍ نفيه عليه إذ ذاك بحضرته ؛ فركبَ لحينه ، وأمرعَ اللحاقَ بها ، وبَقَصَبَتِهَا ثِقَتَهُ ؛ فكان أَمْلَكَ بِأَمْرِهَا . ولما شاعَ قَصْدُهُ وتوجُّهُهُ إليها ، استركبَ الجيشُ لمبادرته . وكتبَ له عهداً يتضمنُ تقريرَه بها وتَسَنُّيَ أغراضه خوفاً اشتعالِ الفِئنة . ولما شرعَ في الامتناع ، عند وصوله ، فطن أهلُ البلد لما يريدُه ؛ وقد لدغوا من جُحْرِ النفاق الذي استأصلَ أموالهم وأنفسهم زَمَنَتِهِ القريبَ العهدِ ؛ فبادروا إليه ، وأحاطوا به قبيلَ استعدادِه ؛ فتملكوه عنوةً ، وقبضوا عليه ؛ ولم يصلَ الجيشُ إلَّا وقد قضى فيه الأمرُ ، وأُوصِلَ بالقيود إلى باب السلطان ؛ فأمر ابنُ عمِّه محمد بن علي بن أحمد المعروف بالرئيس العروس ، صهرَ السلطان أيضاً ، بضرب عنقه بيده ، ابتلاءً

لطاغته ومكرُوها مُحبَّبٌ إليه ، إذ كان السلطانُ مُنْجَرِفاً عن قرابته . فبُذِيَ على هذا السبيل .

\*\*\*

وفي أثناء هذا الهرج ، وهيجانِ هذه الفِئنة ، وانفرادِ كلِّ يدٍ بما ملكت ، استولى العدوُّ على مدائن جليلة ، وقلاعِ حصينة منيعه ، ونغورٍ شريفة ، وعمالات نصيبة ، ورُبوعِ أهلة ، وأطرافِ بعزِّ الإسلام الذي وطئها شاهدة ، مثل مدينة قلهرَّة ، وأنثيشة ، ومدينة سالم ، والمدينة البيضاء مدينة سرقسطة ؛ ثم ، في مدَّةٍ بَعْدَهَا ، على مدينة طليطلة ، وكانت من الأندلس محلَّ المَرَكزِ من الدائرة ؛ ثم بَطْلَيْونُس ، وبلنسية ، وميورقة ، وسَنْتَرِين ، وأشبونة ، وطبيرة ، ولبلّة ، وجبَل العيون ، وكورة باجة ؛ ثم ، في مدَّةٍ بَعْدَهَا ، على أبدَّة ، وبياسة ، وبابرة ؛ ثم ، في مدَّةٍ بَعْدَهَا ، على عهد ابن هود الأخير ، على نحو خمسمائة بَلَدٍ منها شاطبة ، ودانية ، وماردة ، والكُرس ، ثم ، في مدَّةٍ بَعْدَهَا ، بين تنازُعِ ابن هود وابن نُصْرٍ ، على قرطبة ، وإشبيلية وما إليها ؛ ثم ، في مدَّةٍ بَعْدَهَا ، من يدِ ابن نُصْرٍ الأوَّل ، على مُرُسيَّة وجبَّان ولوزقة ، وشربش . وكم تبع هذه الأمهات من بنات ، وهتكت من حرَمات ، وترك الإسلام من عيون وجنَّات ! وفيما أذركناه ، على قلعة يحصب من بعد أطيبة ، وويرة ؛ ثم الجزيرة . ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله !

ومن اعتقد أن هذه البقعة الأندلسية ، التي لاذ بها العدوُّ ، فنسفاً ولقهاً لقاً ، كسواها من بيقاع الأرض جمالاً ونصرة ، وانفساحاً ونعمة ، وتشبيهاً ومنعة ، وناساً وحَيَوَاناً ، وخليفةً وخلِّفاً ، وعادةً وزياً ، ونبلاً وإدراكاً ، وصنائعَ وأنقاباً ، وبأساً وشهامة ، وظرفاً ولطافة ، فَقَدْ ظَلَمَهَا حقُّها وبجَّسها وزَّنَّها ! والشاهدُ الصَّلَاتُ والمَوْضُوعَاتُ ، وما صُتِفَ في العلما من الطبقات ، وما نُقِلَ عن مَوَاقِفِ الحروب ، وما دُوِّنَ من

المنظوم والمنثور . فوا أسفي عليها من معالم إيمان وإسلام !  
يخبر الآن شواهدُها عن الغائب ، وراهنُها عن الغائب ؛ كما قال :

[ الطويل ]

كبرِدِ الباني قد تقادم عهدُه      ورفعته ما شئتَ في العين والبدِ  
لطف اللهُ بما بها من بقيَّة !

رجعَ التاريخ إلى نسَبِه من ذكر أُمراء بني نصر

### دولة الامير ابي الوليد اسماعيل بن فرح بن نصر

وقد تقدّم تصويرُ الملك إليه من أبي الجيوش نصر بن محمد ، وانصرافُه إلى وادي آس مخلوعاً . واستقرَّ الأمرُ في يده . وفي خامس عشر شهر المحرم من عام ٧١٥ ، أظهرَ السلطانُ نصرَ المخالفةَ لطائفةٍ لحقت به من قرابته وخُدّام أبيه ؛ فكشف عن وجه المُتَنابذة ، وأبدى ناجدَ الشرِّ . وتحركَ السلطان أبو الوليد ، فنازله في أوائل صفر من العام ، وأقام محاصراً إيّاه خمسة وأربعين يوماً . ثم قفل إلى حضرته . واستدعى نصرَ جيشِ النصارى ، وأمرهم يومئذٍ راجعاً إلى ابن السلطان سنانجُبه بن إذفونش كافلاً لابن أخيه . وخرج جيشُ السلطان من غرناطة إلى التضييق على وادي آس . واتفق وصولُ الطاغية إلى أحوازها بجيشه واستصحاب ميرة طعام لتقويتها من بلاده ؛ وخفي على المسلمين أمرُه إلى أن كان اللقاء مكافحةً بوادي فُرْتُونة من أحواز وادي آس ؛ وقد عبر المسلمون إلى العدوَّ نهراً صعباً . وكانت على المسلمين الهزيمة المشهورة ؛ واعترضهم الوادي ؛ فكانت بهم الدبرة ؛ فاستلحم منهم سبعمائة فارس . وامتألت الأندلس حزناً وصراحاً .

وتغلّب العدوُّ للعين على حصن قنبليل ومُنْتِمَاس وبجّاج . وتحركَ

في العام بَعْدَه إلى أحواز الحَضْرَاء ؛ فأفسد الزرع ، واكتسح المواشي ، وشمرَ لاستئصال المسلمين ، إلى أن أجمل اللهُ صنْعَه للإسلام ؛ فتحرّك الطاغية ، وعمه دُون جُوّان كبيرُ النصرانية وولَدُ السلطان الجَدُّ ؛ فمزّلوا المَرْج من غرناطة . واجتمع المسلمون لمُداْفَعَتهم ؛ فمنحهم اللهُ النصرَ عليهم ظهرَ يوم الإثنين السادس من جمادى الأولى . وقُتِلَ في الهزيمة أميرهم جُوّان وبيطرُه ؛ واستولى المسلمون من دوابهم وأمتعتهم وأسبابهم على ما يعي الحصر . وغزّا - رحمه الله - إلى مرْتُش من بلاد الروم القريبة من حَضْرته ؛ فدخلها عنوةً ، وأعمل فيها السيف ، وقفل ؛ فاحتلَّ الحَضْرَة يوم السبت الرابع والعشرين من شهر رجب عام ٧٢٥ .

ولثالث يوم دخوله ، فتك به ابن عمه محمد بن إسماعيل ، أخو الرئيس أبي سعيد بن إسماعيل بن نصر ، فتكّته الشُّعَاء التي قدّمَ بِمِثْلِهَا العهدُ جرأةً وإقداماً ؛ فطرح نفسه عليه وهو مارٌّ بين السَّاطِئِينَ إلى تحلّ السلام عليه ، والوزيرُ بين يديه ، وضربه بخنجرٍ كان مُلْحَقاً بذراعه مُعدّاً لذلك ، قد تولّى له شحذه يومئذٍ الشيخ أبو الحسن بن كُماشة المتأخّرُ الحياة إلى اليوم ، حسباً يعرف الناس . وعندما سقط السلطان ، اختلط اصحابُ الرئيس الغادرِ سيوفهم ، وتعاونوا بها الوزير ، وقد كرّ لصيحة السلطان ؛ فاشتغلوا به ، بخلال ما رُفِعَ السلطانُ من بين أيديهم واحتمِلَ إلى منزله ؛ فظنّوا به السلامة وسقّلوا ؛ فقتلَ منهم جملةٌ علّقت رؤوسهم بسور القلعة . وفجعوا الإسلامَ من السلطان برجلٍ مُؤثِّرٍ للجدِّ صحيح القصدِ من أهل الخير والبرِّ - رحمه الله ! وولي الأمرَ بَعْدَه ولَدُه مُحَمَّد .

### دولة محمد بن اسماعيل بن فرح بن نصر

ببيع له يوم توفّي أبوه، وهو صَبِيٌّ صغيرٌ ، سنُهُ نحو تسع سنين ؛ فلم

يختلف عليه يومئذٍ أحدٌ ؛ وبأدرَ إلى يَبِيعَتِهِ الْفُقَهَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَالصَّالِحَاءُ وَالْفُضَلَاءُ وَأَهْلُ الْجِهَادِ وَكَوَاثِفُ الْبِلَادِ ، وَجَمْعُهُمْ يَوْمئِذٍ مَوْفُورٌ ، وَشَأْنُهُمْ فِي الْخَيْرِ مَشْهُورٌ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَوْرِعَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ النَّصْرِيِّ بِجَالِ الصَّغَرِ وَحْدَاةِ السَّنِّ ؛ وَهُوَ يَمُنُّ أَمَلَيْنَا الْكِتَابَ بِسَبِيهِ يَمُنُّ بِوَيْعِ قَبْلِ الْإِحْتِلَامِ مِنْ مَلُوكِ الْإِسْلَامِ .

وكان على عهد يَبِيعَتِهِ عُمُهُ حَاضِرًا بِجَالِ الْإِكْتِهَالِ وَبَقِيَّةَ بَيْتِهِمْ وَافِرَةٌ الرِّجَالُ ؛ وَكَانَ هَذَا الْأَمِيرُ وَافِرًا مُذَرِّكًَا ؛ فَوَلَّى خُدَّامَ أَبِيهِ كِفَالَتَهُ وَتَدْيِيرَ أَمْرِهِ وَالذَّبَّ عَنْهُ . وَثَارَ عَلَيْهِ عُمُهُ ، وَنَازَعَهُ الْمُلُوكُ بِمَظَاهِرَةِ شَيْخِ الْغُرَازَةِ إِثَّاهُ ، حَسْبًا يُذَكَّرُ : وَهُوَ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا سَعِيدٍ عُمَانَ بْنَ أَبِي الْعُلَاسِي ، لَمَّا تَصَيَّرَ الْأَمْرُ إِلَى الْوَلَدِ ، وَنَابَ عَنْهُ وَكَيْلُ السُّلْطَانِ الْفَقِيهِ الْعَدْلُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَحْرُوقِ مُصْطَنَعَ الشَّيْخِ ، احْتَقَرِ الدَّوْلَةَ ، وَسَامَهَا بِإِعْمَالِ عَرَضِهِ وَإِنْفَازِ أَمْرِهِ وَقَبُولِ شَفَاعَتِهِ . وَوَقَعَ التَّوَقُّفُ فِي بَعْضٍ ؛ فَعَلَّنَ الْمَوْجِدَةَ بِهِ وَالْعُتْبَ عَلَيْهِ ؛ وَقَطَعَ أَنَّ صَاحِبَ الدَّوْلَةِ لَا بُدَّ أَنْ يَقْصِدَ مَنْزِلَهُ لِاسْتِرْضَائِهِ ، فَيَتَصَرَّفَ فِيهِ عَلَى حُكْمِهِ . وَلَمَّا حَذَرَ ذَلِكَ الْوَكِيلُ ، أَوْعَزَ إِلَى الرِّجَالِ بِالْحَمَرَاءِ أَنْ تَضْرِبَ عَلَى يَدِهِ ، وَتَمْنَعَهُ فِي سَبِيلِ تَصْنَعِ السُّلْطَانِ عَنِ الْخُرُوجِ مِنْ مَعْقِلِهِ ؛ فَزَادَتِ الْمَوْجِدَةُ . وَأَظْهَرَ الشَّيْخُ الْإِنْصِرَافَ عَنِ الْأَنْدَلُسِ ، وَهُوَ لَا يَطْرُقُ الْإِمَّاكَانَ لِتَسْوِيقِ ذَلِكَ . فَلَمَّا عَسَكَرَ بِظَاهِرِ الْبِلَدِ ، اغْتَنَمَتْ غَضَبَتُهُ وَأَمَرَ أَنْ يَمْنَعَ مِنْ دُخُولِ الْمَدِينَةِ رِجَالَهُ . وَقَدَّمَ عَلَى الْغُرَازَةِ بِحِجْمِ بْنِ عَمْرِ بْنِ رَحْوِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ نَظِيرَهُ ؛ فَلَمْ يَسَعْ الشَّيْخَ إِلَّا التَّصْمِيمَ إِلَى مَرَسَى الْمَرِيَّةِ ؛ وَشَرَعَ مِنْهَا فِي مَخَاطَبَةِ مَلُوكِ الْجِبَاهَاتِ الَّتِي يَقْصِدُهَا بِحِجْمَلَتِهِ . فَتَنَاقَلَ الْكَلْبُ عَنْ قَبُولِهِ . وَكَانَ وَصُولُهُ إِلَى مَرَسَى الْمَرِيَّةِ فِي الثَّامِنِ عَشَرَ لَصَفَرٍ مِنْ عَامِ ٧٢٧ .

وَفِي الْحَادِي عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، دَاخَلَ أَهْلَ حِصْنِ أَنْدَرَاشَ مِنْ عَمَلِ الْمَرِيَّةِ ، وَهُوَ قَطْرُ الْجِبَايَةِ ؛ وَاسْتَدْعَى عَمَّ السُّلْطَانِ الَّذِي صُرِفَ

بَعْدَ بَيْعَةِ ابْنِ أَخِيهِ إِلَى تِلْمِسَانَ ؛ فَوَصَلَ إِلَيْهِ وَبَايَعَهُ . وَتَوَجَّهَ وَلَدُ الشَّيْخِ إِلَى صَاحِبِ قَسْتَنَالَةَ ؛ فَحَرَّكَهُ إِلَى جِهَةِ رُنْدَةَ ؛ فَاسْتَوَلَى عَلَى حِصْنِ وَبِيرَةَ وَمَا إِلَيْهِ مِنَ الْحِصُونِ . وَغَامَ جَوْ الْفِتْنَةِ ، وَمَا أَعَدَّهُ مَلُوكُ بَنِي نَصْرٍ لِلشَّدَائِدِ مِنْ عُدَّةٍ . وَكَانَتْ بَيْنَ جَيْشِ الْخِزَرَةِ وَبَيْنَ الْمَذْكُورِ مُوَافَقَاتٍ هَلَكَتْ فِيهَا وَلَدُ الشَّيْخِ . وَقَصَلَ الْخَطَّةُ مَا كَانَ مِنْ قَتْلِ الْوَكِيلِ صَاحِبِ الْأَمْرِ بِتَدْيِيرِ أَمْرِ سُلْطَانِهِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ قَبِرَهُ وَأَجْلَى عَنْهُ طَائِفَةٌ مُخْتَصَّةٌ مِنْ مَالِكِ أَبِيهِ ؛ فَاغْتَالَهُ ، وَقَدْ دَخَلَ دَارَ الْجَدَّةِ ، يُفَاوِضُهَا فِي الْمِهْمَاتِ عَلَى عَادَتِهِ ، مَمْلُوكًا حَدَثَانٍ يَمُنُّ أُعْفِيَّ مِنْهُمْ ، هَجَمًا عَلَيْهِ وَقَتْلًا بَيْنَ يَدَيْ الْجَدَّةِ الْعَجُوزِ ؛ وَذَلِكَ عَشِيَّةَ الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ مُحَرَّمِ سَنَةِ ٧٢٩ . وَقَدْ كَانَتْ السَّلَامُ تَمَّتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ قَبْلَتِهِ .

وَصُرِفَ الْعَمُّ إِلَى تِلْمِسَانَ ، يَوْسَعُ مِنْ اسْتِدْعَائِهِ ذِمًّا ؛ وَاسْتَدْعَى الشَّيْخَ إِلَى رَسْمِهِ مِنَ الْخَطَّةِ وَمَكَانِهِ مِنَ الْخُطْوَةِ ، ثَانِي يَوْمِ الْكَائِنَةِ ؛ فَأَقَامَ الرِّسْمَ إِلَى حِينَ وَفَاتِهِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٧٣٠ . فَتَبَّتِ الْأُمْرُ فِي يَدِهِ ، وَخِيبَ اللَّهُ سَعْيَ مَنْ بَغَى عَلَيْهِ ، إِلَى أَنْ تَرَ عَرَعَ وَظَهَرَ ؛ فَكَانَ مَكَلًا فِي الْفُرُوسِيَّةِ . وَغَبَرَ الْبَحْرَ قَاصِدًا بِأَبِ السُّلْطَانِ الْجَلِيلِ ، وَالْبَدِ الْمُلُوكِ وَكَبِيرِ السُّلَاطِينِ ، الْمَوْلَى الْمُقَدَّسُ أَبِي الْحَسَنِ ، مُسْتَضْرِّخًا عَلَى عَدُوِّ الْإِسْلَامِ ، وَمُسْتَدْعِيًا إِلَى جِهَادِ عَبْدَةِ الْأَصْنَامِ ؛ فَتَلَقَّاهُ بِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَضْلِ وَالْبِرِّ ، وَخَلَقَ الْمَجْدَ ، وَالنَّائِلَ الْمَعْمُ ، وَالصَّلَاتِ الشَّاذَّةَ عَنِ الْحَصْرِ ، بَيْنَ الْمَالِ وَالذُّبْرِ ، وَالْجِيَادِ الْغُرَّ ، وَالسَّلَاحِ الْمَكْلَلِ بِالذُّرِّ ؛ وَوَصَلَ يَدَيْهِ ، وَأَعْجَبَهُ وَلَدُهُ . وَنَازَلَ جَبَلَ الْفَتْحِ ؛ فَفَتَحَهُ اللَّهُ لَهُ . وَبَادَرَهُ الْعَدُوُّ قَبْلَ أَنْ يَلْقَى أَصْلَ الْإِسْلَامِ فِي تَرَابِهِ ، وَاسْتَقَرَّ نَصْلُهُ فِي قَرَابِهِ ؛ فَتَوَجَّهَ بِجَيْشِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى إِصْرَاخِهِ ، وَبَذَلَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ فِي خِلَاصِهِ ، وَحَاوَلَ الْعَدُوَّ حَتَّى أَقْلَعَ عَنْهُ ؛ فَفَازَتْ يَدُ الْإِسْلَامِ بِهِ .

فَلَمَّا تَمَّ ذَلِكَ ، دَبَّرَ بَنُو أَبِي الْعُلَاسِي إِدْرِيسَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَدْ سَاءَ لَهُمْ مَا كَانَ



من غدره خُدَّامه ، وعيَّنوا أخاه يوسف لمكانه ؛ واختاروا بعضَ أعلاجه للإجهاز عليه ، ليبرؤوا من أمره . وحين تمَّ ذلك ، تعرَّضوا له أثناء طريقه قافلاً إلى مالقة في بعض أساطيله ؛ وقد وصل إلى الوادي المنسوب إلى السقائين برسم ركوبه ؛ فأوقفوه به بضعة وادي السقائين يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر ذي الحجة عام ٧٣٣ . وبقي - رحمة الله عليه ورضوانه - خلل ما فترغ من بيعة أخيه ، منظر وحاً مُعرَّئ من ثيابه ، مسلوباً إلا من فضل الله وثوابه . ثمَّ عطفوا عليه ، فاحتملوه ، ودفنوه بمالقة ؛ وما صلُّوا عليه ولا غسلوه . وفي ذلك يقول شيخنا القاضي أبو بكر بن شيرين - رحمه الله :  
[ الحقيف ]

عَيْنِ أَبْكِي لِمَتِ غَدْرُوهُ فِي ثَرَاهِ مَلَقَى وَقَدْ غَدْرُوهُ  
دَفَنُوهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَا غَسَلُوهُ  
إِنَّمَا مَاتَ يَوْمَ مَاتَ شَهِيداً فَأَقَامُوا رَسْماً وَلَمْ يَقْصِدُوهُ

ولما فرغوا من قتله ، وإحكام غَدْرِهِ وَخَتْلِهِ ، بدَّتْ لهم سيئات ما عملوا ، وعلموا من قبيح صنيعهم ما جهلوا ، وعن العواقب ذهلوا ، لما أمهلوا ؛ واجتمعوا بعد أيام من دفن أسلانه ، وحطَّ علانه ، وكفران نعمه وآلانه ؛ فحشدوا صفات دينه بالظفر ، وكتبوا فيه عقداً بالكفر ، شهد فيه جملة من أعلامهم ، ونفثت سُمُّ المِداد في رقته أساود أعلامهم ؛ ولم يقنعوا بعد الكلام الرغيب إلا بكلوم كلامهم . أعظم الله أجْرَهُ ، كما أعظم نَجْرَهُ ، وضاعف ثوابه ، كما طهر من زورهم أثوابه ! فلقد عبر البحر لغير غرض ، إلا ما كان من إقامة جهادٍ مُفْتَرَضٍ ؛ ولقد ارتكب في خلاص الجبَلِ بنفسه الذنيسة الخطر ، حتى قضى منه الوطر ؛ ولقد أظله شهرُ الصَّوم حَيَّاهُ اللهُ بِنَعِيمِهِ ونُضْرَتِهِ ، وهو إذ ذاك يسكن بالقصر خارجَ حَضْرَتِهِ ؛ وكان معرُوراً مزاجه ، يُرديه احتراقُ

الفعل واحتياجه ؛ فكانت الصبيبة تتصل مرافقهم من لدن العَصْرِ ، بين البلد وبين القصر ؛ فكلما سمعوا النداء ، أشاروا بالأثواب ، لين يُمْتَنِّهم من تلك الأبواب ، فيبادروا إليه بالماء وقد قارب الفوت ، وشافهت حياته الموت ، من غير أن يستهل عليه قضاء اليوم ، ولا الرخصة في الصوم ، وإن بلغ عذر المجهود ، وخان العهد ، فقد أظهر الحكم العدل للخصم والشهود ، وأحكم الحاكمين ، وأسرع الحاسبين .

وكان على عهد بيعته ، وعقد صفته ، أعلام مشاهير ، فخر القضاة ، كقاضي الجماعة أبي بكر بن مسعود المحاربي الدفين بشالة ؛ وابنه قاضي الجماعة بعده أبي يحيى ؛ والقاضي المسنن أبي جعفر الشاطبي ؛ والقاضي الأصيل أبي عثمان بن مسعدة ؛ والقاضي البقية أبي الفرج الوادي ياشي ؛ والناخي الحاج أبي جعفر بن قعنب ؛ والقاضي أبي عبد الله بن العريف ؛ والقاضي أبي بكر بن الزبير ؛ والقاضي أبي محمد بن زكرياء ؛ والقاضي الوزير أبي عامر بن ربيع ؛ والقاضي أبي الحسن بن الزبير ؛ والقاضي أبي الحجاج بن أبي الأحوص ؛ والقاضي أبي الحسن بن أبي العيش ؛ والقاضي أبي عمر بن منظور ؛ والقاضي الشهيد أبي عبد الله بن بكر ؛ والقاضي الحبيب أبي عبد الله بن عيَّاش ؛ والقاضي الفقيه أبي بكر بن منظور ؛ والقاضي المؤرخ أبي بكر بن عبدة ؛ والقاضي الحاج أبي محمد النُّفْري ؛ والقاضي المُرابط أبي عبد الله بن عبد الوهاب ؛ وقاضي الجماعة أبي جعفر بن برطال ؛ وصدر القضاة أبي البركات بن الحاج ؛ والقاضي أبي إسحاق بن سُعَيْب ؛ والقاضي أبي عبد الله الرُّعَيْنِي ؛ والقاضي أبي عبد الله بن حدَّاسم ؛ والقاضي أبي عبد الله بن جابر .

ومن الخطباء والصلحاء والصُوفية والفُقَرَاء والمُتَقَرِّين والعُلَمَاء ، مثل الشيخ الإمام القنجاطي ؛ والولي أبي إسحاق بن أبي العاصي ؛ والشيخ العابد أبي عبد الله السَّاحِلِي ، والخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيات

البَلَنَسِيّ ؛ والخطيب أبي بكر الطنّيجالي ؛ وأبي محمد بن أبي المجدد الأَرْجُونِيّ ؛ والخطيب أبي عبد الله بن العَرَبِيّ ؛ والخطيب أبي علي القرشي ؛ والخطيب ابن سُعَيْب المَرَبِيّ ؛ والفَرَبَشِيّ الرُّنْدِيّ ؛ وأبي الأصْبَغ البَسْطِيّ ؛ وأبي عبد الله البَيَّاتِيّ المُفْتِيّ ؛ والفقهاء البَارُونِيّ العَرَمِيّ ، وأبي عبد الله الطَّرَسُونِيّ ، وشيخ البَيَّازِين ابن غالب حَمِيد أبي أحمد الوَلِيّ ؛ وإمام الشاذليّة أبي عبد الله العنّجسيّ ، وعيسى بن عذرة الأندلسيّ ؛ وأبي عليّ بن المحرّوق الصّوفيّ ؛ وأبي الحسن بن المؤدّن المراديّ ؛ وأبي عبد الله بن الفقيه الفَرْنَاطِيّ ؛ وأبي عبد الله بن الفَخَّار النّجَويّ ؛ والمحدث أبي الحجاج السّاحليّ ، وأبي محمد بن سَلْمُون شَيْخ التّصوّف الحَلَقِيّ ، وأبي عبد الله بن الصّبّاغ متبوع بوادي القطر الأندلسيّ ، ومثني من العدول المشاهير ، وأعلام الجاهير ، تضيق عن إعادهم السطور المكتوبة ، والأوراق المجلوبة .

ومن شيوخ الكتّاب المُبَرِّزين في علوم الآداب ، المخصوصين بالحكمة وفصل الخطاب ، مثل شيخنا أبي الحسن بن الجيّاب ؛ وشيخنا الشريف القاضي أبي القاسم الحسنيّ ؛ وشيخنا أبي بكر بن شيرين ؛ والشيخ أبي بكر ابن المُرَاطِيط ؛ والوزير أبي بكر بن ذي الوزارتين ابن الحكيم ؛ والقاضي الحَضِر ابن أبي العافية ؛ وأبي إسحاق بن جابير ؛ والشيخ أبي جعفر بن صفوان ؛ والوزير أبي عبد الله بن عاصم ؛ والمُفْلِق أبي عبد الله اللّوثيّ ؛ وكتّاب الجيش المحدث أبي الحسن التّلمسانيّ ؛ وصاحب الأشغال المحدث أبي القاسم بن الهكّ المالقيّ ؛ والوزير أبي عبد الله بن المحرّوق الأشعريّ ؛ ما منهم مقهور على البيعة بغلبة قبيل ، ولا مُجَبَّر على اقتحام سبيل ، ولا مدّعي ضرورة ، ولا مستحفظ تقيّة مشهورة ، ولا مُهاجر بدينه عن بقعة مهجورة . وعمّ الوَلَد المُبَايَع حاضر ، وإلى سخنة عينه ناظر ؛ والقراية صامِتون ، وفي قسمة الله باهتون ؛ وكافِلُ الوَلَد جريحٌ محبُول ،

وعِلْجٌ مجهول ، ومُوتَقٌ مجهول ؛ والرّبعُ مأهول ، والقولُ مقبُول ، وسنُّ الوَلَدِ غَيْرُ مجهول . وما نَمَّ إِلَّا تَرَاخُمٌ على الشهادة ، ونهالِكُ في ابتغاء الحِسْبَةِ أو في الهوادة ، وتمسكُ بالعادة ، وتسليمٌ فيما ظهر لوليّ الأمر من الإرادة . فَمَتَى نَبَسَ أَهْلُ الأندلس بِإنكارِ بَيْعَةِ صِيٍّ صغير ، أو نيابةٍ حاجِبٍ أو وزير ؛ فقد عَمُوا وصَمُوا ، وحسروا برِيعِ الإنصاف فأعرضوا وما أَلَمُوا ، وبما سَنُوهُ لغيرهم ذمُّوا ؛ ولم يكن مِبايعة الصيِّ غير البالغ ولا القرشيّ المرفوع في الذراع ، المستعدّ به للتّزال في سبيل الله والقراع ؛ وتقديمه لم يستوفِ للحلم زمانا ، ولم يعرف بعدُ ختانا ، حتى قَتَلَ ظُلْمًا وعدوانا ، وأشهدَ فيه بالكفر زُورًا وبُهْتانا ، وجلا العوار على الأقطار ، وخلد العار في الأسطار ، ولم يستر القبيح بعد الفصل ، وتحكيم النصل ، واقتدى بالصَّمِّ البُكْم ، وأخّر ثبوت الموجب إلى أن فرغ من الحُكْم . اللَّهُمَّ لا تفضحنا بالألسنة الشاردة ، والألسنة المنكّرة للحقّ الجاحدة ، واجعلنا ممن استعان بك على هَوَاه ، واشتغل بشأنه عن شأن سِوَاه ؛ والله دَرُّ القاتل :

لأرجعُ لنفسيك فانتهت عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم  
لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم  
ومن قول شيخنا أبي بكر ، في رثاء السلطان الشهيد : [الرمل]

استقلّ ودعاني طائفاً بين المغاني  
وانعما بالصبر إنسي لا أرى ما تريان  
قضي الأمر الذي في شأنه تستفتيان  
ومضى حكم إله ما له في الحكم ثان  
مات يوم السلم قعصاً مدّره الحرب العوان

١ أورد ابن الخطيب هذا الشعر أيضاً في اللّعة البدرية (ص ٨٥ - ٨٨) .

ي خيلي أعينا  
 واذكرا سابعة النع  
 واذا حلتنا يو  
 ما علمنا غير خير  
 لا نبلي ما سمعنا  
 غير ما قالوا اعتقدنا  
 وغداً يجعنا الموب  
 ورضى الله هو المط  
 وأخو الصدق لعبري  
 وهوى النفس غناء  
 وعلى البغضاء يطوى  
 بأبي والله اشلا  
 لفتى ما كان بالو  
 يمزج الماء نجيعاً  
 ليس بالهيابة الـ  
 أبيض الوجه تراه  
 أي سيفٍ لضراب  
 ذو نجار خزرجي الـ  
 ذكره قد شاع في الار  
 لا تراه الدهرة الأ  
 عن صهيل الخيل لا يد  
 إن أملت هبة طا

يصدع الليل بقلب  
 يا لها من نصبة لو  
 وشباب عاجلوه  
 لم يجاوز من سنه الـ  
 دوح الاقطار غزواً  
 حكموافيه الظئبى الـ  
 ان يكونوا غادروه  
 تشرب الأرض دماً  
 وتحييه بتسلي  
 فالمعالي اودعته  
 وغواذي المزن يرضع  
 ضاع سرح الثغر لما  
 وأعير الأسد الور  
 عاطياني أكؤس الحز  
 حمله دون صلاة  
 أو ما كانوا له يد  
 لا تهنينه فما كا  
 عجباً والله من اب  
 بت أهدىها إليه  
 ذاك جهدي ان احسا  
 ويقال الرشع موجو  
 وعهود الناس شتى

وهي النعمة حقاً  
اتخذ يا فارس الحية  
والمعالي تطلب الثا  
وهي الأرحام لا تذا  
أنت من رحمة غفياً  
وهو مو في الخصم انشا  
والذي أفضى قبيحاً  
سلم الله على من  
وجزاه بجهاد  
ربنا أنت خير  
وبذاك الدهر فينا  
وبحال العفو رحب  
فتقدمنا برحمى  
واجمع الشمل على أوف

شكرها في كل آن  
ل فغير الله فان  
ر وتأني بالأمانى  
سى ولو بعد زمان  
ر الخطايا في ضمان  
ء وزاناً بوزان  
حظه عض البنان  
فيه ذو جمل لحاني  
جاء منه بيان  
بجفيات الجنان  
بالندى مبسوطان  
والرضى غض المجاني  
وقبول وأمان  
ضل حال في الجنان

## دولة يوسف بن اسماعيل

### ابن قوج بن إسماعيل بن نصر

رني ساعة قتل أخوه بواني السفائين من ظاهر الجزيرة الخضراء ،  
عقب إقلاع ملك قشتالة عن الجبل ، بمحاولة أخيه . واتفق الناس على  
بيعته . وكانت سنة يومئذ قد توسّطت من المراهقة ، إلا أنه لم يظهر ذلك  
بعده عليه حياته وسكنه ببيت الحرّة الصالحة أمه ؛ وعكبت الثغمة

والتوف على بدته . فلما تصير له الملك ، تبين فيه ظهور ذلك المعنى  
باتخاذ أم الولد .

وكان لأوّل أمره كثير الصمت والسكون ، لا يتناول شيئاً من  
ملكه ، ولا يفيض في غير أمور قصره ، ولا يمضي اختياره إلا في  
مائدة طعامه داخل باب قصره ، وبين من يلزمه من صبيته ، إلى أن  
استقل ، ونهض بالكل منته ، وعظمت حنكته ، وتوفرت تجربته  
ثم اشتمل على ، وسني يومئذ قريبة من سنة . فأسند إلى جميع أمره ،  
وفرغ لي من تدييره ، واستراح إلى بسيرة وجهه ، وسفرني إلى ملك  
المغرب في مهم أمره . وبلغ من لطف منزلي لديه ما يبلغ مثلي من  
مثله . وبهذا الباب الكريم المربي اليوم من الأعلام الذين بأشروا تلك  
الحال من يقررها ، متعجباً مما يتهيا باب ملك مخدوم ، أو يسوغه  
سلطان الذي مقام معلوم .

حدثني صدر الشرفاء وعلم الجلساء أبو القاسم بن قاضي الجماعة أبي  
علي الحسن بن يوسف الحسني ، قال : سأل مني الحاجب أبو عبد الله بن  
أبي عمر ، وهو من مخدومة السلطان المرحوم أبي عثمان ، جلدته بين العين  
والأنف ، أن نجري بين يدي سلطانه حديثاً غريباً بأثرته من غرائب  
حظوتك عند سلطانك مما شاهدته عند السفارة إليكم ؛ فاستطردت الكلام  
إلى أن أتممت بكم . قال : ففطن السلطان أبو عثمان لغرضنا ؛ فأخذ ينحني  
على الجميع من خديم ومخدوم ، ويُنكر الإخلال بالرتب وإهمال الأدب ،  
جارياً من عكس الغرض بما اختاره من المذهب .

وكان السلطان أبو الججاج - رحمة الله عليه - من جلته الملوك فضلاً  
وعقلاً واعتدالاً ؛ وبأثر نفسه الوقعة العظمى بطريف ، مواسياً لأمير  
المسلمين ملاقي التخصيص في سبيل الله ؛ وقصد نصره ؛ فحسن القول عنه لذلك ،  
ولقيت أيامه شدة لملك العدو قلعة يحصب الجزيرة الخضراء . ثم

توفيَّ الله على يدي تمرُّور هجم عليه بالمسجد الأعظم من حمراءيه . وقد خفي مكانه ، يوم عيد الفطر من عام ٧٥٥ ، في الركعة الأخيرة من الصلاة ؛ فطمعه بسكين كان قد أغري بشحنها وعلاجها . وقبض عليه ؛ فاستنهضهم ؛ فتكلم بكلام مختلط ، وقبيل . ثم أحرق بالنار . واحتلَّ السلطان إلى منزله ؛ فلم يستقر إلا وقد قضى - رحمة الله عليه . وولي بعده ولده محمد .

## دولة محمد بن يوسف

### ابن إسماعيل بن قروج بن نصر

بيع صبيّاً لا أثر فيه لإنبات ، ولا حركة تدلُّ على بلوغ ، إلا أن سِنَّه سارعة في زَمَنِ المراهقة على المعتاد لبعض الأربة ، وقاصرة عنها في بعض . وتمت له البيعة في حفل مشهود ، وجمع لغيره غير معهود ؛ فلم يختلف عليه إثنان . وبيعت مشهورة ، من إملائي ؛ اتصل خبرها بالسلطان أمير المسلمين أبي عتّان ؛ فوجبها وغبط فيها ، حسباً تثبت به في كتاب « ربيعة الكتاب » وغيره . وتمت أيامه على أتم ما يكون من الأمان ، وغضب الزمان ، إلى الثامن والعشرين من شهر الصّوم سنة ٧٦٠ . وكان التغلب على دولته الأولى ، واستولى على الأمر أخوه إسماعيل ، حسباً تثبت من كتبنا : في كتاب « الإحاطة » و « اللّحة البدريّة » فلم ينظره هناك مَنْ أراد .

٦

## دولة إسماعيل بن يوسف

### ابن إسماعيل بن قروج بن نصر

وكان في وسيماً ، حسن الخلق ، منحطاً في لذاته ، لاستنارته غير النجباء بصحبته . استجلب له الحظ قريبه ، وحفيد عم أبيه ، وزوج أخته ، ليجعله سبباً لحظه ؛ فتشئت الأمور باحتذاء السيرة المتقدمة ، إلا أن هيئة الأمر السلطاني ارتفع حجابها ؛ ووقع التحاسد والشنآن بين السباع القائمين بالدولة . وأحكم صهره المتوكل باسمه التدبير عليه ، ونذر به ؛ فأكذب الخبر شأن أولي الغدر الذين بلغ للإدالة منهم الكتاب ، وصت آذانهم أن يدخلها العتاب ؛ وشدت الأم يدّها من زوج ابنتها على السراب الغرّار ، والزئبق الفرّار ، مقدار الناقة ، ومعدن الجنون والحماقة . فهجم عليه بمحلّ سكناه ، وأحاط به ، وقد اهتبل غرته ، وهو متبدّل في بعض قصوره مع شردمة لا تدافع عنه ؛ واعتصم ببرج في القصر . ثم ألقي بيده طامعاً في العود إلى الثقاف الذي ألفه . فلما ذهب به إليه ، أشار الدائر بقتله ؛ فقتل ، وقتل معه أخ له صغير اسمه قينق ؛ وذلك في عشي ليلة السابع والعشرين من شعبان عام ٧٦١ . وولي بعده المتوكل على ملكتهم .

## دولة محمد بن اسماعيل

ابن محمد بن فرج بن إسماعيل بن نصر

واستقر الملك بيد ابن عمهم هذا ، مُعَمِّل التوثب والمتقدم على العظيمة ، أشبه الناس في خلقه وسيرته بمحمد بن عبد الجبار المتوثب على دولة هشام بن الحكم وهادم الدولة العامرية ، حسباً شهيداً به التاريخ . وكان هذا الفتى مقداماً ، شاطراً ، بريئاً من التزمت ، خالطاً نفسه المعابر ، أخذاً إليها بطريقة الفتيان والحرافسة ، سخي اليد ، مُهَذَّب الخلق ؛ أنكحهُ السلطان أبو الحجاج بنته لمُربغ المحل من القرابة خاصة ، مع الغضب عن العيوب . وهلك السلطان ؛ فناله خمول وإقصاء جُملة عن التدبير على ولده ؛ فأعانتَه حظية السلطان أمٌ ولده المعدول عنه يوم الولاية ، المسماة برِيم . وكثرت غفلتنا عن الاحتياط على المال ؛ وخزانتُه يومئذٍ بمحل سكنتي السلطان لتظفر هذه المرأة ؛ فرزأت منه ما صيرتُه في سبيل التدبير ؛ وأحكم هذا الصبي الصَّهْرُ أمره بمداخلة كل مُنحرفٍ عن الدولة ، أو حَسودٍ من حُساد الله بالنعمة ، أو مُستطيلٍ للمدة أو مطولٍ بالولاية ، أو مُترجِعٍ من العزلة ؛ وداحلٍ مشايخ المدينة وأعيان الحضرة ؛ فلم يُبقِ إلا حاطباً في حبله ، ومحرضاً له على فعله ، مَكَلّاً للعافية وجَهلاً بغييات الفتنه ، كأنَّه عرض عليهم تصيير الأمر إلى عبد الملك بن مروان ، أو إلى أبي جعفر المنصور ، أو هشام الرضى .

أما سيرة محمد بن فرج بن إسماعيل بن نصر ، فله مقالته : ما أشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة لأهل الله ! بل بينهما ما بين الحرام والحلال ، والرشد والضلال ! فتسور

القلعة بالرجال ، مُحْكِمًا لذلك ، ليلة الثامن والعشرين من رمضان من سنة ٧٦٠ . وفرَّ الموثوب به محمد ، إذ كان خارج القلعة ؛ فلاحق بوادي آش ؛ ثم اتصل بالمغرب . وتمَّ له الأمرُ إلى أن استخلصه لنفسه ، ولم يقصر فيه في اجتباؤه .

وأناح الله له وقعة على النصارى بظاهر وادي آش يوم السبت التاسع عشر لشهر ربيع الأول سنة ٧٦٣ ، لم يتقدم العهدُ بمثلها لمثله ، نيف الأسرى فيها على ألف ومئتين ، فيهم الكيبار والفرسان الدارعة ، أذخلوا الحضرة في الجبال ، تضيق عنهم الطريق والفضاء العريض ؛ فاستولت الأيدي على أسلابهم ؛ وكان صنعا لا كفاء له ، تسببت عنه موجدة صاحب قشتالة ؛ وحرَّضه على استدعاء عدوّه من المغرب لما فرغ الله عنه من أمره . ولما أجاز إليه البحر ، واستقلَّ عدوّه برُنْدَة ، اضطرب أمره ، واقتضى رأيه الفائل للحاق بصاحب قشتالة في طائفة عديدة بمن خاف على نفسه وتوقع من طالب الأمر المطالبة بذنبه ؛ فكان ذلك من غير عهد اتَّخذَه لنفسه ولا ذمامٍ أسلفَه ليقضي الله فيه قضاءه ؛ فلم يُرْعَ قَصْدُه ؛ وتقبض عليه وعلى من معه ، مخالفاً في ذلك لرأي قومه ، وقتلَه بيده ، بعد أن مثل به بطلياطة من ظاهر إشبيلية ، ثاني رجب من السنة . وألحق به طائفة تنخلها من صحابته ، وأسر سائرهم ، واستخلص ما كان عند الجميع من ذخيرة . وانتهى أمره على هذا السبيل . وعاد بعده الأمير أبو عبد الله مخلوعه إلى دار ملكه .

## دولة محمد بن يوسف

ابن إسماعيل بن فرج بن نصر

وكان قد أعمل الحركة من مدينة رُنْدَة إلى أحواز مالقة ؛ فبسرَّ الله له

أمرها ، إذ كان قد استظهر بالطاغية ، وحصل بسببه على جملة من حصون المسلمين ، خاس الطاغية فيها بعهدده ، وأمسكها لنفسه . فسهل ذلك مع قضاء الله دخول مائقة . وعند ذلك ، أزمع عدوؤه الفرار من دار ملكه ؛ واتصل به الحبر . فأعمل السير إلى الحضرة ، وعاد إليها زوال يوم السبت الموافق عشرين جمادى الثانية من سنة ٧٦٣ . فاستقرت بها قدمه إلى الآن . واشتعلت الفتنة بين صاحب قشتالة وبين أخيه ، بما أوجب الهدنة وأن ظهر المسلمون على طائفة من بلاد العدو في سبيل إعانة بعضه على بعض ، بما هو معروف .

واختصصت بموازراته ومظاهراته على أمره ، وبذل الجهد في نصحه ، والغيرة على دينه ، وجميل ذكره ، تارة بالعتاب ، وأخرى بالكتاب ، إلى أن ترجع عزمي على الهجرة ، وإعمال الرحلة ؛ وأنا أجرد فصلًا أقرر فيه حالي ، ليكون من اتصل به الحبر بعدي ، أو شك في قصدي على عهدي ، حاصلاً على اليقين من أمري ، والبيئة من عذري ، حتى لا يَبْوءَ بإثمِي ، ولا يغمس اليَدَ في ظلمي ؛ وإن فعل كُنتُ قد خرجت عن العهد بالبيان ، وعوّلت في المثوبة على الرحمان ؛ وأنا أقسم بالله أنني لا أتعمد في الحبر طريق البهتان ، على أن المتجاوز في مثليها يفضحه قرب الزمان ، ومباشرة المعاصر لهذا الشأن ؛ فنقول :

أما حديث ما لي بباب هؤلاء الأمراء من سلف ، وفي دولتهم من حظ ، وإلى ملكهم من وسيلة ، وفي أبوابهم من تجلّة ، فقد تضمن ذلك مع شهرته كتاب « الإحاطة » وكتاب « المباحير الطيبة » في المفاخر الحطّيبية . ولما صار الأمر إلى هذا الرجل باستدعاء إشارتي ، وأمسكت يده للناس يومئذٍ بإذلاً في جليليته إزمته جهدي ، بلغت الخطوة منتهها ، والدرجة التي تؤمل بأبواب الملوك إلى الآماد وأقنصاها ، إلى أن وقع الكياد على الدولة . وكان ما هو معلوم من تسوّر القلعة وتحويل الحالة ؛ وكنت

البلند ساكناً بقصر إبتنيتته بالشرعية القديمة من شرقي المدينة ، كنت أسكنه أكثر فصول السنة ؛ وكان الشيخ مولاهم رضوان العبد الصالح بالقلعة مقيماً لرسم حفظ الأمانة ، والسلطان منتقل إلى جنته خارج البلد في سبيل الراحة . فلما استولى المتوثب على دار الملك بمن معه من رجال الكرية ، قصد دار الشيخ ؛ فقتله . وأخرج الأمير ؛ فأجلسه . واتصل الحبر بأخيه السلطان ؛ فلحق بوادي آش . وتعلل إلى المحل الذي بيت فيه ثقات الولد القائم بدار الملك ؛ فاستصحبني إليه بأمانة . فابتدأ الأمر في من حيث وقف أبوه ، إذ كان يشاهد لطف تحلي منه وترفعي عن حظ الخدمة في مدّة أخيه بعده ؛ والصبي مغلوب على أمره ، وللعصاة الدلية التصرف في ملكه ؛ فوابهم تحلي منه ، وقالوا : « إننا كان هذا الكدح المعتمد والخطر المرتكب لأن يجعل الملك ثانية في يد هذا الرجل ، يأخذ منّا ثار دولته ، ويقضي حسيّة سلطانه . » فقرروا له . وقد امتنع أخوه بوادي آش ، وأجاره أهلها أنني أحطب في حبله ، وأعمل الحيلة في جبره . وتقبض علي ، وانتهب قليل ما يعلم لي وكثيره ، ونافهه وخطيره ، وأعمل التديير في الإراحة منّي ، والاحتفال في تسبب هلاكي ، مع أن ألتطاف الله لم تخلي حال الشدة من ترفيل اعتقال ، وتخلص جفوة مقال .

وجرت بين صاحب الدولة وبين المتصير إليه ملك المغرب يومئذٍ السلطان المولى المقدّس أبي سالم - رحمة الله عليه ورضوانه - المفاوضة في استجلاب المستقر بوادي آش إلى المغرب بقصد ابتغاء الهدنة ، ورفع الفتنة . فلما تم ذلك ، جعل الحديث في أمري عمدة ، والإشارة بخلاصي ؛ وبعث الله لي من حيث لا أحتسبه في الكون حيداً وحيّة ؛ فتم بعد لجاج ، وإثارة عجاج ؛ واستخلصني الله . فكنت عني بنان النكبة ، وفتحت بالفرج أفعال الشدة . وكان قدومي على السلطان أولى الناس

بزفتي ، وصحبة رسوليه الخلق باعترافي وشكري ، وخَرَجتُ لا أملكُ  
إلا نفسي ، وفَضَلَ ربِّي مَلْظُوفاً بي ، باستصحاب أهلي وولدي ؛  
وقَدِمتُ عليه تِلْوَ المخلوع وكلانا مطوق المن . وانشدته يومئذ القصيدة  
المشهورة ، محرّضاً له على نصر من قصد بابيه ، واعتمد جنابه ، والمشورُ  
يومئذ قد جَمَعَ الدنيا بما حَمَلَتْ ، وأشياخُ المغربِ وأعلامه قد  
اجتمعَت واحتفلت ؛ وهي : [الطويل]

سلا هل لذيها من مخبّرةٍ ذكر وهل أعشب الوادي ونمّ به الزهر  
وهل باكرَ الوسمي داراً على اللوى عفت آيتها إلا التوهّم والذكر  
أقول فيها :

أقول لأظعاني وقد غالها الشرى وآنسها الحادي وأوحشها الزجر  
رويدك بعد العسر يُسران أبشيري بإنجاز وعد الله قد ذهب العسر  
ولله فينا سرٌّ غيب ورثنا أتي النفع من حال أريد بها الضر  
وإن تحن الأيام لم تحن النهى وإن يخذل الأقوام لم يخذل الصبر  
فقد عجت عوداً صلياً على الردى وعزماً كما تمضي المهتدة البتر  
وإن عركت مني الخطوب مجرباً نقاباً تساوى عنده الخلو والمر  
إذا أنت بالبيضاء قررت منزلي فلا اللحم حلّ ما حيت ولا الظهر  
زجرنا إبراهيم برء هومينا فلما رأينا وجهه صدق الزجر  
بمنتخب من آل يعقوب كلّمنا دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجر  
تناقلت الركبان طيب حديثه فلما رأته صدق الخبر الخبر  
ندى لو حواها البحر لذّ مذاقه ولم يتعقب مدّه أبداً جزر  
وبأس غداً يرقاع من خوفه الردى وترفاً في أثابه الفتحة البكر

١ راجع القصيدة بتمامها في « اللعة البدرية » ( ص ١١٠ - ١١٣ ) .

أطاعته حتى العُظم في قنن الربا وهشت إلى تأميله الأنجم الزهر  
ومنها :

قصداك يا خير الملوك على النوى لتتصفنا بما جنى عبدك الدهر  
كففتنا بك الأيام عن غلوائها وقد رابنا منها التعسف والكبر  
وعُدنا بذاك المجد فانصرم الردى ولذنا بذاك العزم فانهمز الذعر  
ولما أتينا البحر يرهب موجه ذكرنا نذاك الغمر فاحتقر البحر  
خلافتك العظمى ومن لم يدن بها فلما ناه لغو وعرفانه نكر  
ووصفك يهدي المدح قصداً ثوابه إذا ضل في أوصاف من دونك الشعر  
ومنها :

وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه مهيض ومن عليك يلتبس الجبر  
غريب يرجى منك ما أنت أهله فإن كنت تبغي الفخر قد جاءك الفخر  
ففر يا أمير المسلمين ببيعة موثقة قد حل عقدتها الغدر  
ومثلك من يرى الدخيل ومن دعا بيا لمرين جاءه العز والنصر  
مرامك سهل لا تؤودك كلفة سوى عراض ما أن له في العلى خطر  
وما العمر الا زينة مستعارة ترد ولكن الثناء هو العمر  
ومن باع ما يفنى بباقي مخلد فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر  
وهي طويلة ؛ اختصرتها لطولها وشهرتها .

ثم ترجع لذي السكون إلى العافية ، والتمتع بالبقية ؛ فجنحت إلى  
السكنى بمدينة سلا ، حيث طنبت الحرمة رواقها ، وأقامت الحسنة بسبب  
الضريح المقدس أسواقها ؛ فبقي عليّ بها التعم . وينطدني المجد والكرم ؛  
فلا أعدّ من عمري إلا أيام مقامي بها ، وسكنائي فيها ، تفرغاً إلى ما  
أريده من دنيا وآخرية . وعافية شاملة ، وجنة عاجلة ؛ وصاحبي يقوم



العزم في شأني ويقعد ، ويقرب ثم يبعد ، ويستحشي إلى صحبتته ، ويجعلني عبدة في وجهته ؛ فلا يجحد في بقية ، ولا لمطاردة الأمل قبلته مسكة ، إلا ما كان من رأي وإشارة ، وإهداء نصيحة .

وراضاني أخيراً على التماس عهدي ، واقتضاء حظي بالقدوم عليه ، أن جبر الله كسره ، ورد أمره مع ولده ، وانصرف إلى طبيته التي سمرت ليلة وحشتها على صاحب اللطف الحفي ، بعد أهوال تشيب لها الذوائب ، وتذلل لعدو الدين تهون عنده المصائب ، وقاني الله مواقفها ، وكفاني مخازيها . لم يزل يغبطني بها ، ويُقرّر غناية الله في الصون عنها .

وما راعني إلا كتاب المستوي على دولة المغرب عمر بن عبد الله بن علي - رحمه الله ، وكانت تأكّدت ببني وبينه الصبابة ، وتوثقت من رغبته وبره العقدة بها ، يخبرني بما انتهى إليه أمره بغرناطة ، ويرى ما عندي في زيارته والوصول إليه مع ولدي ؛ فعزمت على الوفاء بعهده ، وأسعرت إلى قصده ، بعد أن قررت عند المذكور وبين يدي سلطانه عزمي على تعجيل الأوبة ، وعملتي على إسرار العودة ، وتركي الأهل والولد تحت جناح الحرمة ، والجوار المريني الوافي بالذمة . وقدمت عليه بغرناطة مع الولد قدوم الطبيب على المريض المشفي على الموت ، القاطع بالقوت ؛ وقد دالت الدولة في أمة ليس فيها إلا مذنب بقول أو عمل ؛ والمال معدوم ، وبناء المثلث مهدوم ، والألقاب قد ذهبت رسومها ، والأحوال قد تغيرت صفاتها ، والدنيا قد اختلفت مألوفاتها ، والخدام المتغلبون على الدولة قد سفكوا الدماء واتبعوا الحسائف وأطاعوا المطامع بحيث عادت الثورة ، فلولا دفاع الله كانت القاضية . فشمرت لإصلاح القلوب وسد الحسائف ، وتأنيس الشارد وتأمين الحائف ، وإرضاء الجند وتوفير المال ، ومحاولة عدو الدين . وقد اقتضيت خطه بالسراح إلى أمد معلوم حل ؛ فنقلني إلى غيره ، واستدرجني بسواه ؛ وقد عادت مع

ذلك عوائد العافية ، وفُتحت على الأندلس أبواب الخير والخيرة ؛ فصودقت الملوك ، واطُردت الفتوح ، ودرت المنوح ، واستقامت الأمور بما يعرفه الحاضر لهذا العهد ؛ فلا يسعه جحد ، ويعرفه من الكتب في الزمن الآتي من أوقعت عليه مطالعته .

وفي كل آونة وساعة ، وأثناء كل تفرّد وخلوة ، بعد أن كبر الولد ، واستراح من هم الحرص الخلد ، أخطب نفسي ؛ فنقول لها : « يا مشؤومة ! أما تشعرين لما نزل بك ، حملت هذا الكل على ضعفك ، وأوسعت هذا الشعب في فكرك ، وعمرت هذه الحظوظ حظ ربك ، وتعرضت لأن تسخطي الطالب الممنوع بحبيته ؛ وتسخطي المعطي بما يرى أنك قد منعت من الزيادة في عطيته ؛ وتسخطي الأجنبي بالقبول على عدوه ، والميل إلى ضده ، وبالإعراض عن صديقه ؛ وتسخطي الجاني بإفناذ العقوبة في جنابته ، والمجنبي عليه بالتقصير عن عرضه الذي يقتضيه شفاء نفسه ؛ وتسخطي الجيش باختباره وعرضه ، ومنع المدفوع إليه في غير حقه ؛ وتسخطي الرعية باستقصاء الجباية وأخذها بالإعداد لعدوها في الشدة ، من تحصين ثلثة ، وإعداد عدّة ، واختزان ماء أو قوت لشدة ؛ وتُعادين طلاب الولايات إذ يحا منها ربع عددهم ، وأنت مضطرة إلى مطل وعدّة ، وارتقاب مداولة ؛ وتُعادين الأهل والقرابة والولد بمنع الأيدي والعدل في الشهوات ، وسد أبواب الشفاعات ؛ وتُعادين خاصة السلطان بالانفراد به دونهم ؛ وتُعادين الملوك المجاورة بالتوقّف في أغراضهم التي يصعب قضاؤها ، ويضر بالدولة إمضاؤها ؛ وتُعادين الولد السلطان وحظيته ، فلكلّ منهم مطلب يختص به ، وطور مثلك بعيد عن التهجّم فيه والافتيات على صاحب الدار ؛ وتُعادين السلطان بعدله في الشهوات ، والقيام دونه دون كثير من الأغراض ، ومخالفة امرئ يحظيه بحسب الهوى من الخدام ، وتقرّعه في باب إفساد الأموال ،

لماذا لا تعطيه بسبب الدولة عليه والتربية له والأمن من إرادته الحق الذي يجب له بعد أن علت السن وكبر الولد وتأثّل العزّ . »

وهذا كله بعض من كلّ ، وقليل من كثير ؛ فلا نجد عنه حجة ، ولا شيء عنه مدافعة . وصرت أنظر إلى الوجوه ؛ فألمح الشر في نظراتها ، وأعتبر الكلمات ، فأثبت الحسائف في لغاتها ؛ والصبة في كلّ يوم تستحکم ، والشر يتضاعف ، ونعمة الولد تطلق لسان الحسود ، وشيع الكلاب المظيفة في تهيج حسائف النمر الجائعة والأسود ؛ والأصحاب الذين تجمعهم المائدة كلّ يوم وليلة يفتنون في الأطراء والمديح ، وتحسين القبيح ، والمحال في الغي ، والتقرّب بالسعي ؛ أنظر إليهم يتناقشون الإشارات بالعيون ، والمعارزة بالحنف ، والمخاطبة باللعوز ؛ فإذا انصرفوا ، صرّف الله قلوبهم ؛ فقلّبوا الأمور ، ونقلوا العيوب ، وأفسدوا القلوب ، وتعلّلوا بالأحلام ، وقواطع الأحكام .

وكننت وصلّت من المفرب ، ولي ورد من الليل ، ووظيفة من الذكّر ، وحظ من الخير ، ضابقتني في ذلك كله فضول القول والعمل ؛ فهجرت السبحة ، وطلّقت الردّة ، وماطلت الفرض بوقته ، وعمرت الزمان بما لا يغني عني من الله من شيء ؛ فلا متعة بالمطعم لا اختلال الصحة ، ولا بالنساء لذهاب الشبهة وضيق زمان الراحة ، ولا باللباس لتبدل الكبرة ، ولا في اكتساب المال الضعف الأمل ؛ ولم أك قطّ « كسب بساعة » ؛ ولا سرف إلى همة ، ولا عملت عليه ، ولا في الوطن فضل يوصل إليه ، وصرت أسهر الليل ، وأتوقع الشر ، وأقف للدنيا موقف المتوقّف في تلقّي السلاح بمنّة ويسرة ، ولا حصول مع هذا كله إلا على قوت مكدود ، ولا يعوز في قرية ، ولا يفقد بين أمّة . وأنزل الله عز وجل عليّ حبال العجز والكسل ، وسقوط الأمل ، وتوقع الشر ، وفساد الفكر ، وجمع المطالب كلّها ، والآمال بأسرها ،

والغايات بأجمعها ، في حصول راحة ، وتنتي خلوة ، وقطع ما بقي للعسر من برهة في دار أمن وخلو من شغب .

وصرت أنخيّل ذلك ، وأمثّل الفوز والحصول عليه كما يتخيّل مجنون بني عامر الظفر بليلى والافراد بها ، من غير نظّر لمهوى يردى ، ولا سبّع يعتدي ، ولا واد يغرق ، ولا نار تحرق ، عوى الهوى ، واحتجاب النسي ، وتأميل السمي ؛ كأنّ سعر الراحة رخيص ، ومطلب الخلاص لا يعثر عليه تخصيص ، ولا يتعين بين يديّه تمحيص . وسبحان الذي يقول : « ليس لك من الأمر شيء » . فألححت على السلطان ، تارة أطلبه بإعجاز وعده ، والوفاء بعهده ، واقتضاء مضمّن خطّه ، وتارة بالعمّل على اكتساب بعضه ، والجفاء الذي يحلّ عقدة اغتباطه ، ويذهب الحظ من باطنه ؛ بلغت في ذلك بالقول والعمل إلى ما لا يبلغه مُحكّم من عقله ، ولا مُحافظ على نفسه ، وهو يحمل ذلك كله في جنب المظاهرة بي على أمره ، وعلمه بحلّي من الصيانة لمملكه ، والنظر بعين الأبوة لأهله وولده ، إلى أن لم يبق بيني وبينه إلا أن يذهب القشر وينكأ القرح .

وثاب لي النظر بإزمام الفرار عنه ، ومضانعتي بين يدي ذلك بالتأني له والالتفات في هواه ؛ وشرعت في عقد السلم مع العدوّ لسينين ، ورثبت الأمر ترتيب الآباء للبنين ، ورجوت إحسان الله لي « والله لا يضيع أجر المحسنين » ؛ وقلّلت : « أحج نفسي ، وأقضي قرضي ، وأسئل الناس بغيري ، وأكون بعد ذلك مُحكّماً من أمري ! » فاقضيت من المولى المقدّس أي فارس عبد العزيز - رحمة الله عليه - ، وقد اتّصل بي فضيل دولته ، وطهارة نشأته ، واعتدال طريقته ، عهداً مخلصاً من فيه المشاركة في أغراضه من إقامة ، نحت حرمة ، وإعانة على حجّ وزبارة ، ومبالغة في شفاعتي أو تسويف قفول

بِالْأَنْدَلُسِ، نَ شِئْتُ وَعَوْدُهُ .

ورئيسُ الحاقِ ببلاده ، والحصولُ بِجَبَلِ الفَتَحِ من إِيَالته ، والجوازُ  
بِى سِتِّنة غُرَّة جُمَادى الأخرى من سنة ٧٧٣ في أُسْطُوله وتحت أَقْصَى ما  
يُؤْمَل من يَرْه ، وفارقتُ الأهلَ والمالَ والولَدَ والجارَ الذي بلغ  
الأمدَ لا لدنياً ثانية ، نعتاضها من المطلقة ، ولا لخدمة نستأنفها عِوضَ  
تلك المطرحة ، ولا لفرارٍ أمامَ جِنَاية ، ولا لفتكةٍ في مالٍ جِنَاية ، ولا  
لتفويتِ مَعْقِلٍ لعدوِّ المِلَّة ، ولا لَسَفْكَ دَمٍ يطلُبني بنبعة ، ولا لِحِيَانَةٍ  
في أهلٍ ، ولا لِسَعْيٍ على مَلِكٍ ، نبرأ إلى الله من ذلك كله ! إِنَّمَا نلخصُ  
قَصْدي بعد تبخيله في الفرارِ إلى الراحة ، والتفادي من حملِ الكلفة ،  
والاشتغال بما يعني ؛ لكن في ظِلِّ العافية ، وتحت سحابِ النعمة وذِمَّة  
الحرمة . نَسألُ الرقيبَ على ما في القلوب ، إن كنتُ قد شَأَبْتَنِي في ذلك  
سَائِية ، أن لا يَمْتَعِنِي بالبقية ، ولا يَمُنَّ عليَّ بِحُسْنِ الخاتمة .

لكن لم يَحُلْ هذا كله من اقتياتٍ على القدرة ، وغرورٍ بالحولِ  
والقوة ، وتحكُّمٍ على الله في تحسينِ العاقبة ؛ فوقع فيه التفتُّصُ ما لم يفقد  
فيه اللطفَ من ربِّ العزَّة ، ولا عدمتْ إقالةُ العثرة وحُسْنُ الكفاية .  
وكانتِ النيةُ صَرَفَ الوَجْهِ إلى مدينةِ سَلا حتى أَبْلُغَ النفسَ ريقَها ،  
وأخطبَ لأفكاري هدوئاً . ثمَّ أمدُّ اليدَ إلى ثمرةِ الهِجْرة ، وأمرعَ في  
الرحلة ؛ فاتَّصَلَ بي ، وأنا بطَنْجة ، كِتَابُ وَلَدِي ، وقد استوحشوا ،  
ورأبهم استيحا شُ السلطان ، وتوقَّعوا الإغراءَ بهم ، وتطرَّقَ الشرُّ إليهم ؛  
فصرفتُ وجهي إلى البابِ العزِيزيِّ في سبيلِ استخلاصهم ، وقدمتُ عليه  
بَتَلِيسَانٍ في التاسع عشر لرجب من السنة . فتلَقَّاني بما يليقُ بحسبه وشرفِ  
مذهبه من إركابِ الخاتمة ، ورفع الحجة ، ورعَى الوسيلة ، ودنوَّ الجلسة ،  
وإجراء النعمة ، وبَادَرَ إلى طَلَبِ الأهلِ بِإعمالِ بنانه ، بحسبِ ما رسمته  
من العبارة ؛ وتلقَّى رسوله مِمَّنْ فَرَّرتُ عنه ما يوقُّ له ذو النفسِ الحرَّة ،

ويؤثره مبتغي الوسيلة من إرسالِ العبرة ، واستفطاعِ الفرقة ، وتقديرِ ما  
كان لي في قلبه من المُحَافَظة والمودَّة ؛ واعترف ببراءتي في وطنه من  
التبعة ، وصَرَفَ الأهلَ والولَدَ قاضياً للحاجة ، مُقَدِّراً في الطريقِ  
بنية الجراية .

وشرعتُ عند ذلك في الحَرَكة إلى وجهتي الحِجَازِيَّة ؛ فعلق لي الوعدُ  
بتوجيهِ الرِّبعة ، والشروعُ فيما يخصُّ ذلك من العزيمة ؛ فأخذتُ في تقديرِ  
الإقامة ، وانتظارِ رَكْبِ الرِّحْلة . وبَلَغَ الخبرُ هذا الاختصاصَ والاصطفاءَ ،  
والمزيةَ على الجلُساء ، وإعمالِ الثَّوَاءِ بهذا البابِ السامي العلاء ؛ فعجز منه  
الصبرُ عن تحمُّلِ الغيرة ؛ وارتفع ، وحكمُ المسئلة ، وقطعُ بَأَنِّي بنيتُ في  
البابِ المرينيِّ على الخدمة . وكثرتُ عليه في جهتي كُتُبُ السعاية ، مِمَّنْ  
جلا عن وطنه من القرابة ، وقرَّرَ عنده مُبالغةَ وَلَدِهِ فيه بالإذابة ؛ وأَعْمَلَ  
من لَدَيْهِ من الخُدَّامِ الذين خلاهم الجوُّ مِنِّي ، وسرحتُ حجلهم بعد  
رحيلِ صقري أقصى القدرة في إفسادِ حالي لَدَيْهِ بأنواعِ السعاية ، وفنونِ  
النكابة ، سَدّاً بِؤْمْنِهِم من الرجعة ، ويُجِيرُهُم من القفولِ واللقية . فتأتى لهم  
من ذلك ما خلص لي أَجْرُهُ ، وعظَّم لَدَيْهِم وِزْرُهُ ، لا بشهادة عدلٍ  
مقبولٍ ولا ثبوتِ خطِّ معروف ، إِنَّمَا هي أَلَاقي رَاشِها الهوى وبرِّأها ،  
مع براءةٍ من لَفْظِها ومَعْنَاها ، وموحدتها ومثناها ، زورُ وحساد ،  
وبضائعُ أسواقِ فساد .

واستبلغ المجهودُ في استفسادِ هذه الجهة التي انتقلتُ إليها بكلِّ حيلة . فما  
وَجَدَ السعيُّ محلاً ، ولا أَلْفَتِ المكايدُ رَحْباً لَدَيْهَا ولا أَهْلاً ؛ فعاد  
التشفيُّ على النَّعَمِ ، وإهانةِ الرَّمَمِ ، وإحراقِ المِصَنَّفَاتِ ، ومَحْجُورِ الحِسَنَاتِ ،  
وتغييرِ الصَّدَقَاتِ . وكنتُ ، لغروري بالزمان ، وثِقَتِي منه بالأمان ، أَظُنُّ  
أنَّ لا سبيلَ للدهرِ عليَّ ، ولا تطرُّقَ له إليَّ ، وأنَّ مُفَارِقَتِي لمن بالأندلسِ  
إِنَّمَا هي مُفَارَقَةُ أَبِي لَوْلَدٍ ، وقَلْبِ الحَكَمَد ، وأنَّ عَفاري الموروثِ

والمكتسب جَارٍ تَجَرَّى الوقف الذي لا يُبدَّل ، وصريح الشريعة الذي لا يتأوَّل ، وأنَّ فوائدَه تُلحق بي حيث كُنْتُ من المعمور ، فلا أُكَلِّف رزقاً ولا أعمل جَهْداً لغرور ؛ واستحكمتْ صيغته لمُساعدة الأيَّام ، والنَّفَقَة برَعِي الزمام .

ثمَّ ذلكُ الجبل العاصم من الطوفان ، والممسك للأرض عند الرجفان . فكان موتُ المولى المرحوم أبي فارس الذي أوَيْنَا إليه ، وعوَّلْنَا عليه ، ووَثِقْنَا بوَعْدِهِ ، وتمسَّكْنَا بوعْدِهِ ؛ فأنخرق الحِجاب ، واستأسدت الذئاب ، واستنسرت البغاث والذباب ، وظنَّ أنَّها الداهية التي لا تُرفَع ، وأنَّ الوَطَن بعده إنَّمَا هو السراب البلقع ، وأنَّ وَلَدَ السلطان لا تتعقد له بيعة ، ولا تقوم له دولة ، ولا تستقيم لولده دعوة ، ولم يعلموا ما خبأ الله لقيَّة الإسلام من عِماد خلف الذاهب ، ومَنَار أبان بعد أفول البدر المذاهب ، وأنَّ الله سبحانه سدَّ مسدَّه بالوزير الذي خلف العباد ، وصان الحرم والأولاد ، وحفظ البلاد والعباد ، وأقام الحجَّ والجهاد ، المعروف الحقُّ المشهور الجدُّ المتميِّز في حلبة الأمر العَلَوِيَّ بالسبق ، والحسام الذي فتح جبال العَرَب وصحاري الشَّرْق . ووقعتْ بينه وبين صاحبي المراسلة والمُكَاتَبَة ، والمُحَاوَرَة والمُخَاطَبَة ، ودسَّ الأَعْرَاء ، وتحاملت السفراء . ووصلت الوزير البراءة بخطَّه سالكة سبيل التلطُّف بكلِّ اعتبار ، معلَّقة رسوم الودِّ بأمر غير كبار ، مقررّاً أنَّ خاطره مع مُداخلتهم إيَّاي لا يتَّصف بقرار ، ولا يتجاوز ذلك إلى تحكُّم باستقهار ، ولا جهل بما لحرمته الباب المربني من علوِّ المقدار .

وعرض الوزيرُ ذلك عليَّ فسهَّلْتُهُ ، ومَحَضْتُ فيه نصحه ، واختَرْتُهُ رأياً ، وبذلت في سبيله سَعْياً . وقد كنتُ أترجى أن يَطَّاب لي أُرْب سَلَالاً ، ولا أحتجم عليَّ مُستكرِّهاً ؛ إنَّمَا غَرَضُهُ انصرافي واشتغالي بشأني . فإمَّا أن تُسافرَ فيستريح من قربي ، وما تتوقَّع ظنونه من

أجلي ؛ أو أعمل على اللحاق به بعد قضاء وطري من حجِّي . وإمَّا إن تضطرَّني الحاجة إلى استرفاده واستصلاحه ، ويضيق صدري ؛ فأرضى بتحكيمة . » وسألته أن يجمع بين الغرضين بانصرافي إلى سُكْنَى مدينة سَلا ، وأقسمتُ له على إثاري إيَّاه ، وعدم رضائي بسواه ؛ فجاءت عواصِف الأنفاس العالية ، ورسختْ جبال المهَمِّ السامية ، ووقع لما جئتُ به الإنكار ، وفي سُنِّ فسادِه الإيراد والإصدار ، وعظُمْتُ من تحمُّل ذلك الأثقة ، ولم ترَضْهُ الملكة المؤتلفة ؛ وأقسم أن لا يقرَّ في دولة مَرِّين على الهضبة لها بيد الحطيطة ، حتى تكون لغيرها تابعة ، وليسواها مُصانعة . وانصرف الرسول عن ظاهر مجاملة ، وعدة بإرفاد ومواصلة ، وإجراء عادة ، وإبداء في الجميل وإعادة ، إلَّا أنَّ سَمَاسِرَةَ الفِئْتَة ، وأعداء الدولة ، دسَّوا له أموراً من العمل على اجتيازِ مَنْ يَطلب مَلِكُ الأندلس والعزمَ على إجازته ، وأنَّ الأمر فيه قد أبرم ، والتدبير قد أحكم ، من غير أن ينزل الله بذلك سلطاناً ، أو يشغل به سِرّاً أو إعلاناً ؛ فأقدم إقدام المُسْتَمِيت ، وعاجل الألفة بالتشيت ، واتقاد في هوى غضبه ، وجنى على نفسه وعلى وَطَنه . ولا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله !

هذا تقريرُ حالي ، في انتقالي وارتحالي ، الذي علَّقت به اليمين ، والدعاء والتأمين . فمن عذر فالله مثيبه ، ومن حمل بعدها ، فالله حسيبه ؛ فقد علم الصدق مَنْ يعلم السرَّ وأخفى ، ويقرب زلفى ، ويجزي الجزاء الأوفى ؛ فالدنيا أحلام ، والعمرُ منام ، وإن جرت الأقدار ، وراب الإيراد والإصدار ، وتعاور الحسف والإبدار ، فالدارُ الآخرة هي الدار ! وكأنتي بسرح الحياة قد اجتوِي ؛ وبساط الوجود قد طوِي ، وعند الله القسطاس الذي لا يجور ، والعدل الذي يرضى به البرّ والنجور !

## ذكر التعريف بما أمكن

### من ملوك النصارى بالاندلس على الاختصار

ولما كان هذا الجزء مخصوصاً بأخبار الأندلس ، وكان كثيراً ما يبره فيه ذكر ملوك قشتالة ، كان من كماله أن نلصق ببثينة من ملوكهم ، إذ لا يخلو الزمان ممن يتشوف لذلك ، لا سيما الملوك ؛ فهي أبداً لأخبار الملوك متطلعة ، ولسماع أنباء متشوفة . وقد كنت طلبت شيئاً من ذلك من مطبئته ، وهو الحكيم الشهير ، طيب دار قشتالة وأستاذ علمائها ، يوسف بن وقار الإسرائيلي الطلطي ، لما وصل إلينا في غرض الرئاسة عن سلطانه ؛ فقيّد لي في ذلك تقييداً أنقل منه بلفظه أو بمعناه ما أمكن ، وأستدرك ما أغفل ، إذ ليس بقادر في الغرض .

قال الحكيم : سألت أعزك الله وأدام كرامتك أن أثبت لك ما تحقق عندي من التواريخ التي وقع فيها نسب ملك قشتالة وتفرّع ملوكهم فأثبت لك ذلك بما استخرجته من الكتاب الذي أمر بعمله الملك الأعظم دون الفنس قصدت أن يكون ذلك عندك بأصل فتقول :

ذكر في التاريخ المذكور أن الأرض المسماة الآن قرطون ، وفي الزمان القديم قانتطابرية كانت بأيدي ناس عظماء يُسمون دوقيش ؛ ونشأ بينهم نزاع وخلاف أوجب فراق أحد أولئك الرؤساء عنها ، واسمه بلانيه بن الدوق قافيلة ؛ وسكن بأرض أشطوريش ، وهي بين أرض ليون وغليسية . فلما جازت العرب إلى الأندلس على عهد الوليد بن عبد الملك ، في سنة ٩٢ من الهجرة ، وفتح الأرض طارق بن زياد مولى موسى بن نصير ، ثم موسى بعده ، واستولى المسلمون على أكثر بلاد الأندلس ، واتصل الفتح بأرض أشطوريش ، حيث كان بلانيه المتقدم

الذكر ، قام بلانيه لحماية الأرض ؛ واجتمع إليه طائفة غير كثيرة العدد من الشجعان وأبطال الرجال ؛ فحصى جهة أشطوريش ، ودافع عنها المسلمين . وعشت مدافعتة وحمايته قطر ليون وقطر برنقال ، واضطلع بذلك ، ورد عنه العرب ؛ وقد أنس بقتالهم وكثرت موافقاته إليهم . فاتفق أهل تلك الجهات على تقديمه ملكاً بها لاستحقاقه ذلك بنفسه وبنيته ، وإن كان غريباً عن أرضه ؛ فكان ذلك سنة ٧٥٧ لتاريخ الصفر وبموافقة ٩٩ للهجرة . وهو أول من تسمى بهذه الأرض ملكاً بعد دخول العرب . ودام ملكه ثلاث عشرة سنة .

ثم مات وملك بعده ابن له يُسمى قافيلة ؛ وقادى ملكه عامين ؛ ثم قتله دب تعرض له في الصيد ، ولم يحذره ؛ فأتى عليه . وولي الملك بعده صهر له من بنيته وأرضه اسمه دون ألفنش بن الدوق دون بطر ، من أهل قانتطابرية ، كان قد وصل من تلك الأرض لزيارة أم بلانيه ، وأعانته وخدمته فأكرمه بلانيه ، وزوجه ابنته . فلما هلك ، لم يوجد أولى به منه ؛ فملك في سنة ٧٧٢ ، بموافقة ١١٤ للهجرة . واتصل مدته تسع عشرة سنة ؛ وكان يُسمى القاطوليقة لمعرفته بأصول شريعة الروم المسمى علمها عندهم قاطوليقي .

ولما هلك ، ولي بعده ابنه المسمى فرويلة في سنة ٧٩١ للصفر ، وبموافقة ١٣٣ للهجرة ؛ وفي عهده دخل الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وعقدت له البيعة بالأندلس تسع ذي الحجة من سنة ١٣٨ .

ولما هلك فرويلة ملك بعده أخوه أيرلييه ، واستولى على أرض أشطوريش التي منها أصله وأرض غليسية وأرض برنقال وبعض ليون . وكان ملكاً كبيراً ؛ وكانت ولايته سنة ٨٠٠ للصفر ، بموافقة ١٤٨ للهجرة ، ومدته ست سنين . ثم هلك . وولي بعده شيله أخوه ثاني سنين . ثم ولي

بعده أخوه 'دون ألفننش' بن 'فرؤيلة'، وتسمى قناشطه (ومعناه 'المالك' الصالح) لعفافٍ وصلاحٍ كان عليه عندهم؛ واتصل ملكه إحدى وأربعين سنة؛ وكان ابتداء أمره سنة ٨١٨ للصفرة؛ وثار عليه عمُّ له، ابن جارية غير متهورة، اسمه 'موريغاطه'؛ فخلعه وملك بعده خمس سنين. ثم ولي بعد هذا الخالع قريب له تغلب عليه اسمه 'برموده'، كان أول أمره قيساً أي عالمياً فقيهاً في دينهم؛ وملك ست سنين. ثم عاد الأمر إلى المخلوع 'ألفننش' بن 'فرؤيلة' مدةً، إلى تمام الإحدى والأربعين سنة المذكورة. ثم ملك بعده، لما هلك، 'رميره' بن 'دون ألفننش' القاطوليفه، المتقدم الذكر قبل هذا، اختياراً من الناس، وذلك سنة ٨٦٥ للصفرة. ثم ولي بعده ابنه 'أردونيه' سنة ٨٦٥؛ وكانت مدته عشر سنين. ثم ملك بعده ابنه 'دون ألفننش' بن 'أردونيه'؛ وتسمى ماغنه، أي الملك الكبير؛ وكانت مدته ستاً وأربعين سنة؛ وولي 'نير' 'س'؛ رظم مدته واتسعت مملكته؛ وهو الذي نقل دار ملك أبيه إلى ليون، وتسمى ملك ليون. وكان ابتداء ملكه سنة ٨٧٥، بموافقة ٢٤٨ للهجرة.

ثم ولي بعده ابنه 'دون غرسية'؛ وكان ابتداء ملكه سنة ٩٢٤ للصفرة، بموافقة سنة ٢٩٧ للهجرة؛ ومدته ثمان سنين. ثم ملك بعده أخوه 'فرؤيلة' سنة ٩٣٢، بموافقة ٣٠٥ للهجرة؛ وكانت مدته سنة واحدة وشهرين؛ وأصابه مرض الجذام؛ فلم يأت معه قيامه بالملك. ولهذا العهد نشأ بجبهة ليون، التي كان يحكمهم قشتالة من قبل ملكها، شتات واختلاف؛ أوجب اقتطاع البلاد القشتالية عن ملك ليون؛ فقدم أهلها على أنفسهم ربيعيين من أسبانيا؛ حسيباً جرى عليه العمل ببلاد المسلمين بالأندلس على عهد ملوك الطوائف؛ وتغلب القضاة، وسالموا ملك ليون على أن يخدموه بثلاثمائة فارس متى احتاج لذلك؛ فقبل ذلك منهم، وقنع بطاعتهم. وكان أحدهما يسمى 'نونيه رجورة'، والآخر 'لاين' قالبه. ومن

'نونيه رجورة' تناسل ملوك 'قشتالة' وليون الذين استقر الملك في عقيهم على عهده.

رجع الحديث للملك ليون. ثم ملك بعد 'فرؤيلة' 'دون ألفننش' بن 'دون أردونيه' خمس سنين وثمانية أشهر؛ ثم زهد، وترهب، وأصابه وسواس؛ فتخلّى بعد ذلك عن الملك لأخيه 'رميره' سنة ٩٣٣؛ وكانت مدة ملكه عشرين سنة. وفي السنة الأولى من مدته، قام بقشتالة داعياً إلى نفسه القمزر 'دون قرآن' غنصاليس، حفيد 'نونيه رجورة' أحد القاضيين المذكورين قبل.

رجع الحديث ليون. ثم ملك بعد 'رميره'، 'أردونيه' ابنه سنة ٩٥٨، بموافقة سنة ٣٣١ للهجرة؛ فكانت مدته خمس سنين وستة أشهر. ثم ثار عليه وخلعه أخوه 'دون سانشه' سنة ٩٦٣ للصفرة، بموافقة سنة ٣٣٦ للهجرة؛ وكانت مدته اثنتي عشرة سنة.

وفي مدة سانشه هذا الثائر بأخيه، خرجت قشتالة عن حكم صاحب ليون 'جملة'؛ واستقل القمزر المذكور 'قرآن' غنصاليس بها؛ ولم يبق فيها للملك ليون طاعة. وكان سبب ذلك أن القمزر 'دون قرآن' غنصاليس حدثت بينه وبين سانشه سلطان نبارة مفاتنة؛ فغلبه القمزر وقتله. وملك بعده نبارة ابنه 'دون غرسية'؛ وكانت بنت ملك نبارة زوجاً لدون سانشه صاحب ليون؛ وكانت تطالب القمزر بعداوة قتله لأبيها، وهي مع ذلك تخادعه وتريه الصداقة؛ وكانت تعدّه بتزويج بنت أخيها غرسية صاحب نبارة ولدي قتييله، لتزول بينهم العداوة رأساً؛ وداخلها زوجها ملك ليون في استدعائه لحضور رأي كبير يسونه الفرت، تحضر فيه الملوك والأمراء لتقدير المصالحة الوقتية والأبدية؛ ففعل ذلك؛ ووعد القمزر بالوصول؛ فكتبت المرأة لأخيها صاحب نبارة أن يحاول أمره في طريقه، ويؤنسه، ويطلب

لقائه لعله يتأتى فيه ثأره . فلما قضى القُمز حاجته من حضور القُرْتِ ، ورجع قافلاً إلى بُرْغَش بَلَدِهِ من عمالة قَشْتَالَة ، طلب منه صاحبُ نَبَارَة الاجتماع ؛ فوقع الاتفاق على أن يستصحب كلُّ واحدٍ منهما سبعةً من الفرسان بدون سلاح . وجاء القُمزُ بحال طمأنينة على بغلة ، وفرسانه السبعة بين يديه ، حتى إذا قَرُبَ من مكان الوعد ، رأى صاحبَ نَبَارَة في خمسة وثلاثين فارساً يحملون السلاح ؛ فَأَيْقَنَ بالشرِّ ، وأعجلوه عن التحول إلى الفرَس . فدخل كَجَنَّةٍ كانت بالموضع ، واعتصم ببرُجٍّ كان هنالك ؛ ودافع هو وناسه عن أنفسهم ؛ فقاتلته صاحبُ نَبَارَة قتالاً شديداً بقيه اليوم إلى نصف الليل . ثم اقتضى أمانته على أن ينزل آمناً في نفسه من القتل ؛ ونزل ؛ فاحتمله صاحبُ نَبَارَة إلى نَاجِرَة ؛ فأكبَلَهُ ، وبقي عنده سنة ونصف سنة . ثم رغب منه سراح فرسانه إلى قَشْتَالَة ؛ فسرَّهم .

واتفق أن حلَّ بالموضع قُمزٌ معروفٌ من أرضٍ أخرى ؛ فطلب أن يزورَ القُمزَ الأسيرَ ، وأسفق لحاله ، ووعدته المشاركة الجميلة في أمره ؛ وطلب زيارة بنت صاحب نَبَارَة ، وهي التي كان القُمزُ الأسيرُ وعدَّ بتزويجها . وعقِدَ من ذلك حديثٌ حَثَّتْ له بسببه ؛ فأخذ معها في شأنه ، وضمن لها ، إن خلصته من أمره ، أنه يحملها معه إلى قَشْتَالَة ، ويتزوّجها ، ويعرف لها قَدْرَ إحسانها إليه .

وللتصاري في أثناء هذا أحاديثُ وأشعارُ ومعانٍ ترجع إلى شطارة العشاق وارتكابهم الأخطار . فتمَّ ما ذهبتُ إليه من ذلك ، وذهب بها إلى قَشْتَالَة ، وتزوّجها ، وعاد إلى مُلْكِهِ ، ووالى الحروب على صاحب نَبَارَة ، إلى أن أسره وانتخف منه ؛ وأقام في أمره ثلاثة أشهر . ثم تشفعت فيه بنته ؛ فأطلقه طَوْعاً . ثم طال الأمدُ ، واستدعى صاحبُ لِيُونِ القُمزَ مرةً أخرى لحضور قُرْتِ آخر ؛ فوصل إليه ، وهذا على

عند المنصور محمد بن أبي عامر . وهم كلُّهم بين موافقته عن بلادهم لابن أبي عامر وبين تقيته وسليم .

وقد كان القُمزُ غُثْصَالِسَ صاحب قَشْتَالَة فسَدَّ ما بينه وبين صاحب لِيُونِ ؛ فقبض عليه وأسرَه سنة ٩٧١ . ودبرت أيضاً زوجته بنت ملك نَبَارَة التي خلصته من الأمر الأوَّل الحيلة في خلاصه من هذه ؛ فسرتُ من بُرْغَش في خمسمائة فارسٍ مختارة ، تطوي المراحل ليلاً ، إلى أن كانت على ثلاثة فراسخٍ من لِيُونِ ؛ وتركت الفرسان في غياضٍ وجبالٍ ، وأقبلت في زيِّ راهبةٍ تقصد الحجَّ لشنت ياقب . وأكثرتُ السلطانَ صاحبُ لِيُونِ قدومها ، وتبرَّك بها ؛ فسألت منه أن تزورَ القُمزَ أسيرَه ، وتُسَافِرَ من القَدَرِ إلى الحجِّ ؛ فأذن لها في ذلك ؛ فأطالت معه الحديث . ثم أمرته بخرج في زيتها مع أحد خدَمَتِها يُخَاطِبُ الحرسَ عنها ؛ وبقيت هي راقدةً في سرير القُمزِ كأنه لم يبرح . فلما حصل في ظاهر البلد ، وجد الحيلَ تنتظره بكلِّ فرَسَخٍ ، إلى أن وصل بجُمْلَةٍ خَيْلِهِ . ولما تعرف صاحبُ لِيُونِ ذلك ، شقَّ عليه ؛ ثم لم يسعه إلا أن وجهَ إليه زوجته هذه مُفَرَّجة الشدائد . وكان هذا القُمزُ فارساً كبيراً ، لا نظيرَ له ؛ فشرَّ بعد ذلك في حرب صاحب لِيُونِ ، وأضاقه ، وغم أرضه ، إلى أن اضطرَّ على أداء حقوقِ كانت للقُمزِ قبله ، والتسليم فيما بيده ؛ فاستقلَّ القُمزُ بأرض قَشْتَالَة فَمِنْ حينئذٍ .

رجع الحديث إلى ملك لِيُونِ . ثم توفي دون شأنه ملك لِيُونِ . وولي بعده ولده رَمِيرُهُ ، وهو صبيٌّ صغيرٌ من خمس سنين ، وذلك في سنة ٩٧٥ ؛ وكانت مدته خمساً وعشرين سنة . وتولَّتْ تدبيرَ مُلْكِهِ والبدته دونه طريجة وعمته دونه البيرة . وهلك القُتْدِرُ دون فرَّان غُثْصَالِسَ أيضاً في زمانه سنة ٩٧٨ ؛ فكانت مدةُ القُتْدِرِ فرَّان غُثْصَالِسَ نحواً من تسع وثلاثين سنة . ثم ثار عليه في غليسية دون بَرْمُودُهُ بنُ دون

أردونيته وملكها . ولما مات دون رميره الذي تقدم صبياً ، ودبرته أمه وعمته ، خلع الملك لدون برموده بن دون أردونيته ؛ وكان مبتدأ ملكه سنة ١٠٠٠ للصفر ، ومدة ملكه سبع عشرة سنة . وعلى برموده هذا ألح ابن أبي عامر بالغزوات ؛ وفي مدته ومدة من قبله ومن بعده قريباً منه ، كان سوق ذلك الجهاد المخطوط .

ثم ملك بعد دون برموده ابنه دون ألفونس سنة ١٠١٧ للصفر ؛ وكانت مدته سبعاً وعشرين سنة . وملك بعده دون برموده ولدته سنة ١٠٤٤ لتاريخ الصفر ؛ وكانت مدته عشر سنين . وكان دون برموده هذا قد تزوج بنت قندر قشتالة واسمها طريجة ؛ وبأبي خبره بعد . وعند هلاك دون برموده ، انتقل الملك للنسل القمزي دون فرنان غنصالس حفيد القاضي الأول ثونيته رجورة المتقدم الذكر .

ولما انتقل ملك ليون إلى حفيد ثونيته رجورة القاضي بقشتالة ، بسبب البنت التي كانت زوجاً لبرموده ملك ليون وكونه لم يعقب ، فنذكر عقبه من هذا الجد ، وهو الذي صار أصلاً وانقطع ما قبله ؛ فنقول : تولّى القاضي الأول ثونيته رجورة سنة واحدة ، وهي سنة ٧٣٢ ؛ ثم هلك ؛ فولي بعده ابنه غنصالس نونس ؛ ثم تولّى بعده ابنه القمزي دون فرنان غنصالس ، المتقدم الذكر ، تسعاً وثلاثين سنة ؛ ثم تولّى بعده القمزي دون غرسيه فرانديس ؛ ثم تولّى بعده ابنه دون سانجه . وكان لدون سانجه ابنتان إحداهما تسمى دونه طريجة ، تزوجت دون برموده صاحب ليون ، والثانية تسمى دونه إليبيرة ، تزوجت سانجه ملك نبارة ، ووددت منه بنين كبيرهما دون غرسيه ملك نبارة بعد أبيه ، والثاني دون فرانده الذي هو أول من تسمى ملك قشتالة . وكان لدون سانجه ولد من عشيقه غير مهوره اسمه دون رميره ، ملك أرض أرغون . فمن نسل دون فرانده

هم ملوك قشتالة إلى الآن ؛ ومن نسل دون رميره هم ملوك أرغون . فلما توفي دون سانجه قمزي قشتالة ، ولي بعده دون غرسيه ابنه ؛ وكان ضعيف العقل ؛ اقضى نظيره التوجه إلى ليون ليتزوج بها أخت ملكها برموده ، وحمل معه صهره دون سانجه ملك نبارة ؛ فنزل صاحب نبارة بفحص ليون ، ونزل دون غرسيه بداخل البلد ، وحدث بالبلد فتنة وهرج قتل فيه . وقيل إن قتلته بإشارة سلطان ليون . وقامت الحرب لأجل ذلك بين صاحب ليون وبين صاحب نبارة ؛ وقد انضفت إلى ملكه بعد قتل صهره قشتالة سنة ١٠٦٦ للصفر ؛ وكانت نحواً من ست عشرة سنة ؛ وقتل طائفة من الزعماء اتهمت بالتدبير على صهره ؛ واستضاف أرضهم إلى أرض قشتالة ؛ وهي المسماة بيلد وليد ، وسنطيمنش ، وما إليها ؛ فضخم ملكه . ثم تصالح مع صاحب ليون على أن يتزوج ابنه دون فرانده مع أخته ، وأن يسمى ملك قشتالة . وأعطاه أبوه جزءاً كبيراً من أرض نبارة ، وهي ناجيرة وما إليها . فلما توفي أبوه ، تحرك ملك ليون لقتاله ، وأصرخ المذكور أخاه القائم بعد أبيه بملك نبارة ؛ فغلبا على صاحب ليون ، وهزماء ؛ وقتل في الحرب . فانصرف ملك ليون لدون فرانده بن دون سانجه المتقدم الذكر .

ثم قال الشيخ الحكيم : وإذا بلغنا إلى هذا الحد ، فلنذكر الآن ملوك قشتالة وليون ، ونجعل إلى ذات اليمين عدّة الأولاد من عقب بلايه ، وإلى ذات اليسار عدّة هم من عقب فرانده هذا المذكور . فنقول :

ملك دون فرانده صاحب نبارة وقشتالة وليون أربعين سنة وستة أشهر ؛ وكان ابتداء ملكه سنة ١٠٥٣ للصفر ؛ وقسم ملكه على أولاده الثلاثة ؛ فأعطى ملك قشتالة لدون سانجه ولده الأكبر ، وأعطى ملك ليون لدون ألفونس ، وأعطى ملك غليسيه وبرنغفال



لدون غزنوية . فلما توفي دون قرأ نذوه ، ثم دون سنانجه على أخويه . وأخذ منها الملك ، وأمرهما . فأما دون غزنوية ، فقيده بالديد ، وسجنه في حصن ناجرة ؛ فبقي بها نحواً من ثمان عشرة سنة . وأما أخوه دون ألفتش ، فجعله مونيحاً في موضع عبادة على رسم الزهاد ، مراقباً عليه بموضع يقال له سقند ؛ واحتال ، فهرب منه ، ولحق بطليطلة . وبها يومئذ المأمون بن ذي النون ؛ فأواه ، وأجاره ، وسكن عنده ؛ وسكناه بطليطلة واطلاعه على عوراتها هو الذي أوجب تلك النصارى بها ؛ وأقام عند ابن ذي النون إلى أن قتل أخوه سنانجه بتدبير أخيه أراكه ، إذ دخلت في قتله بعض فرسانه ، وقد خرج يتصيد ؛ فطارده صيداً ؛ وذلك الفارس يقفوه ؛ فلما انفرد به ، طعنه برمح كان له ، وقتله ؛ وركض ؛ فلحق بالأخت المذكورة بمدينة سمورة ؛ فاستجار بها . ووجهه عنه النصارى إلى طليطلة ؛ فولّوه عوضاً منه ؛ وذلك سنة ١١٠١ . ولما ملك ، أنفذ الأمر بقتل قاتل أخيه ، وقال ما معناه : « عمل جيد وعادة سوء ! »

ثم توفي في شهر يونيه سنة ١١٤٧ ؛ فلم يترك ولداً ؛ فولي الملك حفيده ولد ولد قرذلند .

وقال الحكيم فيه : هذا الحفيد المسمى بألفتش هو الذي قتل طليطلة وما إليها . وكان ابتداء ملكه سنة ١١٤٧ للصفر . وكانت مدته ستاً وخمسين سنة . قال : وهو أول من تسمى إنبيردور ؛ ومعناه سلطان السلاطين ، إذ مهّد جيوانه ، وافتتح دار ملك النصارى القوط طليطلة ، واستخدم ملوك المسلمين بالأندلس .

قال ابن وقار : كان له سبعة من الملوك يخدمونه ، ولا يعصون أمره بين مسلمين ونصارى . وفي مدته خرجت جبهة برتقال عن حكم قشتالة في أول أمره ، إذ كان صغيراً عند الولاية ؛ وكان جدّه دون

ألفتش قد زوّج بنتاً له مع أحد قرابته اسمه أنريقر ، وأعطاه برتقال ، وسمّاه دوقاً . ثم ، لما هلك وولي بعده برتقال ابنه ، توجه إلى الباب ؛ فولّاه برتقال ، وثبّتها له ؛ فلم يقلده ألفتش صاحب قشتالة وليون على أن التهي به . فمن نسله ملوك برتقال إلى الآن ، حسباً يأتي إن شاء الله .

قلت : وهذا ألفتش المعمر هو الذي طغى واستحوذ على ملوك المسلمين ، وضرب بين أمراء الطوائف ، إلى أن قبعه الله بلمتونة ، وهزمه هزيمة الزلاقة على يد يوسف بن تاشفين ، حسباً يأتي إن شاء الله .

قال ابن وقار فيه : ثم قسم ملكه قسمين ؛ فأعطى ملك قشتالة ولده سنانجه ؛ وتسمى باسم الملك في حياة أبيه خمس سنين ؛ وأعطى ملك ليون وعليسية ولده دون قراندوه . ثم استمرت أيام دون سنانجه بعد موت أبيه عاماً واحداً . ثم توفي سنة ١١٩٨ ؛ وترك ابناً صغيراً من أربع سنين اسمه دون ألفتش ؛ فملك بعده ثلاثاً وخمسين سنة . وهذا الصبي المعمر هو الذي جرّت عليه الهزيمة المعروفة بالأرك على يد يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي - رحمه الله - سنة ١٢٣٣ للصفر ، وفي شهر أغسطس . ثم دالت له الأيام ؛ فكانت له على الناصر بن المنصور هزيمة العقاب ، التي لم تستقل العثرة بعدها بالأندلس ؛ وذلك ثامن عشر من يولييه من سنة ١٢٥٠ للصفر . وكان هذا الملك الرومي بعيد الهمة ؛ لبس من بعد الهزيمة عليه ثياب الحزن ، وأقسم أن لا يزيلها حتى يأخذ ثأره . فلما أتيح له الظفر بالناصر بن المنصور ، رغب منه النصارى أن يرفع الحزن ؛ فقال : « وكيف وأنا لم أتصف ؛ إنما غلبت ابن من غلبني ! هضيتي في عنق الابن ، وهضيمة الأب في عنقي ! لم تزلها عني غلبتي لغيرها ! »

وكانت له ابنة اسمها برتقال ، زوّجها ابن عمّه دون ألفتش

مَلِكُ لِيُون ؛ فولدت له وَلَدَيْنِ أَكْبَرُهُمَا فَرَّانْدُهُ ، وَأَصْغَرُهُمَا دُونُ الْفُنْدُشُ ؛ فَمَلِكُ فَرَّانْدُهُ بَعْدَهُ قَشْتَالَةُ وَلِيُون . وَكَانَ الْفُنْدُشُ إِفْقَانْتِ مَلِيْنَةً ؛ وَمَعْنَى الْإِفْقَانْتِ وَلَدُ السُّلْطَانِ . فَلَمَّا تَوَفَّى الْفُنْدُشُ ، وَلِي ابْنُهُ دُونُ إِنْشَرِيْقٍ ثَلَاثَ سَنِينَ ، أَوَّلُهَا سَنَةُ ١٢٥٠ . ثُمَّ هَلَكَ بِحَجَرٍ أَصَابَ دِمَاغَهُ فِي لَعَبٍ مِنَ الصِّبْيَانِ عَامَ ١٢٥٣ ؛ فَارْجَعَ الْمُلْكُ لِأَخْتِهِ مَلِكَةِ لِيُون ؛ فَأَعْطَتْهُ وَلَدَهَا فَرَّانْدُهُ . فَهَذَا فَرَّانْدُهُ مَلِكُ قَشْتَالَةَ مِنْ أُمِّهِ وَمَلِكُ لِيُونِ مِنْ أَبِيهِ ؛ وَهُوَ الَّذِي تَمَلَّكَ قُرْطُبَةَ وَإِسْبِيلِيَّةَ وَجِيَّانَ وَمُرْسِيَّةَ . وَحَسْبُكَ هَذَا الظُّهُورُ الَّذِي أَقَامَ الْبُرْهَانَ عَلَى أَنَّ الدُّنْيَا لَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ شَيْئًا ! فَكَيْفَ اسْتَمَلَّتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الْمَدَائِنُ الْعَظِيمَةُ مِنْ بِلَادٍ وَعَمَالَاتٍ وَمَنَابِرٍ وَمَسَاجِدٍ وَأَعْيَانٍ وَفُرْسَانٍ وَعُلَمَاءٍ وَأَعْلَامٍ ! « ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ يُظْلِمَ لِلْعَبِيدِ ! » وَهُوَ الْمَسْمُومُ بِالْأَحْوَالِ ؛ وَعَلَى عَهْدِهِ كَانَ قِيَامُ ابْنِ هُودٍ وَابْنِ تَصْرٍ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَهَلْكَ بَعْدَ اسْتِخْلَاصِ إِسْبِيلِيَّةَ ؛ وَلِذَلِكَ كَانَتْ كَهَنَةُ اللَّرْثُومِ تَزُمُ ، فَتَقُولُ : « الْأَسْوَدُ الْأَحْوَالُ إِذَا أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الزَّيْتِ هَلَكَ ! » يَعْنُونَ إِذَا مَلِكُ إِسْبِيلِيَّةٍ مَعَدِنَ الزَّيْتِ . وَكَانَتْ مُدَّتُهُ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَابْتَدَأَ مُلْكُهُ مِنْ لَدُنْ ١٢٦٥ لِلصُّفْرِ .

وَوَلِي بَعْدَهُ وَلَدُهُ دُونُ الْفُنْدُشُ سَنَةَ ١٢٩٠ لِلصُّفْرِ ؛ وَكَانَتْ مُدَّتُهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ ؛ عِنْدَ تَوَلِّيِّهِ مَوْنَ عَمْرِهِ ، وَخَافَ مِنْ أَنْ يَطْرُقَهُ الْمَوْتُ ؛ فَيَخْرُجُ الْمُلْكُ عَنْ عَقِبِهِ ؛ فَيَجْعَلُ الْمُلْكُ بَعْدَهُ لُفَيْدَهُ مِنْ بَنِيهِ ذِي الْعَرَفِ . ثُمَّ وَلِدَ لَهُ بَعْدَ هَذَا وَلَدُهُ السُّلْطَانُ دُونُ جَانِجُهُ ؛ فَلَمَّا كَبُرَ دُونُ جَانِجُهُ ، عَظُمَ عَلَيْهِ انْفِرَادُ ذِي الْعَرَفِ بِالْمُلْكِ دُونَهُ ؛ وَلَمْ يَسْعَ الْأَبَ حَلُّهُ ؛ فَشَمَّرَ عَنْ مَخَالْفَتِهِ لِأَبِيهِ وَاسْتِخْلَاصِ الْمُلْكِ بِالسِّيفِ ؛ فَخَلَعَ الْأَبَ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، إِلَى أَنْ لَمْ يَبْقَ بِيَدِهِ إِلَّا قُرْطُبَةُ وَأَحْوَاظُهَا ؛ وَاسْتَنْصَرَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ السُّلْطَانُ الْمُتْرَابِطُ أَبِي يَوْسُفَ بْنَ عَبْدِ الْحَقِّ ، وَوَلَدَهُ

بِهِ ، وَرَهْنٌ عِنْدَهُ تَاجَةُ ذَخِيرَةِ النَّصَارَى الْمُسْتَقَرَّةِ بِبَدَارِ مَرِينٍ ؛ وَالتَّقِيَّةُ بِصَخْرَةِ عَبَّادٍ مِنْ أَحْوَاظِ رُنْدَةَ ؛ فَسَلِّمَ عَلَيْهِ . وَيُقَالُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ ، لَمَّا فَرَّغَ مِنْ ذَلِكَ ، طَلَبَ بِلِسَانِ الرُّنْدَانِيَّةِ الْمَاءَ ؛ فَغَسَلَ بِهِ يَدَهُ مِنْ قَبْلِهِ الْفُنْدُشُ أَوْ مُصَافَحَتِهِ .

وَالشَّيْءُ يُذَكَّرُ بِالشَّيْءِ . فَأُثْبِتْتُ حِكَايَةَ اتَّفَقَتْ لِي بِسَبَبِ ذَلِكَ ، أَسْتَدْعِي بِهَا الدُّعَاءَ مِمَّنْ يَحْسُنُ عِنْدَهُ مَوْقِعُهُ . وَهِيَ أَنَّ الْيَهُودِيَّ الْحَكِيمَ ابْنَ زَرْزَارَ ، عَلَى عَهْدِ مَلِكِ النَّصَارَى حَفِيدِ هَذَا الْفُنْدُشِ الْمَذْكُورِ ، وَصَلَ إِلَيْنَا فِي حَوَانِجِهِ ، وَدَخَلَ إِلَيْنَا بِدَارِ سُكْنَانِي مُجَاوِرِ الْقَصْرِ السُّلْطَانِيِّ بِجَمْرَاءِ غَرْنَاطَةَ ، وَعَدِي الْقَاضِي الْيَوْمَ بِغَرْنَاطَةَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ ، وَبِيَدِهِ كِتَابٌ مِنْ سُلْطَانِ الْمُتَغَرِّبِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ الْمُتَوَلَّى أَبِي الْحَسَنِ . وَكَانَ مُحَدِّثُ هَذَا قَدْ فَرَّ إِلَى صَاحِبِ قَشْتَالَةَ ، وَاسْتَدْعَى مِنْ قَبْلِهِ الْمُلْكُ ؛ فَسَهَّلَ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِ مَا سَاءَ ؛ وَرُبَّمَا وَصَلَهُ خِطَابُهُ بَمَا لَمْ يَقْنَعَهُ فِي إِطْرَاقِهِ ؛ فَقَالَ لِي : « مَوْلَايَ السُّلْطَانُ دُونُ يَطْرُوهَ يَسَلِّمُ عَلَيْكَ ، وَيَقُولُ لَكَ : انْظُرْ مُخَاطَبَةً هَذَا الشَّخْصَ ! وَكَانَ بِالْأَمْسِ كَتَلَبًا مِنْ كِلَابٍ بِابِيهِ ، حَتَّى تَرَى خُسَارَةَ الْكِرَامَةِ فِيهِ ! » فَأَخَذْتُ الْكِتَابَ مِنْ يَدِهِ ، وَقَرَأْتُهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : « أَبْلَغُهُ غَنِيٌّ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا جَرَّكَ إِلَيْهِ إِلَّا خُلُوعُ بَابِكَ مِنَ الشَّيْخِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَكَ بِالْكِلَابِ وَالْأَسْوَدِ ، وَبَنِي تَغْسَلُ الْأَيْدِي مِنْهُمْ إِذَا قَبِلُوهَا ؛ فَتَعْلَمُ مِمَّنْ الْكَلْبُ الَّذِي تَغْسَلُ الْيَدَ مِنْهُ وَمِمَّنْ لَا . وَإِنَّ جَدَّ هَذَا الْوَلَدِ هُوَ الَّذِي قَبِلَ جَدَّكَ يَدَهُ ، وَاسْتَدْعَى الْمَاءَ لَتَغْسَلَ يَدَهُ مِنْهُ بِمَحْضَرِ النَّصَارَى وَالْمُسْلِمِينَ ؛ وَنِسْبَةُ الْوَلَدِ إِلَى الْوَلَدِ كَنَسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَى الْوَلَدِ ! وَكَوْنُهُ جَاءَ إِلَى بِلَادِكَ لَيْسَ بِعَارٍ عَلَيْهِ . وَإِنَّكَ مَعْرُوضٌ إِلَى اللَّجْأِ إِلَيْهِ ؛ فَيُكَافِيكَ بِأَضْعَافٍ مَا عَامَلْتَهُ بِهِ ! » فَقَامَ أَبُو الْحَسَنِ الْمُسْتَقْضَى يَبْكِي ، وَيَقْبَلُ يَدِي ، وَيَصِفُّنِي بِنُورِ اللَّهِ ، وَكَذَلِكَ مِمَّنْ حَضَرَنِي . وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمُتَغَرِّبِ رَسُولًا ؛ فَقَصَّ عَلَى بَنِي مَرِينٍ خَبَرَ مَا

شاهدنا مني وسمعه ؛ وبالحضرة اليوم ممن تلقى منه ذلك كثير ، جعل الله ذلك خالصاً لوجهه !

رجع الحديث . ثم هلك ألفندش . وولي الأمر بعده دون سانشجه ابنه سنة ١٣٢٢ للصفّر ؛ وكانت مدته اثنتي عشرة سنة ؛ وهو الذي افتتح طريف . ونازل الجزيرة ؛ وكانت الوقعة بأسطوله . ثم هلك ، وولي بعده قراند ، وهو صبي صغير دون عشر سنين ، في الثامن والعشرين لإبريل العجسي من سنة ١٣٣٣ للصفّر . وهو الذي نازل الجزيرة ، وأخذ جبل الفتح ؛ وكانت مدته سبع عشرة سنة . ولما وقعت الفتنة بين السلطان نصر وبين ابن عمه بالقة ، نازل القبذاق وهلك عليها . وولي بعده ابنه دون ألفندش في سابع شتنبر عام ١٣٥٠ ، وسنه ثلاثة عشر شهراً ؛ وتقدم تربته واليابة عليه عمه دون بطره ؛ وهو الذي وقعت عليه وقعة المروج بظاهر غرناطة ؛ وسيقت جثته إلى البلد ، وجعلت في صندوق خشب ببعض الأبراج ، عن بين الصاعد إلى الحمراء لصق باب يعقوب ؛ وصارت الصبيان يرمون ذلك التابوت بالحجارة إلى أن عطشته ، واحتيج إلى بناء البرج ؛ وأنا نائب عن السلطان إذ ذاك . واضطروا إلى الكشف عن التابوت ؛ فألقي قد عفن ؛ واستؤذنت فيما يفعل بتلك الرمة ؛ فأمرت بأن يتخذ لها تابوت جديد ، وينقلها نصارى السلطان المستخدمون في المباني حسبما يريد أساقفتهم . فلما أخرجت الرمة لتنقل إلى التابوت ، ألقى بين الفقارات منها سنان صغار الجرم قد أثبتت فيها يد مجاهدة يوم الوقعة ، كانت سبباً للفتح . فاستعبرت رقة ، وقبّلت ذلك السلاح الكريم ، وسألت الله بركة معلم بها ، وأمرت برده بمكان بنائه ، وأعدت الصندوق لحاله ، لما رأيت في ذلك من التذكير بأيام الله ونكاية الكفار إذا مروا به ، وتخليد الفخر للدين ما شاء الله . والله ينفع بالمقاصد الخالصة لوجهه الكريم !

ثم كبر ألفندش هذا ؛ فاستولى على ثغر وبرة عند فتنة الغزاة بأندرش ؛ ثم على بلد أطيبة ، والحفرة المنسوبة إليها . وأوقع بالمسلمين الوقعة العظمى بطريف . ثم نال قلعة تحصب على ستة فراسخ من الحضرة وقتلها . ثم أملى الله له بشق عصي الأمة ، وما نال أمير المسلمين المرجو لنصرها من التمهيص بالقيروان ، واستبداد ولده عليه بذلك المغرب ؛ فانتهر الفرصة في الأندلس ، ليأس أهلها من نصرة الإسلام ؛ فتحرّك إلى إشبيلية ، ونازل جبل الفتح ، وشد حصاره إلى أن نزل اللطف الحفي بلاكه عليه ، بعد ما بنى وعزم على السكنى في شهر مارس سنة ١٣٥٠ للصفّر ، بموافقة محرم من عام ٧٥١ ؛ فكانت مدة ملكه نحواً من تسع وثلاثين سنة .

وتولى الأمر بعده ولده دون بطره . وشغله الله عن المسلمين بحروب أهل ملته ؛ فأنهى على سلطان برجلونة إلى أن انتزع كثيراً من بلاده ، كدانية وقلعة أيوب ، وأزبولة ، وغيرها ؛ ونازعه أخوه الملك ، وهو إنريق ، ابن أبيه من عشيق أولدها ولداً ، جملة لما شاء الله من شتات كلهم . وكرهت بطره النصرانية لكثرة الكلف واتصال الحركات والاستعانة بالمسلمين ؛ فخلع وفر إلى بلد أربونة من عمل صاحب الاغليطة ، بعد أن انتهت دار ملكه بإشبيلية ، وعانت أيدي الرعية في خزائنه برأى من عينه . واستولى على البلاد أخوه إنريق ؛ فلقق بإشبيلية مستدعي من أهلها ؛ وأهطعت الأرض إلى طاعته . وأعان دون بطره ملك الجهة التي قصد ، وشتر لنصره ، وتحرّك في جمع كثيف من أهل تلك الأرض ؛ وشأنهم عجيب في السلاح والقوة ، ووفور العدة ، والقتال من بعد الاسترحال ، ولزوم الأرض على الكريمة . وكان اللقاء بين الطائفتين بتاجرة من أحواز نبارة ؛ ف وقعت على إنريق الهزيمة المستأصلة ، وخلص إلى بعض الملوك المجاورة في شردمة قليلة ؛ وتلف كباراه وخلصاته

وعُدَّه وأمواله .

وعاد أخوه بيطره إلى ملكه . ولم ينشب أن فرض على البلاد مغرمًا يقضي به دون الطائفة التي أصرخت به ، إذ كان ذلك عن التزام أموال ؛ فخالفت عليه جملة من البلاد كفرطبة وما يجاورها ؛ واستعان عليهم بجلفائه من المسلمين . فكيف الله لذلك النصري صناعاً جليلاً ، قد تمت العهود بمثلها ؛ فنزلت فرطبة ، وفتحت مدينة طاعة أخيه . ولما أخذ تخنقها ونهكها الجوع ، استغاث أهلها بدون بيطره ؛ فتحرك بمن تلخص له من النصرانية وبمَدَدٍ من فرسان المسلمين ، قاصداً إقلاعه عن طليطلة ؛ فهجم عليه أخوه قبل وصوله إليه ، وهو على غير أهبة ؛ فهزمه بظاهر حصن منبيل ، وأجلاه إلى محاصر به ، ونازله ، وأحاط به . وضاق بالصبر ذرع المحصور ؛ فصانع قومًا من مُخَدَّامِ أخيه ، وتوثق منهم في تسبيل خلاصه ، كأنما أمره عن ناسه . فلما تحصّل بأيديهم ، وجهوا لأخيه من أعلامه ؛ فبادر إليه ، وقتله في أخريات رمضان من سنة ٧٦٩ . واستولى إنشريق على ملك قشتالة وليون ؛ وهو يسا إلى الآن ، معبور بفتنة عظيمة وحروب دائمة ، هنيء المسلمون لها برد الحياة ، وجلّت نعم الله لدينهم . والله المسؤول في صلة إلطافه للمسلمين ، وإجمال صنائعه للدين بفضله !

ونشير بعد هذا إلى نسل ملوك برنقال على سبيل الإلماع والإشارة ؛ فنقول :

أول من انفرد بملك برنقال ، واقتطعه من ليون وقشتالة القمزي إنشريق الذي تزوج بنت ألفنش ملك قشتالة وليون ؛ وقد نبّه عليه . ثم ملك بعده أبوه ألفنش وتسمّى دوقاً ، ثم بعد ذلك ملكاً ، بإذن الملك ألفنش الأندلسي . ثم ولي بعده ابنه دون سانشجه ملك بعده دون ألفنش بن دون سانشجه . ثم ولي بعده ابنه دون سانشجه ابن دون ألفنش ، وخلّيع عن الملك . ثم ملك عوضاً منه أخوه دون

ألفنش . ثم ملك بعده دونيش بن دون ألفنش . ثم ملك بعده دون ألفنش . يقول الحكيم : وهو الآن ملك بأرض برنقال . قلت : وهذا هو الذي أمده صاحب قشتالة يوم طريف بنفسه ؛ وكان مصافته بإزائنا أهل الأندلس ، وحملنا عليه ، وكدنا نفذه لولا أنهم جعلوا جيشاً وراءهم فاصلاً عن الملكيين ، يمدّ من ظهر به اختلال وتضعف ؛ فبادر إلى عدوتنا ؛ فقواه وسبّب له الظهور . ولما مات ، تولّى الملك بعده ولده ؛ ولم تطل مدته ؛ فهلك ؛ فقتله فيما سيعنا دب أو خنزير برقي حاول صيده . ثم ملك بعده ابن له فوق المحتلم ؛ وهو ملك برنقال الآن ؛ واسمه دون بيطره .

وإذ فرغنا منهم ، فنشير كذلك إلى ملوك أرغون وبرجلونة ؛ فنقول : أول من انفرد بها ، واقتطعها ، دون رميره ابن ملك نبارة ، حسباً نبّه عليه قبل ؛ وهلك قتيلاً في حرب للمسلمين . وتولّى بعده أخوه سانشجه ، ونازل مدينة وشقة من مدن الإسلام بشرق الأندلس ؛ فأصيب بهم قتل على . وملك بعده ابنه دون بيطره . ثم ملك بعده أخوه دون ألفنش . ثم ولي بعد أخوهما دون رميره ؛ وكان مونجاً ، أي صالحاً عابداً . ولما هلك ، ملك بعده ابنته ، وصيرت الملك إلى زوجها دون ريموننده ؛ فملك أرغون لذلك . ثم هلك ؛ فولي بعده دون ألفنش قمز برجلونة . وملك بعده ابنه دون بيطره بن دون ألفنش . ثم ولي بعده دون جاييمش ، وهو الذي ملك مدينة بلنسية من يدي أبي جليل ريان بن مردنيش وغيرها من الجهات . ثم ملك بعده ابنه دون بيطره . ثم ولي بعده ابنه دون ألفنش . ثم ولي بعده دون جاييمش بن دون بيطره أخوه ؛ وهو الذي نازل المريّة على عهد نصر من بني نصر ؛ كان شهير القوة والرأي والعزيمة . ثم ولي بعده ابنه ألفنش بن دون جاييمش . وولي بعده دون بيطره بن دون ألفنش ؛

وهم لم يأتوا أرفعون إلى اليوم . انتهى تأريخهم .

\*\*\*

وقد وُفينا ببعض ما أردناه من هذا القسم ، وسامحنا القلم فيه ،  
لكون الوطن ، الواقع فيه التاريخ ، وطننا الذي لا نغدر به في جهد  
المشهور من أحداثه ، والمتعارف من كوائمه ، مع الاختصار على كلِّ حال ،  
وقصد الإلماع . ويتلوه في القسم الثالث ما يختصُّ بالمغرب من لدُن  
أحواز برقة إلى السُّوس الأقصى وساحل البحر المُحيط الغربيّ . والله وليّ  
الإعانة سبحانه ! لا ربَّ غيره ولا معبودَ سواه ! وهو حسي ونعم  
الوكيل !

انتهى

القسم الثاني من

كتاب أعمال الأعلام ،

في من يُوبع قبْل الاحتلام ، من ملوك الإسلام ،

والحمد لله ربّ العالمين

:

## الفهرس

### الفهرس الاول

في اسماء الرجال والنساء

أ

احمد بن حسين الداني ٥٦  
احمد بن الحسين بن قسيّ ابو القاسم ٢٤٨-٢٥٢  
احمد بن حنبل ٨٦  
احمد بن خالد ٤٩ ، ٥٠  
احمد بن درّاج القسطلني ابو عمرو ١٢٣ ،  
١٩٧ ، ٢١٢ ، ٢٢٣  
احمد بن رشد ٢٥٢ ، ٢٥٣  
احمد بن سعيد بن حزم ٣٨ ، ٨٠ ، ١٠٦ -  
١٠٨  
احمد بن سعيد بن محمد بن الحصار القرطبي ٥٣ ،  
٥٥  
احمد بن سليمان بن محمد بن هود المقتدر بالله  
١٦٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٨  
احمد بن عبادة ٩٩  
احمد ( بن عباس ) بن ابي زكرياء الوزير ٢١٦  
احمد بن عبد الله الباجي الاشبيلي ٥٤  
احمد بن عبد الله بن الحسن القرطبي ٥٣  
احمد بن عبد الله بن محمد بن عروس  
الموروري ٥٤  
احمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان ٤٤ ،  
٤٥ ، ٨٥ ، ٩٣ ، ١١٨ ، ١٢٦  
احمد بن عبد ربه ( الشاعر ) ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٥  
احمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم الكلاعي ٥٣

ابن الآبار أبو عبد الله ٢٧٣  
أبان بن عبد الله الاموي ٢٩ ، ٣٢  
ابراهيم بن أحمد بن الحدّاد ٥٠  
ابراهيم بن احمد بن مفرج بن هيثك ٢٦٠ ،  
٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣  
ابراهيم بن براز ٢٦٥  
ابراهيم بن حجاج الاشبيلي ٢٧ ، ٢٨ ،  
٣٤ ، ٣٥  
ابراهيم بن ابي الحسن بن اشقبولة ابو اسحاق  
٢٨٧ ، ٢٩٠  
ابراهيم بن عبد الله الزبيري القلالي ٤٩  
ابراهيم بن عبد الرحمن القيسي ٥٠  
ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن الشرق ٥٣  
الاجري ٥٤  
الاجري ٥١ ، ٥٣  
احمد بن ابراهيم بن أبي سفيان الغافقي ٥٥  
احمد بن ايوب بن ابي الربيع ٥٦  
احمد بن بُرد ابو حفص ( كاتب الرسائل )  
٩١ ، ٩٥  
احمد بن بقي بن مخلد ٢٩  
احمد بن حجر الثائر ٢٤٨

أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن عاصم ٢٥٨ ،  
٢٥٩  
أحمد بن عبد العزيز بن عيشون ١٩١  
أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن يوسف بن هود  
١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٥٣  
أحمد بن علي بن أحمد أنباغاني ٥٣  
أحمد بن عمر بن عبد الله بن منظور ابن  
خفيف ٥٦  
أحمد بن عفيف القرطي ٥٥  
أحمد بن عيسى بن المكرم النافقي ٥٠  
أحمد بن قزمان ٥٠  
أحمد بن محمد بن أحمد بن حدين ١٧٦ ،  
٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ،  
٢٦٣ ، ٢٦٤  
أحمد بن محمد ابن حُكيم ابو عمر ٨٠  
أحمد بن محمد بن سليمان بن هود المستعين بالله  
١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٤  
أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي ٥٦  
أحمد بن محمد بن عبد الله بن قاسم ٢٠٨  
أحمد بن محمد بن عبد الله بن هاني ابن  
اللباب ٥٢  
أحمد بن محمد الفيشطيطي ٥٠  
أحمد بن محمد بن مكيال الرُصافي القرطي ٥٠  
أحمد بن محمد بن ملحان ٢٦٤  
أحمد بن مسلمة بن حجاج ٣٥  
أحمد بن موسى ابو جعفر ( الوزير ) ١٣٦ ،  
١٣٧ ، ١٤١  
أحمد بن هلال ٥٣  
أحمد بن يحيى بن أحمد العاملي ابن اللبّاق ٤٥  
أحمد بن يوسف بن إسحاق الاستنجي ٥٦  
أحمد بن يوسف بن الامام ٥١  
ابن الاخر ٥٤  
ابن أبي الاحوص ابو الحجاج ٢٩٩  
ادريس بن عبد الله ٢٩٧

ادريس بن عبيد الله بن ادريس ٥٢  
ادريس بن علي بن هود ١٣١ ، ١٤٠ ،  
١٤٣ ، ١٤١  
ادريس المأمون الموحد ٢٧٩  
ادريس بن يحيى بن ادريس بن علي بن  
هود ١٤٢  
ادريس بن يحيى بن علي بن هود ١٤١  
اذفونش ١٢  
اذفونش بن فردلند ١٥٩ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،  
١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٤٣ - ٢٤٥ ، ٢٤٦  
ارثاكة ٣٣٠  
اردون بن اذفونش ( ملك جليقة ) ٢٠  
اردونية بن رمير ٣٢٤ ، ٣٢٥  
ارمقند ١١٥  
ابن اسباط = عبد الرحمن  
اسحاق ٥٨  
اسحاق بن عطاف ٢٧  
اسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالي الزناني  
١٤٢ ، ٢٣٧  
ابو اسحاق الالبيري ٢٣١  
ابو اسحاق ابن ابي القاسم ابن الحكيم ٢٩٢  
اسلم بن عبد العزيز ٥٧  
اسماعيل بن اسحاق ابن الطحان ٥٠  
اسماعيل بن عباد الراسي ٥٦  
اسماعيل بن عباد بن محمد بن عباد ١٥٦  
اسماعيل بن عبد الرحمن بن دنون ١٧٧ ، ٢٠٥  
اسماعيل بن فرج بن نصر أبو الوليد ٢٩٤ -  
٢٩٥  
اسماعيل بن محمد بن عباد ١٢٠ ، ١٣٧ ،  
١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٨  
اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن نصر  
٢٨٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧  
ابن اشقيلولة = ابراهيم بن ابي الحسن ، ابو  
الحسن ، عبد الله بن ابراهيم ، علي بن

ابراهيم ، علي بن أبي محمد ، فرج بن ابي  
محمد ، محسن بن ابي محمد ، أبو محمد بن  
ابي الحسن ، يوسف بن أبي محمد  
اصبغ بن الفرج بن الفارس الطائي ٥٢  
ابن الاصبغ = عبد الميمون بن مروان ،  
مروان بن عبد الملك  
أبو الاصبغ ( وزير المستعين ابن هود ) ١٧٤  
الاصيلي ٥٤  
ابن اضحى ( قاضي غرناطة ) ١٧٦ ، ٢٥٨  
اعتاد ( جارية المتمد وأمّ ولده ) ١٥٩ ،  
١٦١ ، ١٦٤  
ابن الاعرابي ٥١  
أفلق الصقلي ٢١١  
اقبال الدولة ( لقب علي بن مجاهد ) ٢٢٠  
البيرة ( دونة ) ٣٢٧ ، ٣٢٨  
الفنش بن اردونية ٣٢٤  
الفنش بن الفنش ٣٣٦  
الفنش بن ازريق ٣٣٦  
الفنش بن برمودة ٣٢٨  
الفنش بن بطر ٣٢٣  
الفنش بن بطر ٣٣٧  
الفنش بن جاعش ٣٣٧  
الفنش بن شانجه ٣٣٧  
الفنش بن فرّاند ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ،  
( وانظر ايضاً اذفونش بن فردلند ) ٣٣٢  
الفنش بن فرّاند ٣٣٤  
الفنش بن فرويلة ٣٢٤  
ابن الياس ٢٧  
امرو القيس ٤٥  
أمية بن محمد بن حمزة ٥٢  
أمية بن عبد الرحمن بن هشام العراقي ١٣٨ ،  
١٣٩  
الامين ١٣٢  
ازريق ٣٣١

ازريق بن الفنش ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦  
الانطاكي ٥٥  
الانقر = يحيى التجيبي  
ابن الانطاكي ٥١  
الانير = هاشم بن عبد العزيز  
ايريله بن الفنش ٣٢٣  
ابن ائمن ٥٠  
ايوب بن حبيب اللخمي ٦  
ايوب بن عمر بن حفصون ٣٢  
أبو أيوب الفريشي ٨٥ ، ٨٦  
ابو أيوب ( عمّ الحكم بن هشام ) ١٥

## ب

الباجي ٥٣  
الباجي = عبد الله بن محمد بن علي ، محمد بن  
أحن بن عبد الله ، ابو الوليد  
باديس بن حبوس بن ماكنس الصنهاجي ١٤١ ،  
١٤٢ ، ١٩٠ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٠ ،  
٢٣٣ ، ٢٣٣ ، ٢٤٠  
باديس بن منصور بن بلقين بن زيري ٢٢٧  
الباروني المزمي ٣٠٠  
ابن الباكيس = سليمان بن أيوب  
ابن بجامة الالبيري ٥٠  
البخاري ٢٧٦  
بدر ( مولى عبد الرحمن الداخل ) ٨  
ابن برجان ابو الحكم ٢٤٩  
ابن برطال ابو جعفر ٢٩٩  
ابن بركة = محمد بن محمد  
ابن برّله = عبد الله بن محمد  
برمود ٣٢٤  
برمود ٣٢٨ ، ٣٢٩  
برمود ٣٢٨  
برمود ٣٢٨  
برمود ٣٣١

البرقي أبو عبد الله ٢٧٦  
 ابن بشار ١٣٥ ، ١٩٠  
 النسطي أبو الأصبع ٣٠٠  
 بشر الصقلي ١٠٩  
 ابن بشر ٥٤  
 بشرى الفتي ١٠٤  
 بشير الفتي ١٠٤  
 ابن بطال ( الثائر ) ٢٠٩  
 ابن بطال = محمد بن زكريا  
 بطرء بن الفتح ٣٣٥ ، ٣٣٦  
 بطرء بن جاش ٣٣٧  
 بطرء بن شاذي ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧  
 ابن بكر ١١٧  
 ابن بكر أبو عبد الله ٢٩٩  
 أبو بكر بن اسحاق ابن السليم ٤٩  
 أبو بكر بن الحديدي ١٧٧ ، ١٧٩  
 ١٨٢  
 أبو بكر الرقيمي ٢١٧  
 أبو بكر بن عبد العزيز ابن رويس  
 ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣  
 أبو بكر ابن غازي ( الوزير ) ٢١  
 أبو بكر ابن القوطية ٥٠  
 أبو بكر بن محمد ابن الحكيم ٣٤  
 أبو بكر بن مسمود ٢٩٩  
 أبو بكر بن يحيى ٢٧  
 بلايه بن قافلة ٣٢٢ ، ٣٢٣  
 بلج بن بشر القشيري ٧ ، ١٥٣ ، ٢٥٢  
 بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري  
 ٢٣٠ ، ٢٣١  
 بلقين بن حبوس بن ماكسن بن زيري ٢٣٠  
 بلقين بن يوسف بن زيري ٦٢٣٨  
 بليق الفتي ١٠٤  
 ابن البنا = خلف  
 البنياني أبو عبد الله ٣٠٠

## ت

تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين  
 ٢٤٧ ، ٢٤٨  
 ابن التاكسري ١٩٥ ، ٢٢٥  
 التجاني = محمد بن سعيد  
 التلساني أبو الحسن ٣٠٠  
 التلساني أبو الحسين ٢٧٦  
 ثمر بن بلقين بن باديس بن زيري  
 ٢٣٤ ، ٢٣٦

## ث

ثابت ٥٣  
 ثعلبة بن سلامة العاملي ٧  
 الثفري ( القائد برسية ) ٢٥٨  
 ثوابه بن سلف الجذامي ٧

## ج

ابن جابر أبو اسحاق ٣٠٠  
 ابن جابر أبو عبد الله ٢٩٩  
 جافه ( ملك ارغون ) ٢٧٣  
 جانيه بن الفتح ٣٣٢  
 جاش ( ملك برجلونة ) ٣٣٧  
 جاش ابن بطرء ٣٣٧  
 ابن جبر = عبد الله بن محمد  
 ابن جفاف = جعفر بن جفاف  
 ابن الجدة أبو الحسن ٢٤٢  
 ابن جريح = عبد الرحمن بن سعيد  
 ابن 'جزمي' = يوسف بن عبد الرحمن  
 جموس ( لقب القاضي علي بن الحسن ) ٧٨  
 جعفر بن جفاف أبو محمد ١٨٢ ،  
 ٢٠٣ - ٢٠٥

جعفر بن عثمان المصمفي ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤  
 ٦٠ ، ٦١  
 جعفر بن علي ٤٢  
 جعفر بن علي ابن الاندلسي ٦٣ ، ٦٥  
 ٧٧ ، ٢٣٧  
 جعفر بن عمر بن حفصون ٣٢ ، ٣٣  
 جعفر الفتي ١٣٨  
 ابن أبي جعفر ( قاضي مرسية ) ١٧٦  
 ابن الجنان ٢٧٦  
 ابن جهم ٥٢  
 جهور بن محمد بن جهور أبو الحزم ١٣٨ ،  
 ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٦  
 ٢٠٢ ، ٢٣٨  
 ابن جهور = جهور بن محمد ، عبد الرحمن بن  
 محمد ، عبد الملك بن محمد ، محمد بن جهور ،  
 أبو موسى  
 جوان ابن اذفونش ٢٩٥  
 جود ( أم علي بن مجاهد ) ٢١٩  
 ابن جودي = سعيد بن سليمان  
 جودر الصقلي ٦٠  
 ابن الجنياب أبو الحسن ٣٠٠

## ح

ابن الحاج ٢٩٩  
 ابن الحارث ٥٤  
 حاسمة بن ماكسن بن زيري ٢٢٩  
 حبوس بن ماكسن بن زيري الصنهاجي  
 ١٢١ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ٢٢٩  
 ابن حيس أبو بكر ( الشاعر ) ٢٥٩  
 ابن حجاج = هاشم بن يحيى  
 أبو الحجاج بن نصر ٢٩٢ ، ٢٩٣  
 ابن الحجام = محمد بن علي  
 ابن الحداد = ابراهيم بن أحمد

ابن الحداد أبو عبد الله ١٩٠  
 ابن الحديدي = أبو بكر ، محمد بن يحيى  
 ابن سعيد  
 ابن 'حدير' ١٢٠  
 ابن 'حدير' = أحمد بن محمد ، موسى بن  
 مروان  
 ابن الحذاء = محمد بن يحيى  
 ابن حنبل أبو عبد الله ٢٩٩  
 حذيفة بن الاحوس القيسي ٦  
 الحر بن عبد الرحمن 'الثقفي' ٦  
 ابن حرييل = عبد الرحمن بن أحمد بن محمد  
 الحريري ٥٢  
 ابن حريش = الليث  
 ابن حزم ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣  
 ابن حزم أبو محمد ١٤ ، ٢٦ ، ١٣٢  
 ١٤٢ ، ١٩٤  
 ابن حزم أبو المغيرة ١٩٧  
 ابن حزم = أحمد بن سعيد  
 حسام الدولة ( لقب عبد الملك بن رزين )  
 ٢٠٥ ، ٢٠٦  
 حسام بن ضراء - أبو الخطار  
 الحسن ١٣٢  
 حسن بن أحمد بن عبد الودود ٦٣ ، ٦٤  
 الحسن بن حي بن عبد الملك التيجي ٥٣  
 الحسن بن سعد ٤٩  
 حسن بن علي بن حود ١٤٠  
 الحسن بن القاسم بن حود ١٣٣  
 حسن بن القاسم بن قنون ٦٦  
 حسن بن مجاهد المامري ٢٢١  
 حسن بن محمد بن ذكوان ٤٨  
 حسن بن يحيى بن علي بن حود ١٤٠  
 ابن الحسن ٥٣  
 أبو الحسن ابن اشقيولة ٢٨٧  
 أبو الحسن المريني ٢٩٨

حناء الشيرازية (أمّ المتكفي العباسي) ١٣٦  
ابن حسون = الحسين بن الحسين ، علي بن  
الحسين  
الحسين بن أحمد بن الحسين بن قسيّ ٢٥١ ،  
٢٥٢  
الحسين بن الحسين بن عبد الله بن حسون أبو  
الحكم ٢٥٤ ، ٢٥٥  
ابن الحشاء = أبو زيد  
ابن أخي حصاد (التأثر) ٢١٠  
الحصار = أحمد بن سعيد بن محمد  
حفص بن عمر بن حفصون ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤  
أبو حفص بن عبد المؤمن بن عليّ ٢٧١  
حكم بن بدر ٨٦  
حكم بن سعيد بن حكم الأموي أبو عمر  
٢٧٧ ، ٢٧٦  
حكم بن سعيد الفزاز ١٣٨  
الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ١١٣ ،  
١٢١  
الحكم بن عبد الرحمن الناصر المستنصر بالله ٤١ ،  
٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ،  
٨٠ ، ١٠٤ ، ١٥٢ ، ١٨٣ ، ٢٢٧  
الحكم بن عبد الرحمن ٤٨  
حكم بن عكاشة ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ،  
١٥٩ ، ١٧٨  
الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل  
١٤ - ١٨  
ابن حكم = حكم بن سعيد ، سعيد  
ابن الحكيم أبو بكر بن ذي الوزارتين  
٣٠٠  
أبو زكرياء بن أبي القاسم  
حامد بن عمار الزاهد ٥٥  
حامس بن مروان ٤٩  
حمام بن أحمد بن عبد الله بن حمام ٥٥

ابن حمام = حمام بن أحمد  
ابن حمدان ٥٢  
ابن حمد بن أحمد بن محمد بن أحمد  
عمود بن غانية ٢٥٦  
حيّ بن يحيى اليحصي أبو الصباح ٨  
ابن حيّ = الحسن بن حيّ  
ابن حيان حيان ابن خلف أبو مروان  
٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٧٠ ، ٨٠ ،  
٨٤ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٢٧ ،  
١٢٩ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ،  
١٨٢ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٥ ،  
٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ،  
خ  
ابن خالد ٥١  
ابن خالد = عبد الرحمن بن أحمد بن نصر  
الخزاعي ٥١ ، ٥٢  
ابن خزر = محمد بن عليّ بن محمد  
خزرون الترنجاني ١٥٥ ، ٢٣٩  
خطاب بن مسلمة الأبادي ٥١  
أبو الخطار حمام بن ضرار الكلي ٧  
ابن الخطيب (المؤلف) ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ،  
١٦٤ ، ٢١٧ - ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،  
٣٠٩ - ٣٢١ ، ٣٣٣ - ٣٣٤  
ابن خفاجة أبو اسحق ٥  
ابن خفيف = أحمد بن عمر بن عبد الله  
خلف بن البناء الأمي ٥٥  
خلف بن حسين (أبو ابن حيان) ٧٠  
خلف بن سعيد بن أحمد الأزدي ٥٦  
خلف بن عيسى بن سعد الخير بن أبي  
درم ٥٤  
خلف الفقي ١٠٤

خلف بن مروان الصخري ٥٦  
خلف بن نجاح (القائد) ١٥٠ ، ١٥١  
ابن خميس ٢٥٤  
خيبل أبو الحسن الرئيس ٢٥٩  
خير بن شاكر ٢٧  
خيرة الصيقل العامري ٢٢٢ ، ٢٢٥ ،  
٢٢٦  
خيران الفقي العامري ١٠٤ ، ١٢١ ،  
١٣٠ ، ١٣٦ ، ١٥٩ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،  
٢٠١ ، ٢١٠ - ٢١٦

## د

الداني = أحمد بن حسين  
ابن دحون = عبد الله بن يحيى  
ابن دحيم ٥٠  
ابن درّاج المظلي = أحمد  
ابن أبي درم = خلف ابن عيسى  
ابن دُرّي ٩٨  
ابن دهل ٥٥  
الدينوري ٥٠

## ذ

أبو ذر ١٨٣  
ابن ذكوان = أحمد بن عبد الله ، حسن بن  
محمد ، محمد بن أحمد ، محمد بن عبد الله  
الذلقاء (أمّ المظفر عبد الملك بن أبي عامر)  
١٠٩  
ذو العرف ٣٣٢

## ر

الراضي بن محمد بن عباد ١٦٣

ابن الرامي ٢٩٠  
ربيع الاسقف ٣٨  
ربيع القومس (متولي الماهدين) ١٥  
ابن ربيع أبو عامر ٢٩٩  
ابن أبي ربيع = أحمد بن أيوب  
الرجال = عبد الله بن عبد الرحمن  
رُدمير بن اردون ٣٦  
رُدمير ابن شانه ٦٣  
ابن رُدمير ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٥٩  
الرشاطي أبو محمد ١٤٥  
ابن رشد = أحمد  
الرشيد بن المعتد بن عبّاد ٢٤٥ ، ٢٤٦  
الرسيد (لقب محمد بن معن بن صادق  
التجبي) ١٩٠  
ابن رشيق ٥٢  
ابن رشيق = عبد الرحمن  
الرصافي أبو عبد الله الشاعر ٢٦٦  
رضوان (مولاي بني نصر) ٣١١  
الرعيي أبو عبد الله ٢٩٩  
ابن رفاعه ٥٠  
ابن الرقيق ٩٤  
رميريه بن اردونه ٣٢٥  
رميريه بن الففش بن بطرمة ٣٢٤  
رميريه بن شانه ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ،  
٣٣٧  
زُميك ١٥٩ ، ١٦٠  
زُميكبة ١٥٩  
ابن الرميي ٢٨٦  
ابن الرنق (صاحب قلورية) ٢٥١  
ابن رويش = أبو بكر بن عبد العزيز  
ريّ قرحه (لقب رُدمير بن شانه)  
٦٣ ، ٦٥  
ريح ٣٠٨  
ريوند ٣٣٧



عبد الملك بن رزيق بن هذيل بن خلف ٢٠٦، ٢٠٥

عبد الملك العامري ( جد بني عامر ) ٥٩

عبد الملك بن عبد الرحمن بن مـاوية الاموي المعروف بالبلنسي ١١

عبد الملك بن عبد العزيز (قاضي بلنسية ) ٢٥٦

عبد الملك بن قطن القهري ٧٠٦

عبد الملك بن متيوه ١٧٧

عبد الملك بن محمد بن جهور ١٤٨، ١٤٩ - ١٥١

عبد الملك بن محمد بن أبي عامر المظفر ٧٠

١٧١، ٨١، ٨٢، ٨٣ - ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ١٠٤، ١٠٩، ١٩٣، ٢٢٧

عبد الملك بن مروان بن الحكم ٩، ٦، ٩

١٠، ٤٧، ٣٠٨

عبد الملك بن منذر ٥٧

عبد الملك بن هذيل التميمي ٤٩

عبد الميمـن بن مروان بن الاصـبح ٥٥

عبد المؤمن بن عليّ الموحدي ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦٥ - ٢٦٩

عبد الوهاب ( الثائر ) ٢٧

ابن عبد الوهاب أبو عبد الله ٢٩٩

عبدون بن خـزرون الزنداجي ١٤٢، ٢٣٨، ٢٣٩

ابن عبدون ابو محمد الوزير الشاعر ١٨٦ - ١٨٨

عبيد الله بن الوليد القبطي ٤٩

ابن عبيدة ابو بكر ٢٩٩

عتاب بن مروان بن عتاب ٥١

ابن عتاب ابو عبد الله ٥٧

عثمان بن ابراهيم بن ابي طلاق المسكـري ٢١

عثمان بن سعيد اللخني الشذوني ٥١

عثمان بن عفتان ١٠، ٢٢٨

عثمان بن ابي العلى ٢٩٦

عثمان بن ابي نعمة الحثمي ٦

ابن عجب = عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد

ابن العربي ابو عبد الله ٣٠٠

ابن عروس = أحمد بن عبد الله بن محمد عريب ( المؤرخ ) ٢٠

ابن العريف أبو العباس ٢٤٩

ابن العريف أبو عبد الله ٢٩٩

عزّ الدولة ( لقب أحمد بن محمد بن عبد الله ابن قاسم ) ٢٠٨

ابن عزوز أبو القمر ( الثائر ) ٢٤٨

عُزَير ٥٨

العزيز بن اسحق بن محمد بن عبد الله البرزالي ٢٣٧، ٢٣٨

عزيز بن ابي مروان بن خطاب ٢٧٤ - ٢٧٥

عزيز بن يوسف بن سعد بن مردئيش أبو سلطان ٢٧٢

ابن عسـقـلـاجـة = عمر عطاف اللخمي ١٥٢، ١٥٣

ابن عفيف ٤٩

ابن عفيف = أحمد

عقبة بن الحجاج السلولي ٦

ابن عشاكة = حكم بن عكاشة العكميّ ٢٣

العلاء بن مغيث الجذامي ٩

ابن علقمة = محمد بن الحاجّ بن عبد الرحمن علي بن ابراهيم بن أبي الحسن ابن اشـقـبـولة ٢٨٧

علي بن احمد ( الفقيه ) ٧٧

علي بن الحاجّ ( القائد المـرابـطي ) ١٧٣، ١٧٥

علي بن الحسن الملقب بجـمـسـوس ٧٨، ٧٩، ٨٠

عليّ بن الحسين بن عبد الله ابن حـسـون ٢٥٥

علي بن حمود الادريسي الحسني ١١٩، ١٢١،

٣٥٠

١٢٧، ١٢٨ - ١٢٩، ١٣٠، ١٤٠، ١٤٢

علي بن أبي طالب ١٣٢

علي بن علي بن نصر ١٦

عبي بن عيسى بن ميمون ٢٤٨

علي بن بكاشة ١٦

عني بن مجاهد العامري ١٧١، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١ - ٢٢٢

علي بن أبي محمد بن أبي الحسن ابن اشـقـبـولة ٢٨٧

علي بن يوسف بن تاشفين ١٧٤، ١٧٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٢

عماد الدولة ( لقب سالم بن يوسف بن هود ) ٢٨٠

عماد الدولة ( لقب عبد الملك بن أحمد بن هود) ١٧٤

أبن عمار = محمد بن عمار

عمر بن حفص بن جعفر المدعوّ بابن حفصون ٢٢، ٢٣، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١ - ٣٤، ١١٦

عمر ( الخليفة ) ١٠

عمر بن عبّاد الرعيـني ٥٤

عمر بن عبد الله بن علي ٣١٤

عمر بن عبد ربه المـافـري ٤٥

عمر بن عبد للعزيز ١٢، ١٤٤

عمر بن عسـقـلـاجـة ٧٨

عمر بن محمد بن ابراهيم ابن الرافـعـي الـابـري ٥١

عمر بن محمد بن عبد الله ابن الأفضـس المتوكل ١٨٠، ١٨٤ - ١٨٦

عمر بن محلي البطونـي ٢٨٨، ٢٨٩

عمر بن مضمّـ الهـتـروـلي ٢٧

أبو عمر بن عبد الله بن عبد البـر النميري ٥٠

أبو عمر بن عبد الرحمن القرداجي ٥٧

ابو نحر الفتوني ( والي قرطبة ) ٢٥٣

عميرة بن الفضل ١٩٤

ابن عميرة أبو المطرف ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦

ابن عنان ٢٤٩

أبو عنان ( السلطان المـريـني ) ٣٠٥، ٣٠٦

عنبر المقدّم ١٣٤

عنيسة بن سحيم السكلي ٦

العنجسي أبو عبد الله ٣٠٠

ابن عون الله ٩٣

عباض ابو الفضل ( القاضي ) ٤٤، ٤٩، ٥٧

ابن عياض ( الامير ) ٢٤٨

ابن عياض ( الثائر برجـسـية ) ١٧٦، ٢٦٠

عيسى بن أبي بكر بن مزين أبو الاصـبح ٢٠٩

عيسى بن سـمـيد ( الكاتب ) ٧٥

عيسى بن عذرة الانـذراشي ٣٠٠

عيسى بن العلاء التـدهـيري ٥٢، ٥٣

ابن عيسى ٥٢

ابن ابي العيش ابو الحسن ٢٩٩

ابن عيشون = أحمد بن عبد العزيز

## غ

غالب ( مملوك الحكم ) ٤٢، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٧٧

غالب بن عبد الله بن غـام المـافـري ٥١

غالب بن يوسف بن سعد بن مردئيش أبو المظفر ٢٧٢

ابن غالب ( شيخ البـيـازين بفرناطة ) ٣٠٠

غانم بن محمد بن سعد بن مردئيش ٢٧١

ابن غانم = ابو طالب

ابن غانية = حمو ، عبد الله بن حمو ، يحيى

ابن غران = يحيى

غرسية بن الفنش بن اوردونيه ٣٢٤

٣٥١

## ز

الزباب الفتي ١٠٤  
زاوي بن زيري بن ماز الصنهاجي ١٣٠  
١٣٠ - ١٣٨ ، ٢٢٧ - ٢٢٩  
زبيدة بنت جعفر ٢٠ ، ١٣٢  
ابن الزبير أبو بكر ٢٩٩  
ابن الزبير أبو الحسن ٢٩٩  
ابن زوب ٥٥  
ابن زوب = محمد بن يقي ، يحيى بن محمد  
ابن زوزار اليهودي الحكيم ٣٣٣  
ابن زكرياء أبو محمد ٢٩٩  
ابن أبي زكرياء = أحمد بن عباس ، عباس  
أبو زكرياء الحفصي ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥  
أبو زكرياء بن عزيز بن يوسف بن سعد  
ابن مردنیش ٢٨٠  
أبو زكرياء بن أبي القاسم ابن الحكيم  
٢٩١ ، ٢٩٢  
ابن زمرك ٧٨ ، ٧٩  
ابن أبي زمين = محمد بن عبدالله بن عيسى  
ابن زنفل = سعيد بن أحمد  
زنون ( جد بني دنون ) ١٧٧  
زهر الابدادي ٥٦  
زهير الفتي العامري ٤٨ ، ١٠٤ ، ١٣٠  
١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٤ ، ١٩٠ ، ٢١٥  
٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٠  
ابن الزيات ابو جعفر ٢٩٩  
زيادة الله الضبي ابو منصور ٩٤  
زيان بن مدافع بن يوسف بن سعد بن  
مردنیش ابو جميل ٢٧١ ، ٢٧٢ ،  
٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٣٣٧  
ابو زيد ابن الحشاء ٥٧  
ابن ابي زيد ٥٣

## س

سابور الفتي ١٨٣  
ابن سابور ١٨٣  
الساحي ابو عبد الله ٢٩٩  
سالم بن يوسف بن هود ابو النجدة ٢٨٠  
ابو سالم المري ٣١١  
السامي ( لقب ادريس بن يحيى بن ادريس بن  
عبي بن حمود ) ١٤٢  
سبع بن يوسف بن سعد بن مردنیش ابو  
الخارث ٢٧١  
سبيعة ( زوجة القاسم بن حمود ) ١٤١  
سدراي ابو محمد ( الثائر ) ٢٤٨  
سراج بن عبد الله بن سراج ٤٩  
سعد بن عمر بن محمد بن الاقطس ١٨٦  
سعد بن مردنیش ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩  
سعدون السرنباقي ٢١  
ابن سعدون أبو جعفر الكاتب ٢٠٦  
سعيد بن احمد بن زنفل الجاني ٢٠٩  
سعيد بن حكم الاموي ٢٧٥ - ٢٧٦  
سعيد بن حمدون المدني القيسي ٥٠  
سعيد بن سليمان بن جودي ٢٧ ، ٣١  
سعيد بن سهل الشرقي ٥٦  
سعيد بن عبد الملك الجذامي ابي الملاح ٥٤  
سعيد بن عيسى بن المكرم الغافقي ٥٠  
سعيد بن محسن ٥٣  
سعيد بن مرشد المكي ٥١  
سعيد بن مستنة ٢٧  
سعيد بن موسى بن مصمم الفساني ٥٤  
سعيد بن هذيل ٢٧  
سعيد بن يوسف بن القلينة ٧١  
ابو سعيد بن اسماعيل بن يوسف بن نصر  
٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥

أبو سعيد بن عبد المؤمن بن علي ٢٦١  
ابن السفاء ( الوزير ) ١٤٩  
السكري ٥١  
ابن السكن ٥٤  
ابن سفون أبو محمد ٣٠٠  
ابن السليم ٢٧ ، ٥٤  
ابن السليم = ابو بكر بن اسحق ، محمد بن  
اسحق ، منذر بن اسحق  
سليمان بن ايوب ابن بلككنايش ٤٩  
سليمان البرزالي ١٢٨ ، ١٢٩  
سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن  
المستعين ١١٣ ، ١١٤ - ١١٥ ، ١١٦  
١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٧  
١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ٢٠٥  
٢١٠ ، ٢٢٧  
سليمان بن ربيع الكلي ٥٥  
سليمان بن عبد الملك بن أخضل ٢٤  
سليمان بن عبد الرحمن المرتضى ١٣٤  
سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية الاموي ١١  
سليمان بن عبد الملك بن مروان الاموي ٦  
سليمان بن عمر بن حفصون ٣٣  
سليمان بن محمد الشذوني ٢٧  
سليمان بن محمد بن هود المستعين بالله ١٧٠  
١٧١ ، ١٧٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٠  
سليمان بن هشام ١١٠  
ساجة الصنهاجي ( الوزير ) ١٩٧ ، ٢٣٤  
السمح بن ملك الخولاني ٦  
سواجات البرغواطي ١٤١ ، ١٤٢  
سوار ٣١  
ابن سيدة ٢١٨  
سير بن أبي بكر اللتوني ١٨٥  
سيف الدولة ( لقب بلقين بن باديس بن  
جبوس ) ٢٣٠

## ش

الشاطي أبو جعفر ٢٩٩  
ابن شاليب اليهودي ١٥٩  
ابن الشامة ٥١  
شانجه بن اذفونش ٢٩٤  
شانجه بن الفنش ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦  
شانجه بن رمير ٣٢٥ ، ٣٢٩  
شانجه بن غرسية ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ،  
٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٩ ، ٣٢٨  
شانجه بن فرّانده ٣٣٠  
شانجه بن فرذلند ٣٢٨  
ابن شبرين أبو بكر ٢٩٨ ، ٣٠٠ ،  
٣٠١  
الشجري ٥٦  
ابن شراحيل ( الدابر ) ٢٦١  
ابن شرف القبراوي ١٨٢  
ابن الشرقي = ابراهيم بن محمد بن ابراهيم  
الشمي أبو المطرف الامير ٢٣٦  
شعلى الفتي ٧٦ ، ١٠٤  
ابن شعيب أبو اسحق ٢٩٩  
ابن شعيب المـريـني ٣٠٠  
شفيع الفتي ١٠٤  
الشكياتي ( الثائر ) ٢٤٨  
شمس بنت الغالب بالله النصري ٢٨٧  
شنجول ( لقب عبد الرحمن بن محمد بن أبي  
عامر ) ٦٦  
الشنياطي أبو الحجاج ٢٠٩  
ابن الشهيد ١٩٠  
ابن شهيد = أبو عامر  
ابن شبة = محمد بن عبد الله  
شيله بن الفنش ٣٢٣

## ص

ابن صاحب الصلاة أبو عبد الله ٢٦٥  
صاعد بن الحسن البغدادي أبو الملاء ٦٨ ،  
٩٤ ، ٧٢

صالح ٥٨  
صبح ( زوجة الحكم المستنصر وأُمّ هشام المؤيد )

٦١ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٤٢

صعود بن داود بن دلهات ٥٦

ابن الصفار = يونس بن عبد الله

ابن صفوان أبو جعفر ٣٠٠

صلاح الدين ٢٠

الصميل بن حاتم ٧

ابن الصنّاع أبو عبد الله ٣٠٠

الصوّاف ٥٢

ابن الصيرفي ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٨٩

## ض

الضّي = زيادة الله

## ط

طارق بن زياد ٣٢٣ ، ٥٩ ، ٦

طالوت ( الفقيه ) ١٥

ابن طالوت ( الكاتب ) ٢٢٥ ، ١٩٥

ابن طاهر أبو عبد الله ( صاحب مرسية )

٢٥٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ - ٢٠١ ، ١٦٠

ابن الطحان = اسماعيل بن اسحق

طرسوس المجوسي ١١٠

الطرسولي أبو عبد الله ٣٠٠

طرفة الفتي ١٠٤

طربّجة ( دونة ) ٣٢٨ ، ٣٢٧

ابن طفيل أبو بكر ٢٦٤

طلحة بن محلي البطولي ٢٨٨

طلحة بن يوسف بن سعد بن مردنيش ٢٧٢

الطنجالي أبو بكر ٣٠٠

الطوسي ٥١

## ظ

الظافر بن المعتمد ١٥١

الظافر ( لقب عبد الرحمن بن هشام بن عبد

الجبار ) ١٣٤

الظافر ( لقب عبد الملك بن محمد بن جهور )

١٤٩

الظافر ( لقب المعتمد الاول ) ١٥٧

## ع

عاج ( الجارية ) ٢٤ ، ٢٥

ابن عامر أبو عبد الله ٣٠٠

ابن عامر = أحمد بن عبد الرحمن بن عليّ

العاصي بن عبد الله بن محمد الاموي ٢٩

ابن أبي العاصي ابو اسحق ٢٩٩

ابن أبي العافية الحضر ٣٠٠

العالي بالله ( لقب ادريس بن يحيى بن عليّ بن

حمود ) ١٤١

عبد الله القرشي التميمي القرطبي ٥٦

عبد الله بن اللّباد ١٠٢

عبد الله بن محمد بن أزهر بن جبير

الاستنجي ٥١

عبد الله بن محمد الصابوني المعروف بابن بزله ٥٠

عبد الله بن محمد بن أبي عامر ٧٥

عبد الله بن محمد بن عبد البرّ النميري ٥٠

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الامير الاموي

٢٦ - ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن اسد

الجبني ٥٤

عبد الله بن محمد بن عليّ ابن رفاعة الباجي ٥١

عبد الله بن محمد بن مسلمة بن الافطس ١٨٢ -

١٨٣

عبد الله بن مروان ٩٩

عبد الله بن يحيى بن دحون ٥٥

ابو عبد الله بن ابي الحجاج بن نصر ١٦

ابو عبد الله بن عمر الحاجب ٣٠٥

ابن عبد البرّ ٢١٨

ابن عبد البرّ النميري = عبد الله ، ابو عمر

عبد الجليل بن وهب ٢٤٦

عبد الحميد بن منثور ٢٠٩

ابن عبد ربه = أحمد ، عمر

عبد الرحمن بن ابراهيم بن حجاج الاشيلي ٣٥

عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد ابن عجب ٥٣

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن حرييل ٥٤

عبد الرحمن بن احمد بن نصر بن خالد ٥٥

عبد الرحمن بن اسباط ٢٤٥

عبد الرحمن بن جريش ٢٤

عبد الرحمن بن حبيب ( أمير أفريقية ) ٨

عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن

الامير الاموي ١٨ - ٢٠

عبد الرحمن بن دنون ١٧٧

عبد الرحمن بن رشيق ١٦٠ ، ٢٠١ ،

٢١٠ ، ٢٥٧

عبد الرحمن بن سعيد بن نُجْرَج ٥٥

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر

الاموي ٥٧

عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الاموي ٢٩

عبد الرحمن بن عبيد الله العافقي ٦

عبد الرحمن بن عمر بن حفصون ٣٢ ، ٣٣

عبد الرحمن بن منيوه ١٧٧

عبد الرحمن بن محمد بن جهور ١٤٩ ، ١٥٠

عبد الرحمن بن ابي عامر المدعوّ بشنجون ٦٦

٧١ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٨٩ - ٩٨ ، ١٠٩ ،

١١١ ، ١١٢ ، ١٩٣

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر لدين الله

٢٨ - ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ - ٣٥ ، ٤١ ، ٤٦

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد

الرحمن الناصر الملقب بالمرتضى ١٣٠ ،

١٣١ ، ١٣٨ ، ٢٢٩

عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس ٤٨

عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن صاعد ٥٢

عبد الرحمن بن مختار القرطبي ٥٧

عبد الرحمن بن مروان الجليقي ٢١ ، ٢٧

عبد الرحمن بن المشاط الزعني ٥٣

عبد الرحمن بن معاوية الاموي الداخل ٦ ، ٧ -

١١ ، ٢٩ ، ٣٢٣

عبد الرحمن بن هارون ابن القنازعي ٥٤

عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ١٣٤ -

١٣٥

عبد الرحمن بن يعقوب المنصور الموحدوي ٢٧٢

ابن عبد الرؤوف = محمد بن هشام

ابن عبد الصمد ( شاعر المعتمد ) ١٦٥ - ١٧٠

عبد العزيز بن أفلح ٢٢٦

عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي عامر

المنصور ٩٤ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ -

١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢١٧

عبد العزيز ( بن محمد ) البكري ٢١٠

عبد العزيز بن مروان ٥٠

عبد العزيز ابو فارس ( السلطان المريني ) ٨٠

عبد العزيز بن موسى بن نصير ٦

عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ١٢ ، ١٩

عبد الملك بن أحمد بن محمد بن هود ١٧٣ ،

١٧٤ ، ١٧٥

عبد الملك بن ادريس الجزيري ٧١ ، ٧٢

عبد الملك بن أبي الجواد ٢٧

## ص

ابن صاحب الصلاة أبو عبد الله ٢٦٥  
صاعد بن الحسن البغدادي أبو الملاء ٦٨ ،  
٩٤ ، ٧٢

صالح ٥٨  
صبح ( زوجة الحكم المستنصر وأُمّ هشام المؤيد )

٦١ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٤٢

صعود بن داود بن دلهات ٥٦

ابن الصفار = يونس بن عبد الله

ابن صفوان أبو جعفر ٣٠٠

صلاح الدين ٢٠

الصميل بن حاتم ٧

ابن الصنّاع أبو عبد الله ٣٠٠

الصوّاف ٥٢

ابن الصيرفي ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٨٩

## ض

الضّي = زيادة الله

## ط

طارق بن زياد ٣٢٣ ، ٥٩ ، ٦

طالوت ( الفقيه ) ١٥

ابن طالوت ( الكاتب ) ٢٢٥ ، ١٩٥

ابن طاهر أبو عبد الله ( صاحب مرسية )

٢٥٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ - ٢٠١ ، ١٦٠

ابن الطحان = اسماعيل بن اسحق

طرسوس المجوسي ١١٠

الطرسولي أبو عبد الله ٣٠٠

طرفة الفتي ١٠٤

طربّجة ( دونة ) ٣٢٨ ، ٣٢٧

غرسية بن شانجه ٦٣، ٦٥، ٦٨، ٦٩،  
٣٢٥، ٣٢٩  
غرسية بن فرّانديس ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠  
الفتشي (المقدم) ٢٧٩  
غضالس نونس ٣٢٨  
ابن غومس (القومس) ٨٠، ٩٧، ٩٨

## ف

أبو فارس عبد العزيز (السلطان المريني)  
٣١٧، ٣١٨  
فافية بن بلايه ٣٢٣  
فائق الصقلي ٤٨، ٦٠  
الفتح (صاحب القلائد) ١٦٠، ١٨٥،  
١٩١، ٢٠١، ٢٠٦  
فتح الله بن يحيى ١٤٢  
ابن فحلون ٥٢  
ابن الفخار = محمد بن عمر  
ابن الفخار أبو عبد الله ٣٠٠  
ابن الفرّاء = محمد بن القاسم  
ابن فراس ٦٤  
فرّان غضالس ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٨  
فرّانده الاحول ٣٣٢  
فرّانده بن الفتح ٣٣٢  
فرّانده بن شانجه ٣٢٨، ٤٢٩، ٣٣٤  
ابن الفرّج (الوزير) ١٧٩  
فرّج بن كنانة ١٢  
فرّج بن أبي محمد بن أبي الحسن ابن اشيقلو  
٢٨٧، ٢٨٨  
فرذلند (ملك افريجة) ٢٣  
فرذلند (أبو شانجه وجدّ اذفونش) ٢٤٣  
ابن الفرضي ٤٠  
ابن فرناس = العباس  
فرويلة بن الفتح ٣٢٣

فرويلة بن الفتح بن اوردونيه ٣٢٥  
الفرّيشي الرندي ٣٠٠  
الفضل بن عمر بن محمد بن الأفضل ١٨٦  
ابن فطيس = عبد الرحمن بن محمد بن عيسى  
ابن الفقيه الفرناطي أبو عبد الله ٣٠٠  
ابن فهد = محمد بن عيدون بن محمد  
ابن أبي الفياض ٧٧، ٧٧، ١٩٣  
ابن فهد = أبو محمد

## ق

القاسبي أبو الحسن ٥٦  
ابن القابلة = محمد بن يحيى  
قاسم بن أصبغ ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢،  
٥٣  
القاسم بن حمود ١١٩، ١٢١، ١٢٧،  
١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢،  
١٣٣، ١٣٤، ١٤٠، ١٥٣، ١٩٥  
القاسم بن محمد بن عبد الرحمن الاموي ٢٦  
القاسم بن محمد بن محمد بن القاسم بن حمود  
١٤٢  
قاسم (أبو أمّ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد  
الله بن قاسم) ٢٠٨  
قاسم بن محمود المرواني ٩٥  
أبو القاسم بن الحسن بن يوسف الحسني ٣٠٠،  
٣٠٥  
أبو القاسم بن عبيد الله الشيعي ٢٢٨  
أبو القاسم مختار ٥٥  
أبو القاسم المقرئ ٨٥  
قاسطه ٣٢٤  
القاملوليقة ٣٢٣  
ابن القبري = محمد بن وهب  
القبطي = عبيد الله بن الوليد  
القرشي أبو علي ٣٠٠

ابن قرمان = أحمد  
القرّاز = حكم بن سعيد  
قسطنطين الملك ٣٧  
ابن قمي ١٧٦  
ابن قمي = أحمد بن الحسين، الحسين بن أحمد  
ابن القطان ١٥٤  
ابن قطن ٥٣  
ابن قنّب أبو جعفر ٢٩٩  
ابن القليبة = سعيد بن يوسف  
ابن القنازعي = عبد الرحمن بن هارون  
ابن القوطية ٥٤  
ابن القوطية = أبو بكر  
القيباطي ٢٩٩  
قيس بن يوسف بن اسماعيل بن نصر ٣٠٧  
القيشيطي = أحمد بن محمد

## ك

الكلاعي = أحمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم  
ابن كاشة أبو الحسن ٢٩٥  
الكتبطور ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥  
كوثر الفتي ١٠٤  
الكوكب (اسم بغل عبد الرحمن الداخل) ٨

## ل

لاين قاله ٣٢٤  
لبّ بن سليمان بن محمد بن هود ١٧١  
ابن اللباب = أحمد بن محمد بن عبد الله  
ابن لبابة ٤٩، ٥١، ٥٧  
ابن اللباب = أحمد ابن يحيى  
ابن ليون أبو عيسى ٢٠٩  
ليب الفتي الاموي ٢٠٩  
ليد بن عبد الله ٢٤٨

اللوشي أبو عبد الله ٣٠٠  
اللوشي (القائد) ٢٥٥  
الليث بن حريش ٥٥  
ليلي ٤٥

## م

ابن المارعا (الكاتب) ٧٨  
الماضي (الشاعر على الموحدين) ٢٥١  
ماغنه ٣٢٤  
ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ٢٢٨،  
٢٢٩  
مالك بن أنس ١٥، ٥٧  
مالك بن محمد بن عبّاد ١٦٤  
المامون العبّاسي ١٦٢  
المامون (لقب عبد الرحمن بن أبي عامر) ٩٠  
المامون (لقب القاسم بن حمود) ١٣٠  
المامون (لقب يحيى بن اسماعيل بن دنون)  
١٧٧، ١٧٨  
المامون بن المعتمد بن عبّاد ١٥٩، ١٦٣  
مبارك العامري ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥،  
٢٢٦  
المنايد بالله (لقب أحمد بن محمد بن ملجان)  
٢٦٤  
المنفي ١٢٣، ١٨٤  
المشوك على الله (لقب عمر بن محمد بن عبد الله  
ابن الأفضل) ١٨٠، ١٨٥، ١٨٦  
المشوك على الله (لقب محمد بن يوسف بن  
هود) ٢٧٨  
المشوك (لقب يحيى حفيد المأمون ابن دنون)  
٢٠٢  
ابن متبوه = عبد الرحمن، عبد الملك  
مجاهد انعامري أبو الجيش ١٩٠، ١٩٢،  
١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ٢١٧، ٢٢٠

محمد بن علي المجدي أبو محمد الأرجوني ٣٠٠	محمد بن زكرياء ابن برطال ٤٩
محرر بن عيسى التجيبي ٢٢٦	محمد بن سعيد بن مردئيش ٢٥٩ - ٢٦٢
ابن المحروق أبو عبد الله ٣٠٠	٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧١
ابن المحروق أبو علي ٣٠٠	محمد بن سعيد التجاني ٩٩ - ١٠٢
محمد بن إبراهيم بن حجاج ٣٥	محمد بن سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦
محمد بن أحمد بن سليمان بن هود المؤمن ١٦٠	١٩٦
١٧٦ ، ١٧٢	محمد بن سليمان بن محمد بن هود ١٧١
محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي ٥٦	محمد بن شراحيل الباسي ٥٢
محمد بن أحمد بن عبد الله بن ذكوان ٥٦	محمد بن عائشة ( القائد المراتبي ) ١٨٢
محمد بن أحمد المحروق ٢٩٦	٢٠٤
محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن قاسم ٢٠٨	محمد بن عباد بن محمد بن عباد المتمد ١٥١
محمد بن أحمد بن محمد بن قادم بن زيد القرطبي ٥٢	١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ - ١٦٥ ، ١٨٤
محمد بن إدريس بن علي بن حمود ١٤١	١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٤٤
محمد بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود ١٤٣ ، ١٤٢	٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧
محمد بن إسحاق ابن السليم ٤٨	محمد بن عبد الله البرزالي ١٣٧ ، ١٤٠
محمد بن إسحاق بن عباد أبو القاسم القاضي ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٥٢ ، ١٥٣ - ١٥٥	١٥٥ - ٢٣٦ ، ٢٣٧
محمد بن إسحاق بن محمد بن فرج بن نصر ٣٠٩ - ٣٠٨	محمد بن عبد الله ابن ذكوان ٤٩
محمد بن إسحاق المقرئ ١٠٢	محمد بن عبد الله ابن شبة الاشبيلي ٥١
محمد بن أضحي ٢٧	محمد بن عبد الله بن عامر ابن أبي عامر = المنصور ابن أبي عامر
محمد بن بشير ١٤٦	محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمين ٥٢
محمد بن جهور بن محمد بن جهور ١٤٨ - ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١	محمد بن عبد الله بن القاسم الاستنجي ٥١
محمد بن الحاج بن عبد الرحمن بن علقه ٥٠	محمد بن عبد الله بن قاسم الفهري ٢٠٨
محمد بن حسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي ٥٢	محمد بن عبد الله بن محمد بن الأفضل ١٤٣ ، ١٥٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٣ - ١٨٤
محمد بن حرزون بن عبدون ٢٣٩ ، ٢٤٠	محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاموي ٢٩
محمد بن أبي دهم ٥٤	محمد بن عبد الله بن محمد القاضي المعروف بابن أبي جعفر ٢٥٨
	محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الامير الاموي ٢٠ - ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١
	محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ١٣٤ ، ١٣٥ - ١٣٦
محمد بن معن بن صباح التجيبي المنصور بالله ١٩٠ - ١٩٢ ، ٢٣١	محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صباح التجيبي ٨٩
محمد بن مغيرة ١١٠	محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن المريني ٣٣٣
محمد بن مغيرة بن عبد الملك الاشبيلي ٥٦	محمد بن عبد العزيز بن يحيى ٥٠
محمد بن المنذر ( الشاعر ) ٢٤٨ ، ٢٤٩	محمد بن عبد الملك بن محمد بن أبي عامر المنصور ٨٨ ، ١٩٣ - ١٩٤ ، ١٩٥
محمد بن موسى بن عذرون ٧٧	محمد بن عبدون بن محمد بن فهد ٥٧
محمد بن ميمون ( صاحب الاسطول ) ٢٥٦	محمد بن عبيد الله بن الوليد المطيعي ٢٢٠
محمد بن نوح الدمري ١٤٢ ، ١٥٥	محمد بن العراقي ١٣٤ ، ١٣٦
٢٣٩	محمد بن عزيز بن يوسف بن سعد بن مردئيش ٢٧٢ ، ٢٨٠
محمد بن هاني الشاعر ٤٢	محمد بن علي بن أحمد الرئيس العروس ٢٩٢
محمد بن هشام بن عبد الجبار ٩٧ ، ٩٨	محمد بن علي بن الحجام ٢٤٨
١٠٣ ، ١٠٩ - ١١٤ ، ١١٥ - ١١٦	محمد بن علي بن محمد بن خزر المرواي ٨٦ ، ٨٧
١١٨ ، ١٢٧ ، ١٩٣ ، ٢٢٧ ، ٢٤٢	محمد بن عمار الوزير ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢
٣٠٨	١٩١ ، ٢٠١ ، ٢١٠ ، ٢٥٧
محمد بن هشام بن عبد الرؤوف الانصاري ٥٥	محمد بن عمر ( من أصحاب ابن قسي ) ٢٤٩
محمد بن وادع بن محمد القرطبي ٥٢	محمد بن عمر البكري القاضي ٦٨
محمد بن وهب التجيبي ابن القبري ٥٣	محمد بن عمر بن الفخار ٥٤
محمد بن الوليد بن أبي عامر ٥٩	محمد بن عيسى ( قاضي سبتة ) ١٢١
محمد بن يقي بن زرب ٤٩	محمد بن عيسى بن حسين بن سيد الدار ٥٢
محمد بن يحيى بن زكرياء التميمي ٥٠	محمد بن عيسى المرتلي ٥٤
محمد بن يحيى بن سعيد ابن الحديدي ٥٢	محمد بن القاسم بن حمود ١٣٣ ، ١٤٢
محمد بن يحيى ابن القابنة ٢٥٠	١٤٣ ، ١٥٦
محمد بن يحيى بن محمد بن الحذاء ٥٥ ، ٥٦	محمد بن القاسم بن القراء ٥٤
محمد بن يعيش بن منذر الاسدي ٥٤	محمد بن محمد بن بركة الصابوني ٥٣
محمد بن يوسف بن اسحاق بن فرج بن نصر ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٢	محمد بن أبي محمد بن أبي الحسن ابن اشقيلة ٢٨٧ ، ٢٨٩
محمد بن يوسف بن نصر بن الاحمر الغالب بالله ٢٧٨ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ - ٢٩١	محمد بن محمد بن القاسم بن حمود ١٤٢
محمد بن يوسف بن هود المتوكل ١٧٦	محمد بن مرتين القائد ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٨
٢٧٧ - ٢٨٦ ، ٢٩٣	محمد بن مرشد ٩٨
أبو محمد بن أبان الاموي ٥٦	
أبو محمد بن أبي الحسن بن اشقيلة ٢٨٧	
أبو محمد بن أبي حفص الموحيدي ٢٦١	

ابو محمد بن الشاف ٥٥  
 ابو محمد بن فيد القرطبي ٥٦  
 محمود ( امير الدائرة ) ١٣٤  
 مختار بن عبد الرحمن القرطبي ٥٧  
 مخلد بن كيداد ٢٢٨  
 مدافع بن يوسف بن سعيد بن مردنيس ٢٧٢  
 ابن المرباط ابو بكر ٣٠٠  
 المرتضى ( لقب سليمان بن عبد الرحمن ) ١٣٤  
 المرتضى ( لقب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ) ١٣٠  
 ابن مرتين = محمد بن مرتين  
 ابن مرج الكحل ابو عبد الله ٢٧٨  
 ابن مردنيس = زيان بن مدافع ، سبع بن يوسف ، طلحة بن يوسف ، سعد ، عامر  
 ابن يوسف ، عزيز بن يوسف ، غالب بن يوسف ، غانم بن محمد ، محمد بن سعد ، محمد بن عزيز ، مدافع بن يوسف ، هلال  
 ابن محمد ، يوسف بن سعد  
 مروان بن الحكم ٤٧  
 مروان بن عبد الملك ٥٥  
 مروان بن محمد الجعدي ٧  
 المرواني القاضي ٥٢  
 بنت المروزية ( أمّ المستكفي العبّاسي ) ١٣٦  
 ابن مزين الدابر ٢٤٨  
 ابن مزين = عيسى بن أبي بكر ، موسى بن أبي بكر  
 المستعلي ( لقب القاسم بن محمد بن محمد بن القاسم ابن حمود ) ١٤٢  
 المستعلي ( لقب محمد بن ادريس بن يحيى بن علي ابن حمود ) ١٤٢  
 المستعين ( لقب أحمد بن محمد بن سليمان بن هود ) ١٧٢  
 المستعين ( لقب سليمان بن الحكم ) ١١٣  
 المستعين ( لقب سليمان بن محمد بن هود ) ١٧٠ المفاي ٤٩

معاوية بن هشام الاموي ٩  
 المعتز ( لقب هشام بن محمد بن عبد الملك ) ١٣٩  
 المعتصم ( لقب محمد بن معن بن صادح التجبي ) ١٩٠  
 المعتضد ( لقب عبّاد بن محمد بن عبّاد ) ١٥٥  
 المعتلي ( لقب يحيى بن عليّ بن حمود ) ١٣٣  
 المعتمد ( لقب محمد بن عبّاد بن محمد بن عبّاد ) ١٥٦  
 المعري ١٨٤  
 المعزّ بن اسماعيل الشيعي ٢٢٨  
 المعزّ بن باديس ٢٢٩  
 معزّ الدولة بن محمد بن معن بن صادح التجبي ١٩٢ ، ١٩١  
 ابن معمر الشّعويّ ٢١٨  
 معن بن عبد العزيز بن صادح التجبي أبو الاحوص ١٨٩ ، ٦٤ ، ٦٣  
 المعطي = محمد بن عبيد الله بن الوليد  
 ابن مغيث = عبد الكريم بن عبد الواحد مفرّج هشتك ٢٦٣  
 ابن مفلّز ٢٧٦  
 مقاتل ( صاحب طرطوشة ) ١٧١  
 ابن مقلب = ابو الوليد  
 المقتدر ( لقب أحمد بن سليمان بن هود ) ١٧١  
 المقرئ ابو عمرو ٢١٨  
 ابن المكرم الفاققي = أحمد بن عيسى ، سعيد ابن عيسى  
 ابن المكوي ٥٤  
 كمي بن عليّ بن محمد  
 ابن مكبال = أحمد بن محمد  
 ابن الملاح = سعيد بن عبد الملك  
 ابن ملحان = أحمد بن محمد  
 المنتصر ( لقب قمي بن بلقين بن باديس ) ٢٣٦  
 ابن منثور = عبد الحميد

منذر بن اسحاق بن السليم ٤٩  
 منذر بن سعيد البلّوطي ٣٩  
 المنذر بن سليمان بن محمد بن هود ١٧١  
 المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الامير الاموي ٢٣ - ٢٥ ، ٢٦ ، ٣١  
 منذر بن يحيى التجبي ١١٩ ، ١٣٠ ، ١٨٩  
 ١٩٣ ، ١٩٦ - ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٢٦  
 ابن المنذر الوزير ٣٤  
 المنصور ( لقب عبد الملك بن محمد بن جهور ) ١٤٩  
 المنصور محمد بن ابي عامر ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٨  
 ٥٩ - ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٦  
 ٩٨ - ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١١  
 ١١٢ ، ١١٧ ، ١٥٢ ، ١٧٧ ، ١٧٨  
 ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٢  
 المنصور العبّاسي ابو جعفر ٥ ، ٩ ، ١٥٦ ، ٣٠٨  
 المنصور بن عمر بن الافطس ١٨٦  
 المنصور بن الناصر بن علّئاس ١٩١  
 ابن منظور أبو بكر ٢٩٩  
 ابن منظور ابو عمر ٢٩٩  
 المهدي ابن تومرت ٢٤٧ ، ٢٤٩  
 المهدي ( لقب أحمد بن الحسين بن قسيّ ) ٢٤٩  
 المهدي ( لقب محمد بن ادريس بن علي بن حمود ) ١٤١  
 المهدي ( لقب محمد بن هشام بن عبد الجبار ) ١٠٩  
 الملهب بن أحمد بن أبي صفرة التميمي ٥٦  
 ابن مهلب الكاتب ٢٢٥  
 ابن مهيب ابو عبد الله ٢٨٦  
 ابن أبي الموت ٥١  
 المؤتمن ( لقب عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر ) ١٩٥

ابن المؤنث المرادي ابو الحسن ٣٠٠  
 موريعة ٣٢٤  
 موسى بن ابي بكر بن مزين ٢٠٩  
 موسى بن عزرون ٧٨  
 موسى بن مروان بن حداث ٢١١  
 موسى بن نصير ٥٩ ، ٣٢٢  
 ابو موسى بن أبي الحزم بن جهور المرشاني ٥  
 الموفق ( لقب بجهد العامري ) ٢٢٠  
 مؤمنة بنت الغالب بالله ٢٨٧  
 الميزاني ١٠٤  
 ابن ميمون = علي بن عيسى ، محمد

## ن

النابلي ابو علي ٥٠  
 الناصر ( لقب باديس بن حبوس بن زيري )  
 ٢٣٠  
 الناصر ( لقب عبد الله بن بلقين بن باديس )  
 ٢٣٣  
 الناصر ( لقب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله )  
 ٢٨  
 الناصر ( لقب عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر )  
 ٩٠  
 الناصر ( لقب علي بن حود ) ١٢٨  
 الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد  
 المؤمن ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٣٣١  
 ابن نبيل = يحيى بن عمر  
 نجاء العلوي ابو الفوز ١٤١  
 نجاء الفتى ١٠٤  
 النحاس ٥١  
 نصر الفتى ١٠٤  
 نصر بن محمد بن نصر ٢٩٤ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧  
 ابو نصر بن يحيى البحصي ٢١٠  
 نظام الدولة بن احمد بن محمد بن قاسم ٢٠٨

نظام الدولة ( لقب عبد الله بن قاسم الفهري )  
 ٢٠٨  
 نظيف الفتى ١٠٤  
 نعم اللخمي ١٥١  
 نغالة الاسرائيلي الكاتب ٢٣٠  
 ابن نغالة = يوسف  
 النفزي ابو محمد ٢٩٩  
 نوح ٥٨  
 ابو نور بن ابي قرّة بن دوناس اليفري ٢٣٨  
 نونه رجورة ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨

## هـ

هارون الرشيد ١٢٢  
 هاشم بن عبد العزيز الوزير ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ،  
 ٢٤ ، ٢٥ ، ٣١  
 هاشم بن يحيى بن حجاج ٥٦  
 هذيل بن خلف بن لب بن رزين ٢٠٥ ،  
 ٢١٧  
 ابن هذيل = سعيد  
 هرودس ابو الحكم ٢٦٤  
 ابو هريرة ٩٢  
 هشام بن الحكم بن عبد الرحمن المؤيد بالله  
 ٤١ ، ٤٣ - ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،  
 ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ،  
 ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ٢٠٥ ،  
 ٢١٠ ، ٢٤٢ ، ٣٠٨  
 هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ١١٣  
 هشام بن عبد الجبار ١٠٩  
 هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الامير الاموي  
 ١١ - ١٤  
 هشام بن عبد الملك الاموي ٧ ، ٣٠٨  
 هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن  
 الناصر ١٣١ ، ١٣٨ - ١٣٩

هلال بن محمد بن سعد بن مردنيش ٢٧١  
 أبو هلال = يوسف  
 ابن الهمداني ١١١  
 ابن همشك = ابراهيم بن أحمد ، مفرج  
 ابن الهناء أبو القاسم المالقي ٣٠٠  
 الهيثم بن عبيد الكلبي ٦

## و

واثق الفتى ١٠٤  
 الوادياني ابو الفرج ٢٩٩  
 واضح الصقلي ٤٨ ، ١٠٤ ، ١١٢ ، ١١٤ ،  
 ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨  
 ابن واهد = يحيى بن عبد الرحمن  
 الوحيددي أبو محمد ٢٥٥  
 ابن وداعة ١١٨  
 ابن الورد ٥١ ، ٥٤  
 ابن وزير ( الثائر ) ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،  
 ٢٥١  
 ابن وزير ( جد المؤلف ) ١٥  
 ابن وضاح ١٢ ، ٥٧  
 ابن وقار = يوسف  
 الوليد بن عبد الملك بن مروان الاموي ٦ ،  
 ٤٢ ، ٣٢٢  
 ابو الوليد البافجي ٥٧  
 ابو الوليد بن مقبل ٥٦  
 وهب ٥٠  
 وهب بن محمد بن محمود الاموي ٥٣  
 وهب بن مسرة ٥١ ، ٥٢  
 ابن وهبون = عبد الجليل  
 الوهي ( الثائر ) ٢٤٨

## ي

باقب ٦٧  
 يحيى بن أحمد البحصي ٢١٠  
 يحيى بن اسماعيل بن دنون المأمون ١٤٩ ،  
 ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،  
 ١٧٧ - ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٩٦ ،  
 ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٥٧ ، ٣٣٠  
 يحيى التجبي الانقر ٢٧  
 يحيى التراس ١٠١  
 يحيى بن حسن بن علي بن حود ١٤٠  
 يحيى بن سلامة الكلبي ٦  
 يحيى بن عبد الله الليثي ٥٧  
 يحيى بن عبد الرحمن بن واهد ٤٩  
 يحيى بن علي بن حود ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،  
 ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٥٥  
 يحيى بن علي ( ملك الراب ) ٤٢  
 يحيى بن عمر بن حسين ابن نبيل ٥٥  
 يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق  
 ٢٩٦  
 يحيى بن غانية ٢٥٣ ، ٢٥٤  
 يحيى بن غران ٢٠٩  
 يحيى بن محمد بن عبد الله بن الافطس ١٨٤  
 يحيى بن محمد بن زرب ٤٨  
 يحيى ( أبو منذر بن يحيى ) ١٩٦  
 يحيى بن منذر بن يحيى ١٧٠ ، ٢٠٠  
 يحيى بن واسنو الامير ١٩١  
 يحيى حفيد يحيى بن اسماعيل بن دنون ١٧٩ -  
 ١٨٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤  
 يحيى بن يحيى الراوية ١٥  
 ابو يحيى بن احمد بن صادق التجبي ١٨٩ ،  
 ١٩٠  
 ابو يحيى بن أبي بكر بن مسعود المحاربي ٢٩٩

## الفهرس الثاني

### في اسماء الاماكن

٢٩٣ ، ٣٠٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥	ابدة Ubeda ٢٩٣ ، ٢٧٢ ، ٢٦١
أشر Iznajar ٢٢٩	أربونة Narbonne ٣٣٥ ، ١٢
أشطوريش Asturias ٣٢٢ ، ٣٢٣	الارض الكبيرة Europe ٢١٩ ، ٦٧
آصلا Arzila ١١٩ ، ٤٢	أرغون Aragon ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٩٠
أطبية Teba ٢٩٣ ، ٣٣٥	٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨
أغرناطة = غرناطة	الارك Alarcos ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٣٣١
أغمات ١٦٤ ، ١٦٥ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦	أركش Arcos ١٤٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠
افراغة Fraga ٢٥٩	أرملاط Guadimellato ٨٩ ، ٩٨
افرانسية France ٧٤	١١٣
افريقية ٨ ، ٣٢ ، ٦٥ ، ٨٩ ، ٢٢٨	أرنيط Arnedo ١٧٤
٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧	أريولة Orihuela ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢١١
اقريطش Crête ١٦	٣٣٥ ، ٢٥٨
أقليج Uclés ١٣٦	استجة Ecija ٢٢ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٧٦
آلة Alava ١٩ ، ٢١	٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦١
اليرة Elvira ٨ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١	أسترة Astorga ١٢ ، ٦٩
٣٢ ، ٥٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٤٠	أسطبة Estepa ٢٨
١٥٥ ، ٢١٢ ، ٢٢٨	آسفي Safi ٢٧٩
أم سلمة ( ريش ) بقرطبة ١٠٣	الاسكندرية Alexandrie ١٦
انتقيرة Antequera ٢٥٥ ، ٢٨٨	أشبونة Lisbonne ٢٠ ، ٢٩٣
أنتيشة Atienza ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٢٩٣	اشبيلية Séville ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢
انجش ٣٤	٣٤ ، ٥٩ ، ١٠٠ ، ١٢٠ ، ١٢٩
اندراش Andarax ٢٩٦ ، ٣٣٥	١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٢
أندوجر Andujar ٢٥٣	١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤
أنيشة El Puig de Cebolla ٢٧٢	١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤
ايليا El Padron ٦٧	١٨٦ ، ١٩١ ، ٢٠٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤
باب السدة بقرطبة ١١٩	٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦١
باب موسى بالمرية ١٩٢	٢٦٥ ، ٢٦١ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠

٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٧ ، ٣٣١	يدبر الدمري ٧٠
٢٧٢ ، ٢٧١	ابن يربوع السبي ١٢١
١٧١	يعقوب الحواري ٦٧
١٧٦ ، ٢٥٩	يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن المنصور ٣٣١ ، ٢٦٩
٨ ، ٧	أبو يعقوب السلطان المريني ٢٩١
٢٧١ ، ٢٦٩	ابن يعلى الزناتي ٩٧
٢٥٩	يعيش بن محمد بن يعيش ٥٦
٢٨٧	عين الفتى ١٠٤
٥٤	عين الدولة ( لقب محمد بن عبد الله بن قاسم ) ٢٠٨
٣٣١ ، ٢٣٠	يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن نصر ٣٠٤ - ٣٠٦ ، ٣٠٨
٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٠	يوسف بن بخت بن أبي عبدة ١٤٧
٣٣٠ ، ٣٢٢	يوسف البطروجي ( الثائر ) ٢٤٨
٣٣٦ ، ٣٣١	يوسف بن تاشفين ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣
٣٣٢ ، ٢٨٨	١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٩١ ، ٢٠٣
٥٥	يونس بن عبد الله ابن الصفار ٢٠٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢

فهرس الثاني



باب يعقوب بجمراء عرناطة ٣٣٤  
 باب اليهود ( ريش ) بقرطبة ١٠٣  
 باجة Beja ٢٩٣ ، ٢٥١ ، ٢٧ ، ٥  
 باغو Priego ٢٥٢ ، ٢٧  
 بيشتر Bobastro ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١  
 بجاج ( حصن ) ٢٩٤  
 بجاية Bougie ٢٢٠  
 البحر الرقافي Détroit de Gibraltar ١١٥  
 البحر الشامي Méditerranée ٢٩١ ، ٢٨٩  
 البحر المحيط Atlantique ٣٣٨ ، ٦٧ ، ٤  
 البحيرة ( بحر الكش ) ٢٦٤  
 بربشتر Barbastro ١٧١  
 برتقال Portugal ٦٧ ، ١٨٣ ، ٣٢٣ ،  
 برجولنة Barcelone ٨٧ ، ٩٩ ، ٢٤١ ،  
 ٢٦٤ ، ٢٦٢ ، ٢٣٥ ، ٣٣٧  
 برغش Purgos ٣٢٦ ، ٣٢٧  
 بركة ٣٣٨  
 بسطة Baza ٧٦ ، ٢٣٠ ، ٢٦٤  
 البصرة ( بالمغرب ) ٤٣  
 بطرنة Paterna ١٩٥  
 بطليوس Badajoz ٢١ ، ٢٧ ، ١٤٢ ،  
 ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ،  
 ٢٥٣ ، ٢٩٣  
 بغداد ٢٠ ، ٥٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠  
 بلاط مغيث ( ريش ) بقرطبة ١٠٣ ، ١٠٦  
 بلاي Polei ٢٥ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢  
 بلدة Belda ٣٣  
 بلمة Palma del Rio ١٦٣  
 بلنسية Valence ١٥٨ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ،  
 ١٨٢ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ،  
 ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ،  
 ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،

١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٤٦ ، ٢٤٦ ،  
 ٢٨٠ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٢ ،  
 ٣٣٤ ، ٣٣٥  
 جزيرة شقر Aleira ٢٦٢ ، ٢٧٢  
 جلّة ( قرية ) ٢٤٩  
 جلبيقة Galice ١٢ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣ ،  
 ٣٤ ، ٦٠ ، ٩٨ ، ١٧٨  
 جنبالة Chinchilla ٢٧٢  
 الجوزة ( قرية ) ٢٥٠  
 جيّان Jaen ١١ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ١١٩ ،  
 ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٩٣ ، ٢٠٩ ، ٢٢٨ ،  
 ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٣٥٩ ، ٢٦١ ،  
 ٢٧٨ ، ٢٩٣ ، ٣٣٢  
 الحامة Alhama ٦٠  
 الحجاز ١٢٨  
 حام الاليري ( ريش ) بقرطبة ١٠٣  
 الحمراء Alhambra بقرطبة ٢٩٦ ، ٣٠٦ ،  
 ٣٣٣ ، ٣٣٤  
 حصن الاندلس Séville ٩  
 حوانيت الريحاني ( ريش ) بقرطبة ١٠٣  
 الحريقة ٨٧  
 خليدة ٣٤  
 الحندق Alhandega ٣٧  
 الحندق بقرطبة ١٠٣ ، ١١٦  
 دار الصناعة بالمرية ١٩٢  
 دانية Denia ١٧١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،  
 ١٩٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ،  
 ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٩٣ ، ٣٣٥  
 دمشق Damas ٤٢  
 دوير Duero ٦٧  
 رباط الفتح Rabat ٢٨٠  
 الرصافة بقرطبة ١٠ ، ١٤٧  
 الرقاقين ( ريش ) بقرطبة ١٠٣  
 رُندة Ronda ٣٤ ، ١٦٣ ، ٢٩١ ،

٢٩٧ ، ٣٠٩ ، ٣٣٣  
 الروض المحدث ( ريش ) بقرطبة ١٠٣  
 روضة Rueda ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،  
 ١٩٨  
 رومة Rome ٦٧ ، ٧٤ ، ٣٣٦  
 ريف عمارة ١٤٢  
 ريه ٢١ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٢٣٠  
 الزاب ٤٢ ، ٢٣١  
 الزاهرة ( المدينة ) ٤٩ ، ٦٢ ، ٧٤ ، ٨٠ ،  
 ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١١٠ ،  
 ١١١ ، ١١٢  
 الزقاق Détroit de Gibraltar ٤  
 الزلاقة Sacrajas ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٣٣١  
 الزهراء ( مدينة ) ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٠ ،  
 ١٠١ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٤٦  
 الزوّ ( اسم مركب التزهة في النهر الاعظم )  
 ٨٠  
 سبتة Ceuta ٦٦ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،  
 ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٧١ ،  
 ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٣١٨  
 سجلماسة ٢٢  
 السجّن القديم ( ريش ) بقرطبة ١٠٣  
 سرذانية Sardaigne ٢١٩ ، ٢٢٠  
 سرقسطة Saragosse ٨ ، ١١ ، ٢٧ ، ٧٢ ،  
 ١١٩ ، ١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ،  
 ١٧٥ ، ١٨٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،  
 ٢٠٠ ، ٢٢٢ ، ٢٩٣  
 سفقند ٣٣٠  
 السقاّئين ( وادي ) ٢٩٨ ، ٣٠٤  
 سلا Salé ٢٨٠ ، ٣١٣ ، ٣١٨ ، ٣٢١  
 سمورة Zamora ٦٧ ، ٣٣٠  
 سنّبريه Santaver ١٧٧  
 السهة Albarracin ٢٠٥ ، ٢٠٦  
 السوس الاقصى ٢٣٦ ، ٣٣٨

قليرة (Cala) ٢٧٣  
 قرش Comares ٢٩٠ ، ٢٨٨  
 قنيل Gámbiz ٢٩٤  
 قنبرين ( كنورة بالاندلس ) ٢٣٠  
 قنطرة قرطبة ١٢ ، ١١١ ، ١٥٩  
 قوت راشد ( ريش ) بقرطبة ١٠٣  
 قونكة Cuercos ١٨٠  
 القبروان Kairuan ٣٣٥ ، ٣٧  
 الكتبتة la Campina ٢٥  
 الكرس Alcaraz ٢٩٣  
 لاردة Landa ٢٠٩ ، ١٧١ ، ١٧٠  
 لبله Nénia ٢١٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٥ ، ٢٩٣  
 لفت Alicante ٢٥٦  
 لورقة Lorca ٢٥٧ ، ٢٩٣  
 لوشة Loja ١٥ ، ٢٨٨  
 اللؤلؤة ( قبلة بقصر المنصور بالزاهرة ) ٧٦  
 ليون Leon ٧٤ ، ٢٤١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥  
 ليبيط Aledo ٢٤٧ ، ٣٣٦ ، ٣٣٢ ، ٣٣١  
 ماردة Mérida ٢١ ، ٢١٠ ، ٢٨٠ ، ٢٩٣  
 ماسة ٢٥١  
 مالقة Malaga ٣٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١١٧  
 ١٢١ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٠ -  
 ١٤٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٥٤ -  
 ٢٥٥ ، ٢٦١ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ -  
 ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ،  
 ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣٣٤  
 المدائن ( جزائر اشبيلية ) ١٠٠  
 المدور Almodovar del Rio ٢٣٧ ،  
 ٢٣٨  
 المدينة Médine ٥٢  
 المدينة بقرطبة ١٠٣  
 المدينة البيضاء ( أي سرقطة ) ١٧١

مدينة سلم Medinaceli ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٩ ،  
 ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٤ ،  
 ٢٩٣  
 مراکش ١٧٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ،  
 ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٩٠ -  
 Marbella ١١٥ ، ٢٨٩  
 مرتش Martos ٢٩٥  
 مرتلة Mertola ٢٤٩ ، ٢٥٠  
 المرج ( من غرناطة ) ٢٩٥ ، ٣٣٤  
 مرج الرقاد ( بظاهر غرناطة ) ٢٦١  
 المرية Almería ٤١ ، ١٢٠ ، ١٤٠ ،  
 ١٤٢ ، ١٥٤ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ -  
 ١٩٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،  
 ٢٣٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٧ ،  
 ٢٧٩ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦ ، ٣٣٧  
 مرسية Murcia ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٩٣ ،  
 ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،  
 ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،  
 ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٩٣ ، ٣٣٢  
 المزية ٢٣٧  
 المسجد الجامع بالمرية ٢١٦  
 المسجد الجامع بقرطبة ٣٨ ، ٤٣ ، ٧٦ ،  
 ١٣٠ ، ١٤٥ ، ٢٥٣  
 مسجد الشقاء ( ريش ) بقرطبة ١٠٣  
 مسجد الكهف ( ريش ) بقرطبة ١٠٣  
 مسجد مسرور ( ريش ) بقرطبة ١٠٣  
 المشرق ٣ ، ٧ ، ٨ ، ٦١ ، ٢٢٨  
 مصر ٧ ، ٢٢١  
 المصلى القديم بقرطبة ٢٣٤  
 مطرنش ( حصن ) ٢٦٠  
 مطريشة ٢٦٢ ( ولعله مطرنش )  
 المغرب ٧ ، ٨ ، ١٥ ، ٤٤ ، ٥٩ ، ٨٤ ،  
 ١٥٩ ، ٢٢٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،  
 ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،

٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ٣٣٣  
 مفيلة ٨  
 مكة La Mekke ٩ ، ١٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٦  
 مكناسة الزيتون ٢٦٤  
 منتاشة ٢٧  
 منتفوط Monteagudo ٢٥٠  
 المتلون Monteléon ٢٧  
 منتاس ٢٩٤  
 منتيمور Montemayor ١٠٢  
 منتيل Montiel ٣٣٦  
 منزل هاني ٩٨  
 منشون Monzon ١٧٠  
 منقش ( حصن ) ٨٧  
 المنكب Almunecar ٨ ، ٣٣ ، ١٧٦ ،  
 ٢٢٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩  
 منورقة Minorque ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،  
 ٢٧٧  
 منية عبد الله ( ريش ) بقرطبة ١٠٣  
 منية المفيرة ( ريش ) بقرطبة ١٠٣  
 مورتللة Moratella ٢٦٠ ، ٢٦٢ ،  
 ٢٦٣  
 مورور Moron ٢٣ ، ٣٢ ، ١١٩  
 ١٤٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩  
 مورين ٢٧  
 المؤنس ( مجلس بالزهراء ) ٣٨

ميورقة Majorque ١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ،  
 ٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٩٣  
 ناجرة Najera ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ،  
 ٣٣٥  
 الناعورة بقرطبة ٧٨  
 نبرة Navarre ٣٢٥ - ٣٢٧ ، ٣٢٨ ،  
 ٣٣٠ ، ٣٣٧  
 النهر الاعظم = الوادي الكبير  
 وادي آش Guadix ٢٦٤ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ،  
 ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٣٠٩ ،  
 ٣١١  
 وادي آفة Guadiana ٦٠  
 وادي الحجارة Guadajara ٣٤ ، ٨٠ ،  
 ١٧٨ ، ٢٠٩  
 الوادي الكبير Guadalquivir ٨ ، ٣٧ ،  
 ٧٦ ، ٨٠ ، ١٠٣  
 وادي يارو Guadiaro ١١٥ ، ١٢٨  
 وبرة Overa ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٢٣٥  
 وشقة Huesca ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨٩ ،  
 ٣٣٧  
 ولة Huelva ١٤٢ ، ٢١٠  
 وليد Valladolid ٣٢٩  
 بيرة Evora ٢٥٠ ، ٢٩٣  
 اليندون ٢٦٢  
 يومين ١٥٢



## الفهرس الثالث

### في أسماء القبائل والعشائر والاجناس

الاباضية ٢٣٧	الجلالقة ٦٩
الادارسة ١٢٨، ٤٢، ٣٧، ٣	جهور ( بنو ) ١٤٥ النح
ارنيان ( بنو ) ٢٤٠، ٢٣٨	حجاج ( بنو ) ٣٢، ٣٤، ٣٥
ازداجة ٢٤٣، ١١٩، ٦٦	حفصون ( بنو ) ٣٢ - ٣٤
اشقيلولة ( بنو ) ٢٩١ - ٢٨٧	الحكيم ( بنو ) ٣٤، ٢٩٢
الاغليطرة ٣٣٥	حمود ( بنو ) ٣، ١٢٨، النح، ١٤٠، النح، ٢٩٠
الافرنجة ١٩٦، ٢٣، ١٢	خلدون ( بنو ) ٣٤
الافطس ( بنو ) ١٨٢	دمر ( بنو ) ٧٠، ١١٩، ٢٣٨
الالانيون ٢١٩	دنون ( بنو ) ١٧٦، ٢٠٩
الانقليش ٢٠	الديلم ٦٩
الانكثير ٢٠	ذي النون ( بنو ) = دنون ( بنو )
البربر والبرابرة ٧، ٣٦، ٦٣، ٧٠،	رزين ( بنو ) ٢٠٦
٨٧، ٩٤، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦،	الروم ١١، ١٢، ٤٢، ٥٨، ٨٧،
١١٢ - ١٢٠، ١٢٧، ١٣٥ - ١٣٧،	١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥ - ١٧٦،
١٤١، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٣،	زفانة ٣٧، ٦٦، ٨٦، ٩٧، ٢٢٨،
١٥٥، ١٥٦، ١٧٦، ١٧٧، ٢٠٥،	٢٣٠، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٣٣،
٢١١، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٦،	زيري ( بنو ) ١١٩، ٢٢٧،
٢٣٨	السنة ( بنو ) ٢٥٠
برزال ( بنو ) ١١٩، ١٣٧، ٢٣٦،	الشاذلية ٣٠٠
٢٣٧	الشيعة ٣٢
برغواطة ١٤١، ٢٤٣،	الصقالبة ١٢، ٤٠، ٥٩، ٦٠، ٧٧،
البشكنش والبشكيش ١٢، ٦٣،	١٠٢
نجيب ١٨٢، ١٨٩،	صباح ( بنو ) ١٨٩
الترك ٣٠، ٣٦،	صهاجة ٦٦، ١١٩، ١٤٠، ١٩٠،
الجزيريون ٢٤٣	

٢١٢، ٢١٧، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠،	مردنيش ( بنو ) ٢٥٩ - ٢٧٤،
طاهر ( بنو ) ٢٠١	مروان ( بنو ) ٧، ٩٠، ٩٣، ٩٥،
العامريون ٤٣، ٤٧،	١٠٩، ٩٦
عباد ( بنو ) ٣٤، ١٥٢، ٢٠٩،	المريدون ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠،
العباسيون ٧، ٢٧٢، ٢٧٩،	مريث ( بنو ) ٦٨
عبد الحق ( بنو ) ٣	مسلمة ( بنو ) ١٨٢ - ١٨٣،
غومس ( بنو ) ٧٠	المعاهدون ١٥، ١٨، ٣٣،
الفرس ٣٦	مفراوة ٦٦، ١١٩،
الفرنجة ٢٠، ٧٤، ١١٤، ١١٥، ٢٢٠،	مكناسة ١٨٢
قاسم ( بنو ) ٢٠٨	الموحدون ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٥،
قحطان ٩٢، ١٨٢،	٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥ -
قريش ٩، ٩١، ٩٣، ١١١،	٢٧٧
لحم ١٥٢	هابيل ( بنو ) ٢٧
لتونة ١٥٥، ١٧٣، ٢٩٣، ٢٩٥،	هاشم ( بنو ) ١٢٨
المجوس ٢٠، ٤١،	هود ( بنو ) ١٧٠، النح
المدرازيون ٢٤٣	يحيى ( بنو ) ٢١٠
المرايطون ١٦٣، ١٧٦، ١٨٤، ١٨٥،	يفرن ( بنو ) ١١٩، ٢٣٨،
١٩٢، ٢٠٣، ٢٤١، ٢٦٤، ٢٦٥،	اليونان ٣٦

## الفهرس الرابع

في أسماء الكتب الواقعة في هذا الجزء

خطيب ٣٦	خطيب ٣٠٦ ، ٣١٠
« رسائل اخوان الصفا » ٢٤٩	« أخبار الدولة العائرية » لابن حبان ٩٨
« ربحانة الكتاب » لابن الخطيب ٣٠٦	« الإشراف » لابن المنذر ٥١
« طبقات القضاء » الخشي ٣٨	« البضة الكبرى » لابن حبان ١٥١
« قلائد العقيان » للفتح ١٦٠ ، ١٨٥	« تاريخ ابن حميس » ٢٥٤
٢٠٦ ، ٢٠١	« تاريخ الميزاني » ١٠٤
« اللمعة البدوية » لابن الخطيب ٣٠٦	« التهيد والاستذكار » لابي الوليد الباجي ٥٧
« المباخر الطيبة ، في المفاخر الخطيبية » لابن الخطيب ٣١٠	« توجيه حديث الموطأ » ( كتاب في ) ٥٢
« المتن » لابن حبان ١٢٧ ، ٨٤	« خلع الرسن ، في التعريف بأحوال أبي الحسن » لابن الخطيب ٨٠
« المدارك » لابي الفضل عياض ٥٧	« خلع التملتين » لأبي القاسم بن قسي ٢٤٩
« المدونة » ٥٠	« الدلائل » ( مختصر ) لابن عبد ربه ٥٤
« المطمع » للفتح ٢٠٢	« الذخيرة » لابن بسلام ٥٩
« المظفر » للمظفر ابن الأفتس ١٨٣	« ذكريات » عبد الله بن بلقين بن زيري ١٩٨
« المغرب » ١٨٩	« رسالة الفلك ، في سياسة الملك » لابن
« المغرب » ٢٠٠	
« الموطأ » ( شرح على ) لابن الحذاء ٥٥	

## NOTE BIBLIOGRAPHIQUE

I. — Le **Kitâb A'mâl al-a'lâm** fait l'objet d'une mention des auteurs maggribins suivants :

al-Makkari, **Nafh at-tîb**, éd. du Caire, 1302-04 H., IV, p. 244 ;  
al-Makkari, **Azhâr ar-riyâd**, éd. de Tunis, 1322 H., I, p. 177 ;  
al-Ifrânî, **Nuzhat al-hâdî**, éd. Houdas, Paris 1888, p. 259 ;  
al-Kattânî, **Salwat al-anfâs**, éd. de Fès, 1310 H., III, p. 189 ;  
an-Nâsirî, **Kitâb al-Istiksâ'**, éd. du Caire, 1312 H., II, p. 133 .

II. — Description des manuscrits :

Sur le ms. de la Bibliothèque de la grande-mosquée d'al-Karawîyîn, cf. A. Bel et 'Abd al-Haiy al-Kattânî, **Catalogue des livres arabes de la bibliothèque de la mosquée d'El-Qarouiyîne à Fès**, Fès, 1918, p. 101 (no 1286) .

Sur le ms. de la Bibliothèque Nationale d'Alger (no 1617 ) et la copie faite pour Codera, cf. F. Codera, **Mision historica en Argelia y Tunez**, Madrid, 1892, p. 155 sqq., 177-178; E. Fagnan, dans la **Revue Africaine**, 1890, XXXIV, p. 259-292 ; le même, **Catalogue des manuscrits arabes de la Bibliothèque-Musée d'Alger**, Paris, 1893, p. 449.

Sur le ms. de la Bibliothèque de l'Académie d'Histoire de Madrid, cf. F. Codera, op. cit.

Sur les mss. de la Bibliothèque de la grande-mosquée az-Zai-tûna à Tunis, cf. M. Roy, **Extrait du catalogue des manuscrits... de la Grande Mosquée** de Tunis, vol. I, Tunis, 1900, no 4936 et no 4937.

III. — Editions et traductions partielles :

1o Chapitres sur Mujâhid de Dénia et son fils Ikbâl ad-dawla ( présente édition, pp. 217-222 ), dans F. Codera, **Mochéhid, conquistador de Cerdana ( Centenario Nichele Amari**, Palerme, 1910, vol. II, pp. 130-133 ) .

2o Liste des chapitres ; chapitres sur les 'Ubaidides et les Zirides d'Ifrikiya ; chapitres sur l'histoire de la Sicile, dans H. H. Abdul-

Wahab, **Contribution à l'histoire de l'Afrique du Nord et de la Sicile** ( ibid., vol. II, pp. 427-482 ) .

3o Chapitres sur les révoltés de l'Algarve à la fin de la dynastie almoravide ( présente édition, pp. 248-252 ), dans David Lopes, **Os Arabes nas obras de Alexandre Herculano**, Lisbonne, 1911, pp. 130- 137 .

4o Chapitre sur les rois chrétiens d'Espagne ( présente édition, pp. 322-338 ), dans M. M. Antuna, **Una version arabe compendiada de la « Estoria de Espana » de Alfonso el Sabio (Al-Andalus**, vol. I, 1933, Madrid-Grenade, pp. 105-154 ) : cf. mon compte-rendu dans **Hespéris**, tome XVIII, 1934, p. 102 .

IV. — Cf. aussi Brockelmann, G.A.L., II, p. 262 ( 4 ) ; A. Prieto Vives, **Los Reyes de taifas**, Madrid, 1926 .

Le **Kitâb A'mâl al-a'lâm** n'est pas cité dans l'article consacré à Ibn al-Khatîb par C. F. Seybold, dans l'**Encyclopédie de l'Islam**, vol. II, p. 421.

de composition du Kitâb A'mâl al-a'lâm, dont le titre lui-même explique le but que se proposait Ibn al-Khatîb en l'écrivant : pour le dédier à ses protecteurs, le sultan et son vizir régent, il désirait consacrer un ouvrage à la relation des règnes de tous les princes musulmans qui avaient reçu l'investiture avant d'avoir atteint l'âge de puberté. Ce n'était évidemment là qu'un artifice et un prétexte. Ce cadre historique étroit fut tout de suite rompu par Ibn al-Khatîb, qui se mit à l'œuvre pour grouper les éléments d'une grande histoire musulmane universelle, peut-être une sorte de pendant de celle de son contemporain Ibn Khaldûn, et dans laquelle le Maghrib et l'Espagne devaient certainement tenir la place la plus considérable.

\*  
\* \*

On pourra trouver dans la contribution de M. H. H. Abdul-Wahhab au Centenario de Michele Amari le détail des titres de chapitres de la première partie du Kitâb A'mâl al-a'lâm, consacrée à l'Orient, et de la troisième, consacrée à l'Afrique du Nord et à la Sicile. Cette dernière partie semble bien être demeurée inachevée : la dynastie almohade est loin d'y occuper la place qu'elle mérite, et l'histoire des Mérinides, des 'Abdalwâdides et des Hafsides n'y est même pas abordée. Tout y décèle, comme l'a très bien fait remarquer M. H. H. Abdul-Wahhab, la hâte de l'auteur, qui aurait rédigé l'une des parties de son livre, sinon l'ensemble, dans l'espace de quarante jours à peine, si l'on en croit du moins une indication portée sur un manuscrit.

Il n'en est pas de même de la seconde partie, qui traite de l'histoire de l'Espagne musulmane et forme l'essentiel de tout l'ouvrage. On s'en aperçoit au premier examen du contenu. Si Ibn al-Khatîb passe assez rapidement, en suivant d'ailleurs d'assez près le Kitâb al-Bayân al-mughrib d'Ibn 'Idârî al-Marrâkuchî, sur les événements d'Espagne antérieurs au Xème siècle de J.-C., l'histoire postérieure est au contraire le plus souvent traitée avec une abondance et une précision auxquelles les chroniques publiées jusqu'ici ne nous avaient pas encore habitués.

Il y a d'ailleurs longtemps que l'importance de la partie espagnole du Kitâb A'mâl al-a'lâm avait été soulignée. Dès 1892, l'orientaliste F. Codera la signala au monde savant et formula le souhait qu'une édition en fût publiée. C'est ce vœu que nous

nous sommes attaché à réaliser, le jour où il nous a été possible d'utiliser le manuscrit qui se trouve à la bibliothèque de la grande-mosquée d'al-Karawîyîn à Fès, et qui est sans conteste le meilleur de ceux dont on dispose actuellement. Il nous a été en effet facile de nous rendre compte que tous les manuscrits connus de l'histoire d'Ibn al-Khatîb (mss. d'al-Karawîyîn, d'Alger, de Tunis et de Madrid) appartiennent à la même famille et qu'ils présentent les mêmes lacunes, y compris l'arrêt brusque du récit marqué dans la présente édition à la page 286. L'abondance relative des copies n'a dans ces conditions pas rendu très aisé l'établissement d'un texte, qui, trop souvent, est d'une extrême concision et est rédigé dans une langue très littéraire, qui n'est point celle de la plupart des chroniqueurs occidentaux.

\*  
\* \*

Nous nous félicitons de l'initiative du Dar al-Makchouf de Beyrouth de publier une édition nouvelle du Kitâb A'mâl al-a'lâm, bien plus soignée que la précédente, qui est depuis longtemps épuisée, et pourvue des voyelles essentielles.

## INTRODUCTION

Le Kitâb A'mâl al-a'lâm fi-man bâyi'a kabî al-ihtilâm min mulûk al-Islâm, dont une grande partie, relative à l'histoire de l'Espagne musulmane, fait l'objet de la présente édition, est l'un des derniers en date parmi les nombreux ouvrages que composa, au cours de sa vie mouvementée, le célèbre homme d'État et littérateur grenadin du XIV<sup>e</sup> siècle, Lisân ad-dîn Muhammad Ibn al-Khatîb. Plusieurs orientalistes, F. Codera, E. Fagnan, H. H. Abdul-Wahhab, et, en dernier lieu, M. M. Antuna, qui ont décrit ce livre ou en ont publié des extraits, ont tour à tour indiqué dans quelles circonstances il fut composé. On se bornera, en renvoyant à leurs travaux, à rappeler brièvement ces circonstances.

Après avoir, pendant plusieurs années, joué un rôle considérable à la cour nasrite de Grenade auprès du sultan Muhammad V, dont il était le premier ministre, Ibn al-Khatîb dut, en 773 (1371), s'exiler d'Espagne à la suite d'accusations portées contre lui par ses détracteurs et passer au Magrib, où il se réfugia, à Tlemcen, auprès du sultan mérinide Abû Fâris'Abdal-'Azîz. Celui-ci lui fit le meilleur accueil et refusa de le livrer au gouvernement de Grenade, comme ce dernier le pressait de le faire. Mais Abû Fâris mourut l'année suivante (774 — 1372), et son fils Abû Zaiyân Muhammad as-Sa'id, qui n'avait pas quatre ans, fut proclamé à sa place. Ibn al-Khatîb fit alors tous ses efforts pour se concilier les bonnes grâces du régent du royaume mérinide, le vizir Abû Bakr Ibn Ghâzî. Effectivement, pendant le court règne du prince-enfant, Ibn al-Khatîb jouit d'une entière immunité. Mais lorsque bientôt Abû Zaiyân fut déposé et qu'Abu-l-Hasan al-Mutawakkil fut proclamé à sa place (776 — 1374), le malheureux exilé fut en proie, non sans raison, aux plus vives inquiétudes. On sait les conditions lamentables dans lesquelles, après avoir été emprisonné à Fès, il y fut étranglé une nuit par les émissaires de l'un de ses ennemis personnels les plus acharnés à sa perte.

C'est dans le court intervalle qui sépare la proclamation du petit souverain mérinide Abû Zaiyân et sa déposition, c'est-à-dire entre 774 et 776 (1372-1374), que se place exactement la date



LISAN AD-DIN IBN AL-KHATIB

HISTOIRE  
DE  
L'ESPAGNE MUSULMANE

(KITAB A'MAL AL-A'LAM)

TEXTE ARABE

PUBLIÉ AVEC INTRODUCTION ET INDEX

PAR

**E. LÉVI-PROVENÇAL**

Professeur à la Sorbonne  
Directeur de l'Institut d'Études Islamiques  
de l'Université de Paris

**DAR AL-MAKCHOUF**

BEYROUTH

1956